

تاريخ البطاركة

للأنبا ساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونين

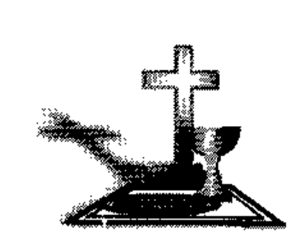
الجزء الثالث

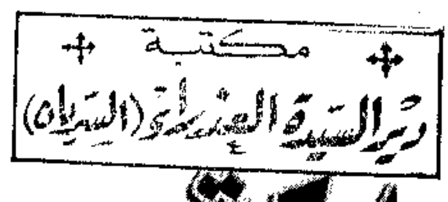
من البابا مقار الثانى (٦٩)

حتى البابا كيرلس الخامس (١١٢)



إعداد
الأنبا صموئيل
أسقف شبين القناطر وتوابعها





تاريخ البطاركة

للأنبا ساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونين

الجزء الثالث

من البابا مقار الثانى (٦٩)
حتى البابا كيرلس الخامس (١١٢)



إعداد
الأنبا صموئيل
أسقف شبين القناطر وتوابعها

اسم الكتاب : تاريخ البطاركة للأنبا ساويروس ابن المقفع
الجزء الثالث من البابا مقار الثانى (٦٩)
حتى البابا كيرلس الخامس (١١٥)

إعداد : الأنبا صموئيل
أسقف شبين القناطر وتوابعها

الطباعة : النعام للطباعة والتوريدات
تليفون : ٢٤٢٠٣٦٢ - ٢٤٦٣٦٢٣ فاكس : ٢٤٢٠٣٦٢

رقم الإيداع : ١٧٤٦٢ / ٩٩



صاحب القداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧



نيافة الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها

ابـا مقـاره البطرك
وهو من العدد التاسع والستون

جلس هذا الاب الجليل على كرسى البطركية فى ايام مملكة الامير ووزارة الافضل ابن امير الجيوش ثم بعد موته وزر المامون ولما تنيح انبا ميخاييل البطرك كانت النوبه فى تخير من يقام عوضا منه للمصريين ورهبان دير ابو مقار وكتبوا للاساقفة المقيمين باعمال الصعيدين الاعلا والادنا واسفل الارض يعلموهم بوفاته ويعزوهم فيه ويسالوهم الحضور ليجتمعوا ويقع الاتفاق على من يرفضوه للبطركية الجليلة وكتبوا ايضا للاسكندرانيين بمثل ذلك وكان زمان الصيف وادراك الغلات والثمار والكروم والاساقفه مشغولين بتحصيل ما يحتاجوا اليه برسم الكنايس المقدسه من الغلات والخمر وغيره فلم يتفق لهم اجتماع الا بعد الصليب فوصل بعضهم الى مصر وبعضهم الى الديارات المباركة واتفق راى الذين وصلوا الى مصر على المسير الى دير ابو مقار القديس للاجتماع مع بقية الاساقفه الذين هناك والرهبان على الصلاة والتضرع الى الرب سبحنه فى ارشادهم الى من يرتضيه ويختاره لرعايتهم والرياسة عليهم فساروا الى هناك فى شهر بابه واجتمعوا فى بيعة القديس ابو مقار ومكثوا اياما يصلوا ويتذاكروا من فى تلك البريه من السواح والقديسين ومن فى الصوامع من الحبيسين ويرجحوا الراى فيمن يصلح لهذه الرياسة والرتبة الشريفة الكهنوتية والخلافة الرسولية المرقصية فلم يتفق رايهم على من يصلح لذلك ولا استقر فى نفوسهم من يقدموه واقاموا على هذه القضيه الى اخر بابه واتفق رايهم على تقدمة اخد رجلين احدهما القديس مقاره القس بدير ابو مقار المعروف بالمصور او الشماس يونس ابن سنهوت واختلفوا فيمن يقدموه منهما فاستقر بينهم ان كتبوا الى الاراخنة بمصر يذكروا فيه طول مقامهم بوادى هبيب وانهم كشفوا عن كلمن فى الديارات التى هناك والسواح والحبسا فلم يجدوا من يصلح للتقدمه الا احد المذكورين وقد استقر بيننا رد الامر اليكم فيهما فمن اخترتموه منهما ورضيتم به قدمناه فلما وصل الكتاب اجتمع الاراخنه بكنيسة القديس ابو سرجه بقصر الشمع وقروا الكتاب فمنهم من كان يعرف الراهبين المذكورين ومنهم من كان

يعرف احدهما دون الاخر ومنهم من لا يعرف احد منهم بالجمله والذين كانوا يعرفوهما زكوهما جميعا ثم قالوا ان مقاره كهل عجاج جيد الكلام ضابط لقوانين الرهبنه وان يونس الراهب شاب جيد الكهنوة صبيح الوجه فصيح المنطق فرغبوا جميعهم فى مقاره لاجل شيخوخته وحنكته ونادوا باسمه كفم واحد وكتبوا الجواب بذلك فلما وصل الكتاب الى الاباء الاساقفة والكهنة المقيمين بالدير اجتمعوا كلهم لقراته واتفقوا اجمعين على الرضا بما تضمنه وقام بعض الاساقفة والكهنة والرهبان حيث مقاره المذكور وقبضوه واتوا به الى المجمع فتضور من ذلك وامتنع واستحلفهم ان يعفوه وقال لهم انا ابن ثانيه لا علم لى ولا كهنوت ولا اصلح لما تريدوه منى فلم يلتفتوا الى قوله وقيدوه والبسوه الثوب ووسموه وذلك فى يوم الاحد الثالث عشر من هتور سنة ثمان مايه وتسعة عشر للشهدا وهى سنة اثنين وتسعين واربع مايه الخراجيه وساروا الى مصر وكان وصوله الى كنيسة ابو قزمان التى عند القنطرة بجوار البستان المعروف بالزهرى فى يوم الخميس السابع عشر من هتور المذكور فمضى الشيخ ابو الفضل ابن الاسقف الى دار السيد الاجل الافضل وكان يوميذ كاتبه وهو الموقع عنه فى الاموال والرجال ومتولى ديوان المجلس والنظر فى جميع دواوين الاستيفا على جميع اعمال المملكة واعلمه بوصول الاب البطرك انبا مقاره وانه يحتاج الى المسير الى الاسكندرية ليصلى عليه فى كنايسها لانها كرسى البطركيه وان الوالى والمستخدمين هناك يطلبوا منه رسوم جرت عادة من تقدمه بها وهدا رجلا راهب ضعيف الحال ليس معه شى ولا اقتنا قط دينار ولا درهم وساله اعفاه من ذلك واحضاره بين يديه لتطيب نفسه ويقوى امره كما جرت عاده من تقدمه فاجابه الى ذلك وامر باحضاره مكرما مبجلا فركب من الكنيسة المقدم ذكرها والكهنة بين يديه يقروا وهم حاملين الاناجيل المقدسه ومجامر البخور والشمع الموقود والشعب حوله والاساقفه والارخنة ركاب دوابهم خلفه ومتولى المعونة بالقاهره معه ورجالته بين ايديهم حتى وصلوا الى دار السيد الاجل الافضل فلما دخل اليه دعا له دعا كثير فراه وديع عفيف حسن الوجه جيد الكلام ورزقه الله منه حظ وقبول فادناه واجلسه واكرمه اكراما كثيرا وخاطبه خطابا جميلا وامر ان يكتب له

المنشور الى والى الاسكندريه وغيره من الولاه الذين يعبر عليهم فى طريقه باعزازه وإكرامه واعفاه من طلب رسم ولا غيره ومساعدته ومعاضدته فى جميع مايحتاج اليه وقام خرج من مجلسه على اجمل قضية ففرح الشعب بذلك فرحاعظيما واخذوا المنشور وساروا الى الاسكندرية فخرج كل الشعب للقايه وكان دخولهم اليها على اجمل قضيه واوفاها ولقى من الوالى ملقا حسن واكرمه وبجله ومنع المستخدمين من تكليفه درهما واحد فضلا عما سواه وكان تكريزه فى كنيسة مارى مرقس الانجيلى بالاسكندرية فى يوم الاحد الثانى عشر من كيهك سنة ثمان مايه وتسعة عشر للشهدا بعد ان جرى له مع الاسكندرانيين خطوب كثيرة بسبب الرسم المستقر لهم على من يجلس فى البطركيه فامتنع من كتب الخط لهم بذلك وقال لهم انا رجل راهب ما لى شى ولا اكتب خطى بشى ومهما قدرت عليه دفعته لهم فى كل سنة فان رضيتم على هذه القضيه والا اتركونى ارجع الى حيث كنت فهو اصلح لى واحب الى مما دعوتمونى اليه ولم يزل الخطاب يترد بينهم عدة ايام الى كتب خطه بمايتى تدينار عددا فى كل سنه ووصل الى مصر يوم السبت الرابع والعشرين من كيهك المذكور واجتمع الاراخنة والشعب فى يوم الاحد عدوة فى كنيسة السيدة المعلقة وظنوا انه يقدس ويكرز فاجتمع جماعة من رهبان دير ابو مقار وقالوا ما يقدس بعد قداسه فى اسكندرية الا فى دير ابو مقار كما جرت عادة من تقدمك فان انت نقضت هذا الرسم وقدست اليوم فى هذه الكنيسه بمصر قبل ان تقدس فى اسكنا ابو مقار ما يكون بيننا وبينك معاملة فيما بعد ولا نرفع اسمك على هيكلنا ولا ندعك تدخله ولا تقدس فيه ابدا ولو قتلنا كلنا وشعثوا وجلبوا واكثروا الكلام والصياح فلم يقدس فى ذلك اليوم واقام بمصر لم يقدس الى بعد الغطاس وسار الى دير ابو مقار فى النصف من طوبه وقدس فى الاسكنا بكنيسة ابو مقار فى يوم الاحد الثالث والعشرين منه وعاد الى مصر وقدس فى كنيسة السيدة المعلقه بمصر فى يوم الاحد اخر طوبه من السنة المذكورة وكرز فيها وكان يوم حسن وقرى تقليده على الانبل يونانى وقبطى وعربى وكمل القداس كما يجب وقرب جميع الشعب وكان خلق كثير قد اجتمع فى ذلك اليوم حتى ضاقت بهم الكنيسة.وفرح الشعب وشكروا الله

تعالى على رحمته وتعاهده لشعبه فى كل وقت كما وعد فى انجيله المقدس اذ قال انا معكم الى انقضى الدهر وفى السنة الخامسة لابا مقاره البطرك المذكور قرى سجل فى الايوان الكبير بالقصر فى يوم الاحد التاسع عشر من المحرم سنة احدى وخمس مايه الهلاليه الموافق للعاشر من توت سنة تسع وتسعين واربع مايه الخراجيه يتضمن نقل هذه السنة الخراجيه الى تهذه السنة الهلالية نقلا لا يتجاوز التسميه وان يورخ فى ساير الاعمال لسنة احدى وخمس ماية الهلالية الخراجية ويلغى ذكر ما سواها ويبطل فى ساير الدواوين من الحسابات والمعاملات وفى السنة الثامنة من بطركيته فى يوم الاحد السابع عشر من شوال سنة اربع وخمس مايه الهلالية وهو الخامس من بشنس سنة خمس مايه الخراجية ثارت ريح عظيمة سودا وغبار فى الساعة التاسعة من يوم الاحد المذكور وصار فى الجو حمره عظيمة منتشره على الارض مثل النار ثم صارت ظلمة عظيمة شديدة حتى لم يبصر احد من الناس الاخر واعتقد جميع الناس ان القيامة قد حضرت فخرجوا من دورهم ومساكنها وخلوا ابوابها مفتوحة معتقدين انهم هلكا لا رجوع لهم اليها وصاروا هايمين على وجوههم فى الجوامع والكنايس والازقه والباعة تركوا حوانيتهم وما فيها من ذهب وفضه وقطانى وتجارة وبر ومتاع وغيره وساحوا فى الظلمة حايرين يطلبو ا المواضع المنفسحة المكشوفة خوفا ان تسقط عليهم السقوف او الحيطان وكانت ساعة مهولة لم يرى مثلها وذكر جماعة من الشيوخ انهم لم يروا مثله ولا سمعوا به من ايام موسى النبى وبعد ساعة جأت المطر وانقشعت الغبره وسكنت الرياح وزالت وظهر النور فعاد الناس الى بيوتهم والى حوانيتهم وشكروا الله تعالى ومجدوه الذى اوراهم يسير من قدرته فلما كادوا يهلكوا ادركهم بعفوه ورحمته وفى يوم الجمعة الثالث من توت سنة احدى وخمس ماية الخراجية الموافقة لسنة ثمان ماية وثمنية عشر للشهدا الابرار فى الساعة الثالثة من النهار كانت زلزلة عظيمة فلما كان الليل هدمت كنيسة ميكاييل المختاره بجيزة مصر وقيل انها سقطت من الزلزلة وكان السبب فى ذلك ما حكاه جميل ابن يحنس الصعيدى قس الكنيسة المذكورة ومعانى الاحوال فيها ان يوسف المستحب المسلمانى ابن مرقوره النثرانى البنا صار مقيما فى الجزيرة

الى وقته لعمارة المواضع المستنزهات المستجدة بجوار هذه الكنيسة وهى البساتين والادر المسماه بالروضه الذى امره السيد الاجل الافضل بانشايها هناك فلما كملت دار عليها كلها حصن فانتهى الى طاحون الكنيسة وهى قبالة بابها فذكروا ان يوسف المستحب قال لهم اعطونى شى حتى اوارب الحصن عن الطاحون والا هدمتها واجزته فى وسطها وانهم اوعدوه بدنانير ثم رجع يذلهم ولم يعطوه شى وقالوا له ان انت انتهيت عن اذيتنا والا استغثنا فيك للسلطان وعرفناه ما قد عرفناه من ذميم طريقتك فى خدمته التى لم نرضاها وقد نزه الله ايامه عما تفعله فيها ونحن قوم ضعفا نريد نقطع مصانعتنا وتريد منا ما لا تقدر عليه وجرت بينهم خصايم كثير فلما حدثت الزلزلة فى اليوم المقدم ذكره بات هو والفعله معه فى الروضه فى العماره كما جرة عادته فلما جن الليل امر الفعله بهدها فما اصبح الصبح الا وهى مهدومة واوصى الفعله بكتمان ذلك فلم يجسر احد منهم ينطق به لخوفهم منه فلما كان بالغداة اذاع هو والفعله ان الزلزلة التى كانت بالنهار شققت حيطانها فلما جن الليل وقويت عليها الرياح سقطت لانها حيطان قديمه وان هذا بتوانى اهلها وقيمها وانهم لو كانوا حضروا فى ذلك اليوم حتى يبادروا بادعامها ما اصابها شى واذاع ذلك عند كل الناس فنال النصارى من ذلك غم عظيم وحزنوا عليها حزنا عظيما وبلغ الاب البطرك هذا الخبر فحزن حزنا كثير وقال انما كان هذا فى ايامى لكثرة ذنوبى ولما وصل بعد ذلك الى مصر تقدم الى وكيل احباس الكنايس المعلقة وغيرها ان يمضى الى كنيسة ميكاييل المختارة ويحمل اخشابها والانها الى حيث امره وبقيت مهدومه الى حيث نظمت هذه السيرة وفى يوم السبت السابع عشر من بشنس سنة ست وخمس مايه الخراجية الموافقة لسنة ثمان مايه ثلثه وثلثين للشهدا على ان اول السنة توت تنيح الاب القديس انبا سنهوت اسقف مصر قدس الله روحه فلقد كان فاضل مليح الكهنوة غزير العلم قنوع متواضع سليم الصدر ساذج النية صبور طاهر جميل الافعال وحمل الى كنيسة القديس ابو سرجه واجتمع الشعب كله وجميع الكهنة المصريين والقاهريين اليها فى تلك الليلة وفى غدها وكان يوم عيد الخمسين المقدس واتفق ايضا انه كان يوم عاشورا وحضر الاب

اغريغوريس بطرك الارمن لتجنيزه والصلاة عليه واخرج منها الى التربه التى كان بناها فى الحبش عند وفاة اخيه القس الراهب سويرس نيح الله نفسه والكهنة والشعب حول تابوته يمشوا ويبكوا ويقروا ومعهم الشمع الموقود والبطرك والاراخنه ومن حضر من الاساقفة ركاب خلف وحزن عليه جميعهم حزن شديد لمعرفتهم انهم لا يجدوا مثله ولا من اجتمع فيه الفضايل والعلم والطهاره والكنهوة مثلما ما اجتمع فيه وكان الاب القديس ابا مقاره البطرك غايب فى قلايته التى فى ازرى بجزيرة بنى نصر فكتبت اليه انا الخاطى يوحنا ابن صاعد كاتب هذه السيرة كتاب اعزيه فيه هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم قد صدرت كتبى الى الحضره السامية القديسة النفيسة البطركية الفاضله الرييسه فخر الله اليعقوبيه وضيا البيعة الارثدكسية سيد الاباء ورييس الروسا المخصوص بالفضايل الروحانية والمواهب العلوية والافعال المرضية خليفة مارى مرقس الانجيلى ثالث عشر الجمع الرسولى حرس الله مجدها وثبت سعدها واهلك ضدها متضمنه ما عندى من الشوق المسيحى والاتياح الروحانى والتلهف الى قربها والتبارك من قدسها والرب جل اسمه يسرنى بمشاهدتها والنظر الى رياستها ولا يعدمنى بركة صلاتها بجوده وعميم رحمته غير خاف عن علمها ما كان من نياحة الاب السعيد الفاضل انبا سنهوت اسقف مصر ولدها الروحانى ومحبها الحقانى نيح الله نفسه وارضاه بنظر وجهه وكرم متواه وانشى اجلها واحسن عزاها وطول عمرها وجعل الكافه فداها وهى تعلم ان هذا الكرسى لا يجرى مجرى غيره من الكراسى القبلية والبحرية لان فيه اراخنة مصر ومقدميها ووجوه اقباطها وروسايها وهم كتاب الدوله وخدام المملكة واسقفهم فى كل اوان بحضر بحضرة ملك الزمان ويجب ان يكون الذى يقام لرعايتهم وينتصب لسياستهم والنظر فى احكامهم وامورهم قد بلغ الكهوليه وعرف بلزوم طرايق الرهبنه وقراة الكتب الشرعية وخدمة الهياكل المسيحية وحفظ الطقوس الكهنوتيه والنظر فى القوانين الرسولية واشتهرت حسن عبادته وعلمه وطهارته ونسكه وجميل سيرته وعفافه وتواضعه وجميل طريقته اذا كانت ثبت الله سعدها عارفه بما جرت به عاده المصريين مع اساقفهم قديما وحديثا وان نساهم وبناتهم واخوتهم واهاليهم

ينضوروا الى أسقفهم فى مهماتهم ويخلوا به فى ملماتهم ويشكوا اليه ضرهم وما يجرى عليهم من ازواجهم واهلهم ويكشفوا له اسرارهم ويحتكموا اليه فى امورهم سرا وعلانيه ويستشيروه فى نواييهم الظاهره والباطنة فيكتم ما يسمعه منهم ويشير عليهم بما يعود بمصالحهم ويصبرهم ويعزيهم ويتلطف بهم ويبذل جهده فى صلاح ما بينهم وبين رجالهم خفيا بحسن سياسته كما كان يفعل الاب المتنيح ومن كان قبله قدس الله ارواحهم فلهذا وغيره من احكام هذا الكرسى ينبغى ان يكون اسقفه قد بلغ حد الكهولية او قد تعداها وعرفت حميد طريقته فى زمان شبيبته ولزومه نواميس الرهبنة واشتهر بالعفاف والصيانه والتواضع والديانه والصبر والطهارة وصحة الامانة والمعرفة بالعلوم الالهية والسياسة الكلية والاداب البيعية والاحكام الشرعية والامانة الارثذكسية والخدمة الكهنوتيه والقوانين الحقيقية ويتعين على قدسها وحنوها على شعبها ان يصلى عنهم ويفرغ نفسه النفيسه للفكر فيمن يتخيره لهم ويستصلحه للتقدم عليهم ويحمل عن قلبها ثقلهم اذا كانت حرس الله عزها عارفة بالاباء والحبسا والمتوحدين فى البرارى والقلالى وما يخلوا ان يكون فيهم من هذه صفته فيرشدها الرب اليه ويدلها بجميل نيتها عليه ببركة صلواتها وحسن طويتها وقدسها وطهارتها ومحبتها وفكرتها فاذا كان هذا هكذا فانا اومن ان الله تعالى بجمع قلوب الكافه على طاعته وقبوله ومحبته والرضا بتقدمته عليهم ورعايته لهم بمعونة الروح القدس السابغ نعمه ومواهبه على مستحقيها ورايها الموفق فى الوقوف على هذه الخدمة والنظر فيما تضمنته بصليب رايها السعيد والصفح عما لعله فيها من زلل وكتابها الكريم فانا اتشرف به واسر بوروده واتبارك بوفوده واسعد بنظره سعودى بالنظر الى الى قدسها وارغب فى مواصلتى به متضمنا اوامرها ومهماتها وأن تذكرنى عقيب صلواتها على معهود عاداتها ان شاء الله تعالى .

فوصل الجواب بما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتاب الولد الحبيب الموفق السعيد المخصوص بالمحبة الروحانية والعلوم الدينية اطال الله بقاه وادام تاييده وعلاه وتمكينه وكبت اعداه وبارك عليه وعنده وحفظه بيمينه الحصين ونجاه من مصايد

العدو وفخاخ الاشرار واستجاب من مسكنتى فيه صالح الدعا بشفاعة القديسين ووقفنا عليه وسررنا بمعرفة خبرة اطابه الله ولم يذكر شيا من الشوق والوحشه الا وعندنا اضعافه ونسال الله قرب الاجتماع على الايثار بمنه وجوده فاما ما شرحه من وفاة اسقف مصر قدس الله روحه وجعلها مع انفس الابرار فقد علم الله ما نالنا لفقده من الحزن والكأبه ما لا نقدر نصفه فاما ارشادنا الى كما تعتمده فيمن تقدمه بعده مما يقع التراضى عليه فالامر لله يقدم من يراه وراى من يجرى مجراه من الاراخنة الصليب فيه ولو وجدنا من كملت فيه الاوصاف التى تضمنها كتابه ما عجلنا تقدمته براينا ولا كنا نجهل الى هذا الحد الممنوع منه نسال الله ان يقضى بما فيه الخيرة وحميد العاقبة وكتابه المسرور لا يخلينا منه متضمنا ذكر اخباره واحواله وسلام الرب يكون معه ورحمته تحل عليه فكتب فى سلخ شهر بشنس سنة اربع وثلثين وثمان مايه هذا التاريخ على ان اول السنة برموده وتاريخ كتابى اليه اول السنة توت بمقتضى حساب الابقطى ولما وصلنى الجواب المذكور عن كتابى الصادر عنى خاصة اصدرت اليه كتابا اخر عنى وعن جميع الشعب هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لما كانت التعزية اطال الله بقا الحضرة السامية النفيسه الرييسه الاجليه البطركية القديسة سيدة الابا ورييسه الرووسا المتوجة بالنعمة السماييه المكللة بالفضايل الروحانية فخر الارتدكسية وضيا البيعة المسحية وعماد الله اليعقوبيه تاج بنى المعمودية ثالث عشر الحواريين الاطهار الانجيلين الابرار خليفة مارى مرقس الانجيلى حرص الله عزها وادام تمكينها وانفذ احكامها واسعد ايامها سنة بعد التحل بها مقصرا فيما وجب عليه والنازل لها متاخرا عما لزمه البدار اليه وكانت بما ميزها الله تعالى به من القدس الجليل والفضل الجزيل والعلم ان هذه الدار الدنيا دار ممر والاخره دار مقر وبما استرعاها اياه من امر شعبه واستخلصها له من هداية المومنين به يرشد الناس الى الهدى ويوضح لهم مناهج التقوى ويتعاليمه الروحانية يخلص من حبايل الغرور وينجون من كل محذور ويرجون الفور يوم النشور أفتصرون منها على ما يقيمون به رسم خدمتها واغناهم العلم بحمله فى التسليم لما قدره الله تعالى وقضاه والرضا بما حكم به وامضاه عن الاكثار فى هذا الباب وحبب

اليهم الاقتصار على الوجز من الخطاب وقد كان من امرالله تعالى وحكمه العدل فى نقل الاب القديس الريس الطاهر انبا سنهوت اسقف مصر نيح الله نفسه الى حيث اختار الله له دارا واعد لامثاله قرارا واستحقه باعماله التى تضى بين يديه واستوجبه بافعاله التى قربته منه سبحانه وازلفته ما قت فى الاعضاد ونكا القلوب والاكباد وعند الله يحتسب ذلك الاب السيد الذى عمل فينا بمرضاته ولم يعدل بنا عن مفترضاته واليه نرغب خاضعين لعظمته واياه نسال ضارعين الى رحمته ان يبقى على اولاد المعمودية الجمال برياستها ويعمر البيع الارثدكسية بدوام جلالتها ونفاسها فان النعمة فى ذلك تكثر ان تخطها الاقلام وتعظم ان يفى بها المسهب فيه من الكلام ولقد اتصل بتلاميذها ان وجع يسير الم بها وعرض حقير عرض لها فكانوا فى صورة الواله الحيران ارتياعا وفى صورة الفاقد الثكلان انزعاجا الى ان تواترت الاخبار باقلاع الاذى عنها واحسا الله تعالى الى الكافة فيها فاخذ تلاميذها من المسره الحظ الاسى وجازوا من الجذل بهذا المنحه النصيب الاوفى وسالوا الله تعالى ان يجعل لباس التقا سابغا عليها وسبوغ النعما وهنا لديها وغير خاف عن علمها ادام اله علايها ان كرسى مصر مميزا عن غيره فى كل الاوقات محفوف بمراعاة امره على عدد الساعات مستوجب لملاحظة شانه مع اللحظات لكونه دار الخلافة ومقر سرير المملكة وان الحاجة داعية الى قسمة أسقف يرسمه ترتضيه حضرته ويرضى تلاميذه طريقته ويحمد جميعهم سيرته وسريرته عالما بدينه وامانته موثوق بحكمته وحنكته وتجربته وقد بان عنه غرة الشباب وحدته وتميز بسن الكبر وخبرته فيسير فيهم وفى حرمهم كسيرة من تقدمت رياسته عليهم ممن اشترى الاخره بالدنيا وارضى السيد المسح بافعاله الحسنى واتفقت الكلمة على استحقاقه الرياسة واستقلاله باثقال السياسه ورضيته الجماعة مقدما عليها ومديرا لها حسب ما اقتضاه قانون البيعة واحكامها وقرره قضا الشريعة وحكامها الذين شد الله بها ما بنوا وثبت بقدسها ما قضوا وامضوا واجلها فى منصبهم واقضى اليها بمنزلتهم وجماعة رعيتها يضربون لها المطانوه امام قدسها الطاهر واسكيمها الفاضل فى شداد ازرهم والاهتمام بصلاح امرهم ومساعدتهم فى تخيير من يرضاه

ويرتضوه ويراه مستحقا لكشف من وراهم ويروه وعلمهم بما توجيه على نفسها فى هذا الحال اغناهم عن بسط المثال ورايها فى ايجابتهم عن هذا الكتاب بما يغنيهم عن تكرار الخطاب وذكرهم فى صلواتها المقدسه وادعيتها المقبوله المستجابه الموفق الاعلا ان شاء الله تعالى .

واوقفت الجامعة من الكهنة وبعض الشعب على هذا الكتاب فاستصوبوه واتفقت كلمتهم على الرضا به وتسييره الى الاب القديس انبا مقاره البطرك وكتبوا عنوانه تلاميذها جماعة النصارى اليعاقبه المصريين وسيرته اليه مع رسول قاصد فعاد الجواب بما هذه نسخته وصل كتاب الاولاد الاحبا المختارون والاخوه الشيوخ المكرمين الموفقين الاراخنة التقيين وكافة الشعب الارثدكسيين اطال الله بقهم وادام عزهم ونعماهم وبارك عليهم وعلى منازلهم واولادهم وكافة حوزتهم باتم البركات وافضل السعادات وحفظهم بيمينه الحصين ونجاهم من مناصب العدو وفخاخ الاشرار واستجاب من مسكنتى فيهم صالح الادعيه بشفاعة القديسين والابرار امين مقصورا على احد امرين اما توبيخ او عتب بحمد عاقبته موعظيهم مما لاحاجه الى تكريره ولا اقامه الحجه فيه من تعذيه وغيرها فما نزل منهم فيه الاسهاب والمباشرة فى ذلك الباب والاقتصار والتحبيب اليهم على الموجز من الخطاب ونعم فاما ما شرحوه من انتقال الاخ «القديس الحبيب الروحانى » الاسقف انبا سنهوت اسقفهم قدس الله نفسه وخروجه من هذا العالم الفانى ومصيره الى الله سبحنه فنالنا عليه من الحزن الشديد والغم الوكيد وكثره البكا وغزير العبرات ما يزيد على ما نصوه فى كتابهم مما نالهم عليه والعزا فيه واحد وانا اتحقق ان الله جل اسمه قد اسكنه مع الابرار والصالحين فى حياة النعيم معدن رحمته ودار كرامته وسمع الصوت البهج الفرح ادخل الى فرح سيدك واما ما ذكروه من تقدمه غيره وارشادنا الى معرفة القانون فيه لما علموه من عجزى وتقصير معرفتى فلا ضررا عليهم فيه لان التذكار يقدح فوايد العلم وان كان عجز او تقصير فليس ذلك منى بل هو منهم لتاخيرهم عن تقدمه غيره الى هذه الغايه حسب ما تضمنه القانون الذى عرفونى به ولا خروج لى عنه ولا اعلم السبب فى تاخيره فانه يقول ان يكون الاسقف مختار من شعبه

ويقع التراضى من جميعهم عليه ويكون معروف بالاوصاف التى تضمنها كتابهم ليس قال القانون ان يكون مختارا من شعب غريب ولا من بطرك والان فالسمع والطاعة لهم فيما امر به القانون تختاروا من يقع عليه رضاكم به وتسكنون اليه ويكون مستصلح لكم اقدمه عليكم ولا اخرج عن رايكم فيه لانكم مقاسيه ومباشريه ونحن شاكرين لما خصهم الله به من محبة من بسوس امرهم وينظر فى احكامهم وهكذا تكون الرووسا والمقدمين الذين بهم قيام منار الدين وترتيب احوال الضعفا والمساكين اعنى الشيوخ الاراخنه المسيحيين ادام الله علوهم ويلزمهم مراعاتنا والدب عنا عوضا من الملوك الارثدكسيين السالفين لمقامهم فى المجالس العاليه والدواوين المعموره ومباشرتهم السلاطين والمقدمين مما افاضه الله علينا اجمعين من مراحم الحضره العاليه المعظمه المالكه رقنا خلد الله ايامها ونصر عساكرها وفتح لها مشارق الارض ومغاربها بشفاعة الصالحين من خلقه واستجاب منا ومن الكافة صالح الدعا فى معاليها التى بحسن رافتها واحسانها اعادة الامور الى كيانها وحمل نظامها الملكى والذمى ونعم جزيله نسال الله ان يوزعنا شكرها وجملة الامر يطيبوا نفوسهم ويشرحوا صدورهم فاننى يعلم الله لو جاتى ملايكة السما ما قدمت واحدا منهم الا الذى يقدموه من ذاتهم ويضربوا عنه المطانوه حسب ما تضمنه القانون والتقدمه منهم والتاخير منهم وانا برى من الاثم الواقع فى هذا الباب ليلايظنوا اننى وخرت هذا الكرسى لفايدة دنيانية من جملة ما نحن مهتمين به فى غير ذلك لعدم من يصلح ولله الامر من قبل ومن بعد سلام الرب سبحنه يكون معهم ويحل عليهم وعندهم وكتب فى العشر الثانى من بوونه سنه واربع وثلثين وثمان مايه للشهدا والشكر لله دايما هذه السنة ثلث وثلثين وثمن مايه على ان اول السنة توت وهو التاريخ الصحيح الذى وضع عليه الابا حساب الابقطى الشمس والقمر فلما وصل هذا الجواب وقريناها وجدناه جواب من هو محرج وكتابا لا يقتضى ان يكون هذا جوابه وكشفنا عن السبب فيه فعرفنا ان الاب البطرك لا يشتهى ان يجعل فى كرسى مصر اسقف وانه قد قام فى نفسه ان يكون هو الحاكم فيه اذا حضر واذا غاب استناب عنه نايب فلم يرضينا ذلك وقلقنا منه وقلنا كما انه لا يجوز ان يكون

المتمسكين بطاعتها المتقربين الى الله سبحنه بالعمل بمرضاتها المسترشدين فى جميع امورهم بما يهديهم الله اليه بتعاليمها الروحانيه واحكامها العادلة المرضية والله يحفظ بقدسها نظام الدين من الشتات ويحرس ببركات دعايها جميع الشعب من الافات ويصون بصلواتها اليه سبحانه بغير حجاب ودعايها المقبول المستجاب الكلمة الارثدكسية من الافتراق ويويد البيع المسيحية بمزية الاتفاق ويقرب اويتها ومتول شعبها بين يديها وتبركهم من قدسها على افضل الاحوال الماثوره والقضايا المختاره بصلواتها المقدسه فاما ما رسمته ادام الله علاها من نخير من يرتضونه للتقدمه عليهم والنظر فى امورهم حسبما توجيه قوانين البيعة فقد قابلوه بالسمع والطاعه بعد المعرفة يقدر المنه عليهم به والانعام بموجبه واجتمعوا فى بيعة الشهيد الجليل سرجيوس بعد ان قدموا استخاره الله امامهم ورغبوا اليه عن ضماير سلميه من هوى تصادقه فى النجوا فى توفيقهم لارتضا من يوافقهم قولا وفعلا ويسير فيهم احسن سيره ونبلا واثبتوا اسما اثنى عشر رجلا ممن اتفقت الكلمة على العلم بتدينه والمعرفة بصحة يقينة ثم تخبروا من هذه العده اربعه نفر وهم مرقوره الحبيس بابيار وتيدر القس بدير ابو مقار ويونس السنهورى والشماس يونس ابن سنهوت واودعت اسمايهم اربعه رقاع وشمعت وحملت على الهيكل المقدس بالبيعة المذكورة وقدس عليها ثلثة ايام اخرها يوم الاحد الرابع عشر من ابيب واجتمع الكهنة واحاطوا بالهيكل والشعب عند بابه قيام وارتفع من جميعهم الضجيج والابتهال والتضرع الى السيد المسيح والسوال فى ان يختار لسياسة شعبه وتدبير بيعته من يراه عاملا بفروضه سايرا فيهم سيرة القديسين الاطهار والصالحين الابرار الذين انتخبهم لرعى خرافه واصطفاهم لرياسه المومنين به وتقدم الشماس الطفل ولد الشيخ ابو الفخر ادام الله تاييده واخذ بحضور الجماعة واحدة من الرقاع المذكورة وفتحت فوجدت باسم يونس ابن سنهوت فشكروا الله على ما هداهم اليه واستبشروا بما دلهم عليه ورضوا بما رضيه واختاره مقدما عليهم وقد ضمن تلاميذها بجميع ذلك مسطورا اثبت فيه خطوط جماعتهم وتلاميذها يقبلون اسكيمها ويضربون المطانوات بين ايديها ويسالوا استدعى الشماس المذكور كما جرت العادة بان

يستدعى مثله وتقدمته اسقفا عليهم ليقوم بعماره البيع وتدبير امور الشعب وينعم باجرابهم على جميل عاداتها الكريمة يذكرهم فى صلواتها المقدسة وادعيتها المستجابه ورايها الموفق انشا الله تعالى فوصل الجواب بما نسخته وصلت مكاتبة الاخوة المختارين الاحبا السعدا الكهنه الاخيار والشيوخ المكرمين المحبوبين الموفقين التقيين الفايزين بكل فضيلة مسيحية المخصوصين بجميع التحيات الروحانيه الاراخنه الارثذكسيين وكافت الشعب المسحيين اطال الله بقاهم وادام نعماهم وعلاهم ورفعهم وكبت اعداهم وبار عليهم وعلى منازلهم واولادهم ومعايشهم ببركات بعلوا بها شانهم ويزيد منها رفعتهم ويعظم منها مكانهم ويوفر حظوظهم ويثبت عليهم النعمة الدايمة والغبطه الحاله وحفظهم بعينه التى لا تنام وكنفه الذى لا يظلم ويكفيهم كل المناصب الشيطانية والفخاخ الرديه ويستجيب من مسكنتى فيهم صالح الادعيه بشفاعة ذات الشفاعات مريم البتول وصلوات البشير مارى مرقس مكمل الشهادات ومحقق الدين والامانات وكافه القديسين والابرار اجمعين يتضمن معانيهم السنية والفاظهم العذبة الروحانية كالشهد والمن المذكورين فى سفر الزبور ولما تاملت معادن فضلهم ودار اكرامهم وجدتها مقصوره على امتداحهم لفقرى الذى لست انا باهله ولا منسوبا اليه ولا حقيق به لمعرفتى بذاتى واننى غير صالحا لما اهلتمونى شكره خلوصى محبتهم وصفو اعتقادهم وبراعة فهمهم ولجة علمهم وبراعتهم وحسن ادابهم كما قيل عن موسى النبى فى التوراه وتعلم موسى من حكمة المصريين فيهم الفخر والكمال وبقية ما سمعت به الامال والزيادة فى العمر والاجال والله تعالى ذكره يقيم بهم منار الدين ويشيد بحياتهم عضد الاخوة المسيحيين ويديم تعميرهم ويقدس نفوس اسلافهم ويرزقنا جميعا رحمة ورافة امام منبره المرهوب وموقفه المرعوب امين فاما ما ذكروه من الشوق الروحانى فعندى منه ما يجوز حد الوصف ويعلوا كل اسهاب واطناب اسال البارى سبحانه قرب الاويه وتكميل الاجتماع على اتم القضايا السارة والاحوال الماثوره والذى اشاروا فهو ممن يجب فيه شكرهم والثنا عليهم لمحبتهم لابايهم الروحانيين ورغبتهم فيمن يسوس احوالهم ويرم شعب بيعتهم وانهم قدموا الله تعالى فى بداية طلبهم ورغبوا اليه فى ان يظهر لهم من هو

مستحق لما طلبوه وارادوه فنعم ما فعلوا لان الكتب المقدسه تقول اجعل الله بدو امرك وهو بكرمه ينجح مسعاهم ويقضى لنا ولهم بما فيه الخيره وحميد العاقبه والذى اضع الله اسمه لهم واخرجه الوجود لديهم وتراضى جميعهم عليه فهو نعم الانسان والقلب طيب على ما تطيب به نفوسهم وتستقيم به امورهم وتكميل لسياسة احوالهم فيتقدموا بمشية الله جل اسمه بتحصيله عندهم والاستيثاق منه وحفظه وحيثيذ احضر ان اعان الله بالحياة وتتمم محبوبهم وتبلغ ايثارهم فغير خاف عنهم ان المذكور يوم نفسه مقام غير مقام الاسقفيه حتى انه مضى الى الحضرة الاجيليه القدسية الطاهرة النقية الابوية البطركية الارمن ادام الله قدسها وقصدها وتطارح عليها الى ان الزمتنى بان كتبت له حجة من القلاية انى لا اجعله فى شى من درجات الكهنوت بشهادة ذالك القديس بطرك الارمن على ومخاطبتهُ اياى عليه وذالك فى السنة التى سير فيها الرسول الى بلاد الحبشة فاستفهموا هذا الامر منه واستعينوا به فى احضار الشخص المذكور اليكم وتحصيله عندكم لتعلموا برات ساحتى وان الامر منكم والسوال له فيه والرغبه اليه ولا ينظرنى بانى قلت له قول ونقضته وعلى الجمله فتحرصوا فى تحصيله واننى لا اتاخر عن تقدمته لهم حسب ما اقترحوه وارتضوه والى حين ذالك لا يخلونا من مكاتبتهم متضمنه ذكر احوالهم واخبارهم سلام الرب سبحنه يكون معهم ويحل عليهم وعندهم وكتب فى الرابع والعشرون من شهر مسرى سنة اربع وثلثين وثمان مايه للشهدا الابرار والحمد لله دايما ابديا ولما وصل الكتاب من الاب مقاره البطرك ووقفنا عليه اجتمعنا ومضينا الى بطرك الارمن وهو يوميذ فى كنيسة السيدة بارض الزهره التى ما بين القاهرة ومصر وقريناه عليه فقال صدق الاب البطرك فيما تضمنه كتابه وسالناه فى مساعدته لنا فى احضار يونس الراهب ابن سنهوت المقدم ذكره فكتب كتابا للاب مقاره البطرك ان يسير اليه من تلاميذه من يحضره فسير اليه تلميذان فاحضروه وانزلوه فى دار الشيخ ابو الفضل التى فيما بين نجيب ودار الغزل بمصر فلما كان فى اليوم الثانى استدعاه بطرك الارمن الى قلا يته واقام عنده ايام وذلك براى انبا مقاره بطركنا اراد بذلك يمتحنه بطرك الارمن ويختبر حاله وعلمه وامانته فوجده كما يجب فى كلما

يحتاج اليه منه فاخذه الشيخ ابو الفضل سعيد ابن ابراهيم ابن المصطنع المنسوب الى بنى الاسكاف بحكم مصاهرتهم وليس هو منهم واعاده الى داره فيما بين بجيب ودار الغزل واقام فيهامنذ خروجه من قلاية بطرك الارمن فلما كان اليوم السابع عشر من بابه المذكور اجتمع الكهنة والاراخنة والشعب الى دار الشيخ ابو الفضل المذكور وانفذوا الى متولى المعونه بمصر واعلموه ان قد اقيم لهم اسقف جديد عوضا من المتوفى وانهم يريدوا يزفوه من حيث هو الى كنيسة ابو سرجه بقصر الشمع بالذى جرت به العادة وهم يخشوا من عوام الناس ان يتعرض لهم منهم سفه فى الطريق فيقع فى ذالك ما سشغل القلب فانفذ الوالى اليهم خليفته وجماعة من رجالته وركب الاسقف بغلة عالية من دواب بعض اصحاب الدواوين فى الساعة الثالثه من النهار وزفوه بالقراأة وبين يديه الشمع والاناجيل ومجامر البخور من الدار المذكورة الى كنيسة ابو سرجة المذكورة وقدس وقرى تقليده فيها انبا مينا اسقف مليج وانبا ميخاييل اسقف اطفيح وانبا يوحنا اسقف الخندق وهو كرسى بسطه وكان يوم عظيم وكان له مثل ذالك فى يوم الاحد الذى بعده فى القاهرة فى كنيسة السيدة بحارة زويله وكرز فيها بعد ان زفوه بالقراة والشمع والاناجيل والمجامر من باب خوخت ميمون دبه التى على الخليج الى هذه الكنيسة ومعه خليفة متولى المعونة بالقاهرة ورجالته وحدثنى الشيخ ابو الفضل المقدم ذكره لما حضر ليفتقدنى انه ما دفع لتلاميذ البطرك ولا لكاتبه درهما واحدا لا عن رسم ولا عن غيره ولا جسروا يطلبوا منه شيا خوفا من الاراخنه وكذالك جرت حال سنهوت نيح الله نفسه عند تقدمته اسقفا وكذلك انبا يعقوب الذى كان اسقفا قبله بل لما صير البطريرك المذكور هذا الاب انبا يونس اغومنس امتنع من تكميله اسقف حتى اخذ خطه بانه يحمل نصف ارتفاع الكرسى فى كل سنة للقلاية البطركية عن الدياريه وكان ما يوخذ من انبا سنهوت الاسقف نيح الله نفسه فى كل سنة للقلاية خمسة عشر دينار والكتاب والتلاميذ دينارين اذا حملوا اليه الارسطنيكا الجميع فى السنة سبعة عشر دينار وفى ابيب سنة ثمان مماية اربعة وثلثين للشهدا وهى السنة الخامسة عشر لبطركية الاب القديس انبا مقاره البطرك وصل بردويل مقدم الفرنج فى عسكر عظيم الى الفرما فتهبها واحرقها وعول على الهجوم الى مصر بغته فمرض وفى ثالث يوم اشتد مرضه

فامر اصحابه ان يحملوه ويعودوا الى الشام فحملوه وعادوا فلما وصلوا الى العريش مات هناك فشقوا بطنه وملحوه كما اوصاهم وعادوا به الى القدس وكان السيد الاجل الافضل لما بلغه وصولهم الى الفرما جرد اليهم عسكر عظيم فلما مات بردويل مقدمهم وعادوا تبعهم العسكر الى الشام وعاد وقد كفانا الله امرهم نساله جل اسمه دوام رحمته ونعمته ويلهمنا شكره ولا ينسيلنا ذكره بجوده ومجده ولما كان يوم الاحد النصف من كيهك سنة احدى عشر وخمسماية الخراجية وهى سنة ثمان مايه ثمانية وثلثين للشهدا وهو سلخ شهر رمضان سنة خمس عشر وخمس ماية الهلالية الذى فى غده يكون الفطر ركب السيد الاجل الافضل من داره بمصر التى تسمى دار الملك وطلع الى القاهرة المحروسة ودخل الى القصر الشريف وجلس بين يدى مولانا الامر باحكام الله وعرضة عليه المضال والدواب والسروج وغير ذالك وتخير منه ما يكون برسم الركوب فى غد ذالك اليوم على جرى العادة فى مثلة وخرج من القصر وعاد الى مصر فلما تجاوز سوق السوفيين وراس الجسر خرج عليه ثلثة رجال لم يعرقوا وقيل انهم من بلا الشرق فاستقبله اثنثين منهم وبايديهم سكينتين فلما راهم الغلمان بادرو اليهم بالسيوف فقتلوهم وفى اشتغال الغلمان يقتلهما خرج اليه الثالث من زقاق دار الكتابه وضربه بسكين فقتله وبادروا الغلمان اليه فقطعوه بسيوفهم وحملوا لاسيد الاجل الافضل الى دار الملك وهم يظنوا انه حى فلما صار فى الدار وجدوه قد مات فما بلغ خبره لمولانا الامر باحكام الله نزل من ساعته الى دار الملك واحتاط على جميع ما فيها من الاموال وامر بكتمان وفاته فى تلك الليله عن الناس وفى غد اظهر امره للوجود وفى غداه يوم الثلثا اخرج تابوته فى السحر وجميع الناس يمشوا حوله حفاه وخرج مولانا الامر خلد الله ملكه راكب خلفه بثياب غسيل وعمامه حمدانيه بدوايه حتى وصل الى تربة والده بظاهر القاهرة خارج باب النصر فصلى عليه ودفن فيها وعاد مولانا الى دار الملك بمصر واقام فيها سبعة عشر يوم حتى حمل جميع ما فيها من الاموال والجواهر والذهب والفضة والملابيس والفرش والاثاث والالات الى القصر ويقال ان المال الذى وجد عينا فى الاكياس اربعة الف الف دينار وما سوى ذالك مما تقدم ذكره مع السلاح والدواب مايعرف قيمته وصار مولانا عليه السلام يجلس كل يوم فى قاعة

الذهب بالقصر السعيد للنظر فى امور المملكة ورجال الدوله والقايد الاجل ابوا عبد الله واخوته بين يديه لتنفيذ الامور والركوب معه فى كل يوم سبت ويوم الثلثا الى البساتين والمناظر بضواحى القاهره وظاهر مصر واستمر على ذالك بقية شهور سنة خمس عشر وخمسامية الهلالية ولما كان فى سنة ستة عشر وخمس مايه اخلع مولانا خلد الله ملكه على القايد الاجل عبد الله وقلده الوزاره وتدبير مملكته والنظر فى امور رجال دولته وكتب له بذالك سجل معظم وذكر فيه القابه ونعوقه ومن جملتها السيد الاجل المامون الى ان عول على قتله اذا خلا به فى قصره فاتضح له ذالك بدلايل عرف صحتها وحقيقتها سبق اليه وبادر بالقبض عليه وعلى اخوته واولاده ووالده فى عشية يوم الجمعة الثالث من رمضان سنة تسعة عشر وخمس مايه واعتقلهم فى خزانه بالقصر السعيد موثوقين بالحديد والقيود وبعد مدة مات حيدوه وبقى محمد ابن فاتك الملقب كان بالمامون وانتهى الى الخليفة ان محمد ابن فاتك المذكور كان فى ايام وزارته سير الى بلاد اليمن رجل من خواصه يعرف بابى الحسن نجيب الدولة على انه رسوله الى الحره ملكة اليمن فى الظاهر وقرر معه فى الباطن ان يذيع عنه انه ولد ابن نزار ابن مولانا المنتصر بالله وانه احق بالخلافة وهو الان مقيما بها وان يقيم له الدعوة هناك ويضرب له السكه باسمه هناك فسير اليها الامام الامر باحكام الله احد الامرا وينعت باسد الدولة ومعه كتب الى الحره فلما وقفت عليها وعرفت قضيت حال ابوا الحسن المذكور لم نزل تتحيل بسياستها الى ان قبضت عليه وسيرته الى مصر فلما وصل يوم الثلثا العاشر من محرم سنة احدى عشر وخمساية استشهد فى القاهره ومصر وهو راكب على جمل وتحته دكه وعلى راسه طرطور رصاص مزرق وعلى كتفه قرد وفى يده مراه تريه وجهه وخلف ظهره رجال العوام وفى يده نعال وهو يبطش به طول الطريق الى ان وصل الى القصر الشريف واعتقل عند صاحبه محمد ابن فاتك .

... تعالى ذكره ان يرزقك ايها الاب الراهب ابن يوحنا

... الكفاية بشفاعة السيدة البتول الطاهره

الذهب بالقصر السعيد للنظر فى امور المملكة ورجال الدوله والفايد الاجل ابوا عبد الله واخوته بين يديه لتنفيذ الامور والركوب معه فى كل يوم سبت ويوم الثلثا الى البساتين والمناظر بضواحى القاهره وظاهر مصر واستمر على ذالك بقية شهور سنة خمس عشر وخمسامية الهلالية ولما كان فى سنة ستة عشر وخمس مايه اخلع مولانا خلد الله ملكه على القايد الاجل عبد الله وقلده الوزاره وتدبير مملكته والنظر فى امور رجال دولته وكتب له بذالك سجل معظم وذكر فيه القابه ونعوقه ومن جملتها السيد الاجل المامون الى ان عول على قتله اذا خلا به فى قصره فاتضح له ذالك بدلايل عرف صحتها وحقيقتها سبق اليه وبادر بالقبض عليه وعلى اخوته واولاده ووالده فى عشية يوم الجمعة الثالث من رمضان سنة تسعة عشر وخمس مايه واعتقلهم فى خزانه بالقصر السعيد موثوقين بالحديد والقيود وبعد مدة مات حيدوه وبقى محمد ابن فاتك الملقب كان بالمامون وانتهى الى الخليفة ان محمد ابن فاتك المذكور كان فى ايام وزارته سير الى بلاد اليمن رجل من خواصه يعرف بابى الحسن نجيب الدولة على انه رسوله الى الحره ملكة اليمن فى الظاهر وقرر معه فى الباطن ان يذيع عنه انه ولد ابن نزار ابن مولانا المنتصر بالله وانه احق بالخلافة وهو الان مقيما بها وان يقيم له الدعوة هناك ويضرب له السكه باسمه هناك فسير اليها الامام الامر باحكام الله احد الامرا وينعت باسد الدولة ومعه كتب الى الحره فلما وقفت عليها وعرفت قضيت حال ابوا الحسن المذكور لم نزل تتحيل بسياستها الى ان قبضت عليه وسيرته الى مصر فلما وصل يوم الثلثا العاشر من محرم سنة احدى عشر وخمساية استشهد فى القاهره ومصر وهو راكب على جمل وتحته دكه وعلى راسه طرطور رصاص مزرق وعلى كتفه قرد وفى يده مراه تريه وجهه وخلف ظهره رجال العوام وفى يده نعال وهو يبطش به طول الطريق الى ان وصل الى القصر الشريف واعتقل عند صاحبه محمد ابن فاتك .

اسال الله جلت قدرته وتعالى ذكره ان يرزقك ايها الاب الراهب ابن يوحنا النفيس الشماس الابصلمدى النعمة والامن والكفاية بشفاعة السيدة البتول الطاهره مرمريم والدة الخلاص وكافة الشهدا والقديسين .

الاب غبريال ابن تريك البطرك
وهو من عدد الابا السبعون

هذا الاب الجليل غبريال ابن تريك كان من اهل مصر من نسل شريف من اعيان الكتاب جلس على كرسى البطركيه اربعة عشر سنة وستة شهور وتنيح فى العاشر من برموده سنة اثنين وستين وثمان مايه للشهدا الموافقه للحادى عشر من شوال سنه تسع وثلثون وخمس مايه الهلاليه وكان اسمه وهو علمانى ابو العلا شماس فى كنيسة القديس ابو مرقورة بمصر رجل كهل عاقل صالح عالم خبير ذات سيره جميله وصدقه كثيرة وبر ومعروف محبا للصلوات والقدسات وخدمة الكنايس والغربا والمرضى مفتقدا الارامل والايتام ومن فى السجون والضيق ومجتهدا فى قراه الكتب وتفسير معانيها والبحث عنها ناسخ جيد قبطى وعربى ينسخ لنفسه كتب كثيره ومجلدات اشتراها من كتب العتيقة والحديثة مما يصلح للبيعه المقدسه والدين المسيحى وكان يخدم فى ديوان المكاتبات وقت وفى بيت المال وقت ومن كتابه بيت المال اخدوه لما وقع عليه الاتفاق وكرزوه بطركا وكان عمره فى ذلك الوقت سبعة واربعين سنة وكان المساعد فى قسمته مع الاراخنة الشيخ ابى البركات ابن ابى الميت الملكى صاحب ديوان التحقيق ومن حضر من الاسكندرانيين بمصر لان النوبة كانت لهم وطلع به الى كنيسه المعلقه فى يوم الثلثا التاسع من امشير من سنة سبع واربعين وثمان مايه للشهدا فدهنوه ومضوا به فى عشارى موكبى الى اسكندريه واوسموه بطركا وذلك فى ايام احمد ابن الافضل ابن امير الجيوش ويسمى شاهنشاه وذكر مولف هذه السيره وهو الاب مرقس ابن زرعه انه لم يكن لاحد من الاساقفة علم بقسمته ولا الرهبان ولا مشوره فى امره لان كرسى البطركية اقام خاليا سنين كثيره بعد وفاة انبا مقره واخبر من يوثق به ان الجماعه التى اجتمعت من الاراخنه لطلب بطرك مضوا الى دير ابو مقار فاخذوهم اولاد ابو مقار ومضوا معهم الى ابا يوسف القديس السريانى فى دير السريان لكى يشاوروه وياخذوا بركته وكانت نعمة الله حاله عليه روح القدس ساكنه فيه وكان يخبر بالغيب فلما تحدثوا معه فى امر البطركيه ومن يصلح لها لان قوم منهم كانوا تطاولوا لها فقال لهم

ابا يوسف ارجعوا الى منازلكم فقد تعبتم فى مجيكم الى هاهنا فان بطركم فى مصر واشار اليه واسماه لهم وقال لهم هو فلان اين تريك فرجعوا وفعلوا كما قال لهم وكذلك يقال عن البطرك انبا مقاره الذى كان قبله ان ابا يوسف هذا قال عنه مثل ذلك وكذلك الحبيس بابيار انه اخبر بذلك وذكر من كان يعاشره من صباه ويخالطه من اترابه انه كان يعمل موضع من دار ابوه مثل كنيسه وكان يقرا فيها كانه يقدس ثم يبارك على اهل دار ابوه ويلعب وهو طفل ويقول لهم انا بطركم ويلبس مزره حرير كانت له مثل القصله ولما كبر اقسم شماسا ولله فى خلقه اسرار لا يعلمها الا هو ومن يطلعه عليها من قديسيه ومحبى اسمه وقد قال الرسول انه لا ياخذ احد كرامه من ذاته الا ان يعطاها من السما من عند الله لان الله قال لارميا النبى قد جعلتك نبيا وانت فى بطن امك اصطفيتك للنبوة وقال لحزقيال النبى قد جعلتك مثل ناطور لهذا الشعب وقال لموسى قد جعلتك الاه فرعون وقال لداوود النبى انى امسحه ملكا وارفعه على جميع ملوك الارض ونظاير هذه الاقوال كثيره فى الشريعة ولما عاد هذا البطرك الى الجيزه بعد مجيه من اسكندريه طلع الى دير القديس ابو مقار ليكرزوه هناك على جارى العادة لمن تقدمه من البطاركه جرى الحديث فى معنى الاعتراف القول على القربان قبل تناوله وهو اومن واعترف ان هذا جسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى اخذه من والده الاله مرتمريم العذرى وصار واحد مع لاهوته فانكر قوم من الرهبان بالدير المذكور قول هذه اللفظه الذى هى وصار واحد من لاهوته لكونها مضافه وذكروا انهم لم تجرى عادتهم يقولوها فاعتذر بانه قالها فى يوم تقدمته كما لقنوه الاساقفه الذين قدموه ولا يسوغ له تركها ولا النزول عنها لكونها لفظة صحيحة وجرى فى ذلك خطوب ومفاوضات استقر اخرها اضافه الكلمات الاخر التى تقرر الحاقها بها وهى وصار واحد مع لاهوته بغير امتزاج ولا اختلاط فوافقهم على ذلك وقاله واستعملها الى الان واتفق اكثر الناس على القول بها الا قوم من اهل الصعيد فانهم استمروا على عادتهم المعروفة فلم يعارضهم فى ذلك ولا جبرهم عليه وفى بدايه قسمته توفى انبا يونس اسقف مصر فى ربيع الاخر سنة ثمان وعشرين وخمس مايه الهلالية وصلى عليه مع جماعه من الكهنة ودفنه فى الحبس

ولم يقسم احد بعده على مصر مده بطركيته ومنع دفن الموتى فى الكنايس ولما اتصل به تعدى قوم ومخالفتهم امره فى ذلك وانهم دفنوا بسوس القمص فى كنيسه حاره الروم بالقاهره انفد اغلق الكنيسه واقامت مدة مغلوقه ثم امر بفتحها بعد زمان بسوال الاراخنة وحمل جسد الاب انبا مقاره البطرك الذى كان قبله وكان مدفون فى كنيسة المعلقة بمصر بعد ان جدد عليه الصلاة ولفه فى عفاره حرير وحمله الى دير القديس ابو مقار فى ثانى سنة من تقدمته وجعله فى غشا ادم من فوق وكفنه وامر ان يوخذ الغشا الادم بعد وصوله الدير ودفنه مع اجساد البطاركه يجعل فيه جسد القديس ابو مقار الكبير ويوخذ ما عليه يكفن به البطرك انبا مقاره وان تكون هذه سنه مستمره لغيره يدرج فيه وفى ايام هذا البطرك بعد قتل احمد ابن الافضل الذى كان يسمى كتيفات جلس الامام الحافظ فى الخلافه وكان وزير ه يانس ولما ملك قتل صبيان الخاص الذى كانوا اجناد الامام الامر لما قامت نفسه منهم لا جل انهم كانوا قتلوا من تقدمه ولم يقيم فى الملك سوى سنة واحدة وسموه فى مآء عملوه له فى ابريق المرحاض فلما استعمله تهرى تحته ووقع جوفه فمات فقام من اولاده رجل يسمى الامير حسن وادعى الخلافة وبايعة قوم أسماهم صبيان الزرد وكانوا من خلط الاجناد ومن جميع الطوايف فقوى بهم وساعدوه فانعم عليهم وقدمهم واقطعهم البلاد وولاهم الولايات وجعلهم امرا دولته واجناده فقوى امره وقبض على جماعة كبيره من امرا دوله ابوه وكان يحضرهم بين يديه بالليل ويضرب رقابهم ويدفع دورهم واموالهم لصبيان الزرد واهلك عالم وخلق بالسيف من جميع الناس الامرا وغيرهم وكان فى كل يوم تصبح جماعة مقتولين بين القصرين اجساد بلا رووس حتى لا يعرفوا لما تمكن وقوى خلع الحافظ ابوه من الخلافه وقبض عليه وقيده وسجنه وجرى فى ايامه بين العبيد السودان وبين الاجناد حرب عظيم فى موضع يسمى كوم الدرب قبلى مصر فى بلاد اطفيح وقتل من السودان خلق كثير وقبض الامير حسن على الاب البطرك انبا غبريال وصادره وسحبته فى خزانه البنود الى ان قسطوا له الكتاب من جواريهم وساعدوه التجار من اموالهم حتى حمل له الف دينار وخلصه الله من يديه ولما اطلع الله على ظلمه وشره وقتله للنفوس وغصبه اموال

الناس بغير حق اثار عليه جماعه من اجناد دولته فمضوا الى الغربيه الى واليها وكان رجل نصراني ارمني يسمى بهرام وينعت تاج الدوله وكان مقدم الارمن لكونه ارمني من جنس ملوكها ثم وصل الى ديار مصر مع امير الجيوش بدر الجمالى عند مجيه من عكا فى ايام المستنصر بالله واستمر فى خدمه الدوله فقدموه وولوه الولايات وهو باق على دينه وكان عندهم جليلا موقرا لهم فيه راى جميل ومحبه فولوه الغربيه فمضوا اليه الاجناد واستصرخوا به ورغبوا فيه وسالوه ان يكون وزير وسلطان عليهم فدخل معهم الى القاهره فاخذوه وملكوه بغير اختياره فهرب الامير حسن واختفا وعاد ابوه الى ما كان عليه واستوزر هذا الامير وهو نصرانيا وجلس الحافظ يوم عودته الى خلافته في شهور من سنة تسع وعشرين وخمس مايه الهلاليه وكان اخو تاج الدولة بهرام الوزير رجل قديس لا يرغب في الدنيا فقسموه بطركا للارمن فى بلاده ثم وصل الى مصر وهو بطركا لهم وكان مشهور بالدين والعفاف والقدس والكرم والصدقه والرحمة وسموه انبا اغريغوريس فلما تنيح اقاموا اخر عوضا منه بطركا فى ديار مصر واسموه نانياس ثم لما تمكن الحافظ من خلافته دس بعض الامرا والاجناد ان يطلبوا ولده الامير حسن ويقتلوه وقرر ذلك مع كبار العسكر ومقدمين الدوله واوعدهم عليه بالانعام والاقطاعات فاجتمع جميع الامرا والاجناد الى القصر ورموا فيه النشاب واحضروا حطب كثير وقالوا جميعهم صيحة واحدة نريد الامير حسن تسلموه لنا والا احرقنا القصر وكلمن فيه فطلبه ابوه الحافظ من اهل القصر وقال لهم ان تاخر ساعة لا يظهر احرقونا واحرقوا جميع قصورنا وهم اجنادنا واعواننا على من يناوينا وقد قاموا علينا فاين لنا غيرهم يعيننا عليهم فطلبوه سكان القصر من بعضهم بعضا الى ان ظفروا به واحضروه بين يدى والده الحافظ فلما راه بكا وقال له يا ولدي قد غلبت عنك وعن روحى فعرفني الحيله في سلامتك فان دفعتك لهم عاقبوك واهانوك ثم بعد ما يفعلوه بك يقتلوك وكاني ارى من وجه صلاح حالي وحالك ان تمص هذا الخاتم فتموت فى سبيل الله بلا عقوبه منهم ثم رمى له بخاتم مسموم يعدوه الملو ك عندهم لمثل هذا الامور الغالبه عليهم فيرون الموت لهم اخير من الحياة في يد اعدايهم وتحكمهم فيهم فاخذ الخاتم فمصه فمات فاخرجه الى

وسط القصر ووضع جسده على دكه خشب وفتح ابواب القصر وامرهم ان يدخلوا وينظروه فدخلوا وراوه ميت فكشفوا الغطا عن وجهه ليلا يكون نايم وغزوه فى جميع جسده بالسكاكين وفصول النشاب فلما تحققوا موته تركوه وخرجوا وكان اشدهم فى الكلام والطلب له واحد يسمى رضوان ابن ولحشى من امرا الدوله فانعته الحافظ يفحل الامرا وولاه الغربيه واستمر تاج الدوله بهرام فى الوزارة لاستقبال جمادى الاول سنة تسع وعشرين وخمس مايه الهلاليه الى اخر ربيع الاخر سنة احدى وثلثين وخمس مايه فكثر كلام المسلمين فيه لاجل مذهبة وحسدوه لاجل محبه الخليفه له وكونه علا كلمته عليهم وكان للنصارى فى ايام دولته نفاد كلمه وعزه انفس وكان تصرف جليل من الدواوين الكبار الذى للخليفه والوزرا فى ايديهم وكان منهم النظار والمشارفين فى جميع ارض مصر قبليها وبحريها وتغورها فلما ضعفت كلمة المسلمين وعزت كلمتهم الجتهم الظروره الى عمل الحيله فى قطع هذا المرضى من اصله فقصدوا الراحه منهم عن تاج الدولة بهرام فتعصبوا منهم جماعة امرا واجناد وخلط الناس ومضوا الى الغربية واستصرخوا برضوان ابن والخشى واليها وقالوا له الخليفة سماك فحل الامرا وما للمسلمين من ينقذهم من اهانة الارمن غيرك فان قويوا اكثر من هذا تنصر كثير من المسلمين واستنهضوه فنهض معهم وحشد العربان ومقطعين البلاد ونادى يا مجاهدين فى الكفار وعلق مصاحف القران على اسنة الرماح قدام العسكر وسار وقد اجتمع له من المسلمين جيش عرمرم لا يحصى عدده من كثرته واستعلا بكلمه الاسلام فلما وصل الى مسجد الخضر وامر العسكر ان يعدى البحر الى الجانب الاخر تواصلت اخباره لبهرام بذلك فخفق دمآ الناس وقال لاصحابه لابد ان اموت فيطالبنى الله بدم من قتل منكم ومنهم ومملكه هذه الديار قد جعلها الله للمسلمين فما يجوز ولا يحل لى من الله ان اقاتل القوم على مملكتهم وانتزع منهم حقهم ولو لم يستعين بى الخليفه على ماجرى عليه من ولده ورضى بى بما فعلته من خدمته وطاعته ما ابتدعت شيا من نفسى قوموا خذوا ما قدرتم عليه من اموالكم واولادكم وامضوا بنا الى قوص اخذ اخى وكان قد ولى اخوه باساك قوص ثم نمضى الى بلادنا ونترك للقوم مملكتهم فمالنا بقتالهم حاجة

فقالوا له الشجعان من الارمن كيف نفعل ما قلت ونحن الف قوس نقدر نفتح الدنيا الى باب روميه ونحن نلقاهم ونكسرهم بمعونه الله لنا فلم يوافقهم وصار من وقته الى قوص فى طلب اخوه باساك فلما وصل اليها وجد الخبر بوزاره رضوان ابن ولخشى قد سبقه وقد قتلوا اهل قوص اخيه ودفنوه فى الزبل فى اصطبل دوابه بدار الولايه فنزل عليها فغلقوا ابواب حصنها فى وجهه فحاصرها ثم عفا عنها وفوق العسكر عنه وطلع الى الديارات البيض وحده واقام فى احدها واما رضوان ابن ولخشى فدخل الى القاهره واخلع الخليفة عليه للوزاره فى سنه احدى وثلثين وخمس مايه ونهب كنايس القاهره والخندق واحرقوا المسلمين دير الارمن المعروف بالزهرى وقتلوا بطركهم وكلمن وجدوه معه من الرهبان فى الدير ورضوان ابن ولخشى اول وزير امر ان لا يستخدموا النصارى فى الدواوين الكبار ولا نظار ولا مشارفين وان يشدوا زنانيرهم فى اوساطهم ولا يركبوا الخيل وضاعف عليهم وعلى اليهود الجزيه وجعلها ثلث طبقات قوم من الاغنيا اربعة دنانير وسدس وقوما دونهم دينارين وقيراطين فاما بقيه عامتهم فدينار واحد وثلث وربع وعليه ورقا درهم واستخدم فى ديوان الجوالى رجل من شهود مصر يعرف بالقاضى المهذب ابن ابى البقا وكان سبب ذلك ما كان من استخدام الخليفة للشيخ صنيعة الخلافه ابو زكرى ابن يحيى ابن بولس الكاتب النصرانى فى ديوان التحقيق واخلع عليه الدراعة واجلسه داخل قصره فى قاعة باب الذهب فى موضع افرده له منها واستخدم معه اثنى عشر كاتبا من النصارى الاعيان فى ايام وزاره بهرام فى اواخر سنة ثلثين وخمس مايه وكان معه ايضا كاتبان من المسلمين يعرف احدهما بالقاضى الخطير ابن البواب والاخر بالقاضى المرتضى ابن الطرابلسى الذى كان رضوان ابن ولخشى استخدمهما فى ديوان المجلس عوضا منه ثم حرفه بعد ذلك وابعده الى بلاد اسيوط لانها بلده وموطن اسلافه وبقيا الكاتبان المذكوران مستمرين كل واحد منهم انفرد بديوانه وبقى يطبق الجوالى على الذمه الى ان سطرت هذه السيرة وحدث فى ايام وزارة رضوان ابن ولخشى غلا شديد الى ان عدم اكثر الناس القوت واباع رضوان المذكور قمح وغيره من الارز الاحمر والقول المسود والحبوب المسوسة والقمح الذى صار من قدمه

وطول مكنه فى الشون والمخازن والمطامير والاهرا السلطانيه من ايام امير الجيوش لضروره عدم القوت شيا كثير بثمن كثير حتى ان المصريين اسموه القمح الدنوكى وكان سعر الخبز فى تلك الايام رطل مصرى بدرهم ثم ادرك الله الخلق وارخص اسعارهم وكان قد جرى مثل ذلك فى سنة اربع وثلثين وخمس مايه هلاليه لم يبلغ النيل فيها الا دون اربعة عشر ذراعا فغليت الاسعار لما شرفت البلاد فاصاب الناس ضر شديد بسبب تشريق البلاد وكان ميخاييل اسقف صهرجت قد اهتم بتجديد كنيسة منيه زفتى وكرزها وقدس بها واكملها على اسم القديس مارى جرجس فوثبوا المسلمين بمنيه زفتى عليها وهدوها لتعضهم فى النصارى وجعلوها مسجدا فوقف ميخاييل الاسقف للوزير رضوان ابن ولخشى واستصرخ به واوضح له انها بيعه قديمه فوقع له بخطه بعمارتها واعادتها الى ما كانت عليه من حدودها علوا وسفلا فاعمرها وكملها وكرزها بعد ان قاسا عليها شده عظيمة وغرامه كثيره واستمر رضوان فى الوزارة الى ان قاموا عليه الاجناد وامرا الدوله فخرج من دار الوزاره بالقاهره هاربا وليس يلبس لرجليه سوى خفا واحدا ولم يمهلوه حتى يلبس الاخر نزل عند العرب الدرماويين فمضوا به الى الشام فافسد نفر من الغز وانضاف معهم العرب الذين اجازوه وجا الى القاهره ونزل فوق الجبل عند موضع الرصد على جبل المقطم وخرج اليه عسكر المصريين فقاتلوه فكسرهم ثم صدفوه القتال فانتصروا عليه وغلبوه فلما راى انه مغلوب عاد الى بلاد الشام دفعه تانيه فكتب اليه الامام الحافظ وامنه وطيب قلبه وسير اليه من اصحابه من وثق به وعلى يده مال يتسفر به للحضور هو ومن معه من اصحابه واتباعه فعاد صحبه من ندب لاحضاره من امرا الدوله فانزله الامام الحافظ عنده فى قصر واخلا له قاعه عظيمه ومحالها ومرافقها وجميع بنيه وبنين عياله وكان فيها مكروما متصرفا فى نفسه منطلقا فاما بهرام الارمنى الذى كان وزير قبله لما احضره رضوان من الديارات البيض جعله عنده فى داره فلما جرى على رضوان ما جرى انفد مولانا الحافظ نقله الى قصره وطلبه ان يعود الى وزارته فلم يفعل وقال انا راهب ما انا جندى واستقر مقامه فى القصر الى ان توفى مخدوما واخرج تابوته من باب الساياط الى كنيسه الزهرى ودفنوه

فيها وكان فى اطفيح اسقف للارمن يسبب حتى صار بطركا وعند قسمته طلب حضور
انبا غبريال ابن تريك اليه لكى يضع يده عليه فلم يحضر اليه وقت قسمته الى ان
تقرب فى كنيسته وافطر ليلا يلزموه ان يضع يده عليه وكان انبا غبريال قد منع اخذ
شيرطونيه على الكهنوت ولا ياخذ شى على قسمة اسقف ولا غيره ولا يستحسن ذلك
لغيره وسلك فيه ما قاله الانجيل المقدس مجانا اخذتم مجانا اعطوا لان نعمه الله
وعطيته ورياسة الكهنوت لا تباع بالمال وكان متشددا فى هذا الحال وكتب مسلورا
بذلك ومنع من ياخذه ومن يدفعه وذكر عنه من كان خبيرا به انه قد اقسم ثلثه وخمسين
اسقفا وكان قد حضر اليه رجل قسيس يسمى بقيره وطلب منه ان يقسمه اسقف على
بلاد اخميم وبذل له مال فلم يفعل ياخذه فلما رده مضى ويسبب الى ان استعان بولد
الخليفة ابن الامام الحافظ وكان يسمى ولى العهد وحمل له مال جزيل له مقدار وساله ان
يشفع فيه عند البطرك حتى يقسمه اسقفا فانفذ اليه ولى العهد ونقل عليه بسببه فلم
يقبل واعتذر له وكتب رقعه للخليفه اعلمه فيها قصه حال الاسقف وانه طلب الرياسة
والكهنوت بالرشوه وان ذلك لا يجوز فى مذهب النصرانية فلما عرضت رقعته على
الحافظ شكره وعظم منزلته ووقع له بان لا يعترض فى مذهبه ولا يلزمه اخذ بما لا يجوز
فى شرعه ثم بلغه بعد ذلك ان له مال جزيل وخاف ان يمنع القس بقيره من الاسقفيه
فيخرج من دينه ويتلف المال فقسمه اسقفا على كرسى اخر غير الذى طلبه وقصد بذلك
ربح نفسه ولا يتلف ماله فحمل بقيره اليه المال فلم يراه بعينه بل امر ان يسلم الوكيل
رباع الكنايس وتقدم له ان يصرفه فى عمارة جوسق دير السمع وغيره وكان رجلا من
اولاد الكتاب المميزين ممن له تقدمه فى قومه ورياسته يسمى ابو اليمن ابن العميدى
فترك الخدم والتصرف ولزم خدمه كنيسه القديس ابو جرج بدير الطين فنقلوا الناس السو
للبطرك انبا غبريال عنه كلاما زسجا قصدوا به فساد حاله عنده وان يخرجوه من البيعة
المذكوره او يكونوا ابصروا عليه شى منكر فانكروه فلما اعلموا البطرك بذلك لم يمكنه
الصبر عن النظر فيما قالوه والبحث عنه فصعب ذلك على ابو اليمن ابن العميدى
وخرج من مذهبه فعظم امره على الاب البطرك وندم عليه غاية الندم ولم يرجع بعده
يتشدد على احد خوفا ان يفعل مثله واجرى الله على ايدى هذا البطرك ايات وعجايب

واعمال حسنه وانا اذكر بعضها وهو ما حدث فى بلاد الحبشة وذلك ان ملك الحبشه
طلب ابا ميخاييل واسمه قبل قسمته مطران على الحبشه حبيب وطلب منه ان يكرز له
اساقفه زايد عن العده الجارى بها العاده المعروفه المقرره من قديم الزمان فامتنع من
ذلك وقال ما اقدر اعمل شى الا يراى البطرك فانفذ الملك الى البطرك كتابا يساله فى
ذلك وكتابا اخر صحبه رسوله الى ملك مصر فخرج امر الخليقة البطرك باجابته الى ما
طلبه فاعتذر عن ذلك وقال للخليفة يا مولاى اذا صارت الاساقفة عند الحبشه اكثر من
هذه العده تجاسروا على قسمه مطران وطغوا نفوسهم من طاعه بطاركه مصر واستغنوا
عنهم وصاروا يقيموا لنفوسهم وما يبقا لهم ببطاركه مصر حاجه ولا يودوا لهم طاعه
ويخرجهم ذلك الى العداوه والمحاربه لمن هو مناخم بلادهم من المسلمين فيخل منهم
النظام وتكثر فيهم الحروب كما كانوا يفعلون فى قديم الزمان فى ايام فرعون وموسى
ومن تقدمه من ملوك الفراعنه فانهم كانوا يغزوهم فى البر والبحر والاخبار بذلك مدونه
فى سير الاوايل ثم كتب البطرك كتابا يردعه ويامره ان يرجع عما طلبه وسير الكتاب
اليه ولما عادوا رسل البطرك من الحبشه اخبروا ان نار نزلت من السماء على قصر الملك
فاحرقت بعضه ثم اصاب بلاد الحبشه غلا عظيم فى تلك السنة ووبا عظيم ولم يمطر
فيها مطرا وقاسوا لاجل ذلك صعوبه عظيمة فقبل الملك كتاب البطرك ورجع الى الله
وكتب الى خليفة مصر يساله ان يسال البطرك يحلله ويكتب له كتاب بركه عليه وعلى
بلاده فكتب له بذلك وسيره اليه فرفع الله فى ساعة وصول الكتاب اليهم بخطه عنهم
وادركتهم رحمته فمطرت المطر وزرعت بلادهم ورخصت اسعارهم وزال وارتفع عنهم
الغلا والوبا برحمه الله ورضا هذا الاب عنهم وكان البطرك المذكور قد مرض مرضا
شديد اشرف منه على التلف فراى فى منامه كان جماعه كهنه ورهبان ومعهم اناجيل
وصلبان ومجامر وقالوا له جينا نفتقدك اليوم وانت تبرا من مرضك هذا ولكن نحن
نعود اليك فى العام القابل فى مثل هذا الزمان وناخذك معنا فعوفى من مرضه فى تلك
الدفعه ومن بعد سنة مرض وتنيح فى التاريخ الذى قدمنا ذكره فى اول هذه السيره
وكان فى ايام هذا البطرك واحد من رهبان دير ابو كما اسمه حلوش من اولاد بنات
بسطيه الذى كان امينا على استخراج دهن البلسان اعنى الميرون رفع فى الرهبان وسعى

فيها وكان فى اطفيح اسقف للارمن يسبب حتى صار بطركا وعند قسمته طلب حضور انبا غبريال ابن تريك اليه لكى يضع يده عليه فلم يحضر اليه وقت قسمته الى ان تقرب فى كنيسته وافطر ليلا يلزموه ان يضع يده عليه وكان انبا غبريال قد منع اخذ شرطونيه على الكهنوت ولا ياخذ شى على قسمة اسقف ولا غيره ولا يستحسن ذلك لغيره وسلك فيه ما قاله الانجيل المقدس مجانا اخذتم مجانا اعطوا لان نعمه الله وعطيته ورياسة الكهنوت لا تباع بالمال وكان متشددا فى هذا الحال وكتب مسلورا بذلك ومنع من ياخذه ومن يدفعه وذكر عنه من كان خبيرا به انه قد اقسم ثلثه وخمسين اسقفا وكان قد حضر اليه رجل قسيس يسمى بقيره وطلب منه ان يقسمه اسقف على بلاد اخميم وبذل له مال فلم يفعل ياخذه فلما رده مضى ويسبب الى ان استعان بولد الخليفة ابن الامام الحافظ وكان يسمى ولى العهد وحمل له مال جزيل له مقدار وساله ان يشفع فيه عند البطرك حتى يقسمه اسقفا فانفد اليه ولى العهد ونقل عليه بسببه فلم يقبل واعتذر له وكتب رقعه للخليفه اعلمه فيها قصه حال الاسقف وانه طلب الرياسة والكهنوت بالرشوه وان ذلك لا يجوز فى مذهب النصرانية فلما عرضت رقعته على الحافظ شكره وعظم منزلته ووقع له بان لا يعترض فى مذهبه ولا يلزمه اخذ بما لا يجوز فى شرعه ثم بلغه بعد ذلك ان له مال جزيل وخاف ان يمنع القس بقبره من الاسقفيه فيخرج من دينه ويتلف المال فيقسمه اسقفا على كرسى اخر غير الذى طلبه وقصد بذلك ربح نفسه ولا يتلف ماله فحمل بقبره اليه المال فلم يراه بعينه بل امر ان يسلم الوكيل رباع الكنايس وتقدم له ان يصرفه فى عمارة جوسق دير السمع وغيره وكان رجلا من اولاد الكتاب المميزين ممن له تقدمه فى قومه ورياسته يسمى ابو اليمن ابن العميدى فترك الخدم والتصرف ولزم خدمه كنيسه القديس ابو جرج بدير الطين فنقلوا الناس السو للبطرك انبا غبريال عنه كلاما زسجا قصدوا به فساد حاله عنده وان يخرجوه من البيعة المذكوره او يكونوا ابصروا عليه شى منكر فانكروه فلما اعلموا البطرك بذلك لم يمكنه الصبر عن النظر فيما قالوه والبحث عنه فصعب ذلك على ابو اليمن ابن العميدى وخرج من مذهبه فعظم امره على الاب البطرك وندم عليه غاية الندم ولم يرجع بعده يتشدد على احد خوفا أن يفعل مثله واجرى الله على ايدى هذا البطرك ايات وعجايب

واعمال حسنه وانا اذكر بعضها وهو ما حدث فى بلاد الحبشة وذلك ان ملك الحبشه طلب ابا ميخاييل واسمه قبل قسمته مطران على الحبشه حبيب وطلب منه ان يكرز له اساقفه زايد عن العده الجارى بها العاده المعروفه المقرره من قديم الزمان فامتنع من ذلك وقال ما اقدر اعمل شى الا يراى البطرك فانفذ الملك الى البطرك كتابا يساله فى ذلك وكتابا اخر صحبه رسوله الى ملك مصر فخرج امر الخليفة البطرك باجابته الى ما طلبه فاعتذر عن ذلك وقال للخليفة يا مولاى اذا صارت الاساقفة عند الحبشه اكثر من هذه العده تجاسروا على قسمه مطران وطغوا نفوسهم من طاعه بطاركه مصر واستغنوا عنهم وصاروا يقيموا لنفوسهم وما يبقا لهم ببطاركه مصر حاجه ولا يودوا لهم طاعه ويخرجهم ذلك الى العداوه والمحاربه لمن هو مناخم بلادهم من المسلمين فيخل منهم النظام وتكثر فيهم الحروب كما كانوا يفعلون فى قديم الزمان فى ايام فرعون وموسى ومن تقدمه من ملوك الفراعنه فانهم كانوا يغزوهم فى البر والبحر والاخبار بذلك مدونه فى سير الاوايل ثم كتب البطرك كتابا يردعه ويامره ان يرجع عما طلبه وسير الكتاب اليه ولما عادوا رسل البطرك من الحبشه اخبروا ان نار نزلت من السماء على قصر الملك فاحرقت بعضه ثم اصاب بلاد الحبشه غلا عظيم فى تلك السنة ووبا عظيم ولم يمطر فيها مطرا وقاسوا لاجل ذلك صعوبه عظيمة فقبل الملك كتاب البطرك ورجع الى الله وكتب الى خليفة مصر يساله ان يسال البطرك يحلله ويكتب له كتاب بركه عليه وعلى بلاده فكتب له بذلك وسيره اليه فرفع الله فى ساعة وصول الكتاب اليهم بخطه عنهم وادركتهم رحمته فمطرت المطر وزرعت بلادهم ورخصت اسعارهم وزال وارتفع عنهم الغلا والوبا برحمه الله ورضا هذا الاب عنهم وكان البطرك المذكور قد مرض مرضا شديد اشرف منه على التلف فراى فى منامه كان جماعه كهنه ورهبان ومعهم اناجيل وصلبان ومجامر وقالوا له جينا نفتقدك اليوم وانت تبرا من مرضك هذا ولكن نحن نعود اليك فى العام القابل فى مثل هذا الزمان وناخذك معنا فعوفى من مرضه فى تلك الدفعه ومن بعد سنة مرض وتنيح فى التاريخ الذى قدمنا ذكره فى اول هذه السيره وكان فى ايام هذا البطرك واحد من رهبان دير ابو كما اسمه حلوش من اولاد بنات بسطيه [illegible] دهن البلسان اعنى الميرون رفع فى الرهبان وسعى

بهم عند الامام الحافظ ان عندهم ملاحم وعلوم يعرفوا منها ما يجرى على الملوك وكيف يكون تغلب الدول ويجمعوا الدنانير وغيرها من قنايا الذهب والفضه والمصاغ ويخالفوا بهذا مذهبهم وكلام انجيلهم ووصيه المسيح لهم وان عندهم صوره سافيه بلور لا يوجد عند احد من ملوك الدنيا مثلها فندب معه حجاب واجناد فاخذهم وطلع الى الديارات بوادي هبيب وسلطهم على الرهبان فاهانوهم واحرقوا بهم وغرموهم ونهبوهم وقطعوا مصانعتهم وحل بهم منه شده عظيمه واخذ منهم قوم من شيوخهم وادخل بهم القاهره فلم يصح ثنى مما حكاه عنهم وخلصهم الله منه واحسن الخليفه اليهم واعادهم ال دياراتهم بسلامه وكان هذا حلوش لما دخل بالمترسمين معه الى دير ابو مقار احرق حشمه الهيكل المقدس اعنى هيكل بنيامين وهجم عليه ودخل اليه هو ومن معه وقتشوا الاسكنا جميعه وقيل عنه انه رفص الهيكل برجله عجبا وتكبرا فضربه الله فى رجله بحيه رديه اكاله ولم نزل تاكل رجله حتى مات منها بعد شدايد عظيمة وكان الدود والنتن والضربان لا يفتر منها لا ليل ولا نهار وكان يعترف بما فعل ويقول هذه مكافاه الرجل الذى تعدت ودخلت الى ذلك المكان المقدس بغير وقار ولم يزل كذلك الى ان مات ونسال الله أن يرحمنا صدقه منه علينا .

ميخائيل ابن دنشترى البطرك
وهو من العدد الحادى والسبعون

هذا الاب الجليل كان راهبا من قلاية تعرف بدنشترى بدير القديس ابو مقار شيخ حسن الوجه والهيه ذات وقار وعفه قديس طاهر الا انه لم يكن عالما ولا راض نفسه فى قراه الكتب لان ابويه لم يهتموا بذلك فلم يتعرض لطلب كهنوت ولا طقس بل انه لزم قانون الرهبنه من غير قراه قبطى ولا عربى فلما تنيح الاب البطرك انبا غبريال وبقى الكرسى خاليا ممن يدبره اربعه شهور وايام تعرض لطلب البطركية راهب من دير ابو مقار يسمى ونس ابن كدران وتعصب معه قوم من اخوته الرهبان واجتمعوا قوم من الاساقفه وتساعدوا جميعا وهم يعقوب القارى اسقف لقانه من اعمال البحيره

واخرسطودلوس اسقف فوه وميخاييل اسقف طندتا واجتهد يونس ابن كدران فى طلب البطركيه وسعدوه المذكورين فلم يرضى فعله الرب ولاجل ذلك لم يرغب فيه ولا رجلا واحد من الشعب باسره وقد كان قبل حضوره الى مصر قسموه قمصا فى دير ابو مقار وكان رجلا طويل القامه جميل الوجه حسن الهيه طيب الخلق حلو الكلام عالم باللغه القبطيه وكتب البيعة ماهرا فى العتيقه والحديثه الا ان الشيطان نجانا الله واياكم من تجاربه وحيله ومصايده وكفا جميع بنى المعموديه شر ضرباته ضربه بهذه الضربه الرديه التى هى طلب الرياسه للكبريا الذى اسقطه الله بها فهو حريص ان يسقط من قدر عليه منا بها ليكون معه فى الجحيم فحسن له طلب الرتبه والتقدمة على شعب الله بغير رايهم ولا رضاهم وكان الشيخ ابو يوسف ابن سويرس الفيلسوف مشارف البحيره فى ذلك الزمان فكتب الى الاراخنه بمصر يعرفهم ما صح عنده من قبح اخبار يونس ابن كدران ركونه تعدى فى انه طلب ولم يرفق حتى يكون مطلوب وان تهجمه وطلبه مما يدل على نقص عقله وعما قلبه وكيف يقدر يدبر شعب الله من لايعرف يدبر نفسه ويعلمهم ما انطلقت به الالسن فى عرضه من الاحاديث السمجه لاجل تعرضه للطلب على هذا الوجه فاقتضى الحال اجتماع من حضر من الشيوخ الاراخنه المصريين ومن حضر من الاساقفة استقر اخرها ايقاف امر يونس المذكور وان يطلب غيره ممن يصلح لهذه الرياسة ويقع اتفاق الشعب والاراخنه عليه وعمل بذلك مسطورا واخذ فيه خط من حضره قال الاب الجليل انبا مرقص ابن زرعه البطرك مولف هذه السيره وناظمها نيح الله نفسه مع القديسين انه لما وقع الاتفاق على طلب من يختاره الله لتدبير شعبه كتبت رقاع فيها هذه الاسما وهم يونس ابن ابو الفتح راهب من اولاد ابو يحنس سليمان ابن الدحنادى من دير برموس وانا الحقير مرقص ناقل هذه السيده كنت حاضر وميخاييل الذى اختاره الله من دنشترى كان حاضرا وطلبوا منه ان يكتب خطه فى المسطور على ابن كدران فلم يفعل فتوهم قوم من الحاضرين انه حضر معه لمساعدته وانما كان امتناعه كونه لا يعرف قبطى ولا عربى فعرفتهم به وانه ممن يصلح لهذه الرياسه وكانت اراده الله فيه فكتبوه وكتب الرقاع باسما ثلثه منهم كما تقدم القول على جارى العاده وكتبت رقعه باسم

السيد المسيح الراعى الصالح ورفعوا على الهيكل واقام القداس عليهم ثلثه ايام متواليه واحضر طفلا فاخذ واحده منهم فطلعت الرقعة التى باسم ميخاييل وذكر من حضر من شيوخ الرهبان التقات ان ابو الخير الابسلمدس بدير القديس ابو مقار وكان قديسا طاهرا يندر باغيب قال لما سمع ما جرى لابن كدران ان البطرك يكون من قلايه دنشترى هذه التى ميخاييل منها وذكر عنه انه ليله توفا انبا غبريال البطرك راى روحه بين الملايكة صاعدين بها الى السمآ فاعلم من كان عنده من الاخوه حاضر بذلك فى ساعته وقال لهم قد تنيح البطرك فى هذه الساعه وبعد ثلثه ايام من قوله لهم وصلوا قوم من الرهبان الى الدير واخبروا بوفاه البطرك فى ذلك الوقت الذى قاله وذكر عن راهب اخر ان هذا انبا ميخاييل البطرك كان قد مرض قبل بطركيته مرضه صعبه شديده اشرف فيها على الموت انه قال لقوم من الرهبان سالوه عن مرضه انه لا يموت فى هذه المرضه ولا يموت الا بعد ان يصير بطركا ولما اتفقت الجماعه على الرضا به كرزوه شماسا ثم قسا وفى ثالث يوم كرزوه قمصا فى كنيسه المعلقه بمصر بعد استيدان الخليفه يوميذ وخروج امره بتقدمته وكتب له سجل بذلك فسار مع من حضر من الاساقفه والكهنه والشعب الى المدينة العظمى الاسكندرية فى عشارى موكبى جرده الخليفه واجلسوه على كرسى مارى مرقص واكملوا تكريزه فى يوم الاحد الخامس من مسرى سته ست وسبعين وثمان مايه للشهدا القديسين وبكلفه عظيمه حتى حفظوه قداس باسيليوس خاصه الى ان قدس به وعاد الى مصر وكان يوم دخوله اليها مشهور تلقاه من وجوه المسلمين وكبارهم اكثر ممن تلقاه من النصارى وكان فرح عظيم ومسره عند النصارى بمدينتى مصر والقاهره واحبوه كثيرا واطاعوه وكان يفرح اذا راى الشعب كثير فى البيعه والكهنه كثير فى الاسكنا ويكثر من الدعا لهم وكانت ايام بطركيته طيبه جدا وبعد ايام يسيره من جلوسه أقسم خمسه اساقفة احدهم كان من اولاد الاراخنه بمصر يقال له ابن نفرا كان قد ترهب فى دير ابو منقار فى قلاية دنشترى الذى هذا البطرك منها وكان معه مقيم فيها فقسمه اسقف على وهو صبى حدث السن كان شماسا فى الاسكنا فى ايام انبا غبريال فلما وصل الى مصر وخرج الى دير الشمع كرزه فى يوم الخميس

والعاده الجاريه ان لا يكرز اسقف الا يوم الاحد وانما خصه بذلك لاجل انه من اولاد قلايته وكان عمره يوميذ نحو من ثلثين سنه فجا منه من القدس والطهاره والعلم ما لم يلحقه كثير من الشيوخ المتقدمين ثم اقسم الشيخ ابو المكارم ابن يوسف الارخن ثم اقسم الشماس ابن جارود وكان من كهنه بيعه القديس ابو سرجه وكان من اعيان الكتاب وتولى دواوين كبار كبير البيت فى المصريين اقسمه اسقف على كرسى شبرا الخيمة واسماه مرقس وكان كرسى شبرا دمنهور خال من اسقف جميع ايام بطركية انبا غبريال ابن تريك لان العاده جاريه له ان لا يكون عليه الا بتول وهذا الاسقف كان قد تزوج وماتت امراته وكان انبا غبريال قد منع من يرجع يخرج جسد القديس ابو يحنس سنهوت من بيعته لما كان يجرى عليه عند طرح جسده فى البحر من نجاسه المصريين ولما لم يرجعوا كهنته يطرحوا جسده فى البحر نشف البحر قدام بيعته فلما رجع هذا الاسقف امرهم ان يطرحوه فى البحر فرجع البحر زاد الى ان طف قدام بيعته فحملوا له المصريين ندور كثيره فرجع هذا الاسقف طالب الكهنه بالرسم الذى كان ياخذه من تقدمة فاخذه منهم واقسم ايضا راهبا اسمه سنون صعيدى على كرسى منيه بنى خصيب اسقفا واخر صعيدى من بلاد اسنا كان تاجرا اسمه تاونا اقسمه اسقفا على كرسى اخميم وقس من اهل البلينا اسمه أبو البدر خصيب اقسمه اسقفا على كرسى البلينا وكان البطرك انبا ميخاييل عظيم السطوه على الرهبان والمتكبرين وكان يادب من اخطا منهم ليس بالكلام فقط بل والضرب والسجن ولم يقال عنه قطان احد خرج من دينه فى ايامه وكان مده مقامه على الكرسى ثمانيه شهور واربعه ايام منها ثلثه شهور فى عافيه ثم مرض فلما طال مرضه توجه الى دير القديس ابو مقار واقام فيه مقاسى المرض خمسة شهور الى ان انتفخ وتنيح فى يوم الجمعه من جمعه الفصح وهو اليوم الثالث من بدموده سنة ثلث وستين وثمان مايه للشهدا وذكروا ان رهبان من قلايه كدران اسقوه سما حتى كان سببا لموته والله يعلم ان كان كما قالوا عنهم ام لا وهو المجازى كل احد باعماله فكفنوه ودفنوه مع ابايه البطاركه رزقنا الله واياكم بركه صلواتهم وكانت البيعه [illegible]

الاب يوحنا البطرك
وهو من العدد الثانى والسبعون

جلس هذا الاب فى مملكه الحافظ والظافر ولده والفايز ولد الظافر ومده مقامه على الكرسى تسعه عشر سنه وثمانيه شهور وتنيح فى الرابع من بشنس سنه ثلث وثمانين وثمان مايه للشهدا هذا كان راهبا قديسا قسم شماسا عفيفا صالحاً مذكورا فى الرهبان من دير ابو يحنس وكان قد حضر تقدمه انبا ميخاييل المتنيح وذكر اسمه فى الرقاع الثلثه التى كتبوها ورفعوها على الهياكل كما شرحنا فيما تقدم فاتفق الراى على تقدمته وسيروا اليه من الكهنه من يحضره الى مصر فاحضروه واقسم قسا ثم قمصاً بكنيسه المعلقه بمصر وحضر يونس ابن كدران الذى تقدم شرحه فى سيره انبا ميخاييل المتنيح وجدد الطلب من السلطان الحاضر على يد من توسط حاله عنده وخرج امره بعقد مجلس له ولمن طلب غيره فحضروا الاساقفه بحضور خواص الدوله وصاحب الباب وقاضى القضاه وصاحب ديوان الانشا وغيرهم من صدور الدوله وكبارها والمميزين وجرى فى ذلك خطوب ومفاوضات فقال من حضر من الاساقفه والكهنه ليس لهم بطرك الا من طلبوه ورغبوا فيه ولا يكون هو طالب ولا راغب وهذه سنه القوم من اول ما عبدوا الله بدين النصرانيه والى هذا الوقت وقد سبق داوود النبى بالنبوه على ما يكون لكونهم ما يقيموا الا من رغبوا فيه لا من رغب فيهم فقال فى المزمورϨϢϴ يوثقوا ملوكهم بالقيود واشرافهم بسلاسل من حديد فهم اذا صح عندهم ان الرجل الذى يريدوا يقدموه عليهم كامل اوصاف شريعتهم من القدس والدين والعلم والصلاح والعفاف والرحمه وبقيه ما يحتاجوه ان يكون فيه على حكم مذهبهم اخذوه كرها من غير اختياره وقيدوه بالقيد الحديد ليلا يهرب منهم ال البريه الجوانيه فلا يقدروا عليه لان قليل هم اهل هذه الصفه وان كانوا الكل ابانا واخوتنا فاهل هذه الطبقه لا يوجد منهم الا من الالف واحد يكون قد توحد وقد تفرد وترك العالم وهرب منهم وجعل حياته مع وحش الجبال وسباع البريه فنقل الله طبع السباع الكاسره والوحوش الضاريه الى مسالمته وان الاسوده اذا راته تاتى اليه وتسجد عند رجليه فيبارك عليها ويستانس بها

ولا تضره لمثل ذلك الشخص يطلبوا النصارى ان يكون مقدم عليهم فان لم يجدوه قدموا غيره من اهل الاتضاع والعلم والدين ومن يشهد له بالعفاف والطهر ولا يجوز لهم ان يقدموا عليهم من رغب فيهم ولا من طلب بالسلطان فلما قالوا هذا الكلام تقرر ان يكتب سجلا ويسير الحاجب معهم الى مدينة الاسكندريه ليعقد لهم فيها مجلس ويحضره اكابر النصارى واراخنتها وكهنتها واى من رغبوا فيه اما يوحنا واما يونس ابن كدران فيقدموه لوقته فساروا الى مدينه الاسكندريه وعقد لهم مجلس فى دار الاماره بحضور الوالى والقاضى وكبار اراخنتها والنصارى المستخدمين والتجار والاساقفه السايرين اليها من كراسيهم والمصريين والقاهريين ومن كان معهم وسال الوالى والقاضى والفقها الحاضرين عقد المجلس النصارى قايلين قد امر مولانا سلام الله عليه ان الذى ترغبوا فيه من هذين الرجلين قدموه عليكم فاتفقوا على من ترتضوا به منهما فصاحوا جميعهم بكلمه واحده يونس ابن ابو الفتح بطركنا وهو مستحق لهذه الرتبه وكان ذلك فى ايام خلافه الحافظ وذكر من حضر عقد هذا المجلس من المسلمين ان رجلا منهم قال ليونس ابن ابو الفتح فى المجلس ما تقول انت فى هذا الرجل اعنى يونس ابن كدران اهو مستحق لهذه الرتبه دونك فقال نعم هو اصلح منى واعلم بالشريعه فاستحسنوا ذلك منه وعظم قدره فى اعينهم منجل هذا الكلام وللوقت قدموه بطركا فى يوم الاحد ثانى النسى سنه ثلث وستين وثمان مايه للشهدا الابرار وكمل تكريزه بالاسكندريه وعاد الى مصر وتلقاه النصارى بالقاهره ومصر باحسن ملقا وساروا بين يديه الى كنيسه ابو مرقوره مستقر سكنه وفرحوا به فرحا عظيما وقصد ان يطيب قلب يونس ابن كدران واخوته الرهبان بان يقسمه اسقفا على سمنود فامتنع ولم يطيعه ولم يزل وقت مقيم بالدير ووقت مقيم بالريف حتى مات وفى ايام الحافظ نقب رضوان ابن ولخشى الموضع الذى كان فيه بالقصر وخرج من النقب وعدى الى الجيزه وحشد جماعه من الاجناد والعربان والمغارية ودخل الى القاهره وامر ونهى وفى بقيه يوم دخوله اليها قتل داخل الجامع الاقمر الذى عند الركن المخلق بيد السودان ومن اتفق معهم من الاجناد واستمر الامام الحافظ بغير وزير الى ان مات وبعد ان قتل رضوان ابن

ولخشى الوزير اعاد مولانا الحافظ الشيخ صنيعه الخلافه ابن يونس الى ديوانه بالقصر واثبات خطه فيه بامضايه واستخدم الشيخ صنيعه الخلافه من قبله صاحبى ديوان احدهما ديوان المجلس والاخر لديوان التحقيق وصار منه الى الخليفه ومنهما اليه وهو الواسطه بين الخليفه وبين كافه الناس من الكبار وغيرهم وكان يستخدم ولاه الحروب فى الولايات كبارها وصغارها ونكتـه الحافظ واخذ منه مالا كثير ثم اعاده واستخدمة واستمر معه هكذى نكتـه وخدمه دفعه بعد اخرى الى ان تمموا عليه الكتاب الذى استخدمهم المستمرين اصطفهم وقربهم اليه ومال اليهم وانكشف عليهم واطلعهم على سره فرافعوا وواقفوه واثبتوا فى جهته مال كثير فامر الحافظ باعتقاله فى خزانه البنود ولم يزالوا يفسدوا قلب الحافظ عليه الى ان قتله بالسيف هو واخ له صغير يسمى ابو المحاسن لان اعداه حملوا زهر الدوله الصقلابى الى خزانه البنود الى ان نقل عنهما شتما الخليفه فامر للوقت بقتلهما فضربت اعناقهما بالسيف ظلما فلم يهمل الله امرهما ولا غفل عن دماهما فابتلا زهر الدوله الصقلابى بمرض الاستسقا فاقام به اياما يسيرة حتى شاهدوا الناس فيه قدرة الله وعرفوا انه عاقبه بسببهما وانهما بريان وتعجبوا من سرعة المكافاه له والمقاصصه ومجدوا الله على ذلك وكانوا قوم سحره مستخدمين مع صنيعه الخلافه وهم الذين حملوا عليه زهر الدوله الصقلابى حتى فعل به ما تقدم شرحه لعداوه بيته وبيته فلقاهم الله فعلهم ومشيهم على الدمآ فقتلهم مولانا الحافظ بالسيف الذى قبله به فى الموضع الذى قتل فيه صنيعه الخلافه واخيه ووقعت دما السحره على دماهما وصدق كلام الله القايل من اهرق دم فى العالم يهرق دمه وكانت مكافاه السحره بذلك بعد ان قتل صنيعه الخلافه بدون السنه ثم مات الحافظ فى الرابع من جمادى الاخره سنه اربع واربعين وخمس مايه الهلاليه وجلس بعده ولده ابو منصور ابن اسمعيل وبويع له اهله واخوته ورجال دولته وانعتوه بالامام الظافر ووزر له من امرا دولته امير نعته نجم الدين ابن مصال لانه كان من خواص الحافظ ابوه ومن كبار دولته وكان يرجع الى رايه ومشورته فنافق عليه امير يسمى على ابن السلار كان واليا بثغر الاسكندريه فحشد الاجناد وعدى الى الغربيه فاجتمع معه اجنادها وعربانها

وصار معه عسكر كبير وكان امير من جنس ملوك الملمين بالعرب يسمى عباس من اولاد الامير تميم ابن باديس واليا بالغربيه وكانت امه اسمها بلوره زوجه هذا على ابن السلار فلما عدى الى الغربية أخذ عباس واليها معه وسار الى القاهره فدخلها على ابن السلار وملكها فى شعبان سنه اربع واربعين وخمس مايه واخذ الوزاره وانعتوه بالسيد الاجل العادل امير الجيوش فهرب نجم الدين ابن مصال وعدى الى الجيزة فتحرك معه السودان فنجردت لهم العساكر فكسروهم وقتل من السودان خلق كثير واخذت راس ابن مصال وطيف بها القاهره على رمح وقصد النصارى بالقاهرة ومصر فى ايام العادل ابن السلار أن يشدوا الزنار ويقلعوا طيالسهم فلم يستمر ذلك سوى ثلثه ايام وكان السبب فى ذلك قوم فقها من المبغضين للنصارى اجتمعوا بناصر الدين نصر ابن عباس وكان قد ولاه العادل مصر فحملوه على ذلك وقالوا له انك اذا فعلت هذا بالنصارى صانعوك بمال كثير حتى تزيله عنهم فلما فعل ذلك بهم واقام ثلثه أيام ينتظر ان منهم يحضر اليه او يتحدث معه بسبب مصانعه او غيرها فلم يحصر اليه احد علم ان الفقها غروه فنادى فى اليوم الرابع ان يجروا على عادتهم واستمرالعادل ابن السلار فى الوزاره الى ان دخل عليه نصر ابن عباس من باب سردار الوزاره فقتله واخذ راسه واخرجها واشهرها بين القصرين وكان عباس ابوه والى الشرقيه مقيم فى بلبيس فانفذ اليه نصر يعرفه بما فعل فدخل عباس من بلبيس الى القاهره واخلع عليه للوزاره وانعتوه بالسيد الافضل وفى ايامه فتحوا الفرنج عسقلان ولم يكن بقى بيد المسلمين من الشام سواها وكان فتوحها بيد الافرنج فى مده سنه فى جمادى الاخر سنه ثمان واربعين وخمس مايه .

وكانوا النصارى قد اعمروا كنيسه بالمطريه التى فيها بير البلسم التى يستخرج منه دهن الميرون على اثر الكنيسه القديمه وكرزوها على اسم القديس مارى جرجس وقدسوا فيها قبل ان يكملوا صورها فهدموها المسلمين وبنوا مكانها مسجد وكان ناصر الدين ابن عباس قد صار له خلطه بالامام الظافر ويدخل اليه بالليل الى قصره ياكل عنده ويشرب ويبات ويصبح وكان الخليفه يخرج معه بالليل الى داره فيقعد عنده بعض

الليل ويسمع الغنا ثم يودعه حتى يدخل به الى قصره فصعب ذلك على عباس ابوه وخاف ان يقتله كما قتل على ابن السلار وحكى من كان معاشرهم ان عباس ابوه بلغه ان الخليفه قال لنصر الدوله اقتل ابوك وكن انت الوزير فانك اجمل من ابوك لها فدبر عباس الحيله فى السلامه فكان فيها العطب والهلكه وذلك انه حمل نصر الدوله على قتل الخليفه بقوله له ان الناس قد استباحوا عرضك وصار لهم فيك حديث قبيح بما سمعوه من خلطتك بالظافر فباى شى يكون منك مما يقولوه وضحك عباس ابوه فقال له نصر الدوله انت تضحك انى اخاف عليك ان لا ترجع تضحك فتوهم منه انه يعنى قتله ولم يخطر بباله الداهيه التى عملها من قبل الخليفه ولما كان ليله ذلك اليوم دخل قصر الخليفه على جارى عادته وقعد عنده ساعه ثم ساله المشى معه والفرجه على العوام متنكرين فخرج معه من باب الزهورمه ووقفا عند دكان الفقاعى الذى مقابله وشربا منه فقاع ومشيا فساله ان يمضى معه الى داره الذى فى السيوفيين يقعد ساعه ويعود فمضى معه وكان الخليفه متنكر ببرده ملتف بها وكان معه استاذين فلما حصل معه فى مجلسه وقعد عنده ساعه امر واحد من اصحابه خنقه بمنديله حتى مات ثم قتل الاستاذين ورماه فى بير معين ورما الاستاذين فوقه ثم اردم البير وبلطها حتى لم تصير تعرف وكان ذلك بتاريخ التاسع والعشرين من المحرم سنه تسع واربعين وخمس مايه واخفى امرهم عن الناس فاظهره الله وانتقم لهم وذلك انه مضى لابوه عباس واعلمه بما فعله فخاف ان يقوموا عليه العوام ويخرجوه من الملك والذى خاف منه وقع فيه وكان تدميره فى تدبيره وذلك انه اصبح ركب الى القصر واحضر زمام القصر وطالب ان يستاذن الخليفه عليه ولم يكن عند زمام القصر ولا غيره علم من خروج الخليفه ولا ما جرى عليه فدخل يطلبه فلم يقدر عليه فاخذ عباس زمام القصر وطالبه به فحلف وكثر الايمان انه لم يعرف له مكان فقال له احضر لى اخوته ليلا يكونوا قتلوه فدخل القصر واحضر له يوسف وجبريل اخوته وصلح ابن الحسن اخوه فطلبه منهم وادعى انهم قتلوه وامر اجناده يقتلوهم فقتلوهم وقتلوا زمام القصر ونهب مجلس القصر الملك بيد اصحابه وقتلهم جميعهم فى قاعة باب الذهب واخذ ولد الخليفه وهو طفل صغير وكان اسمه

عيسى فاجلسه خليفه فى سلخ المحرم سنة تسع واربعين وخمس مايه الهلاليه وانعتوه بالامام الفايز ولم يزل عباس مستمر فى الوزاره الى ان نافق عليه امير يسمى طلايع ابن رزيك كان والى البهنسى والاشمونين من اعمال الصعيد انفذوا له نسا من القصر شعورهم فاخذها وجعلها على رماح وعمل رايات سود وحشد حشود كثير من راجل وفارس ووصل الى القاهره فى اليوم الرابع عشر من ربيع الاول سنه تسع واربعين وخمس مايه وعند وصوله الى القاهره خرج عباس ونصر ابنه وجماعه اصحابه وقد اوسق كلما له وكلما نهبه من القصر على البغال والجمال والخيل وخرج من القاهرة طالب الشام فاجتمع عليه الافرنج والعربان فاخذوا كلما معه ولم يزل يحمل فيهم هو وولده ويقاتل حتى قتل واسر ولده واما طلايع ابن رزيك فاخلع عليه للوزاره فركب الى لقصر وعقدوا له عقد الوزاره وطوفوه به وكتب ووقع ونفد امره فركب الى دار ابن عباس ومعه جماعه من الامرا والاستاذين وقاضى القضاه وداعى الدعاه وقدامه صدور ذهب وفضه فيها مباخر مملوه عود وعنبر واستاذ صغير كان لابن عباس كان حاضر قتل الخليفه والاستاذين ورميهم البير فحدثهم بخبرهم ودلهم على موضعهم فحفروه وطلعوا بهم منه وحملوهم الى القصر غسلوهم وكفنوهم ودفنوهم واستقر طلايع ابن رزيك فى الوزاره وانعتوه بالملك الصالح وكان محبا لجمع المال واهلك نفوس كثيره فى المطالبه بالمال وجمع منه شى كثير من غير وجوهه وكان يقرب الرفاعين ويحسن اليهم ويسمع اقوالهم مبغضا للنصارى وبعض مذاهب المسلمين لان مذهبه كان امامى وامر ان لا يكون لعمايم النصارى ولا اليهود دوايب وكان الغلا فى اول سنه من وزارته وابيع القمح فيه بخمسه دنانير الاردب مدة اربع شهور لا غير تم تراخت الاسعار فى طول مده وزارته وكان سعر الغله لا يثبت على حال بل يزيد وينقص من اردبين بدينار الى اردب الى نصف اردب بدينار فظهر فى أيامه موت البقر باريه ولم يكن عرف قبل ايامه بمصر وتردد ذلك وقت بعد وقت فى سنين مختلفه حتى صار الناس يحرثوا على الخيل والجمال والحمير وبعد هذه الامور مات الامام الفايز فى ايام وزارته فى شهر رجب سنه خمس وخمسين وخمس مايه الهلاليه وجلس بعده عبد الله ابن يوسف ابن الحافظ وانعتو بالامام العاضد ثم ان

الصالح ازرجه ابنته على كره منه واستمر الصالح في الوزاره الى يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان سنه ست وخمسين وخس مايه الهلاليه ركب الى القصر على جاري العاده فعرض له في دهليز العمود وهو خارج من عند الخليفه رجل من صغار الاجناد واحقرهم يعرف بابن الراعى ومعه رجلين من السودان احدهما يسمى مقبل فنخسه ابن الراعى بسيف في بطنه اخرج امعاه ثم ضرباه الرجلين بسيوفهما فجرحوه فى عده مواضع في جسده وكان قد أصبح متخوم فحمل الى داره قتيلا ومات فى النصف من الليل وجلس بعده ولده رزيك وانعتوه بالاجل مجد الاسلام وكان الصالح قد ولى امير ينعت بالمكرم واسمه شاور ولاه مدينه قوص واعمالها وكان الصالح ابن اخت اسمه حسام ونعته عز الدين هذا كانت اراده الله ان تزول دولتهم على يديه فجعل فى قلبه بغضه شاور المكرم وعداوته وكان خاله الصالح قد ولاه منيه بنى خصيب فكان يمسك اصحاب شاور ورسله وغلمانه فى البر والبحر يضربهم ويهينهم ويعتقلهم ويجرى عليهم منه كل صعوبه والى امره مع شاور فى كل قبيح فكتب شاور اليه دفوع كثيره يستعطفه ويطلب مسالمته ويقول له انك مملوك دوله خاله وصنيعته فجاوبه عن ذلك بان اخذ صندوق لطيف وعمل فيه درتين جلود بقر مطبقه وانفذهم لشاورفلما رااهم قام وقعد وكان يقتل نفسه وكان شيخ داهيه خبير بالحروب والخداع والحيل والمكايد فشمر على ساق الاجتهاد ووطد نفسه على الحروب والجهاد وهيا العدد والاستعداد وانفق الاموال وحشد وجمع عسكرا لم يثق به لان بنى رزيك كانوا قد تملكوا سنين كثير تقارب عشرة فكثرة اموالهم ورجالهم وقويت احوالهم فلما علم انه لايطيق قتالهم جمع اصحابه ومن كان معه من ثقات اهله واقاربه من اهل النصيحة والراى فشاورهم فى ان يندفع من قدام عسكرهم الى برية الواح ويجول فيها طولا وعرضا بحيث لا يستقر به مكان فاذا طال على من يطلبه عدم وجوده تفللت العساكر لفروغ الزاد ومشقه البلاد وحر الجبال ونكد الحال ثم لا يقدر يتبعه الى برية الواح عسكر كبير لقلت الما وحر الهوى وقلت العشب للدواب ولكونها رمال وتلال لا شجره تظل ولا تمره فاشاروا عليه بذالك فسار مع الحشود الى مغارة الواح فاقتصر من اصحابه على عشرين فارسا بخيلهم

وجمالهم وزادهم وعدتهم واخذ لنفسه جمال وخيل وبغال وزاد كثير وذهب ومال كثير لنفقته وقماش يدفعه للعربان وسار وكان الامر كما قال لما تبعته العساكر ثلثة شهور وهو يزوغ منها من مكان الى مكان لا يقع له على خبز تفللت العساكر ورجعت الى القاهرة ولم تبلغ مراد وقالوا عنه أنه توجه الى الغرب عند امير المومنين ملك الغرب فلما غيب الظن عنه مقدار شهرين اخرين هبط من برية الواح الى بحيره اسكندريه ومعه اصحابة ومعهم جمال عليها افراد خوص وعدى من محلة عبد الرحمن الى الغربية ونزل بظاهر بلقينه وهى قريه مجاوره للمحله مقدار ميل في يوم الاحد الثامن من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسماية هلاليه واجتمع اليه اجناد الغربيه وعربها من بنى شيس فلم يقيم ثلثة ايام حتى صار عنده عساكر واجناد وعربان يقارب عشرة الف فارس فوقع للاجناد باقطاعات وامرا العربان ينهبوا ما لبنى رزيك في بلاد اقطاعهم من حواصل الغله والمعاصر والمواشي وانعم على كل قوم بشي طيب قلوبهم وسار حتى نزل على مسجد الخضر فعدى منه الى برا القاهره فلما اتصل بمجد الاسلام ابن الصالح الوزير في ذلك الوقت خبر تعديته وانه قد قارب القاهره خرج هو وجماعه بنى رزيك نصف الليل من القاهره هاربين وذكر جماعة من اصحابهم انهم كانوا يسمعوا صوت جلبه وصياح خلفهم من كل جانب اخرجوا اخرجوا ثم يطلبوا من يصيح فلا يجدوا احد فعلموا انهم الملايكة بامر الله اخرجوهم فخرجوا من ابواب القاهره كل واحد منهم بنفسه فتركوا اموالهم ومنازلهم وعيالهم فنهبوها السودان وذابوا كالملح واما مجد الاسلام رزيك وزيرهم فانه اخذ خرج صغير عمل في ناحيه منه جواهر وياقوت وزمرد وشي كثير من هذه الاصناف وما يكون قيمته خراج ديار مصر سنه وملا الناحية الاخرى اكياس دنانير وجعله على حصان يسوى الف دينار من خيله وركبه وخرج من القاهره من باب زويله وحده ولم يصحبه احد فلم يعرف اين يروح وسار متوجه الى قبلى فوقع في فريق عرب لرجل مقدم منهم يسمى يعقوب ابن البيض فاخذوه عبيده وعروه واخذوا الحصان وكلما عليه ومضوا عنه وتركوه فبقى وحده في البرية عريان حاير وكان شتى وبرد شديد في شهر طوبه فراى نار من بعيد فتبعها فلما قرب منها جرت عليه كلاب الفريق

فقعد على الارض وحبى على يديه ورجليه حتى دخل طرف الفريق فوجد كلب راقد فى الرماد فرقد بجنبه وضمه اليه حتى وجد سنحونته فسبحان الله مزيل النعم وعظيمة قدرته واعوذ به من سخطه هذا رزيك كان اول الليل عزيز مصر وسلطانها جالس فى مجلسه يامر وينهى الى العتمه سلب من ملكه وبان من نعمته وخرج هاج على وجهه لفيه من اهانه واخذ ماله كل هذا الى نصف الليل صار راقد مع كلب فى رماد سبحان الله يوتى الملك من يشا وينزع الملك ممن يشا ويعز من يشا ويذل من يشا بيده الملك وهو على كل شيا قدير فلما اصبح الصبح وهو على تلك الحال ابصرته جاريه فانكرة حاله وسالته من انت فقال لها قولى لمولاك يجى الى عندى فهو يعرفنى فمضيت ليعقوب واخبرته به فحضر اليه وعرفه وعانقه وبكا ثم اخذه وخلا به واخلا له بيت شعر واكساه واقام عنده الى ان تمكن شاور فى مملكته واخلع عليه خلع الوزاره وانعتوه بامير الجيوش وطلب مجد الاسلام فعرف مكانه واحضر يعقوب ابن البيض وطلبه منه فاحضره له من فريقه النازل شرقى اطفيح فتلقاه امير الجيوش شاور باحسن ملقا واكرمه وبجله واخلا له قاعه فى دار الوزاره وجعله فيها واحضر له سريته وولده واستاذ لخدمته وكان يفتقده فى كل وقت بنفسه ويسال عنه ويحضر صحبته فاكهه وياكل معه حتى يطيب قلبه فنقل له عنه اخوه جلال الاسلام انه يريد يهرب ويخرج يفسد الامرآ ويطلب الوزاره فصعب عليه ذالك وامر به ان يقيد بالحديد فقيدوه ثم صبر جلال الاسلام ايضا مده واشاع عنه ان عنده مبرد وقد برد بعض القيد فكشفوا عن ذالك فوجدوه صحيح فسمع طى ابن شاور المنعوت بالعادل فى ذالك الوقت بخبر مجد الاسلام رزيك وانه برد القيد فاخذ سيفه ولم يشاور ابوه ولا علم به احد ودخل اليه وضرب رقبته وكان ذلك ليلة جمعه فى العشر الاخير من شهر رمضان سنه ثمان وخمسين وخمس مايه فلما بلغ امير الجيوش ابوه الخبر صعب عليه فلم يقدر يرد ما فات ولما كانت ليلت الجمعه القابله وصبيحتها التاسع والعشرين من شهر رمضان المذكور نافق على امير الجيوش شاور امير من الامرا اسمه ضرغام ونعته سيف المجاهدين وله اخوه احدهم يسمى ملهم والاخر نصر وكان شاور قد احسن الى ضرغام وقربه وادناه وجعله صاحب بابه وحلف ضرغام

لشاور اربعين يمين انه لا ينافق عليه وكذب وخرج من عنده ليله الجمعه كما قلنا فنافق وحالف الامرا فى الليل وجيش عسكر وفتح باب البرقيه من ابواب القاهره وخرج منه ثم فتحوا له باب زويله دخل منه وصاح عسكره وقصدوا دار الوزارة فخرج شاور وهو يتعمم ولم يمهلوه حتى يكمل عمامته بل اخذ باقيتها فى كمه وركب حصانه وتقلد بسيفه وجا الى باب الفتوح وجده مغلق والسودان محتفظين به فصاح يا ريحان فلبوا نداه وفتحوا له باب الفتوح فوقف فى وسطهم وشكرهم واثنا عليهم ووعدهم ان اعاده الله الى ملكه كافاهم باحسن مكافآه ولما عاد وظفر اوفا بهم ثم خرج من باب الفتوح وسار تحت ليلة حتى وصل الى بيوت عشيرته بنى سعد فنزل عندهم وملك ضرغام واخواته وظفروا بطى ابن شاور المنعوت بالعادل فقتلوه وكان ذلك مكافاه من الله لكونه قتل مجد الاسلام رزيك وهو يرى واستمر ضرغام فى الوزاره تسعه شهور اولها شوال سنه ثمان وخمسين وخمسمايه واخرها جمادى الاخر سنه تسعه وخمسين وخمس مايه وانعتوه بالملك الافضل واخوه ملهم بالعادل واخوه نصر ناصر المسلمين فاما شاور فانه توجه الى دمشق واجتمع بنور الدين ابن قسم الدولة واسمه محمود ابن زنكى واقام عنده مده فجهز معه عسكر مقدمه اسد الدين شيركوه ثم عاد الى ديار مصر ونزل ببلبيس وخرج اليه ناصر المسلمين اخو ضرغام بعسكر كبير فلما راى شيركوه ذالك خاف وقال لشاور كيف فعلت هذا الفعل بنا وبنفسك انما جيتنا الى مصر لتهلكنا لعل نكون نحنا واصحابك فى الفى فارس فى هذا العسكر عشرين الف فارس مقاتله ويتبعه مثلها خدام واصحاب فقال له شاور لا يهولك الامر فكلهم معى وما منهم احد يقاتلنى وكان على ظاهر بلبيس كوم عظيم فقال شاور لشيركوه اصعد بنا الى الكوم وطول روحك لا نقاتلهم حتى تحمى الشمس جيد ولم يقول شاور هذا الا لعلمه ان الشمس اذا قويت تفللوا يطلبوا الظل تحت الشجر والجدران فلما حميت الشمس وقت الظهر وهم قد تفللوا وطلب كل واحد منهم مكان يستظل فيه فنزل شاور وشيركوه من على الكوم وحملوا بعسكرهم عليهم فكسروهم واسروهم وعروهم واخذوا خيلهم واموالهم ولم يقتلوا منهم ولا واحد وهرب بقيتهم الى القاهره فسار شاور وشيركوه

خلفهم بالعسكر الى القاهره ونزلوا فى ارض الطباله واللوق ودبر القاهره وحاصروها ولم يزل القتال والحرب مستمر وضرغام واخوته مباشرين الحرب متفرقين على ابوابها الى ان كتب الامام العاضد الخليفه في ذلك الوقت رقعه لضرغام الوزير يقول له فيها بسم الله الرحمن الرحيم نحن نعرفك ايها الملك لانه لم يبق فى فيك ظل الا الى صلاة العصر فانج بنفسك ان قدرة والسلام وكان ضرغام فى ذالك اليوم قد جا الى القصر ووقف مقابل باب الذهب فى امر عرض له ياخذ راى الخليفه فيه فوجد ابواب القصر مغلقه فرميت له هذه الرقعه فلما وقف عليها لم يرجع الى ورايه بل ثم خرج من باب زويله فادركته خيل الغز عند الكبش تحت جبل المقطم بين القاهره ومصر فقتلوه ولم يعرفوه انه ضرغام فلما جابوا راسه الخيم عرفه شاور وركب للوقت وجا الى القاهره ففتحت له الابواب ودخل فلم يستقر به القرار حتى بلغه ان اسد الدين يريد يغد به فاحترز واغلق ابواب القاهره فتقدم اليه وقاتله وحاصره وامتدة ايدى الغز فى سكان مصر من النصارى السودان والارمن والاتراك المصريين وكانوا يقتلوا منهم ويبيعوهم فان وجدوا من يشترى منهم والا قتلوا ذالك الشخص ونهبوا اموالهم واخذوا نساهم وكانوا ينادوا على النصرانى من يشترى كافران وعلى التركى المصرى من يشترى تركى خليع بات فى الصقيع وعلى الاسود من يشترى سويدان وكانوا يبيعوهم بثمن خسيس بعشرين درهم النصرانى وعشره دراهم التركى وخمس دراهم الاسود واستشهد على يدهم راهب اسمه شنوفه من دير ابو مقار مسكوه واعرضوا عليه الاسلام فامتنع منه فقتلوه وراموا ان يحرقوا جسده فلم يحترق فاخذوه النصاره ودفنوه فى كنيسه ابو سرجه بمصر فى اليوم الرابع والعشرين من بشنس وهدموا كنايس كثير للشهدا فى ذالك الوقت فى ضواحى القاهرة وهدموا كنيسه الحمرا بحارة الروم البرانيه وكنيسة الزهرى ونهبوا كل كنيسه هدموها وبعد ما ان اهتدت الامور اهتم الشيخ الاسعد صليب صاحب الديوان بعمارة كنيسة الحمرا والزهرى وما قدر عليه من الكنايس وكان يتعاهدهم ويفتقدهم بالقداسات فيهم ويهتم باقمنت الجير حتى كملت العماره ولم يزل اسد الدين مقيم على القاهرة يحاصر شاور الى ان انفد شاور للملك مرى ملك الافرنج بمال عظيم حتى جا

بعسكره فلم اخبر اسد الدين شيركوه العربان بقرب الافرنج من البلاد رحل بعسكره الى الصعيد ولما وصل الملك مرى بعسكره الى بلبيس حمل اليه من الخليفه والوزير من المال والهدايا شى كثير واستراح على بلبيس شهرا واحدا ثم جا الى القاهره ونزل بعسكره حول القاهره ثم سار عسكر الفرنجة ومرى ملكهم وعسكر المسلمين وشاور سلطانهم فى طلب اسد الدين شيركوه وعسكره فلما تبعوه عدى الى البر الغربى وسار الى الصعيد الاعلا فادركوه على بقعه تسمى البابين والتقوا معه فقتل من عسكره خلق كثير وقتل ايضا من الفرنج والمصريين جماعه كبيره واسر كل منهم من الاخر اسارى ثم عاد اسد الدين الى اسكندريه وتحصن فيها وتبعه الملك مرى وعسكر الفرنج وعسكر المصريين ونزلوا عليها وحاصروه فلما طال به الحصار خرج منها ليلا وعاد الى القاهره لياخذها فلما علم به الملك مرى وشاور تبعوه وجرت خطوب كثيره تقرر اخرها ان قطعوا له مال اخذه وعاد الى بلاده واوفا شاور بما عاهد عليه الفرنج من سلامتهم لانه لو اراد أن يغدرهم ويتفق مع عسكره الغربا عليهم ما رجع منهم مخبر وقد كان الملك مرى عرف انه اخطا لكونه حصل بعسكره فى وسط بلاد الاسلام من خلق بحرين الشرقى والغربى وسلمه الله لعدله وحسن تدبيره واستمر شاور فى الوزاره الى اخر يوم السبت الثامن من ربيع الاول سنه اربع وستين وخمسمايه وجرت له خطوب ياتى ذكرها فيما بعد وفى ايام هذا البطرك تنصر رجل من اليهود بمصر من كبار قومه خبيرا عالماً من اعيان طايفنه يسمى ابو الفخر ابن ازهر وقرى مذهب النصرانيه وتكلم باللغه القبطيه فى اسرع وقت وكان يجادل اليهود باللغه العبرانيه ويقسر للنصاره باللغه القبطيه وتمهر فى مذهب النصرانيه حتى صار اعلم من اهله ومات على دين النصرانيه مومن بالمسيح بعد ان قاساً من المسلمين واليهود شدايد وكانوا اليهود يبذلوا للسلاطين المال على قتله فيخلصه المسيح منهم فلا يصلوا لمضرته واقام نصرانى يمشى فى بطون اليهود نحو من اربعين سنه بمصر وفى ايام هذا البطرك وصل كتاب من ملك الحبشه الى العادل ابن السلار يلتمس قسمت مطران وكان عنده مطران يقال له انبا ميخاييل وكان اسمه حبيب الاطفيحى فلما كبر وشاخ انفد الملك يطلب مطران غيره وهذا حبيب كان قسمه انبا

مقاره البطرك فلما جرى بينه وبين الملك كلام تغير عليه وكتب يطلب غيره وسبب ذلك ان الملك كان تغلب على المملكه بغير حق فوبخه المطران وانفد كتاب للسلطان وكان فى ذلك الوقت العادل ابن السلار وزير وكتاب ايضا للبطرك يطلب مطران غيره وهو بالحياه لم يموت فامتنع ابونا البطرك من ذالك وقال للوزير العادل ما فى شريعتنا ان نولى انسان رتبة الكهنوت نرجع نعزله منها حتى يموت فاذا مات ولينا غيره لان رتبة الكهنوه سماييه ما هى ارضيه فضجر عليه العادل الوزير وامر باعتقاله فى سجن دار الوزاره كان العادل يعتقل فيه من يسخط عليه من امرا دولته فقاسا البطرك من ضيق هذا السجن ونتن رايحته شده عظيمه واستمر اعتقال فيه الى ان فرج الله عنه بقتل العادل وكذالك جرت له قضيه اخره فى ايام الصالح ابن رزيك الوزير فى اخر ايامه وذالك انه كان بسمنود قوم رهبان من قلاية بشبيش من دير ابو مقار ابوهم يسمى سلمون وان هذا البطرك اقسم على كرسي سمنود اسقفا ذكروا انه ابن اخته واسماه انبا مقاره وهو اخوه فى الرهبنه ومعه فى القلايه الى كان فيها ولاجل منافسات الدنيا والمجد الفارغ يجد الشيطان السبيل الى هلاك النفوس بضرباته لاجل التحاسد وان قوما سو حسنوا لهذا الاسقف ان كتب للبطرك يقول له عن انبا سلمون واخوته الرهبان اولاد بشبيش انهم اضافوا فى الاعتراف عند كمال القداس لفظه مستجده ابتدعوها من نفوسهم لم تقولها الاوايل وهى بلفظة القبطى `ⲘⲠⲈϤⲦⲀⲚϨⲞ الذى تفسيرها المحيى وهى لفظه مستعمله فى مواضع كثيره من القداس وجا بها كلام الامانه اخر القداس على هذه القضية وهو قولهم اومن واعترف الى النفس الاخير ان هذا الجسد المحيى الذى اخذه الابن الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح من مريم العذرى وصار واحد مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا افتراق فلما وقف البطرك على كتاب انبا مقاره اسقف سمنود تغير على انبا سلمون واخوته واستوحش منهم وكثر الحديث فى ذالك فانفد وجمع جماعه كثير من الاساقفه ونظروا فى ذلك فوجدوه حق وليس فيه شيا يكره لانه الجسد المحيى بالحقيقه ومودى من يومن به الى الحياه الدايمه فكتب البطرك بذلك الى ساير الاعمال فقباوه اهل الوجه البحرى ومصر والاسكندريه وجميع رهبان الديارات ما خلا القسا باسكنا ابو مقار فانهم امتنعوا من اضافتها واعتذروا عن ذلك بانها

مضافه مستجده لم يجرى بها عادة من تقدمهم وانها ما اضيفت الا لمعنى اخر منجلهم فانتصب قوما منهم لمرافعت هذا الاب البطريرك والاساقفه وتحدثوا فيهم باشياآ كثير واطمعوا الصالح الوزير لهم يحصلوا له منهم مال لعلمهم بظلمه ومحبته للمال فانفذ احضر هذا الاب البطرك مع الرهبان الى بين يديه وعقد لهم مجلس قدامه وجرى الحديث فى معنى عقيده النصارى ومقالتهم وكان قصده مايحصله منهم لا النظر فى الديارات لان النصرانيه حاله معروفه ليس هى دين جديد يحتاج الى البحث عنه واختباره ولما جرت المخاطبه فى المجلس قال البطرك للصالح الوزير موسى ايش هو عندك قال نبى قال فى المسيح ما هو عندكم قال روح الله وكلمته قال اتقدر ان تقول ان روح الله وكلمته نبى قال لا قال البطرك فروح الله وكلمته اعظم واشرف من الانبيا لانه خالق الخلايق كلها بكلمته الذى بها قال لكل الخلايق كونى فكانة كلمح البصر فهى خالقة الخلايق والاشياآ كلها فسكت الوزير وجرى بينه وبين الرهبان مرافعات كثير فزجرهم البطرك بالكلام واشار بعكازه الحديد الذى بيده ليضرب بعضهم فصرخوا وشكوا ذالك للوزير وقالوا له يحرق بنا قدامك فى مجلسك فقال لهم مدوا ايضا انتم ايديكم اليه فقالوا مانقدر فامر باخراج البطرك فخرج من قدامه وهو يدعى عليه ويقول كما رفعت اصاغرنا علينا الرب يرفع اصاغر قومك عليك فوكل به الصالح رجلين ثم امر باعتقاله وكتب مناشير وسيره مع المترسمين بالاجعال الى كراسى الاساقفه بالوجه البحرى ونالهم صعوبه عظيمه من المترسمين ومن ولاة الاعمال الى ان ظهر الله اعجوبه مشهوره تحدث بها المسلمين الذين كانوا معه معتقلين اكثر مما تحدث بها النصاره وذالك انه كان ملازم الصوم والصلاه والطلبه الى الله كجرى عادته وانه ليله من الليالى غفى ونام قال لمن حوله من الناس تقووا بالله وافرحوا فان بعد ايام يسيره يفرج الله عنى وعنكم وكان سمعان لانه بعد اربعه عشر يوما من روياه وهو فى الاعتقال ركب الصالح من داره فى عزه وموكبه ومملكته الى القصر للسلام على جارى العاده فلعبوا عليه فى دهليز العمود وهو خارج من عند الخليفه بيد رجل من اصاغر الناس يعرف بابن الراعى كما دعى عليه الاب البطريرك كذالك كان وحمل الى داره مجروح فمات وانفذ ابنه مجد الاسلام اطلق البطرك وكلمن معه فى السجن وفرج الله عنهم بصلاته وقدسه وكذالك الاساقفه

فرج الله عنهم بعدما قاسوا من الضر فى النكال وغرامه الاجعال ما اضربهم وصدق قول مخلصنا فى الانجيل انى معكم الى انقضا العالم فله الشكر على ذالك وفى ايام شاور الوزير تنيح البطرك انبا يوانس فى اليوم الرابع من بشنس سنة ثلث وثمانين وثمان مايه للشهدا فى كنيسة القديس ابو مرقوره وكان له مناحه عظيمه وليله حسنه بالصوات والقراه وفى صبيحة تلك الليله دفنوا جسده فى الكنيسه المذكوره مع جسد الاب انبا غبريال البطرك الذى كان قبله وقيل عنه ان قوم تحدثوا معه فى نقل جسد انبا غبريال البطرك الى دير ابو مقار فقال لهم سيجى من ينقل جسدى وجسده جميعا فكان كما قال لانهما نقلا الى دير ابو مقار فى ايام الاب الجليل انبا مرقس ابن زرعه البطرك بعده فى الصوم المقدس سنة سته وثمانين وثمان مايه للشهدا الابرار وكان لاخراجهما ليله مشهوره من كثرت الجمع والناس الحاضرين لذالك ومداومة القراه والصلوات من اول الليل الى اخره وحملوا اجسادهم من طريق دير نهيا ودفنا فى تربة البطركه مع ابايهما بسلام من الله نيح نفوسهم اجمعين رزقنا الله بركة صواتهم المقدسه امين اذكر يارب عبدك الحقير الذليل المسكين شنوده بالاسم قمص خادم دير القديس العظيم البار انبا بولا الكبير اول السواح الذى رمم هذه السير يرجو بذالك العفو والمسامحه بغفران خطاياها بشفاعه من ذكره اسمايهم فيها وكان ترميم ذالك يوميذ بالقلايه العامره بالمحروسه فى ايام رياسة السيد الاب الجليل المغبوط الطوبانى ريس الرووسا وسيد السادات الاب المكرم بكل نوع انبا بطرس البطريرك التاسع والمايه من عدد الابا البطاركه ادام الله تعالى علينا رياسته سنينا عديده وازمنه متصله سالمه هاديه مديده بالعمر الطويل والحياه السعيده امين .

انبا مرقس ابن زرعه
وهو من العدد الثالث والسبعون

نبتدى بتاييد القدرة العالية بنسخ السيرة الاولى من سير الابا البطاركة الارثذكسيين من الدور الثانى وهى سيرة الاب الجليل الفايز بنعمة الروح القدس انبا مرقس ابن زرعه وهو من العدد الثالث والسبعون صلواته تحفظنا امين .

لما اكملنا بمعونة الله لنا مانقلناه عن اسلافنا واباونا الاولون خلف بعد سلف من السادة الصالحين والاوليا المخلصين والصفوة المحقين كما قال فى المزمور ٤٤ اللهم اننا قد سمعنا باذاننا حين اباونا اخبرونا بالاعمال التى عملت فى ايامهم الاولى عدنا بالبحث عن سيرة النجبآ المختارين للرياسة المسيحية والديانة الالهية والرعاية الفاضلة والامور الكاملة فابتدانا بما شاهدنا فى عصرنا وراينا فى زماننا وهو ما نخبركم به فى هذه السيرة وما حدث فى ايام هذا الاب الجليل من الامور الصعبة والشدايد المرهقة والدما المهرقة وزوال الدوله الاوله الثابت اصلنا بها لكثير عساكرها واصحابها المعتصمة بل المنيعة بكثرة اموالها واسبابها المحتجبة عن العيون فى قصورها بكثرة اجنادها وحجابها التى تنبآ عليها دانيال السعيد وقال يملك من بنى اسماعيل تسعة عشر ملكا على ارض مصر ولما كمل من البيت العلوى الفاطمى اربعة عشر خليفة منهم ثلثة ملكوا بسلمجانه والمهديه وافريقيه وغيرهم من بلاد الغرب وهذا اسماوهم المهدى القايم المنصور وملك منهم على مصر الى اخر انقضا دولتهم وملك دولة الفرس الذى هم الغز احدى عشر خليفة وهم المعز الذى بنا القاهرة العزيز ولده الحاكم ولد العزيز الظاهر ولد الحاكم المستنصر ولد الظاهر المستعلى ولد المستنصر الامر ولد المستعلى ثم بعد ذالك من بنوا العم والقرابا الحافظ الظافر ولده الفايز ولد الظافر ثم قتل الظافر بيد نصر ابن عباس وقد قدمنا شرح قصته ثم ملك بعده العاضد وهو اخر من ملك منهم وكانة مدة ملكهم بالغرب وبارض مصر الى يوم زرال الملك من يد العاضد فى اخر المحرم سنة سبعة وستين وخمس ماية وذالك ان المهدى ابو محمد عبد الله ظهر بسلجانه وملكها يوم الاحد السابع من ذى الحجة سنة تسعين ومايتى للهجرة والى حين انقضايها على ايام دولة العاضد ابوا محند عبد الله وهو الربع عشر منهم مايتى وخمسة وسبعون سنة وشهر واحد وسبعة وعشرون يوما من ذلك ملكوا بالمغرب اربعة وسبعون سنة وملكوا بمصر مايتى سنة وسنة واحدة فاما وزراهم فلم ندرك الا عصر بعضهم ولا ظفرنا لهم بسير ولا شى يدلنا على مدت ولاية كل منهم الوزارة ولا كم عدتهم وانما اخبرنا القريب من اسلافنا باسماء بعضهم ممن شاهدوه وينعتونهم على

ما رتبوه فيما بينهم مما زعموا انه تفخيم لامرهم وتعظيم لقدرهم فقالوا ان وزر للمستنصر رجل نعته امير الجيوش واسمه بدر الجمالى للمستعلى سيف الاسلام يانس والامر والحافظ المامون ويانس وتاج الدولة بهرام ورضوان ابن الولخشى وللظافر نجم الدين ابن مضال والعادل ابن السلار والعباس والفايز والعاضد والصالح طلايع ابن رزيك ومجد الاسلام ولده وامير الجيوش شاور السعدى والمنصور ضرغام والملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين ايوب وهو ثانى ملوك الترك بارض مصر واخر وزرآ دولت المصريين لان اسد الدين شيركوه كان قد وزر العاضد من قبله وملك ستين يوما معدودة لم تزيد ساعة ولا نقصت ساعة ومات وملك هذا صلاح الدين بعد وسنذكر ونشرح اخبار المملكة وكيف كان زوال الدولة الاوله وفتوح البيت المقدس ومدن الساحل وما فعله الله له وما ملكه الله اياه ونصف طيب ايام مملكته وعدله ورخص الاسعار بجميل نيته وعدله فى رعيته وما سامح به من المكوس وازالة المظالم مبينا مشروحا انشا الله كان هذا البطرك الجليل الفاضل الطاهر النبيل من نسل شريف يسمى قبل بطركيته ابو الفرج ابن ابو اسعد يعرف بابن زرعه ينسب بهذا الاسم الى جده ابوابو جده وقد وجدنا فيما تقدم من الابا البطاركة بطركا يسمى بابن زرعه وكان الاب ساويرس ابن المقفع أسقف الاشمونين كاتبه فان يكون من نسله فالله اعلم وقد كنت انا المسكين ناظم هذه السيرة تحدث مع ابن عم هذا البطرك وقلت له اين مرباكم واصولكم فقال من اهل الشام فتحققت انه من نسل ذلك البطرك لانه كان سريانيا من اهل الشام وانا المسكين ناظم هذه السيرة رايت هذا الاب قبل تقدمته وكنت ساكنا بجواره بمدينة مصر وكان كثير من الناس المسلمين والنصاره بمصر يشهدون له بالعفة والديانة والصوم والصلاة والصدقة وفعل الخير مع كل الناس وانه بتولا لم يتزوج قط ولا شهد له صبوة ولا زلة وكان عالما فى دينه خبيرا بامور الكهنوت عانى بنفسه من صباه وقد كان بلغنى ان ابونا الطاهر يوحنا البطرك من قبله نيح الله نفسه اخبر عنه بالغيب انه البطرك بعده وذالك ان ابونا يوحنا البطرك قبله مرض فزاره جماعة من اراخنة مصر وكبارها وكان قد حضر معهم فقال للبطريرك يا ابونا لو استعملت من الدوا كذاوكذا لو جدت الصحة

فقال له البطرك يوحنا وحق اسكيمك يا ابونا قد استعملت فدهشوا القوم الحاضرين ونظروا الى بعضهم بعض يزعموا ان فيهم احد فى حلقه اسكيم فلم يروا احد غيره فعلموا ان كلام البطريرك له واشارته عنه فلما تنيح الاب يوحنا بعد سنين كثيرة ذكروا ما تنبا به عنه وكانت النوبة للرهبان فاخذوه المصريين وقدموه فلم يختلف فى امره مخالف وكان تقدمته بطركا فى سنة ثمانين وثمان مايه للشهدا الموافقة لسنة ستة وستين وخمس ماية الهلالية واقام على الكرسى خمسة وعشرين سنة وتنيح فى السادس من طوبه سنة تسع ماية وخمسة للشهدا الموافقة لسنة خمس ماية وخمس وثمانين الهلالية بدوا سيرت صلاح الدين بشرح امر الملك الناصر صلاح الدين فى ملك مصر والخليفة يوميذ العاضد باق على ما هو عليه والاجناد المصريين والسودان عبيد دولته مقرين على خدمته فلما كان يوم الثلثا الثالث من صفر سنة اربع وستين وخمس ماية للهجرة والخليفة يوميذ العاضد ابو محمد عبد الله وهو الرابع عشر من خلفا الدولة الفاطمية عليهم افضل السلام ووزيره يوميذ امير الجيوش شاور السعدى نزل مرى ملك الافرنج بجنوده على بلبيس ففتحها وقتل كلمن وجده فيها من الكيانية والاتراك والسودان ظاهرها وقتل جماعة كبيرة من عوام الناس مسلمين ونصارى قتلهم داخلها واباح لعسكره القتل والسبى والنهب ثلثة ايام ليل ونهار اطلق لهم السيف فيها واسر من بقى من اهلها وحملهم معه الى الشام ونهبها واحرقها ومضى باموالها واسراها اقتضى الحال ان الخليفة كتب كتاب لنور الدين محمود ابن زنكى ملك الغز بمدينة دمشق واقليمها وكان ينعت بالملك العادل نور الدين ويعرف بابن قسيم الدولة يعرفه فى كتابه ما جرى على المسلمين بديار مصر ويطلب منه ان يعضده بجيش يستدفع به الفرنج فادركه بانفاذ اسد الدين سيركوه فوصل ومعه عسكر كثير من الغز الى البلاد والملك مرى نازل بالفرنج على بلبيس وتضال مقدم مراكب الاسطول على بحر النيل قد وصل الى عطف منيه الفيران قريب منيه زفتى بعشرة شوانى وعشرين حراقه فلما تواصلت اخبار وصول سيركوه الى قرب البلاد رحل الملك مرى من على بلبيس رجع الى بلاده وقوى المسلمين على نضال فكسروه فرجع بالمراكب هارب ونزل اسد الدين

سيركوه بعساكره على مدينة بلبيس ورحلوا الفرنج وارتجعوا من قدامه فى البر والبحر واستراح ايام يسيره ثم رحل عن بلبيس نزل اللوق والقسم وارض الطباله واحاط بالقاهرة مستديرا وحمل اليه الخليفة ضيافة وخلع سيفه له ولمن وصل معه من الامرا المشهورين ولمقدمين العسكر واموال كثير برسم النفقة وخيم وعدد واشيا كثير لا يقدر على وصف فنونها واصنافها بعيونها واقام فى ضيافة الخليفة لم يدخل القاهرة الى يوم الجمعة اول يوم من شهر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسماية الهلالية انفذ اليه الخليفة سيف الدم مع موتمن الخلافة جوهر الاستاذ وامره ان يضرب به رقبة شاور وزيره فقتله ذبحا بسكين يوم السبت الثانى من ربيع الاول من السنة المذكورة واقام بقية يومه ويوم الاحد نازل مكانه وفى نهار يوم الاثنين الرابع من ربيع الاول من السنة المذكورة دخل القاهرة وأخلع عليه الخليفة خلع الوزارة وهى ثياب بيض مذهبة واسعة الاكمام ومنديل كبير مشدوده مثال الدرقة مرخية العذبة الى كفل الفرس وطوق ذهب فى عنقه مرصع بالجواهر ولالى يربط ويحل بشرايه حرير مظفورة بلولو حمصى كبار فركب بخلف الخليفة من داخل قاعة الذهب بالقصر وخرج وجميع الاجناد والامرا يمشون فى ركابه بالسيوف المجبودة وكان له يوم مشهور لم يرى فى ايام الدنيا مثله ووزر وملك ولما كمل له شهر فى الملك نادى بالقاهرة ان يرفعوا النصاره عذب وملك عمايمهم ويشدوا زنانيرهم واليهود خرقة صفوة فى عمايمهم واقام فيها ستين يوما ومات فى اليوم الخامس من جمادى الاول من السنة المذكورة ووزر الخليفة بعده فى حياة الخليفة الملك الناصر صلاح الدين وانعت بالملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين جامع الايمان قامع عبدة الصلبان محيى دولة امير المومنين وكان صلاح الدين اسمه يوسف ابن نجم الدين ايوب اخو اسد الدين سيركوه فوقع يوم جلوسه بين يدى الخليفة توقيعا بخط القاضى الفاضل ولفظة وكان اسم القاضى عبد الرحيم ابن على ويعرف بالبيسانى كان ابوه قاضى بيسان وكان عالم فاضل يفعل الخير مع كل احد مشكور محبوب كل احد يشكره ويدعوا له ويثنى عليه بل انه من طبع الادمى ان يكون كاملا لكون الكمال لله وحده لانه لم يوجد فيه قول يشوبه لقايل سوى انه اشار ان لا

يستخدموا النصاره نظار على اموال ولا مشارفين فقبل قوله وعمل برايه ولم يرجع احد من النصاره يستخدم فى نظر ولا مشارفة فى ايام دولة صلاح الدين ولا من ملك بعده من اولاده وذريته فوقع ما مثاله ومثال العلامه الحميد لله وبه توفيقى خرج الامر العال الناصرى زاد الله تعالى امضايه بمسامحة الامرآ والشادين والحماه والمتصرفين والعمال والمستخدمين والضمنا والبادلين والمستوفيين والموفيين وكان الناس اجمعين بالبقايا الدائرة والاخلاف المخرجة والخطوط المخلدة والنفقات المردوده والحواصل المسافة بالقلم وليست بموجودة والاوقات الحكمية وسفاتج المراكب الديوانيه وزايد المساحات وفواصل الاقطاعات وما تشهد به الدواوين من المعاملات على اختلاف اسبابها وتباين ابوابها واسبابها وما يتبع ذالك من المواريث الحشرية والاوقاف الشرعية وسفاتج المراكب المحمية جميع ذالك الى اخر سنة ثلث وستين وخمس ماية مسامحة تشمل الامير المامور والغيب والحضور والاغنيا والفقرآ والاقويآ والضعفآ لا يستثنا فيها بالحواصل المشخصة والذخاير المخصصة والنفقات التى هى من التبعات مخلصة فانها عدة الجهاد وماوونة الاسعاد ابتغآ للثواب وطلبا للزلفى وحسن المأب فليكتب بذالك مساطير تقرى فى ساير اعمال الدولة بعد ثبوته بحيث يثبت مثله ان شا الله تعالى واستقر الملك الناصر فى الوزارة ونفذ قوله وفعله وكان بعضده فى ذلك الوقت اخوه العادل ابوبكر وتاج الملوك والاجل المعظم شمس الدولة ومات شمس الدولة فى ايام دولته فى مدينة الاسكندرية بعد ان عمل مع المصريين من الخير ما يقصر اللسان عن وصفه رحمه الله ورضى عنه ومات تاج الملوك اخيه على ظاهر مدينة حلب عندما حاصرها صرح بسهم خرج رمى بها من قلعتها فاصابه فى ركبته فمات وكان كريما لبيبا فاضلا عالما يقول الشعر وله منه ديوان وكان مقدم عسكر الملك ومشيره الاجل تقى الدين عمر ابن شاهنشاه وكان ذو راى صايب وتدبير جيد وكان له على الاجناد هيبة ينصف المظلوم من الظالم وكان اذا حكم بين اثنين يقعدهما بين يديه جلوس معه ولا يحابى للعنى ولا يهضم جانب الفقير وياخذ الحق من الظالم ولو كان ولده وبعد ما جرى من فتح الساحل الذى نشرحه فيما بعد مضى الى اقليم اخلاط من بلاد العجم وكانة فى يد نكتم من

ملوك العجم فقاتله وكسره واخذ منه البلاد ومات هناك وما بعده ولده ولما كان فى جمادى الاخر سنة خمس وستين وخمس ماية بلغ الملك الناصر صلاح الدين عن موتمن الخلافة جوهر استاذ العاضد انه خرج من القاهرة الى الحزقانية وكانة اقطاعه ونزل فى المنظرة التى له المظلة على البستان وقد عزم على انه يقيم فيها الى نصف الليل ويسرى مع العرب يمضى الى الفرنج يستنجد بهم ويحضرهم الى القاهرة لمحاربة الملك الناصر واخراجة منها لانه لما تمكن فى المملكة خاف منه الخليفة والاستاذين فجهزوا موتمن الخلافة للرواج للافرنج يجيبهم لكونه من خواص الخليفة وكان يقبل قوله ويعمل برايه لانه اكبر من فى قصره من الاستاذين فندب السلطان الطواشى قراقوش وكان ايضا خصيا وكان به خصيصا وجرد معه ماية فارس فادرك موتمن الخلافة فى المنظرة فاستدعاه ينزل له فلم يفعل بل اغلق باب المنظرة عليه وامر اصحابه ان يقاتلوه فحاصره قراقوش وقاتله وقتله واخذ راسه بعد ان احرق المنظرة بالنار وعاد الى القاهرة فاجتمعوا السودان وزحفوا لقتال السلطان داخل القاهرة لما سمعوا بقتل موتمن الخلافة جوهر فنصر الله السلطان عليهم وظفره بهم فلم يقتل واحد منهم بل قال لا لوم عليهم لانهم قاتلوا عن سيدهم وخليفتهم فابقى عليهم وتقدم لهم ان لا يقيموا معه فى القاهرة ويسكنوا باى ما ارادوا من الريف والصعيد وغير ذلك من البلاد بل القاهرة لا يقيموا معه فيها فخرجوا منها الى الارياف والصعيد وتفرقوا فى جميع ديار مصر من برج دمياط الى برج اسوان وكان نارل فى اعمال الغربية فرقان عرب كثير منهم قبيلة واحدة تسمى بنى شلش تزيد عن عشرة الف فارس نافقوا واخافوا السبيل فخرج اليهم الاجل تقى الدين بعسكره فطحنهم وسباهم واخذ نساهم واولادهم واموالهم ومواشيهم ولم يبق منهم رجلا فى بيت شعر بوجد ودانت له البلاد وكثر الامن والرخص فى ايام دولته واظهر من العدل ما لم يسبقه احد اليه واخبر صفى الدولة استاذ الجهه الظافر به ابن شمس الدولة اخو صلاح الدين دخل الى القصر ليلا وطلب الخليفة فلما اعلموا الخليفة بانه يطلبه مص الخاتم المسموم الذى يعملوه الملوك للموت عند الغلبة ليلا يقعوا فى ايدى اعدايهم فيهينونهم ويعذبوهم فيرون الموت اخير لهم من الاهانة والعذاب فلما مصه مات وقال

غـيـر صـفى الدولة انه اخـذه حـيـا وسـاله مـوضـع كنوزه وامـواله فلم يعـرفـه اياهم فـاخـذ عـمامتـه من على راسـه وخنقـه بهـا حتى مـات واخبـر ايضا رجل من اهل قصـره انه كـان قـبل ان يقـتلوه قـد شـرب الخمـر مع صـلاح الدين وشمس الدولة وسمع الغنا بحـضـرتهم عنده فى مـجلسـه فلمـا انقـضى المجلس وقـام مـن كـان عنده من اخـوة السلطان خلى بسريتـه وطلبـهـا على نفسها فـاجابتـه الي ما طلب وكـان في وسطه سراويل ديبقى ذهب مكلل بجـواهر من جانبيه ونكلتـه مكللة مثلـه بجواهر يسـاوى جمـال مال استوهبتـه منه فوهبه لها فجابتـه لصلاح الدين يفتخر به عليه فاخذه واحضر القـاضى والشهود والفقها ونظم بذلك مـسطورا وسيـره الى العراق وبغداد وطلب الفتـيـا هل يجوز للخليـفـة يشـرب الخمر ويفسق فـافـتـوه الفقـهـا انه اذا ثبت ذلك عليـه يخلع من الخلافـة فلمـاوقف على الفتيـا تقدم الى اخيـه شمس الدولة بالركـوب الى القصـر ليلا والتلطف فى قتل الخليـفة على مـا قدمنا ذكـره وكـان وفـاة العـاضد لديـن الله وهو تمام اربعـة عشـر خليـفـة لبـيت الفاطميين فى سنة سبع وستين وخمس مايه هلاليـة وتسلم الملك الناصر القصر ومـا فـيـه وامـا التـركـة والاثاث فـتقـدم ان يـحـمل منهـا الى داره مـايصلح لـه ولنسـايـه من الملابس والجواهر والالى والمصـاغ من الذهب والفضـة ونحـو ذالك وان يبـاع مـالا حـاجة له به من الكتب والاوانى ونحو ذالك واقام امينا على بيع ذالك القاضى الامير محمد ابن محمد ابن ذو الرياسـتين ابن بنان فامـا النفوس فـانه جعل حظايا الخليـفة واولاده فى دار المظفر برجـوان فى حارة جوان بالقـاهوة واقام عليـهم اجناد حـراس يحرسـون ابوابهـا ليلا ونهـاراً ولا يمكنوا من يدخل اليـهم ولا يخرج منهم واطلق لهم من القـوت مـا يكفيـهم برهة فلمـا صـاروا اهل القـاهرة ومـصـر من شيـعـتـهم يحـملوا اليـهم شى من جواهم قـطع ذالك عنهم واما الاهل والاقـارب وكلمن انتمـى اليهم من الرجـال فانه جمع منهم مايتى رجل واكـثر وجعلهم فى مجلس المنافقين فى الايوان بالقصر وجعل فى ارجلهم قيـود حديد يمنعهم من التـصـرف ووكل بهم من الرجـال من يحـفظـهـم واطلق لهم من القـوت مـا يكفـيـهم فلمـا صاروا القـاهريين والمصريين يدخلون لهم بالصدقات قطع ذالك عنهم فصاروا يعيشوا من الصدقـات فسبـحان الله العظيم يعز من يشآ ويذل من يشـآ ومات كثير منهم فى قـيرده

على ما هو عليه ودفنوه به فسبحان الحى الذى لا يموت يضع من يشآ ويرفع من يشآ واما جوار الخدمة وعبيد الخدمة فباعهم مع بقية البركة وهذه نسخة كتاب كتبه القاضى الفاضل ابن البيسانى واسمه عبد الرحيم ابن على الى امرا دولة الغز فى ذالك الزمان بوفاة الامام العاضد وهو اخر خلفا الدولة الفاطميين بديار مصر وهو تمام اربعة عشر خليفة وفى ايامه زال ملكهم وملك صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين ايوب الثانى من ملوك دولة الاتراك كتابنا هذا وارد عليك ايها الامير الغلانى عندما كان من نزول قضا الله السابق وقدره الذى انبا عنه الخبر الصادق فيمن كان منتصبا بالقصر وموسوما بالامر وذالك لمرض اقتربت فيه ايامه واشتدت فيه الامه الى ان انقضت معه عزاه وانحلت معه قواه واتاه من امر الله ما اتاه وتلك سبيل عليها درج الاول والاخر وقضية استوى فيها الضعيف والقادر واوجبنا له من حفظ الذمام ورفع المقام والوفا على اختلاف احكام الايام ان حضرنا الى ابوابه ونقلنا انتقاله من اسرار الامر الى اعلانه ليعلم ان الله قد استاثر بوفاته واثرنا بحسن العهد بموافاته وبلغنا الغاية فى الاجمال فى امره والتوديع له الى قبره وطابت نفوس مخلقيه بقرارهم فى قصرة وانكفينا الى مستقرنا والدهما ساكنه والدنيا ينظرنا امنه وقلوب الاوليآ موتلفة والنية عن العراه غير منحرفة ويجب على الامير ان يوعز الى الخاطب فى يوم الجمعة بالدعا لمن الكلمة فى الاقطار له مسموعة والافاق على خلافته مجموعة الامام ابو محمد بنور الله امير المومنين مصرحا باسمه ولقبه ومثبنا بما اطبق عليه المسلمين من منصبه وتوالى ذالك فى كل جمعة جماعة ومن تعرض بيده او لسانه فى امر الذاهب امس او القايم اليوم بما يخيف به حلفا وبما يصدر عن هوآ يشبهه حقا فليامر الامير باذنه وليدم اليه نوسه واولى ما الزم الناس العافيه فانها اسبغ عطآ واسبغ غطآ وفى تقلب الاحوال عبرة لمن كان له قلب يسمع وهو شهيد فليعلم الامير ذالك ويعمل به انشأ الله تعالى وكتب فى العشر الاول من المحرم سنة سبع وستين وخمسماية للهجره وهذه السنة نهاية دولتهم وهى تمام مايتى سنة وسنة واحدة وملكوا قبل هذه السنة بالمغرب منهم ثلثة المهدى والقايم والمنصور اربعة وسبعين سنة فجميع دولتهم لاربعة عشر خليفة مايتى وخمسة

وسبعين سنة وقد نقش المعز تاريخ اول ملكهم فى بلاطه وبناها فى قنطرة باب القنطرة اسفل فمن اراد قراتها فيقرا هناك والسلام ولما كان فى شهر ربيع الاخر سنة ثلاثة وسبعين وخمس مائة خرج امر الملك الناصر صلاح الدين بابطال جميع المكوس من الديار المصرية صعيدها وبحريها وشرقيها وغربيها وبرها وبحرها عن كلمن فيها من المسلمين والنصارى والغنى والفقير والقوى والضعيف والامير والمامور وامر ان يستادى الزكاة على الوجه الشرعى المامور به من الله عز وجل فصاروا الاجناد المقطعين يقووا على سكان بلادهم وياخذوا منهم المكوس فبلغ ذالك الملك الناصر صلاح الدين وهو بالشام فى الغزاه وكان اخوه الملك العادل ابو بكر نايبا عنه فكتب له كتابا بخطة هذه نسخته المجلس العالى الملكى العادلى اعز الله نصره يعلم انه لم يقطع احد من المقطعين ناحية من النواحى انه يسنادى فيها مكسا ولا يستبيح للرعية مالا ولا يضيق فيها على مستور مشاعا فليكشف جميع بلاد المقطعين ويحظ عنها جميع المظالم والمكوس فانها غير داخلة فى اقطاع المقطعين ومن رضى باقطاعه بعد وضع مكوسها والا فليرتجع عنه ان شا الله تعالى وفى المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسماية جمع صلاح الدين العسكر ومضى الى دمشق بعد موت نور الدين محمد ابن قسيم الدولة ففتحها وتسلمها بالامان وملكها وجميع قراها واعمالها وتوجه الى حلب حاصرها فلم يقدر ياخذها فى تلك الايام ففتح حمص وبعلبك ثم عدى نهر الفرات ففتح سنجار ومنبيج وحرأن ونصيبين ومدن كثير فى ارض الموصل ونزل على مدينة الموصل وحاصرها واقام عليه خمسة شهور ثم تركها ومضى الى امد وميافارقين وفتحها ودفعها لرسلان ابن قليج وعاد منها عدى الفراة رجع الى حلب فنزل عليها وحاصرها فقتل عليها تاج الملوك اخوه ووقع الصالح بينه وبين صاحب حلب فدفع له المدن الذى يفتحها فى ارض الموصل سنجار وحران ومنبيج ونصيبين واعمالهم كلها وسلم حلب للسلطان فتسلمها ولم يفرح بها منجل موت اخوه تاج الملوك عليها ودخل قلعتها ليلا وملكها واعمالها وجميع قراها فى سنة تسع وسبعين وخمس مائة ولما فتح حلب عاد الى دمشق فاستراح مدة يسيرة وخرج للغزاة ونزل على الكرك وحاصره مده فلم يقدر عليه فعاد الى دمشق

واقام بها ثم عاد الى الكرك فى سنة ثمانين وخمس ماية وحاصره مدة ايضا فلم يقدر عليه فرجع الى دمشق وفى رجوعه على نابلس فهدمها واخذ منها مال وسبى ثم عاد الى مصر فى احدى وثمانين وخمس ماية هلالية وعمل مع الرعية بديار مصر الخير ما يعجز الواصف عن وصفه واعدل عليهم واحسن اليهم وازال مظالم كثيرة وامر بابطال ضمان الملاهى فى جميع ديار مصر وانكر كل منكر واقام الحدود الشرعية وكان يجلس للعدل يومين فى كل جمعة وهما يوم الاثنين ويوم الخميس وصدور الدين قاضى القضاه جالس بين يديه ويدخل الى داره ويحضر بين يديه جميع الناس فينصف المظلوم من الظالم ويكون فى مجلسه جماعة من الفقها واكابر دولته للنظر فى الحكومات بين الناس والعمل بما توجبه احكام الشريعة الحق والعدل ولما اقام بمصر سنة كاملة عاد الى دمشق فى سنة اثنين وثمانين وخمس ماية واقام بها ايضا سنة كاملة وجمع العسكر وخرج من دمشق فى سنة ثلاثة وثمانين وخمس ماية هلالية يريد الغزو النزول على الكرك وقد كانوا الافرنج فى تلك السنة ملكوا عليها رجل غريب جآ من خلف البحر وكان قد تزوج بالكندوسه ابنة الملك مرى فسلمت له الملك لان الملك كان لها بعد ابوها فدفعته لزوجها فلم يوافق ذالك قومص طرابلس وحمله الغيض والشيطان الى ان راسل صلاح الدين وصادقه ووافقه على الفرنج وحلف له انه لا يحاربه ولا يضرب فى وجهه بسيف وكانة طبرية للقومص فارسل لصلاح الدين يقول له انزل على طبريه هى لى وانا ادفعها لك تقوى بها وتضعف قلوب الافرنج فجا السلطان ونزل قريب من طبرية فسلمها له القومص فلما سمع ملك الافرنة الذى ملكوه بعد مرى وكان اسمه اكندجفرى حشد عوام البلاد مع عسكر الساحل وجا اليه فى عسكر كبير فسبقه صلاح الدين الى الما ونزل عليه فساق سوق كثير يطلب بسبق صلاح الدين الى الما فوجده قد سبقه ونزل عليه فطلع هو ومن معه من الفرسان الى كوم عالى هناك يسمى كوم حيطين فنزلوا عليه وهم قد هلكوا من العطش حتى صاروا يشربوا الخمر عوضا من الماء والتقوا مع السلطان وقتل بينهم خلق كثير واكسروا عسكر المسلمين اول النهار ثم قوى صلاح الدين اخر النهار واما قومص طرابلس الردى المنافق الذى باع قومه كما باع يودس ربه

فكان يتبعه اربع مايت فارس فحمل بها كانه يقاتل فاوسعواله المسلمين الطريق فجاز بهم في وسط عسكر المسلمين وتم على حاله لم يرجع يرد وجهه وسار على فوره منهزما الى صور فدخلها واستقر بها فلما علموا الفرنج ذالك ظنوا انه انكسر الى ان انكشف لهم خبثه وفساد نيته فلم يزالوا يقاتلوا حتى نصر الله صلاح الدين عليهم فكسرهم واسر من اسر وقتل من قتل وقد تهلك اهل الخير لما يعلمه الله فى ذالك من صلاحهم ولما ظفر بهم صلاح الدين وحل فى جملتهم الا برنس ارناط صاحب الكرك فاحضره بين يديه وخاطبه بكلام غليظ ومسكوه له الاعوان وقربوه منه فذبحه بيده وغسل يديه بدمه ثم ظفر بالكندجفرى ملك الافرنج بالشكل الذى قدمنا ذكره واحضروه بين يديه وكان حاضر ذبح الابرنس ارناط الكرك فلما راه متخبط يخور فى دمه خاف واصفر لونه فقال له صلاح الدين لاتخاف ياملك فما تموت اليوم بل تحيا ولو بقى لقومك بقية كنت املكك عليهم واساعدك بمالى ورجالى طول ايام حياتك وانا احدثك حديث الابرنس وسبب ما فعلته به وذالك ان طريق التجار واكثر المسافرين على الكرك فكان يمسك القوافل بظلم وعنف وكان نور الدين وغيره من ملوك المسلمين يرغبون فى الصلح معه ليخفف ضرره عن المسلمين فدفعة يفعل والف دفعة لا يفعل فلما كان فى ايامى ارسلت اليه وهاديته وحملت اليه مال ومتاع وخلع وحلف لرسولى انه لا ياذى احد من المسلمين ويحسن للتجار ويطيب لهم الطريق ولا يمكن احدا من اصحابه من مضرة مسلم ولا تاجر ولا عابر طريق وبعد ان حلف بثلث ايام عبرت قافلة طالبة دمشق فساقها بجمالها ورجالها واموالها طلع بها الكرك فاسر رجالها واخذ اموالها فبلغنى خبرها فعظم ذالك عندي وانذرت لله اننى متى ظفرة به فعلت به ما رايت فلا تلومنى ياملك ثم استدعا قدح شراب فجا به اليه الشربدار فاخذه من يده شرب منه وناوله للملك فشربه واخلى له ولاصحابه نوبة خيم ووكل به من الرجال من يحفظه ولم يزل عنده حتى سلم له عسقلان لانها كانت له وبعد ان تسلمها اخلع عليه واوهبه واطلقه فسار الى جزيرة قبرص فملكها ولم يزل فيها الى ان مات ولما كسر السلطان عسكر الافرنج وابتدى فى فتح مدن الساحل كتب لولده ملك العزيز الذى سلطنه على ديار مصر واقره فيها كتابا

يعرفه فيه قضية الحال وكيف كانه فكتب الملك العزيز الى ولات الحروب كتبا يعرفهم بذالك وهذه نسخة كتاب منهم ورد على والى تنيس بفتح عكا وطبري ويصف فيه هذه القضية وهذه نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور كتابنا هذا وارد على الامير الاجل الاسفهسلار الاخص حسام الدين سيف المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين خاصة امير المومنين ادام الله رفعته وحرس بهجته وكتب حدثه ناطقا بما جا من نصر الله العزيز وفتحه المبين وما انتج من الظفر الذى سفا اثار المشركين وشقا صدور المومنين واستنطق بشكر الله من سبح بحمد ربه واستغفره وعظمه فذكره ووسع ذكر طوله ويسره واوضح الى الله عز وجل اطلع على النية السلطانية فى نصره دينه فنصره وعرف صدق عزمه فى قصد عدوه فاقدره وعضده واظفره وايده بجنوده على من جحد تفرده بالوحدانيه وكفره وامات بسيفه سلطان الشرك فاقبره ومقرب عن ورود الكتاب السلطانى فى يوم الاثنين الرابع من جمادى الاول مورخا بيوم الجمعة منتهله مقصورا على البشرى بما فتح الله على يديه وذكر النصرة الرادة لعدو الله على عقيبه وان من جملت ما انعم الله به فى يوم الخميس الثالث والعشرون من ربيع الاخر الى يوم الخميس سلخه ما يوضح فى تاريخه يوم الخميس الاول فتحت طبرية ويوم الجمعة والسبت توزلت جموع الافرنجية وكسروا الكسرة التى تركت البلاد منهم على عروشها خاوية والمعاقل المنتزعة من ايديهم باعلا اعلام الاسلام عليها حاله وجمعت من طواغيث الكفروبين امهم الهاوية واذاقتهم النار الحامية وفى يوم الاحد تسلمت طبرية وقتل الابرنس ارناط باليد العالية السلطانية وحصل الملك اسيرا واخوه ومقدم الديوية والهنفرى ابن الهنفرى صاحب الكرك وصاحب عتيل وصاحب تل الصافيه وفى يوم الاثنين قتل من فرسان الديويه والاستبار على باب السرادق السلطانى ما عديه مايتا فارس وفى يوم الثلثا انتقل الركاب السلطانى الى مدينة عكا لينازلها وفى يوم الاربع وصلها وفيه جرد العرم الذى حصلها وفى يوم الخميس فتحت صلحا ورفع العلم المنصور على قلعتها المحروسة صبحا واستقر الاسلام فيها بوطنه وعاد الى سكنه ورجع جوهره فيها الى معدنه وفى يوم الجمعة مستهل

جمادي الاول قيمت خطبة الاسلام فى مسجدها بشعارة وقام الموذن مكان النواقيس معلنا بكلمة التوحيد التى كان قايلها معقول اللسان وفى تضاعف هذه المدة فتحت الناصره وصفوريا وحيفا والغولة ومعليا والطور والتمست اسكندرية ونابلس بالامان وسنين خلت من حرب الشيطان وتضمن الكتاب الكريم ان عدة القتلا استوعبت عدة من حضر المصاف من الفرنج الا القومص فانه نجا نجات من جز الحبل عنقه فضغطه الرعب وخنقه ولجا الى صور فى عدد يسير واستقر بها استقرار الاسير واشير فى الكتاب المذكور ان عدة من قتل واسر يزيد عن عشرين الفا ادمى وهذه والله المحمود نوبة ما يعرف عارف فى الاسلام مثلها ولا يشهد تاريخ بما يشبه فعلها ولا يشبهها قبلها ومن فضايل هذا الفتح وبشاير هذا المنح تيسره ولم يعدم من المسلمين سوى نفر دون العشره وجزاح من جرح والله المشكور سليمه والنعمة عظيمة ووجوه ولاة الامر بما يسره الله لهم من النصرة اصبحت وهى كريمة وقد استخرنا الله وصممنا عزمنا على المضى الى المخيمر المنصور السلطانى سلمه الله تعالى بعكا حرسها الله تعالى اعلمنا الامير ذالك لياخذ حظه من هذه البشرى التى عمت فضايلها الاسلام والنعمة التى شملت الخاص والعام ان شا الله تعالى ولما كان بعد كسرة عسكر الافرنج وفتح البلاد المقدم ذكرها نزل الملك العادل (ابو بكر) على يافا وقاتل من فيها يومين وفى اليوم الثالث طلبوا منه الامان فامنهم ثم بعد ذالك قتل من ظفر به منهم واسر من اراد وكان فيحها يوم الثلثا الثالث من جمادى الاخر سنة ثلث وثمانين وخمساية الهلالية قصة بادويل الملك فاخبرنا من تقدم من السلف أن البيت المقدس كان فى يد نفر من المسلمين يسمون الزدلفية من ملوك الترك ثم ملك بعدهم قوم منهم يسمون الباروقية ومنهم ملكه بادويل ملك الفرنج وسبب ذالك ان الله لما شا ان ينقله منهم الى غيرهم جعل فى قلوب ملوكهم ان رغبهم فيما يحصل لهم من مكس من يحج اليه من جميع الافرنج فحج بادويل واخفا نفسه وغير زيه ولم يعلم به احد ووصل الى يافا ستة بطس فى كل بطسة الف رجل وكانوا البرطيقية ياخذوا المكس ممن بحج الى البيت المقدس من الفرنج وغيرهم فكتب والى يافا الى صاحب البيت المقدس يعلمه ان قد وصل الى يافا ستة الف رجل

يريدوا الحج فكتب اليه الجواب يقول له اقسمهم نصفين سير منهم ثلاثة الف فاذا حجوا وعادوا اطلق النصف الثانى يحجوا ففعل والى يافا كما امره واقسمهم وصار بادويل مع من سار بادويل مع من سار الى القدس مخفيا فدخل اليه وكشفه وطاف المدينه وكشف الصور واماكن القتال وسير رسول ثاني يوم دخوله القدس الى من بقى فى يافا يقول لهم ضعوا بالسيف فى اهل يافا اذا عيدنا يوم الاحد فان صبحية يوم الاثنين اضع السيف فى بيت المقدس واقتل كلمن فيها من الاجناد وغيرهم من المسلمين فاذا فعلتم ذالك تقووا باموال اهل يافا وخيلهم والحقونى وخلوا فى المراكب من يحفظها ان كل مركب عشرين رجل فلما فعلو ذالك فتحوا البيت المقدس ويافا فى يوم واحد وهو يوم الثلثا ثم فتحوها المسلمين منهم فى يوم الثلثا كما عملوا كذالك عمل بهم فسبحان الله المكافى كل احد باعماله ولما كان بعد فتح عكا بايام يسيرة خرج الملك الناصرمنها يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الاخر من السنة المذكورة نزل على عسقلان يوم الاحد سادس عشرة بعد ان صلى بالمسلمين يوم الجمعة فى يافا واحاط العسكر بمدينة عسقلان وكان الكندجعفرى الملك اسير معه فاحضره وقال له تسلم لى عسقلان بلا قتال والا سنقتل على بابها وانا بعد شنقك اخذها بالسيف فخاف الملك من الموت وكانة عسقلان له واجناده فيها فلما طلبها السلطان منه وخاف على نفسه من الموت لم يكن حيله الا تسليمها فانفد لاصحابه وقال لهم لا تقاتلوا وسلموها لهم بالامان فهو اصلح لكم بعد ان قاتلوا ثلاثة أيام ولم يقدروا عليهم المسلمين فسلموها اصحاب الملك بالامان يوم السبت التاسع والعشرون من جمادى الاخر من سنة تاريخه وفى ذلك اليوم بعينه كسفت الشمس نصف النهار ولما فتحها السلطان كتب الكتب بذالك الى ولاة الاعمال المصرية وهذه نسخة الكتاب الى الامير ناصر الدين ابن بهرام والى الاعمال الغربية نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ربى اودعنى ان اشكر نعمتك الذى انعمت بها على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه كتابنا هذا صادر الى الامير المفضل الامين نصر الدين وعمدة المجاهدين عز الخواص مملوك امير المومنين اطال الله بقاه وقد من الله علينا وفتح على يدينا مدينة عسقلان التى هى افضل عروستى الدنيا وانقذاها من يد

الكفر نرجوا بمشيـة الله النور فى الدار الاخرى وقد نصبت اعـلام المسلمين على ابراجها واسوارها وعمره بموحديها وتبت بمشركيـها وكفارها وكثر الموذنون فى اقطارها وارجايها وزالت سمت الصلبان من جهـاتها وانحايهـا واعلن الخطيـب بلا اله الا الله على منبرها ومن قصص الفتح انها لما واجهتـها جيوش الاسلام الناصرية وانصار المومنين التـوحيد الصلاحيـة واحاط بكفارها سخط الله وحقوا ان ينجز لهم وعده وان يتمكن منهم اوليا الله وجنده لجا المشـتركين الى القـرار واخذوا فى الانحصـار فى الجدار فنصـبنا عليـهم الات القتـال واذقناهم من طعم الطعن شديد الوبال واخذنا بقوة فى باشورتها الكبيرى فهدمناها ولما لحناها مع شدة باسها فمحوناها وصلت منجيـقاتنا فى قبلة اسوارها فما زالت سهامها تركع وحجارتها تسجد ونجومها برجومها لشياطين الكفر نقذف وتصرد حتى هدمنا باشورة صغرى تحت سورها ودمرناها واخربنا ابراج السور وابدانه ودمرناها واستبحنا المعقل وان كان منيعـا حصنه رفيعـا تله جديدا حده وطال مـا اعجز الايام والانام فله فلما خشوا باسنا جنحوا للسلم فعملنا بظاهر الاية فى الجنوح لها وتطارحوا مبالغين فى المسلم فى الامان فراينا تقبلها فامناهم ثقة أنهم انما يسلمون من الحمام وانهم يستاصلون بمشية الله بسيوف الاسلام واشفاقا من معرة الجيش على من فيها من كتايب المسلمين وصيانة الذمة عن نهب تخريب الناهبين وحملت الامر ان النزول عليها كان يوم الاحد سادس عشر جمادى الاخر نصبت الالات يوم الثلثا ثامن عشر ووقع نقوب الباشورة الكبرى يوم الاربع تاسع عشر وتسلمت المدينة ونصبت اعلام الاسلام عليها يوم السبت التاسع والعشرين منه هذا من فضل ربى ليبلونى ااشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى لغنى كريم اعلمنا الامير المفضل ناصر الدين ذالك ليـاخذ حظه من المسار ويشارك من هو قبله من المسلمين بحسن المنار والاسلام واقام السلطان نازل على عسقلان بعد فتحها حتى دبر حالها وسلمها لعلم الدين قيصر من مماليكه الخاص الكبار ولاية واقطاع ورحل منها وتوجه منها الى البيت المقدس فى يوم الاربعا الحادى عشر من رجب من السنة المقدم ذكرها ونزل على البيت المقدس يوم الخميس من ناحيت عين سلوان ليجد العسكر الماء قريبا منه ورتب العسكر مستديرا

على المدينة من جميع جهاتها وصلى المسلمين على الجبل الذى حولها يوم الجمعة وزحفوا للقتال بعد الصلاة وكان باليان ابن بارزان فارس كبير محتشم من فرسان الافرنج يسكن فى مدينة بيت المقدس واقطاعة مدينة الرملة كان دخل مدينة القدس فى ذالك اليوم وهو الذى كان يدير الحرب ومسك القتال مع السلطان قتال جيد والسلطان يرسل اليه ان يسلم البلد بالامان فلم يفعل وكان رجل نصرانى من الملكيه يسمى يوسف البطيط من اهل القدس كان وانتقل الى دمشق وسكن فيها وعرف صلاح الدين واخوته قبل ان يكون سلطان وقبل هذه الامور وعرف ابوه وعمه اسد الدين شيركوه وهم بدمشق فى خدمة نور الدين محمود ابن زنكى قبل ان يملكوا مصر فلما ملك السلطان ديار مصر جا اليهم بخفظوه فاخذه الملك العادل ابوا بكر اخو صلاح الدين الى عنده وانعم عليه واسكته فى قصر الخليفة فى قاعت باب الذهب فى القصر الشرقى بالقاهرة وكان صلاح الدين يترسل به الى ملوك الافرنج قبل هذه الامور فصار يدرى احوال بلادهم ويعرف كبار فرسانهم فلما راى السلطان الحرب شديد ولم يقدر على المدينة المقدسة احضر يوسف البطيط واتفق معه ان انفذ الى النصاره الملكية يوعدهم بكل خيز ويفتدهم عن مساعدة الافرنج فى القتال وان يسلموا المدينة لصلاح الدين من ناحيتهم وقرر عليهم مال كثير فلما اتصل الخبر بباليان ابن بارزان وكانوا الملكية فى المدينة اكثر من الفرنج خاف يسلموها فيهلكوا الافرنج جميعهم بالسيف اذعن الى الصالح وقرر القطيعة على جميع من فى المدينة من الفرنج وغيرهم وذالك غيظ على الملكية لانه لولم يسبقهم يقرر القطيعة كانوا قد سلموها واهلكوا الفرنج جميعهم الذين فيها والقطيعة الذى قررها مع السلطان عشرة دنانير من كل رجل وخمسة دنانير من كل امرآة ودينار واحدمن كل صبى او صبية لم يبلغ الحكم ولما تسلمها السلطان كتب الى ولاة الديار المصرية يعرفهم بذالك وكتب الى الامير نصر الدين خضر ابن بهرام والى الاعمال الغربية وقد كان المذكور ولى هذه الاعمال فى شوال سنة احدى وثمانين وخمس ماية وهو مستمر فيها الى يوم تسطير هذه السيرة فى شوال سنة ثلث وستماية الهلالية ثلثة وعشرين سنة وهو مستمر وكان رجلا جيدا عادل دين كثير الصدقات مكفوف اليد عن

اموال رعينه وهذه نسخة كتاب السلطان اليه بفتوح البيت المقدس بسم الله الرحمن الرحيم كتابنا الى الامير الاجل الاسفهسلار الكبير نصير الدين فخر الاسلام عمدة المجاهدين خاصة امير المومنين ادام نعمته واعلا رتبته واجزل من الخيرات موهبته وارهف عزمته وقد طلعت على اسوار البيت المقدس حرسه الله اعلامنا ونفذة فيه احكامنا وذهب ايام العدو الكافر واستقبلته ايامنا وثبت بتاييد الله واقدامها احكامنا وذهب ايام العدو الكافر واستقبلته ايامنا وثبت بتاييد الله واقدامها واقدامنا وكان مدة المنازلة له ثلثة عشر يوما وايام المقاتلة سبعة ايام جسوما رمى بالمناجيق حتى خربت الاسوار وحطمتها وحدرت الجدران وهدمتها واقامت كلمة التوحيد وقومتها واظهرت شعاير الدين الحنيفى وعظمتها وكيف يبقا يعوى الحجر الصغير على مصادمت الجبل الكبير بل كيف يدوم مع الحق الضلالة ويقاتل بدوات الحجال عزايم ابطال الرجال وما زالت الكفار فى شقا وبلا وخذلان وعنا منذ يوم المنازلة الى يوم التسليم لا يخلوا يوم من اسارى وجرحاً بل قتلا وصرعا فنظروا واذا حميت حماتهم قد خمدت وعزايم كماتهم قد همدت وطرف بلدهم قد فض وجناح باشورتهم قد خص وطور قلعتهم قد ذل وثقل الابراج بكفات المناجنيق واصابع سهامها قد فل وان لا مخلص لهم من براثين الاسد وان الضلال قد اخفاه الحق ودفعه الرشد وان مدة ولايتهم قد تصرمت وجرت على مرادها الاقدار وكان البلدان يدخل عليهم فيه من جميع الاقطار وانهم اسارى فى قيدى الجوع والحصار وتوهموا بل تيقنوا ان البلد سيلقيهم الى اوليا الله فيمضوا فيهم حكمى السيف والنار وان المسجد الاقصى قد لبس حلتى الفرح والاستبشار واخلع الذل والصغار هذا وامداد الاسلام متوافه والعدد وافيه ونعم الله على وجوه احوال المسلمين ظاهرة غير خافية والخيرات بالعسكر المنصورة وافرة كافية ولما كان يوم الخميس سادس يوم المقاتلة وهو السادس والعشرين من شهر رجب جا لهم الموت من كل مكان وادركهم الصغار والخذلان وزحف المومنين وتقدم الموحدون وتعلقوا بشرافات الاسوار وعليهم الزحف الموصون وبايديهم كووس الحتف والمنون الا ان الجبال سايرة والبحار مايرة روحى الموت على نفوسهم دايرة فعندها لاذوا بالامان وعادوا بالخذلان وارسلوا واردهم وبعثوا

رايدهم بسال فى تقرير القطيعة ويقرع فى قبول ما قبلته انفسهم الابية مذعنة مطيعة وما سمحت به من ذخاير كانه على ايام ممتنعة منيعة واختاروا حكم الميزان القايم سلاقهم خوفا من حكم السيف وعذابه فيهم وتقررت امور قرت بها عينى النبى صلوات الله عليه فى ضريحه ونطق به لسان الراى الصحيح مع صريحه مستحقا الخاشر هذا وقربا لمربحه وهو عشرة دنانير على الرجل وخمسة على الامراآه ودينار واحد على الصبى الذى لم يبلغ الحكم والصبية التى لم تبلغ وعدة من فى البلد تقارب ماية الف او يزيدو وقطعوا ضعفا لا يقدرون على شي سبعت الف رجل ثلثين الف دينار يقدموها صدقة بين يدى كبارهم وجزية معجلة عن اجرة سكانهم والحمد لله الذى اخفت دعوتهم واخفا دعواهم واستاصل بالسيوف الناصرية غيهم ومن اغواهم وشكرا لله على استنقاذ المسجد الاقصى الذى اسرى اليه بعبده وانجاز ما سبق به صادق وعده والامير ياخذ حظه من هذه البشرى بالمسرة التى غمرة القلوب وملأت الايدى والخزاين وبشرت يفتح ما طلعت عليه الشمس من الامصار والمداين وطرزت سيرة ايامنا بغزر الميامن والمحاسن ويامر باشاعتها ويتقدم بطرب البشارة وواذاعتها وتزيين البلد وحضور جمعة هذه المسرة وجماعتها موفقا انشا الله ولما تسلم الملك الناصر صلاح الدين البيت المقدس بالامان والقطيعة المقدم ذكرها فى شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس ماية الهلالية واقام فيه الى ان صام شهر رمضان من السنة المذكورة وصلى فيه صلاة العيد بمن حضر معه من المسلمين وخرج حاصر الكرك فاخذه وقلعة كوكب فاخذها واتوجه الى صيدا وبيروت وجبيله وعتيل وسار فى طول الساحل وعرضه والسهل والجبال ففتح مدن وقاع وقرى هى الى يوم نظم هذه السيرة فى يد المسلمين وفتح وملك بالامان اكثر مما فتح بالسيف واوفا بعهوده ولم ينكث بكلمة من قوله ولا غدر وكانوا فرسان الفرنج وامراهم وكبارهم يخرجوا من حصرنهم وقلاعهم باموالهم ومواشيهم ونساهم واولادهم وجميع ما يملكوه من المال والخيل والبغال والجمال والجوار والمماليك حتى الاسارى من المسلمين ومن رضى يبيعه اسير منهم دفع له فيه قيمته وزايد ومن لا يرضى قال له خذ اسيرك ولكن افعل معه الخير كما فعلت معك وكان كثير من الفرسان يدفعوا له اساراهم ويحلفوا ما

ياخذوا ثمن فيحسن اليهم وينعم عليهم باكثر مما تركوه وكانوا يخرجون من حصونهم لباس الزرد والدروع والخوذ كما كانوا يخرجوا للحرب فاذا راهم تبسم ثم تدمع عينيه ولم يعترض لاحد منهم شى قيمته حبه بل يسير معهم الاجناد يحفظوهم ويخفروهم حتى يدخلوا بمن اراد صور اليها ومن اراد انطاكية اليها وهذه نسخة الخطبة التى خطب بها الخطيب فى البيت المقدس يوم صلاة عيد شهر رمضان بحضرة الملك الناصر صلاح الدين ومن كان معه من المسلمين وهى اول خطبة خطبوا بها بعد فتح المدينة واخذها من يد الافرنج الحمد لله الله اكبر على سهل ويسر وفتح ونصر وخذل الاعدا وقهر ومن علينا بالمسجد الاقصى المطهر واخرج منه الكفر والاعلاج بنوا الاصفر وشتهم وبددهم ودمر ورد الى الله الاسلامية الارض المقدسة ارض المحشر والمنشر الذى بارك فيها وحولها واكثر ان فى ذالك غبره لمن تذكر وحسره فى قلب من الحد وتجبر احمده على تغيير البيع والصوامع بالمساجد والجوامع وتبديل النوافيس بالتاذين والتقديس وتحويل تعظيم صليب المصلوب بتمجيد الحى الذى لا يموت لم تزل عوايده جميلة وعطاياه للمومنين جزيلة والسلام اعلمنا من يقف على هذه السيرة بصفة هذه الخطبة لان هذا موضع ذكرها ليلا يمتد بنا الكلام فنوردها فى غير موضعها او نتركها ومرادنا بذالك ان تقفوا على صورة الحال وتفهموا من اين دخل على دولة الافرنج الاختلال ليعتبر بذلك اولوا الالباب ويتذاكروا على ممر الدهور والاحقاب ثم نعود الى شرح ما كنا فيه مما ايد الله به صلاح الدين وما مكنه له من النصر والظفر والتمكين وما صنع مع اعدا دينه ودولته كقول التوراه اذا عبر عليك حمار عدوك وانت جالس ووسقه مايل فقم اليه واعدل وسقه عليه وقول الانجيل يوكد بما هو اعظم من هذا مما قد علمتم من قوله حبوا اعداكم وباركوا لاعنيكم وصلوا على من يشتمكم واحسنوا الى من اساء اليكم مع بقية الوصايا ليلا يطول الكلام فعمل صلاح الدين بامر هذين الشريعتين من غير معرفة ولا قراه بل الهام من الله ولاجل ذالك مات على فراشه وكانة عاقبته حميدة فى نفسه وذريته وقد كنا ذكرنا ان صور وانطاكية كانا قد بقيا فى يد الافرنج لما اراد الله من اسراره الخفية فاما صور فان الله ساق اليها ملك من ملوك الافرنج من خلف البحر من

ناحية الغرب يسمى مركيس وقال قوم انه رومى ابن اخت ملك القسطنطينية لانه لم يكن بقى فى الساحل مكان لم يفتحه صلاح الدين سوا صور وقلعة صفد فاما صفد فانه نزل عليها وحاضرها سبعة شهور واخذها لما جاعوا الذين فيها سلموها له لانهم لم يكونوا اعدوا شيا للحصار ولما سلموها له وراحوا الى صور وصار كلمن سلم قلعة او حصن او مدينة بالامان يمضوا الى صور او الى انطاكية وفعل مع الافرنج لما قدر عليهم كل معروف فاما صور فانه نزل عليها ثلاثة دفوع وحاصرها وضيق عليها واقام عليها الى ان ضجر مقدار سنة يتردد اليها العسكر فى البر ومراكب الاسطول فى البحر فلا يقدر منها على شى ولم يزل مركيس فيها يحفظها ويدبرها بمشية الله تعالى لسلامتها حتى وصلوا اليها الملوك ونزلوا على عكا ظاهر البلد على تل المشنقة ولما كان فى محرم سنة اربع وثمانين وخمسماية توجه الملك الناصر صلاح الدين الى دمشق بعد ان اقام مجاهد مرابط فى ساحل الافرنج سنة اثنين وثمانين وخمس ماية وسنة ثلاثة وثمانين وخمس ماية هلالية الى ان فتح الساحل جميعه وهدت اموره ووهب اجناده واصحابه ومن عاونوه من ملوك المسلمين وساعده من امراهم من الاموال والمواشي والاسارى والخلع مالا يحصى عدده ولقد بلغنى عن غلام من غلمان الاجناد انه اسر رجل من الافرنج فاباعه لفقاعى يكوز فقاع فظهر بعد ذالك انه فارس كبير فاعوذ بالله من زوال النعم وحلول النقم ثم ان السلطان اقطع مدن الساحل والقرى والقلع للاجناد واقام بدمشق مدة يسيرة حتى استراح العسكر وخرج نزل على حصن الاكراد واقام يحاصره نحو شهرين فلم يقدر عليه وتوجه منه الى اعمال انطاكية ففتح اللاذقيه وبغراس وقرى وقلع وابراج وجا الى حصن برزيه ونزل عليه وحاصره واقام عليه مده يسيره فيسر الله له فتحه ففتحه وملكه وكتب الكتب بذالك الى ولاة الديار المصرية كل منهم باسمه وهذه نسخة كتابه الى الامير نصر الدين خضر ابن بهرام والى الاعمال الغربية بسم الله الرحمن الرحيم صدرة هذه البشرى الى الامير الاجل الاسفهسلار الاحص نصير الدين عز الاسلام ادام الله عزه مما جدده الله من الفتح العظيم والنصر الكريم والعز المقيم وهو فتح حصن برزية الذى ابتهجت به الالسنة ولهجت بشكر الله به السنة وسمحت به مع

ظن الايام والدهر الاقدار المحسنة وتنبهت عيـون الانام لانارته وزالت السنة ومكنت من تحصيل المتعذر منه فرصتـه الممكنة وهذا هو الحصن الذى اتخذه الدهر له معتصما واليسر الواقع له محتما فلم تثبت دعوة خاطب ولم ينفذ ناره لحاطب فلما حالوناه وجدناه لا تعمل فيه الحيل ولا يدور حوله الامل لكن فتحه الله من حيث نحتسب وجعله كسبا لسيوفنا وفتحناه بالسيف عنوة وذالك يوم الثلثا السابع والعشرين من جمادي الاخر سنة اربع وثمانين وخمس ماية ضحوة فيالها من ضحوة اظلمت على العدو افاقها وانكشف بليلا لعجاج اشراقها فيالك من ضحوة انالت حظوة وجليت بالحب والحيا للاسلام حيوه ولاشك الا انه عرف ما سبقه من الفتوحات وتقدمه من الخيرات وقد بقيت النطاكية مقصوصة الجناح ملقاه السلاح ونحن نرجوا من الله تيسير فتحها والله تعالى يسعد الامال بنجحها فليعلم هذه البشري ويشكر على هذه النعمة ان شآ الله وهذا الحصن كان كمال فتوح صلاح الدين وبعده لم يفتح شيا اخر من بلاد الافرنج في ذالك الوقت الذى فتح فيه مدن الساحل وكان السلطان قد اخذ بيت جبرايبل بالامان وكان فيه صاحبه رجلا جليل القدر فى قومه كثير المال واسع الحال وكان يسمى القسطلان واظن ان تفسير هذه الكلمة الوالى وكان له فى بيت جبريل نعم عظيمة واموال كثيرة وجباب كبيرة مملوه زيت طيب وخمر فلما طلب الامان قطع السلطان عليه قطيعة مال كثير فقومهم على السلطان بمال كثير ودفعهم له فوفا به السلطان واخذ منه الجباب الزيت والخمر والمال في بقية القطيعة وخرج بعد ذلك من البلد بمال كثير ونعم ومواشي ونفوس مماليك وجوار ونساء وحسم فسيره السلطان الى ديار مصر الى مدينة الاسكندرية وكتب الى واليها بالوصية عليه وحفظه وضيافته مدة مقامه بالبلد وان ينفق عليه من مال الديوان ويستاجر له المراكب ويزوده هو ومن معه من مال السلطان الى ان يسير شاكرا ففعل الوالى والمستخدمين معه كلما امروا به وسار الى حيث اراد من بلاد الروم وكان فخر الدين قراجآ والى الاسكندرية يركب اليه كل يوم ويقضى حوايجه وكان مع القسطلان نحو خمس ماية نفس كان الوالى يقوم بهم وينفق عليهم من مال السلطان مدة مقامهم فى البلد الى ان استاجر له المراكب وسيرهم

فلم يقعد هذا القسطلان فى بلاده سوى ستة شهور ومضى الى البنادقة والجنوبين والبيسانيين واعمر ماية شينى من ماله وانفق فى رجالها واخذها وجا الى صور اجتمع هو ومركيس وياليان ابن بارزان وابن الابرنس ارناط صاحب الكرك ومن حضر من فرسان الساحل وخرجوا بالجبل فى البر والمراكب فى البحر وساروا حتى نزلوا على تل المشنقة قبالة عكآ فى الليل وما اصبح الصبح حتى حفروا عليها ثلثة خنادق واطلقوا فيها الماء من النهر الذى هناك فصار ماها يخرج الى البحر المالح وحاطوا بعكا فى رجب سنة خمس وثمانون وخمس ماية وكان والى عكا خادم من استاذين السلطان يسمى جرديك فلم يطيق ان يدفعهم عنها فكتب الى السلطان الى دمشق يعلمه بذالك فجا السلطان وتواصلت العساكر فنزلوا الافرنج وتواصلوا من كل مكان كانوا فيه واجتمعوا جميعهم وصاروا عسكر عظيم ولما وصل السلطان الى عكا ومعه الملك المظفر تقى الدين نزل على صفوريه وبعد ايام يسيره وصل مظفر الدين ابن زين الدين صاحب سنجار الى السلطان وكان السلطان كل يوم يركب يجى الخندق فى عسكر كبير يقاتل الافرنج ثم يعود الى الخيم الى صفوريه بعد ان جعل على الفرنج نزل فيه ستت الف فارس لا ينزلوا عن ظهور خيلهم لا ليل ولا نهار منهم ثلاثة الف النهار جميعه ترمى عليهم النشاب وثلاثت الف الليليل جميعه ترمى عليهم النشاب ولم يمر عليهم شهر من الزمان حتى عملوا على حافة الخندق من ناحيث عسكر السلطان صور طوب لبن ورتبوا الرماه تقعد من خلفه بقسى الزنبورك يرموا بسهم غلظ ابهام رجل الانسان طوله ذراع وزن نصله خمسون درهما مضروب مكبب له اربعة اركان مهما وقع فيه اخرقه وربما نفذ من الشخص الى الذى وراه فقتلهما جميعا ونفذ من طواريهما ودرعوهما وزردهما اوغيره وغاص فى الارض ولقد اخبر عنه من راآه انه نفذ فى حجر من حجارة السور الى رشيته فلما علموا ذالك ما بقى احد من عسكر السلطان يدنوا من الخندق وقوى امرهم وبنوا كنيسة لصلواتهم ومواضع اصطبلات لخيلهم ولما رتبوا اشغالهم اجتمعوا ليلة من الليالى واتفقوا الصبح يسفروهم قد كسبوا عسكر السلطان فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة وهذه نسخة كتاب السلطان لاخيه الملك العادل وهو نازل على حماه بعسكره

يعرفه قضية ما جرى بينه وبينهم وكتبه بيده بسم الله الرحمن الرحيم ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فيشغالهم وابطل اعمالهم الذى اعرف به المجلس العالى الملكى العادلى ادام الله دولته انه لما كان يكرة يوم الاربعآ الحادى والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانون وخمسماية خرجت جميع الفرنجيه رجالهم وفرسانهم وساقوا من قريب البحر الى القضيب والنهر وكان جميع سيوفهم الى صوب الولد تقى الدين والميمنه اخذت اربعة اطلاب الفقيه يطلب ومحمد ابن الامير حسيرين بطلب والمماليك بطلب وشقة لحقتهم ولزت الشالاشات والعسكرين فلما لزيناهم رجعت جميع الافرنجية علينا الفارس والراجل وحملوا علينا والتقوا اصحابنا الفرنج ردوهم وحمل الراجل جميعه دفعنا وما برحنا نرد الخيل الى الراجل والراجل يدفعنا حتى بعدت الخيل عن الراجل دخل قيمان والحشام ما قصر اكسروا لراجل وتموا ثم لحقوا الخيل وكذلك الراجل قتل أكثره وعاد الملك المظفر وكسرهم كسرة جيدة وكذلك ياركوج وكمشيا ورسلان نوعا وابار البرلو والاسديه والشهابيه كانوا فى فرد طلب ما قصروا قتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وصارة الفرنج ترجع من خلفنا يتلقوهم يقتلوهم ما انفلت منهم احد ولله المنة والحمد فما كان يوم قليل وما اعرف احد فقد الامجلى رحمه الله استشهد الى رحمة الله وحسين الكردى رايته مجرح مثخن واسماعيل المكلبس مجروح وسلار ابن حسك هولاء جميع من عرفت ولعل عشرين غلاما ولكن قماش الناس نهبه بعضهم بعض وما قصر سد الدين اخو عز الدين والمشكور الحسام وقيماز من الميمنه ومظفر الدين وياركوج والحملة ما كانة الا على وحدى والله اعلام والسلام ولما كبسوا الفرنج عسكر السلطان على صفوريه وجرت هذه الامور التى تقدم ذكرها رحل السلطان من صفوريه نزل وادى الخرويه وكان البرك يتردد اليهم نهارا وليلا ستة الف فارس يرمى فيهم النشاب ولم يكونوا يبالوا بهم ولم يزل الحرب قايم بينهم الى ان حشد ملك الامان سنة ماية الف رمح وجا الى الدروندان وهى الدروب التى يدخل منها الى قونيه وغيرها بلاد الملك مسعود من ملوك الترك واكثر بلاده ورعيته روم رغبوا فى سكناهم عنده لعدله وحسن سيرته معهم فشق بلاد الملك مسعود وبلاد ابن لاون ملك الارمن وعبر

على ملوك كثير بالسيف وكثرت الرجال والاموال وكان يحمل ثقله وزاد العسكر على العجل تجرها الخيل والبغال والبقر وغير ذلك واقام فى بلاده الى ان وصل الى انطاكيه يمشى سنة كاملة واخبرنا بعض من حضر عسكره انه لما اراد ان يعدى البحر الى قسطنطينية حشد ملك الروم ومنعه يعدى وانه وجد فى البر الذى هو عليه مدينة خراب ذكروا انها كانة فى اول الدهر تسمى قسطنطينيه وان هذه الجديدة لما عمرت خربت تلك فنزل عليها واعمرها واقام فيها سنة كاملة يقاتل ملك الروم حتى قهره وعدى اليه وحاصره فى مدينة قسطنطينية وجبى خراجها وخراج جميع مدنها وقراها اخذ مستغلها فى تلك السّنة وتقوى به وسار يطلب الجهاد على البيت المقدس وجاز على جميع بلدان ملوك الروم والارمن والمسلمين والفرنج بالسيف ولم يقف احد قدامه من جميع ملوك الدنيا فلما قرب من انطاكية سار الملك المظفر تقى الدين ومظفر الدين ابن زين الدين ساروا من مخيم السلطان الى حلب لكشف اخبار ملك الامان فلما صح عندهم انه نزل على انطاكية قطعوا نهر ما الطريق الذى يريد يسلكها الى حلب ودمشق وغيرها يسمى نهر الكلب فغرق جميع الطريق فلما وصل اليه الخبر بذالك ركب فى المراكب من انطاكية ومضى فى البحر الى عكا ونزل عند عسكر الفرنج فى تل المشنقة فلما سمع صلاح الدين انه جا فى المراكب هان قدره عنده وطمع فيه وزحف الى الخنادق وقاتل الفرنج وبعد زمان يسير مات ملك الامان ومات ولده بعده ومات اكثر اصحابه من تغيير الماء والهوى وبقى من اصحابة بعضهم اختلصوا بعسكر الفرنج وخمد ذكره وبطل امره وكا انه لم يكن فسبحان الله الدايم الحياه بعد ان كانوا ملوك الدنيا قد لاذوا من خوفهم منه امنوا وفرحوا بوفاته وكان وصوله الى تل عكا فى شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمس ماية وكانوا الافرنج فى تلك السنة قد عملوا ثلثة ابراج خشب وزحفوها للقتال وكملوها بجميع ما يعمل فيها وقدموها حتى الصقوها بصور عكا وكان صلاح الدين قد اخرج جرديك الاستاذ من عكا وسلمها لخادم اخر يسمى قراقوش ونعته بها الدين وكان خبير فى عمارة الاسوار وهو الذى اعمر سور القاهرة واداره عليها ومده الى المقسم الى ان جعل بحر النيل من داخل السور ثم مده الى الجبل المقطم طالع الى مصر

الى أن جازها داخل السور وبنا قلعة على على القاهرة فوق راس الجبل خارج المدينة من قبليها ونقر فيها جب للما بالازميل الحديد من فوق الجبل الى اسفله حتى وصل الى الما تقدير مايتى ذراع وعمل فيها صهريج يملاه من مصانع عملها خارج من القلعة وفى مدة يسيره ادار على القلعة سور وابراج واعمال يفنى الزمان ولا يكاد ان يفنا ولاجل خبرت صلاح الدين به سلم له عكا وكان مديرها قبالة الفرنج فما وصلوا الابراج قريبا من السور وطلعوا الفرسان عليها وشدوا الحروب عليها وكشفوها بالنشاب وكاد المسلمين ان يسلموا لهم عكا حضر رجل يعرف بابن النحاس من اهل بغداد الى عند بها الدين قراقوش وقال له انا بسعادة المولى صلاح الدين احرق هذه الابراج فقال له بها الدين ايش تعمل قال اصنع فقط كما اعرف واضرب به الابراج احرقها ولو ضربت به جبل حديد اخرقته فقال له اعمل ما تريد ثم دفع له مايتى دينار فمضى وعمل ثلثة قدور نفط وضرب بها الثلثة ابراج فاحرقها واحرق فيها ما تقديره ست ماية لابس كانوا فوقها من كبار ابطال الفرنج وكان يوم صعب على عسكر الفرنج وفرح وسرور عند ملة المسلمين الحاضر منهم والغايب والقريب والبعيد لان الفرنج قد اشرفوا على اخذ البلاد ثم بعد حرق الابراج عملوا الافرنج منجنيق على بسطة كبيرة جدا وطلع فيها رجال كثير مقاتلة وساروا بها حتى الصقوها الى سور عكا من ناحيت البحر وكشفوا الرماه من فوق السور بالنشاب منها وصار المنجنيق الذى فيها يضرب فى البلد فخرج ايضا ذالك النفطى ابن النحاس واحرق البسطة فاحترق كثير ممن كان فيها من مقاتلة الفرنج ثم عملوا الفرنج بعد حرق البسطة كبش حديد مركب على خشب عظيم جدا وصفحوه والبسوه حديد وعملوا له راس لدكس السور تقدير عشرين قنطار من حديد ودكسوا به السور فرموا منه بدن كبير فخرجوا اليهم المسلمين من عكآ قاتلوهم فاشتد الحرب بينهم وقتل من الفريقين جماعة كبيرة فخرج ايضا ذلك النفطى واحرق الكبش الحديد ولو اخذت ان اشرح ما جرى بين المسلمين وبين الفرنج على عكا وغيرها فى كل يوم وكل ساعة وكل شهر وكل سنة فى ذالك الوقت الذى فتح فيه صلاح الدين البيت المقدس وما هلك عليه من الامم وتفانى عليه من الخلايق وافنى عليه من الاموال وذهب بسببه

من النفوس لطال الشرح وعظم الوصف والانتظار واقع لما يتجدد بسببه فى كل زمان وقد تقدم فى السير الاولين فيه ما هو اعظم من هذه السيرة وتفانت عليه من الامم ما هو اكثر من هذه الرقم ولم تزال هذه صفته ما دامت ايام الدنيا كل امه ترتكب فيه الفساد وتعمل بضد شروطه يرسل الله عليها امة غليظة لا ترحم ولا تشفق تخرجها منه بالسيف والسبى والجوع والحصار ونهب الاموال وبيع الاولاد والحريم لان الله قال عنه فى التوراه انى اخترت هذا البيت ليذكر فيه اسمى من جميع الدنيا واخترت داوود ملكا من جميع ملوك الارض وعلى هذا الحكم يريد الملك الذى يكون البيت تحت سلطانه ان يكون فيه من الطهاره والعدل وصلاح السريره وملازمة الصلوات والصدقات مثلما كان فى داوود ولاجل ذلك اقام ملكا عليه وساكنا فيه اربعون سنة ولم يكن فى هذه المدة غلا ولا حرب ولا وبا الا من قضيت امراه اوريا يوم واحد ثم تاب داوود فقبله الله ورفع الموت عن الامه وعاش داوود بقية عمره مرتعش اليدين لما رأى ملاك الله وبيده السيف وهو يقتل وهذه القضية مشروحة فى كتاب اسفار الملوك ونحن لما نقصده من الاختصار وتذكر ما تيسر ونترك ما سواه وقد يكون غيرنا اهتم بذلك وعلم من الاخبار وشاهد من الامور ما لم نشاهده ولا علمنا وانما اعلمنا اخوتنا بما وصل الينا علمه على قدر ما يسره الله لنا ومن به علينا ولم يزل الحرب بين الفرنج والمسلمين الذى فى عكا متصل الليل والنهار وكل منهم لا ياخذه عن الحرب قرار منذ نزولهم عليها فى شهر رجب سنة خمس وثمانون وخمسماية الى جمادى الاخر سنة سبع وثمانون وخمسماية وصل ملك فرنتسيس بجنوده فى تقدير ماية بطسة وشينى الى عكا ونزل مع عسكر الافرنج واتفق معهم وتجدد القتال عليها وكان صلاح الدين قد اخرج العسكر القديم منها ودخل لها بعسكر جديد فيه جماعة من الامراء الكبار المعروفين منهم سيف الدين على ابن احمد مقدم الاكراد وعلم الدين ارسل مقدم المماليك الصلاحية والاسدية وابن سيف الدين الجاولى وعز الدين يعقوب الامرى مقدم الترجمان ولما شدد عليهم افرنيسس القتال شهر جمادى الاخر ورجب واحاط بالمدينة جميعها وما صار احد يقدر يدخل لها بميره ولا نجده فتحها الظهر يوم الجمعة النصف من شعبان سنة تسع وثمانين

وخمس ماية الهلالية فجميع ما اقام الحرب على عكا سنتين وشهر واحد وخمسة عشر يوم واخبرني رجل كان حاضر فى عكا لما فتحوها المسلمين انهم وجدوا جامعها قد جعلوه الفرنج كنيسة لما اخذوها من المسلمين اول دفعة وصوروا فيه صور فلما فتحها صلاح الدين من الفرنج جمعوا المسلمين الاسارى الذى عندهم من الفرنج وجأو بهم الى الجامع ملوا الما وغسلوا حيطانه وابوابه وكشطوا منه الصور وجابوا الجبر بيضوه حتى ما بقى للصور اثر ولا خبر وصلوا فيه بقية الجمعة التى فتحوا عكا فيها ولم يزل ذلك الرجل فى عكا مقيم الى ان فتحها ملك افرنس فاخذوا الافرنج اسارى المسلمين جأوا بهم الى الجامع ملوا الماء وغسلوه وجددوا بياضه وصوره كما كان فسبحان الله الذى بيده ملكوت كل شى يعز من يشا ويذل من يشا ويجازى كل احد باعمال ولما فتح الافرنس عكا اسر كلمن كان فيها من العسكر واهل البلد وانفذ صلاح الدين يقرر معه قطيعة فيهم فلم يتفق بينهم فيهم شى فاخذوا الامرأ الكبار مثل احمد وبهاء الدين قراقوس ويعقوب الامرى وغيرهم من الكبار افردهم وقيدهم واما ارسل ابن الجاولى فهربوا عندما فتحت عكا وخرجوا بنفوسهم لا غير الى عسكر المسلمين وتركوا اموالهم وما كان معهم من مماليكهم واجنادهم واما ارسل ابن الجاولى فهربوا عندما فتحت عكا وخرجوا بنفوسهم لا غير الى عسكر المسلمين وتركوا اموالهم وما كان معهم من مماليكهم واجنادهم واما باقى الناس فان افرنس اعزل الكتانية وحدهم والسودان وحدهم والاكراد وحدهم والغز وحدهم ولم يخلط جنس مع غيره وقتلهم والعسكر مع صلاح الدين ينظروهم واخذ ملك افرنس من وقع فى نصبيه من الاسارى معه وعاد فى البحر الى بلاده وكان فى الايام التى فتحه فيها عكا وصل اليها ملك الانكتار واسمه سمرغيد وكان بطل شجاع لا يخاف خبيرا عارفا بالحروب لا يخاف الموت ولا يهاب كثرت العساكر حتى انه لو كان قدامه الوف وهو وحده حمل فيهم ولم يكن فى من وصل ملوك الافرنج مثله وكان اذا حمل لا يقف احد قدامه فسلم له ملك افرنس خمس ماية فارس من عسكره خلاها عنده وجعله مقدم العسكر مكانه وسلم له العساكر واوصاه وسار وبعد ايام يسيرة من مسيره سير ملك الانكتار رجال عكا ورتب فيها من

يحفظها وخرج منها نزل حيفا وقام من حيفا نزل رسوف وكان صلاح الدين نازل على برج الديتويه ويسمى سفر عام فسار لحقه وكان من تدبير ملك الانكتار انه رتب الرماة بالزنبورك على العجل وعمل عليهم ساير وكانه العجل سايرة بالرماة من جانبى العسكر ميمنة ومسيرة والعسكر فى القلب لم يكن يقدر يدنوا من العجل الا ويهلك فلما لحقه صلاح الدين ارسوف قاتله فلم يبلغ منه مراد خاف ان يتم الى عسقلان فيملكها فسبقه صلا الدين اليها فاخربها واحرقها ولم يبقا فيها جدار قايم ثم توجه صلاح الدين نزل الرملة فلما بلغ ملك الانكتار انه اخرب عسقلان واحرقها بالنار صعب عليه واقام على ارصوف اياما يسيرة ودبر تدبير اخر يريد يكبس عسكر السلطان صلاح الدين فمضى الجاسوس اعلم صلاح الدين بذالك فرحل صلاح الدين من الرملة طلع الجبل ونزل على النطرون وهو جبل شامخ عال لا يمكنه الطلوع اليه الا بصعوبة ولا يكون فيه موضع للحملات فرحل ملك الانكتار نزل الرملة فلما نزل الرملة رحل السلطان من النطرون طلب مدينة القدس فرحل ملك الانكتار نزل النطرون وتم السلطان على حاله دخل مدينة القدس واهتم بحفر الخنادق وعمارة الابراج واقام ملك الانكتار على النطرون مده ثم عاد الى عسقلان نزل عليها واعمرها وحصنها وانتقل منها الى غزه اعمرها وحصنها وانتقل من غزه دريررناس وهى قلعة الدراون وكانة باقية فى يد المسلمين الى اخر جمادى الاول سنة ثمان وثمانين وخمس ماية ففتحها واخذها وقتل واسر كلمن وجده فيها ثم مضى الى بيروت يقاتلها فخرج اليها صلاح الدين من القدس ونزل بالعسكر على يافا وقاتلها يومين ففتحها وقتل كلمن وجده فيها فى الربض فاما الفرسان والمقاتلة من الفرنج فانهم دخلوا القلعة وتحصنوا فيها الى ان ادركهم ملك الانكتار فرحل صلاح الدين عنها وعاد نزل النطرون وذالك فى شهر رجب سنة ثمان وثمانون وخمسماية ولما عاد ملك الانكتار من بيروت الى يافا وخلص البلد ورحل صلاح الدين عنها نزل على يافا وكان الملك العادل ابوا بكر قد سار الى بلاد العجم وديار بكر وغيرهم فجمع عساكر وكان الملك المظفر تقى الدين قد فتح مدينة خلاط واخذها من بكتم ومات واخذها ولده بعده نصير الدين وبقى فيها بعسكر ابوه فلما

مضى الملك العادل بجمع عساكر الشرق مضى اليه فاخذ عسكرابوه وجامع الملك العادل هو ومظفر الدين صاحب اربيل ومدينة الموصل وغيرهم من عساكر الشرق خلق كثير لا يحصى عدده ولم تجى الفرنج فى تلك السنة نجدة ولا رجل واحد وكانوا العساكر يريدوا المصاف وصلاح الدين يروض الحال معهم ومع الفرنج ولم يزل يدبر والله يعضده بالتوفيق الى ان تصوب رايه فى الهدنة والصلح وحقن الدما وصيانة الاموال والنفوس من التلف للفريقين المسلمين والافرنج فمال الى الصلح وتقررت الهدنة مع الفرنج اربعون شهرا اولها شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسامية مع ملك الانكتار وعسكر الساحل على انه اى من وصل من ملوك الافرانج من خلف البحر وكان فى قوة يقدر على فسخ الهدنة كانوا عسكر الحال ابريا من العهود والايمان وعلى ان الذى فتحوا المسلمين بسيوفهم من المدن والقرى والقلاع والحصون يكون لهم والذى هو باق بيد الفرنج لم يفتحوه المسلمين هو باق للافرنج وذكر من حضر عقد الهدنة ان بيروت وصيدا وجباله وجبيل وبلاد وقلاع لم اعرف اسماها فاذكرها يكون بينهم مناصفة فاما البيت المقدس فانه كان بيد المسلمين فى ذلك الوقت فبقى لهم على حالة وقرر صلاح الدين ان يحجوا اليه بحيث لا يدخلوا معهم سيف ولا شيا من السلاح وشرط لهم ان لا يوخذ مهم مسكن وجعل صلاح الدين سيف الدين ازكج والى البيت المقدس وذكر معه فيه ثلاثة الف فارس ممن المماليك الاسديه وصام صلاح الدين هو والقاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على البيتانى شهر رمضان فى البيت المقدس وانفذ الرجال والاجناد وهدم صور عسقلان مستديرا وتركها قرية بغير سور وكان الاتفاق على هدمها فى عقد الهدية وكانوا الفرنج والمسلمين مجتمعين متفقين جميعهم على هدم عسقلان واختلط عسكر الفرنج وعسكر المسلمين بعد الصلح حتى صاروا مثل الاخوة وكذلك الملوك مع صلاح الدين وحمل اليهم اموال وهدايا وحملوا له هدايا وخيل وطوارق وسيوف المانية مدارة فى علب خشب وقنطاريات مدهونة فسبحان الله المولف بين القلوب المتباعدة والطباع المتضاددة فهو سبحانة خالق الخلايق ومدبرها وباريها ومصورها لا اله الا هو ولا معبود سواه فاما اسارى المسلمين الذى مع الفرنج واسارى الفرنج الذى مع المسلمين فلم يتقرر فى امرهم

شيا بل بقى كل منهم مع صاحبه على حاله يقوم بقطيعة ويتخلص وبعد الصلح بايام
يسيرة ركب ملك الانكتار المراكب فى البحر وعاد الى بلاده بما كسبه وغتمه ومعه
جماعة اصحابه واجناده وتوجه صلاح الذين من البيت المقدس الى دمشق فى شوال سنة
ثمان وثمانين وخمسماية بعد ان صام فيه هو وجميع من معه من المسلمين شهر رمضان
ومضى الى دمشق طاهر اولاده وكان له يوميذ اولاد كثير ذكور يركبون الخيل خلفة
عددهم خمسة عشر ولد وهذه اسمايهم ونعتوهم الملك العزيز عثمان سلطته على مملكة
ديار مصر والبيت المقدس واعمالها واقام ملكا عليها بعد ابوه صلاح الدين خمسة سنين
ونصف الملك الاعز يعقوب الملك المويد مسعود الملك فتح الدين اسحق الملك الجواد ايوب
الملك الظاهر غازى وسلطنه على حلب واعمالها الملك الافضل على وسلطنه على دمشق
واعمالها الملك المستمر خضر الملك الزاهر داوود وبقية الصغار نورشاه شاهنشاه ملك
شاه احمد ابوابكر وهذه العده ليس من امراآه واحد بل عدة نسا وكان فى يد صلا ح
الدين من مملكات الدنيا فى حال حيايه يوميذ اقليم ديار مصر وجميع اعمالها واليمن
الى هنعا وعدن وزبيد فتحه بيد سيف الاسلام اخوه وفى مدينة النوبة الى مدينة ابريم
وبلاد صاحب الجبل والبيت المقدس والساحل وجميع ما قدمنا ذكره من مدنه وقراه
وحصون وقلعة وما فتحه فى بلاد انطاكيه حصن برزيه والاذقيه وبغراس وغيرهم مما لم
نعلم اسمه فنذكره ومدينة دمشق التى هى شهوة ملك الدنيا المشبهة بالفردوس فى
انهارها الحلوه الطيبة واشجارها واثمارها وطيب هواها ومدينة حلب وقلعتها دار
ابراهيم الخليل عليه السلام جسرة ملوك العرب والعجم واعمالها ورسنافها ومن خلف
نهر الفرات حران ونصيبين وسنجار ومنبيج والرها وامد وميافارقين وغيرهم من قراهم
ورستاقهم مما لم نعلمه فنسميه وكان امره ينفذ فى جميع ممالك العرب والعجم والروم
ولم يملك احد ممن عاصرناه ورايناه مثله وطاعته امم وملوك وكان امره ينفذ فى بلاد
الحبشة والنوبة والبجاه واليمن والحجاز وجميع اعمال القبلة وقد كان تردد الى مدينة
الموصل وقاتلها وحاصرها زمان فلم يدفعها الله له ولا ظفره بها وكان ديار مصر فى
ايام دولته من اولها الى اخرها رخية الاسعار كثيرة الخيرات القمح الطيب عشرة

ارادب بدينار والشعير عشرين اردب بدينار والفول مثله والعدس والجلبان والبرسيم والترمس جميع ذلك سعر واحد عشرين اردب بدينار واما العسل الدفن المتبن الطيب بدينار القنطار بالمحلى والقطاره بدينار وقيراطين القنطار بالمحلى والعسل النحل بدينار واحد ونصف وربع القنطار بالمصرى والكشاطه بنصف دينار القنطار بالمصرى والقند الاحمر كانت اسعاره مختلفة على حسب تربه بلد خلاف بلد والنقى من الوسخ فوقت يباع الطيب بدينار القنطار بالمصرى واذا قل ابتاع بدينار وربع والبياض الذى مثل السكر بدينار ونصف القنطار بالمصرى والقطر بعشرة الدراهم الفنطار بالمصرى المحبوب الكتان بخمسين درهم القنطار بالليتى الطيب ودونه بثلثين درهم الشمع الكافورى بثلث دراهم الرطل بالمصرى والمشاع الشرب كثير والقماش والصوف والادم كثير جدا والتجار يبيعون ويشترون ويربحون والبركة حالة فى كل شى وكانة ايام دولته كلها حسنة طيبة واحوال الرعية مستقيمة ولم يصادراحد من رعيته ولا ظلم احد كعادة من تقدمه والطرق امنه والامور صالحة ومات فى مدينة دمشق يوم الاربعاء السادس والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مايه للهجرة فى قلعة دمشق ودفن فى المدرسة الى بناها فيها وكان عدد عسكره يوم وفاته عشرة الف فارس منه طواشيه اربعة الف ومنه قرا غلاميه ستة الف وكان قد كمل له من العمر سبعون سنة وملك مصر وعزها مما قدمنا ذكره اربعة وعشرين سنة وتسعة اشهر ونصف لانه ملك بعد وفات اسد الدين سيركوه فى جمادى الاول سنة اربع وستين وخمسماية هلالية وخراجية ومات بدمشق فى التاريخ المذكور وذكر بعض اهل العلم العلم انه ملك ديار مصر يوم الاربعا ومات بدمشق يوم الاربع ومن حسن سيرته وفضل دولته ان بعد موته لم تركض فرس لا بالشام ولا بمصر ولا (----) ولم تختلف اولاده ولا ذريته ولا طلب منهم احد الملك لنفسه ولا خالف اولاده احد من اصحابة بل اتفقوا جميعهم على الذى ملكوه من اولاده الملك العزيز مصر والبيت المقدس والملك الظاهر حلب والملك الافضل دمشق الى دبر اخوه الملك العادل ابو بكر ما دبر اخذ الملك بمصر ودمشق منهم وسنشرحه فيما بعد وهذا ما انتهى الينا عليمه والسلام وبعد تقدم ما شرحناه من ايام بطركية هذا الاب

السعيد القديس الطاهر انبا مرقس وما قاساه من المصاعب وشاهده من الشدايد فى بداية مملكة صلاح الدين من خروج امره بان تنزع الصلبان الخشب الذى كانوا على كل قبه عالية فى كل كنيسة من جميع الكنايس التى بارض بديار مصر رأى كنيسة كان ظاهرها مبيض تليس بالطين الاسود من فوق البياض وان لا يدق ناقوس فى جميع ديار مصر ولا يدوروا النصارى بالزيتونة فى مدينة ولا قرية كالعادة الاولى وان يغيروا النصاره زيهم ليعرفوا من المسلمين بان يشدوا زنانيرهم فى اوساطهم ولا يترددون بعرضى ولا طيلسان ويرفعون عدب عمايمهم ولا يركبون الخيل ولا البغال بل يركبون الحمير ولا يتظاهرون بشرب الخمر وان يخفضوا اصواتهم فى صلواتهم وطمع اوباش المسلمين فيهم فى ذلك الوقت واهانوهم ورتبوا على بعض الكنايس فى المدن والقرى فهدموها ونال القوم من ذلك مشقة عظيمة حتى خرج جماعة من كتاب المصريين والقاهريين من اديانهم وجحدوا مسيحهم ولم تزل الامور تتوطا بصلات هذا القديس مرقس البطرك وهى يجاهد على شعبه ورعيته الى ان اصلح الله لهم قلب سلطانهم ببركة صلواته فقربهم وادناهم واستخدمهم فى ديوانه فى اموال دولته وانعم عليهم فعادوا الى ارفع مما كانوا عليه وركبوا الخيل والبغال ولبسوا الخفاف والثياب المفرحة وساروا معه فى الغزوات كتاب ديوانه وكتاب اهله واقاربه وكتاب اجناده وتعلق كل نصرانى بكتاب امير من امرآ دولته ومن اهله واقاربه وحفظ كل منهم حرمة كاتبه فصار لكلمتهم جمال مال وجاه ونفاذ كلمة وعز ونقل الله بصبرهم وصلوات بطركهم ورجوعهم الى الله وطاعتهم لريسهم ذلهم الى عز واهانتهم الى كرامة وبغضهم الى محبة وضعفهم الى قوة واكثروا من الصدقات ولازموا الصلوات وتشبهوا ببعضهم بعض فى المسارعة الى فعل الخيرات فنمت ارزاقهم وصحت اجسامهم وكثرة بنوهم وبناتهم وخزاينهم من خيراتهم وصلحت امورهم وطابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وعلت كلمتهم عند سلطانهم فتنجزوا التواقيع منه والكتب عنه الى ولات الاعمال بمرمة بيعهم وما تشعث من كنايسهم وفتحها لاقامت صلواتهم والدعا لله بسلامة سلطانيهم فرموا ما كان وهى وبنوا ما كان هدم ورموا ما كان تشعث وعادت الامور الى اوفا ما كانة من

السلامة ورخص الاسعار وطيب الثمار وجرى النيل ونزول الامطار وتنيح هذا القديس انبا مرقس وقد رضى الله عن شعبه بصلواته وهم محفوظين ولم يهلك منهم الا ابن الهلاك لا زلنا يا اخوة نحن واياكم بصلواته محفوظين وبعين السلامة والكفاية من الله ملحوظين بصلوات القديس امين .

وخمسماية للهجرة اتفق الشعب الارتدكسى المسيحى والشيوخ الاراخنة بمدينة مصر والقاهرة ومن حضر من الاباء الاساقفة على قسمة الاب العالم البتول الفاصل الطاهر القديس الدين المسيحى انبا يوحنا وكان اسمه قبل تقدمته ابو المجد ابن ابو غالب ابن سورس فاخذوه قهرا فى يوم الاحد الحادى عشر من امشير سنة تسع ماية وخمسة للشهدا وهى السنة التى تنيح فيها انبا مرقس البطرك بعد نياحته بشهرا واحد وخمسة ايام وقسموه بطركا وكان المساعد لهم فى تقدمته عند السلطان القاضيان المريضى والرضى اخاه ابنا الجباب وكان هذا الاب كما قلنا بتولا عالما لما قد قرى من العتيقة والحديثة كاملا فى جسده وقامته باشوش الوجه حسن الخلق لين الكلام طيب المحاضرة ملازم اوقات الصلوات كثير الصدقات ذو مال وايسار من صباه سار ذلك اليه من ابوه واجداده وكان له دار وكالة بمدينة مصر يتجر فيها ويبيع ويشترى اصناف البضايع وله سكرية لعمل السكر وطواحين واملاك وكان كاملا فى دينه ودنياه وغير محتاج الى شى من امور الدنيا يصدق صدقات كثير من اشتغاله بامور الدنيا ما كان يغفل عن صلوات السواعى الليلية والنهارية محبا ومجتهدا فى ضيافة الغربا وافتقاد المرضى والمحبوسين ويدفع الجوالى عن الفقرا من اهليه والمحتاجين من قومه وكان كثير المودة لكل احد ويفعل الخير مع كل احد حتى ظهر امره واشتهر ذكره فلما تنيح انبا مرقس ابن زرعة البطرك الذى كان قبله لم يحتاجوا الاراخنة ان يطلعوا دير ابوا مقار ولا غيره من الديارات كما جرت العادة يطلبوا ويبحثوا عنمن يصلح لهذه الرياسة المسيحية والمملكة العلوية والخدمة الروحانية والدرجة الفاضلة السياحية لما صح عندهم وعلموه وتحققوه مما قدمنا ذكره من صفاته لم يحتاجوا الى شهادة ولا التمسوا على ما وصفناه زيادة فقدموه بتشديد الله لهم والهام روح القدس الذى اختاره ورضيه لرعاية

قطيعة كما قال الرب لبطرس ان كنت تحبنى فارع خرافى وكذلك لما علم السيد المسيح ان هذا الاب يحبه سلم له خرافه ليرعاهم كما قال فى المزمور 6B فرعاهم بطهارة قلبه وبرفق يديه سياسهم واهداهم واهتدت البيعة فى ايامة وصلح حال الشعب ودامت السلامة وقد كان اتصال الكلام وشرح ما جرى فى ايام دولة صلاح الدين قادتنا فيه الضرورة الى كمال سيرته فى ايام بطركية القديس الطاهر انبا مرقس وقد كان هذا الاب تنيح قبل وفات صلاح الدين باربع سنين وكان ينبغى ان يكون ما جرى فى هذه الاربع سنين الزايدة فى هذه السيرة وانما قادة الضرورة لايرادها هناك لاجل فتوحه واموره وحروبه كانت متصاله ببعضها بعض الى ان انفصلت بالهدنة والصلح لان بعدها توجه الى دمشق وتوفا كما تقدم شرحه الملك العزيز عثمان ولده وملك بعده ولده الملك العزيز عثمان ديار مصر واعمالها والبيت المقدس واعماله فى شهر ربيع الاول سنة تسع وثمانون وخمسماية الهلالية وقد كان صلاح الدين هادن الفرنج قبل وفاته فلم يغدروا به بعد موته ولا فسخوا الهدنة ولا تحرك منهم احد من مكانه ولما عادوا ملوك الفرنج الانكتار والامان والافرنس وغيرهم الى بلادهم ملكوا الكندهر على الساحل وكان رجل بطل شجاع قد جا من جملت المجاهدين لله من المغرب من خلف البحر ولاجل ذلك هدنة صلاح الدين معه ومع فرسان الساحل ولما ملك الملك العزيز وكانة الهدنة بين المسلمين والفرنج ولم يكن الاجناد مكار ولا سفر مدة سنين الهدنة مسكوا ايديهم عن بيع الغلة فبلغ القمح ماية وسبعون دينار المائة اردب وكان السعر لا يثبت على حال واحد بل يزيد عن هذه الجملة مدة اسبوع ثم رجع ينقص وكذلك ساير الحبوب اردب بدينار ودونه وجميع القطانى تضاعف اثمانها واقاموا الناس بديار مصر مكابدين الضر ثلث سنين ثم ان الملك العزيز جمع العسكر وسار من مصر الى دمشق فى الدفعة الاولة فى الخامس والعشرون من جمادى الاول سنة تسعين وخمس ماية الهلالية يريد ياخذها فلم يقدر عليها فعاد الى القاهرة فتبعة الملك العادل فاغلق الملك العزيز ابواب القاهرة فى وجهه فحاصره الملك العادل فيها شهور ثم مشى القاضى الفاضل بينهما فاصطلحا ودخل الملك العادل الى القاهرة واقام فيها اربعة اشهر ثم عاد الى دمشق ومعه الملك

العزيز فحاصروها. واخذوها من الملك للافضل على فتسلمها الملك العزيز ولما كان فى محرم سنة اربع وتسعين وخمس ماية تواصلت مراكب الفرنج الى عكا وفسخوا الهدنة فبادر اليهم الملك فى اول امرهم قبل ان يكثروا ويدخلوا الحصون فنزل على يافا وقاتلها ثلثة ايام ففتحها وقتل فيها خلق كثير وسبى اكثر مما قتل ثم تواصلت مراكب الفرنج وطلع منهم الى الساحل خلق كثير فمضى منهم عسكر كثير نزلوا على حصن المسلمين يسمى تنيس فكتب الملك العادل كتاب للكلك العزيز يعرفه بذلك ويطلب منه ان يسير اليه عسكر مصر فسار الملك العزيز الى الشام بالعسكر فى شهر ربيع الاول سنة اربع وتسعين وخمسماية نازل الافرنج وضيق عليهم وجا عليهم مطر وسيل كثير من الجبل وحجاره برد فرحلوا من تنيس بعد ان هلك منهم ومن دوابهم وقماشهم شى كثير جره السيل فى الماء فرحلوا ونزلوا حوالى مدينة صور وعكا وغيرها من مدن الفرنج وبقى الملك العادل والملك العزيز منازلهم بالعسكر فلما كان فى العشرة الاخيرة من جمادى الاخر سنة اربعة وتسعين وخمسماية عاد الملك العزيز ومعه بعض العسكر الى مصر وبقى الملك العادل منازلهم واقام يقاتلهم شهرين ثم هادنهم على البر دون البحر مدة ستة سنين ثم تركهم وتوجه الى دمشق لان الملك العزيز اوهبها له فدخلها وملكها واقام فيها بقية سنة اربع وتسعين وخمسماية ولما عاد الملك العزيز الى مصر اعدل على الرعية بديار مصر واحسن اليهم واستقام امره وانحلت الاسعار وابيع القمح الطيب اربعة ارادب بدينار والشعير والفول وساير الحبوب عشرة ارادب بدينار ولما كان المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية خرج الملك العزيز الى برية الفيوم يتصيد فوجد غزالة فتبعها وكان معه كلب من كلاب الصيد فلحق الحصان الذى تحته كلب الصيد وقد اكسر الغزالة فوطى الحصان بيده على ذنب الكلب فدار الكلب من تحت بطن الحصان وعض خصاه فنفر منه ورماه بنفسه الى الارض فوقع الملك العزيز من فوقه صار تحته وجا الحصان فوقه وانقلب عليه بالسرج فدخل القربوس فى صدره مع فواده فعاد الى القاهرة محمول وكان الاطباء يداووه فللم ينفع فيه دواء ومات ليلة الاحد ثانى وعشرين من المحرم [illegible] وقد كمل له فى ملكه خمسة سنين وعشرة

هور وعشرين يوما فسبحان الله الذى لا فنا لملكه ولا راد لحكمة وبه المستعان الملك
ناصر يوسف وملك بعده ولده يوسف وانعتوه نعت جده الملك الناصر وهو الملك الثالث
ن ذرية صلاح الدين وهو يوسف ابن يوسف ابن عثمان ابن يوسف ابن ايوب ملك ديار مصر
لساحل والبيت المقدس وما كان بيد اخوه غير ما كان بيد الافرنج من عكا وصور
غيرهما وكان جلوسه فى الملك يوم الاحد الثانى والعشرون من الحرم سنة خمس
تسعين وخمس ماسة وكانة بين الفرنج والمسلمين باقية فلم يتحرك احد مهم من مكانه
لا تحرك احد ايضا من ديار مصر ولا ضاع لاحد فى القاهرة ومصر شيا قيمته حبه
كان يوسف ابن الملك العزيز صغيرا لا يكمل لتدبير المملكة فجعلوا الملك المستمر حضر
انعتوه بالملك الظاهر نايبا عنه فى السلطنة فلم يكمل له شهرا واحدا فيها حتى وصل
لملك الافضل نور الدين على عمه من قلعة سلخد الى القاهره ودخل لها يوم الخميس
لسابع من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسماية الملك الافضل على فملك وامر
نهى ورفع وتصرف واقام الى سلخ رجب من السنة المذكورة ثم جمع العسكر وسار الى
مشق يطلب ياخذها من عمه فى مستهل شعبان من السنة المذكورة فوجل عمه الملك
العادل قد سبقه ودخل اليها قبل وصوله بيومين وقد حصنها بالرجال والعدد فلم يقدر
يدخلها فانفذ الى اخوه الملك الظاهر صاحب حلب وابن تقى الدين ومظفر الدين ابن زين
الدين وجمع عساكر الشام وعسكر مصر واقام محاصر عمه الملك العادل فى دمشق من
مستهل شعبان سنه خمس وتسعين وخمسماية الى سلخ صفر سنة ست وتسعين
وخمسماية الى سلخ صفر سنة ستة وتسعين وخمسماية اختفا الملك العادل فى دمشق
مدة خمس عشر يوما لم يبصره احدا من الناس وشاع الخبر عنه بانه خرج يدبر ديار
مصر فاجتمع الملك الافضل نور الدين على واخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب وتقى
الدين ومظفر الدين ابن زين الدين وتشاوروا فيما يعملوه فتقرر الراى منهم ان يعود
الملك الافضل نور الدين الى ديار مصر يحفظها وان حضر العادل اليه لحقوه بقيتهم
بالعساكر من خلفه ويكون هو بالعسكر من قدامه فيحصل فى الوسط فعاد الملك
الافضل الى ديار مصر ودخل مدينة بلبيس الى اليوم العشرين من ربيع الاول سنة ستة

وتسعين وخمس ماية واخلاها من النساء والقوام ولم يبقا فيها سوى الباعة والتجار وخرج اليه سيف الدين ازكج النايب عنه كان بمصر ومعه جماعة من الاجناد وبعد ايام يسيرة تواصلت الاخبار بان الملك العادل قد وصل الى قطية فاتفق رايه وراى سيف الدين ازكج على قتاله ومحاربته ورد جميع الثقل الى القاهرة وتوجه اليه بعسكر وخيل مجردة بغير ثقل وتحاربوا فى موضع يسمى الشامخ والعرابى وهما ميرلبان من منازل العرب فى يوم الثلثا الظهر الثامن من ربيع الاخر سنة ستة وتسعين وخمسماية فاكسر عسكر الملك العادل عسكر الملك الافضل واعطاه الله النصر فى ذلك اليوم فغتم اموالهم وامسك عن قتلهم ونجا الملك الافضل بنفسه ودخل الى القاهرة ولحقه من اصحابه من كان فرسه سابق فلما دخل الى القاهرة حصنها بالرجال والعدد فتبعه الملك العادل ونزل بعسكره على المطرية وارسل خيله الى معادى البحر ضبطوها حتى لا يعدى احد الاجناد اليه ينجده او يدخل القاهرة ثم احاط الملك العادل القاهرة بالعسكر فى نصف ربيع الخر سنة تاريخة وارسل الى كبار الامرآ الذى داخل القاهرة من الاسدية والصلاحية ومن جملتهم ماعرفناه فاسميناه وكثير منهم لم نعرفه والمشهور منهم سيف الدين ازكج وعلم الدين كرجى وغرس الدين يمن وسيف الدين سنقر الوادار وناصر الدين خضر ابن بهرام وبقية العسكر الذى داخل القاهرة مع الملك الافضل فاصلح قلوبهم فمالوا اليه ومسكوا نفوسهم عن قتاله وتركوا الملك الافضل وحده فى القاهرة فى نفر يسير من اصحابه وخرجوا جميعهم للملك العادل واصطلحوا معه وفتحوا له ابواب القاهرة فدخل اليها يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الاخر سنة ست وتسعين وخمسماية وحضر فيها صلاة الجمعة بجامعها فلما صح عند الملك الافضل صدر عسكر وامرا دولته خرج من القاهرة باكر يوم السبت السابع عشر من ربيع الاخر سنة تاريخة ومعه ثمانين جمل اموال واثاث وذكر من شهر خروجة انه لم يصحبه من عسكره واصحابه وامرا دولته سوى ضيا الدين اخو الفقيه عيسى ومماليكه نحو خمسة عشر فارسا ومع الافضل من مماليكه نحو من خمسة عشر فارسا يكون الجميع ثلاثين فارسا وتوجه الى [illegible] مقيم بها الى يوم نظم هذه السيرة فى سنة ثلث وستماية

الهلالية ومضى وقد انتزع منه الملك بديار مصر والبيت المقدس والساحل وغيرهم فيما بين الظهر والعصر يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الاخر سنة ستة وتسعين وخمسماية وهذا اليوم بعينه يكون اخر ايام ملك الملك الافضل واول يوم من ملك الملك العادل ديار مصر من السنة المذكورة فسبحان الله الدايم الملك دايم البقا يزيل ملوكا ويقيم ملوكا ويهب الحكمة للطفل الصغير الذى ليس لملكه فنا ولا لقدرته انتها جل وعلا سبحانه تعالى الملك العادل ابوابكر وكان دخوله القاهرة كما قلنا يوم الجمعة سادس عشر بيع الاخر سنة ستة وتسعين وخمس ماية وزعم قوم انه لم يدخل الى يوم الاثنين التاسع عشر منه ونزل فى الدار الوزارة واهتدى الحرب واطمانة الرعية وامنت الطرق وخرج الملك المستمر خضر مع اخوه الملك الاخوه على واقطع الملك العادل الملك المستمر خضر بلاد السواد من اعمال دمشق واستقر الملك العادل فى الملك بعد ان تقرر بينه وبين الاسدية والصلاحية وجميع العسكر ان يكون ولد الملك العزيز سلطان مصر وغيرها من ملك ابوه وجده ويكون الملك العادل مدبر الدولة حتى يبلغ اشده لان الملك العزيز استحلف الامرا والاجناد قبل وفاته ان ولده يكون سلطان على مصر من بعده وكان اسمه يوسف وانعتوه بالملك الناصر فابقاه الملك العادل على هذه الحالة شهر رجب من السنة المذكورة ثم سير عسكر الى دمشق مقدمه عز الدين اسامه واسد الدين سرا سنقر ومعهما جماعة كبيرة من الاجناد واحضروا ولده الكامل منها الى ديارمصر فسلطته عليها وحمل الفاشية قدامه وهذه هى سنة الملوك الفرس القديمة من ايام كسرى وسابور واردشير الملوك الاكاسرة وضرب اسمه على سكة الذهب والفضة المتعامل بها فى ديار مصر وامر الخطبا بالديار المصرية ان لا يرجع احد منها يذكر صلاح الدين ولا احد من اولاه على منبر بل يذكروا الخليفة اول والملك العادل ثانى وولده ولى عهده الملك الكامل ثالث ولا يذكر بعد ذلك سوى تمام الخطبة والدعا ثم الصلاة ووهب لخطبا الثغور والغربية والشرقية وقوص والمدن الكبار لكل خطيب خمسين دينار ثمن خلعه واستوزر رجلا من اهل دميرة القبلية يسمى عبد الله ابن على قاضيا عذلا من صباه حسن الوجه تام القامة فقيها عالم بحفظ القران ذو المعرفة بصناعة الكتابة وجمع الاموال من

وجوهها والحديث على الحسبانات والنظر فى ترجيه الارتفاعات فانعته بالقاضى صفى الدين واسماه الصاحب وسلم له الدولتين المصرية والشامية فنهض فيهما واستقل بهما حتى صار يستخدم ويصرف ويامر ينهى ولا ينعمل شيا فى صغيرة ولا كبيرة الا بعلمه وبثبوت خطه حتى صار الملك العادل لا ينفرد عنه بشى ولا يطلق ولا يمنع ولا يوقع فى شى الا برايه وقلمه وبلغ منه مالم يبلغه الصاحب ابن عباد وزير الخليفة ببغداد الذى سمى هذا باسمه وكان من قوم يعرفوا ببنى شكر وله اثار واخبار قد تداولتها الالسن وشاهدتها الاعين ولو تكلفنا شرحها حتى ندرك بعض ما كان منها بالديار الشاميه وفرغت الصحف ولم تفرغ وكلت الالسن والايدى ولم تغى واقر بها واعجبها ما جرى بديار مصر فى سنة سبع وتسعين وخمس ماية للهجرة فانه فيما كان خلفا الدولة المصرية وملوكها قد اطلقوه ووقعوا به من الصدقات لاهل الفاقات والرواتب للاقارب والاجانب مما تساوى فيه فى ايام دولتهم الفقرا والاقويا والاغنيا والضعفا لان معروفهم وخيرهم كان واصل الى كافة الناس وعداهم واولياهم فاشار هذا الوزير يقطع ذلك جميعة فقطع فمنع الله النيل فى تلك السنة ان يصعد على ارض مصر فشرقت جميعها من برج اسوان ال برج دمياط وكان مبلغ ما حصل منه فى المقياس فى تلك السنة ثلثة عشر ذراعا ثمانية اصابع فشرقت البلاد وخربت وهلكت الرعية وتفرقت وتشتت الخلايق وتمزقت ومضى خلق كثير من ديار مصر الى الشام باموالهم واولادهم فهلكوا واخدوهم العربان فى الطريق وماتوا بالبرد والجوع والقتل من العربان واخذ النفوس والاموال حتى كان الرجل منهم يموت ولده اواخوه او اعز الناس عنده فيتركه مطروحا ويروح ولا يقدر يقف حتى يدفنه فى الرمل بل ينجا بنفسه مع الناس ولا يلتفت الى وراه ولا ينقطع من رفيقه فيهلك واخبرنى من شاهد الخلق موتا رمم من باب بلبيس الى باب غزه هم ودوابهم ومواشيهم الواحد الى جانب الاخر وكانة ثلثة ضربات ضرب الله بها المصريين الغلا والجلا والوبا وذلك بنية سلطانهم ووزيره بلغ القمح بدينار الويبة مغربلة والخبز بنصف وربع درهم الرطل المصرى وبدرهمين وربع ورقا الرطل بالمحلى وال[illegible] والفول بعشرين درهم الويبة واما الحمص

والعدس والجلبان فكانوا قليل والذى يجد منهم شيا يشتريه بدرهمين وربع القدح وكان الترمس والبرسيم بدينارين الاردب ثم بلغ الترمس درهم القدح مبلول فباعوا الناس من الاثاث والقنايا والدور والجوار والعبيد مما قيمته دينا بدرهم وناس كثير باعوا بنيهم وبناتهم كالمماليك للخدمة واحتجوا بقولهم نبيعهم لمن يطعمهم الخبز فيعيشوا به اصلح من ان يموتوا بالجوع وكان الولد يخطف الخبز وغيره من يد ابوه ليحيى به نفسه والاب يخطف من ولده حتى يحيى نفسه واكلوا لحوم الميته من الحمير والبغال والخيل والكلاب والقطط وجميع الهوام والوحوش والطير الحى والميت وكانوا نساء مرضعات يعجزوا من الجوع عن الرضاعه فيرموا اولادهم فى جامع المحلة وغيرها من المدن فى جميع ديار مصر فيرموا الاطفال اولاد شهر وشهرين وثلثة وفوق ذالك فى الجوامع والمساجد والطرقات والاسواق بالليل فياتوا نساء اخر ورجال فياخذوهم فى اقمطتهم انهم يربوهم لله فياكلوهم وقوم يربوهم وكان كل يوم يصبح فى جامع المحلة منهم جماعة كبيرة فلا يجى المسا حتى ياخذوهم وكان الشرط يمسكوا نسا كثير ومعهم قدور يجدوا فيه اللحوم الناس صغار وكبار مطبوخين ومسلوقين ومشويين فبودوهم للولاة فيضربوهم وبعضهم يجدوه قد ذبح او قتل فيقتلوه وكانوا جماعة من الناس صبيان شباب يقفوا فى الاسواق الليل والنهار ويخطفوا مايشتروه الناس وجملة الامر انهم اكلوا بعضهم بعض وكان القوى يقوى على الضعيف فياكله ولم يبق احد يوارى احد التراب وهان الموته حتى صاروا مطروحين فى الشوارع والازقة والطرقات والكيمان ولا احد يبكى على احد ولا امراآة تندب ولا تنوح وانقلعت الحنه قلوب الناس وانقطع من الحياة الرجا وحصل الاياس وهلكت الناس وخربت المدن وخلت القرى لان اهل القرى انضووا الى المدن لطلب المعاش لانه لم يبق احد يعمل صنعة ولا يعمر عمارة وضعفت قوة الخلق من الجوع والموت وما بقى احد اذا طلب يقول لله كسره ولا لقمة بل يقول لله لبابه هذا كان قول من يطلب وكانوا كبار الناس بمصر والقاهرة من الاجناد والكتاب واهل الخير من المسلمين والنصارى يصدقوا على الفقرا ويعمل كل احد على قدر طاقته ولم تزل هذه الامور مستمرة سنة سبع وسنة ثمان ولما كان فى شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين

وخمسماية نظر الله جلت قدرته تلاف الخلق ورحمهم وانجلت الاسعار وابيع الخبز ثلثة ارطال بدرهم بالمصرى وبرطل المحله رطل بدرهم وفى ربيع الاخر ابيع برطل المصرى ستة بدرهم برطل المحلة رطلين بدرهم فتراجعت الناس قليلا قليل وبدوا يعمروا والقزازين والحيكه وارباب الصنايع بدوا يعملوا وفى سنة تسع ابيع الخبز بالمصرى احد عشر رطل بدرهم وبالمحلى اربعة ارطال بدرهم وتراخت الاسعار وامنت الطرقات وسافروا الناس فى البر والبحر بعد ان كانت الطرقات انقطعت وما كان احد يقدر يسافر وحده الا ياكلوه الغيلان الذى تغولوا من بنى ادم فاعوذ بالله من سخط الله وهذا ما انتهى الينا علمه وسطرنا هذه السيرة والاب البطرك رزقنا الله بركة صلاته حى فى شوال سنة ثلاثة وستماية الهلالية الموافقة للنصف من بشنس سنة ثلث وعشرين وتسعماية للشهدا الابرار صلواتهم تحفظنا واياكم وكتب معاى ابن ابوا المكارم ابن بركات ابن ابوا العلا بخطه لنفسه فمن ادرك نياحت الاب يوحنا وعرف شى تجدد فى ايامه فليذكره ويتم به سيرته والمجد للاب والابن والروح القدس الاله الواحد وفى ايام هذا الاب انتهى اليه ان قسيس من اهل البشمور سكن مدينة الاسكندرية وكانوا كهنتها يحلفوا عليه يقدس فى كنايسها واقام على ذالك حينا وزمانا فحضر رجل يعرفه من اهل بلده الى الاب البطرك انبا يوحنا واعلمه ان القسيس المذكور توفت زوجته وتزوج ثانيه وانه تعدى قانون الكهنوت فصعب ذالك عليه جدا ومنع القس المذكور واغلق الكنايس بالاسكندرية وكتب الى الكهنة كتابا صعب وطلعوا له الى مصر فاغلظ عليهم وعظم ذالك عندهم جدا فسالوه وثقلوا عليه باراخنة مصر حتى صفح عنهم وتقدم لهم أن لا يرجع غريب يتصرف عندهم واخذ خطوطهم بذالك واستمر ذالك فى جميع ايامه ولما فسح الله جلت قدرته وعظمته لاخوكم المهتم بهذه السيرة المقدسة الذى اجهد نفسه فى طلبها من كل مكان وجمعها وكتبها بخطه لنفسه فى الحياة ادرك فى ايام هذا الاب الجليل قضية جرت فى ايامه وقد ذكر بعض ابهاتنا من الشيوخ انه كان جرى مثلها فى ايام من تقدمه من البطاركة رزقنا الله واياكم صلواتهم المقبولة مصطفيين من الله [illegible] رسل ملك الحبشة والنوبة قد وردوا عليه

بكتاب الملك يلتمسوا منه ان يقسم لهم مطران لكون المطران الذى كان عندهم قد تنيح
ومن عادة الملك انه اذا ارسل رسل الى البطرك يسير معهم هدية جليلة لسلطان مصر
وكتاب اليه بان يتقدم للبطرك بقسمة المطران فلما وردت الرسل الى البطرك أقاموا
عنده نحو من ثلثة اشهر وهو يرسل تلاميذه الى الديارات بوادى هبيب وغيره يتامل
هلى عنده بمصر والقاهرة من يصلح للمطرنة فلم يجد أحد وضجروا الرسل من طول
مقامهم عنده وعزموا على ان يعرفوا السلطان قصة حالهم وكان ملك ديار مصر للملوك
الغز والملك فى ذالك الوقت العادل ابوابكر ابن ايوب وكان فى ذلك الزمان قد احتوى
على ملك مصر والبيت المقدس وجميع الساحل ما خلا عكا وصور وبعض القلاع والقرى
التى كانة باقية للفرنج وكان فى ملكه ايضا دمشق واعمالها ومن خلف نهر الفرات
وحران ومنبج ونصيبين والرها وعدة اماكن وقرى لم تعرف اسمايها وكان ملكا عادلا
حريزاً قويا كثير الغزاة فى الفرنج والمسلمين وفتح مدنا وقرى وكان له نحو من خمسة
عشر ولد ويكون عدة عسكره عشرة الف طواشى وقرا غلام ومماليك نزل اشتراهم بماله
فلما ورد اليه الكتاب من ملك الحبشة كما قلنا بديا بان يتقدم للبطرك بقسمة مطران
ويسيره مع رسل الملك تقدم له بذلك وطال مقام الرسل عنده ولم يجد احد ونظر انه ان
زاد مقامهم شكوا فاصرف قلبه للفكره فى الاساقفة لما لم يجد من الرهبان والعلمانيين
من وافق مراده فاتفق رايه مع من يحضرته من الاصحاب والاراخنة والكهنة على رجل
يسمى كيل ابن الملبس من اهل طوخ موثر من اعمال الغربية كان قد اقسمه أسقفا على
مدينة فوه وكان بتولا عالما بالعتيقة والحديثة بشوش الوجه طويل القامة اكحل العينين
اسمر اللون بحمرة حسن المنظر جدا فى فاه لدغه كاملا فى أعضايه وعلمه فاخذه وقسمه
مطرانا وسيره مع رسل الملك واخبر من كان سار معه وعاد ان الملك لقيه من سيرة ثلثة
ايام من المدينة بالخلع والكرامات ومعه كهنة وأساقفة وعسكر عظيم وخلق كثير لما
وصل الى مدينة الملك خرج كلمن فيها تلقوه وعملوا على راسه مظلة منسوجة بالذهب
مكللة بالجواهر وفرحوا به فرحاً عظيما ولما قدس اول قداس نثروا عليه ذهبا كثيرا
وا[illegible] جدا وانزلوه فى دار المطرانة واقاموا له

عشرت قسوس لخدمته وحفظ ما يكون من جراية المطرنة من الذهب والفضة والثياب وكتب الكنيسة وخزاين اخر ومخازن يكون فيهم حاجات المطبخ للطعام والقمح والحبوب وحمل اليه الملك والامرآ معه خيل كثير وبغال لركوبه وخدمته عبيد وجوار وكانت البلاد قد انقطع عنها المطر فلما وصل وقدس قبل الله صلاته وانزل المطر فازداد به فرحهم وخافوا منه ووقروه وصار الملك يركب فى كل وقت الى داره وعظم قدره عندهم واقام عندهم على هذه القضية اربع سنين ولما كان فى السنة الخامسة تواصل خبره الى الاب البطرك انبا يوانس انه فارق مدينة الملك وخرج منها متوجه الى مصر الى القلاية البطركية فصعب ذلك على الاب البطرك ولم يزل منقسم الفكر مشغول القلب بسببه الى ان وصل الى مصر وحضر بين يديه فساله عن السبب الموجب لعودته فذكر ان للملكة زوجة الملك اخ اسمه خيرون وانها لم تزل تلج عليه تثقل عليه وتتشفع عنده بالملك الى ان اقسمه اسقف على مدينة الملك فلما اقسمه صار يركب بالمظلة مثل المطران وحاز الكهنة اليه وصار يحكم بين الناس ويمنع الناس من الرواح الى دار المطران ولا يسلموا عليه ولا يطيعوه فى شى وكان الملك قد خرج من مدينته بعسكره لمحاربة اعداه فعمل خيرون فى الحيلة على قتل المطران وتعب عليه قوم من عنده تسلقوا الى دار المطران بالليل ليقتلوه فهرب منهم فتبعه نحو من خمس مساية نفس اصحاب المطران وعبيد كان اشتراهم ووكلا غيرهم لبلاد قلاية المطران وعدتها على ما ذكر اربعين قرية فلما خرج من مدينة الملك وسار عنها راجعا الى مصر مدة ثلثة ايام امر الكهنة والقوم الذين ودعوا بالرجوع فرجعوا وصحبه جماعة منهم نحو مساية رجل فهلكوا فى الطريق بالجوع والعطش لانهم لما خرجوا من بلاد الملك وقعوا فى بلاد غيره من الملوك الكفار فقاسوا منهم شدة عظيمة وكانوا يمنعوهم العبور على بلادهم الى ان ياخذوا منهم الذهب وغيره فلم يصل المطران الى مصر الا فقيرا وقد هلك ما كان معه من مال ونفوس ووصل معه من الجميع عبدين وجارية وقط زيدة وهلك الباقى فلما اخبر البطرك بما قدمنا ذكره ان يقيم ببعض كنايس القاهرة حتى يكتب للملك كتابا يستفهم صحة ما ذكره المطران فمضى المطران الى القاهرة واقام فى كنيسة حارة زويلة عند قوم

من الاراخنة يقال لهم اولاد جمال الكفاه وكتب الاب البطرك الى الملك كتابا وسيره على يد القس موسى ومعه تلميذ من تلاميذه فغاب عنه رواح ومجى مدة سنة ثم عاد الجواب من الملك وهو يقول عن المطران انه قتل قسيس كبير فى طقسه مقدم العشرة قسا الذى برسم حفظ خزانة المطرنة وسبب ذالك انه اتهمه انه قد اخذ قضيب ذهب من خزانة المطرنة فبطحه وامر عبيده بضربه فضربوه قدامه بغير رحمة وهو يامرهم بضربه حتى اسلم روحه وسالوه جماعة من الكهنة فيه فلم يقبل فيه سوال وان اهل القسيس الذى قتله هم الذين كانوا يتسلقون عليه ليقتلوه عوض قتله صاحبهم واما خيرون الذى اقسمه المطران اسقفا ذكروا الرسل انه مات بعد خروج المطران من البلاد بشهرين ولم يمطر مطرا فى تلك السنة فى بلادهم ولذلك انفذوا الرسل بطلب مطران غيره وانه بنا فى المدينة التى للملك دار وغرس فيها اشجار واجرى فيها مياه تتخرق فى مجالها وانفق فيها مال كثير وبيضها وعمل لها دهاليز طوال يتعب الذى يدخلها قبل ان يصل الى قاعها وعلاها وحصنها وسماها القصر وكان يحتجب فيها عن الناس لا يخرج الا من يوم الاحد الى يوم الاحد يركب الى الكنيسة بغلة عالية والمظلة على راسه وحوله وخلفه فرسان ورجاله نحو خمس ماية رجل غير الكهنة والشعب الذى يتبعوه الى الكنيسة ويبدل اذا طلع الهيكل ثياب منسوجة بالذهب مكللة تساوى مال كثير وذكر عنه كلام كثير لم اقف عليه وهذا بعض ما سمعته من جملت الكتاب الواصل الى البطرك ووصل صحبة القس موسى رسل الملك وصحبتهم هذية جليلة وتاج ذهب للبطرك وهدية جليلة للسلطان ومن جملتها وحوش وهم فيل وسبع وزراف وحمار وحش وكان يوم وصولهم فرح عظيم عند البطرك وكان الملك العادل سلطان ديار مصر فى تلك السنة وهى سنة ست وستماية الهلالية الموافقة لسنة ست وعشرون وتسعماية للشهدا الابرار غايبا فى الغزاة على مدينة سنجار ومحاصرها بجنوده وولده الملك الكامل نايبه فى ديار مصر فاخذ البطرك الرسل والهدايا الواصلة معهم له وللسلطان حمل الجميع له فاستحسن التاج وقال ما كنت اظن ان عندهم من يعمل هذا فقال له الرسول يامولاى الملك نعرف اتضاع البطرك وانه ما يلبسه ولو علم انه يلبسه ويجلس به كان يكلله بجواهر يكون

قيمتها خراج ديار مصر جميعها فتعجب الملك الكامل من كلامه وساله عن الملك وعسكره وحروبة فاخرج اليه الرسول كتابا من الملك للسلطان وقال له اذا قرات كتابه عرفت كيف هو وكيف عسكره فلما قرى كتاب الملك وجد من جملته يقول للسلطان تتقدم الى الاب البطرك الكبير العظيم الجليل ويصف فضايل البطرك ويقول ان جميع الملوك وجميع الدنيا ويقول للسلطان ومملكتك اليها الملك محفوظين بصلواته فاحفظه واكرمه وتقدم له بان يقسم لنا مطران غير المطران الذى كان عندنا ولا يعيده لنا البته فلما وقف الملك الكامل على كتاب الملك تقدم للبطرك بان يقسم لهم مطران غيره سرعة ولا يعوقهم عنده ثم التفت الى الرسول وقال له قد قرات كتاب ملكك وهو رجلا عاقل هات عرفنى قولك لى اذا قرات كتابه عرفت من هو قال له الرسول لواخذة اصف لك فضايله وعساكره وحروبه وتاييد الله له ونصره أياه على اعداه لطال الوصف ولكن اختصر لك على اليسير لتعلم منه الكثير انى قبل صفرى بيوم واحد اعرض الملك عسكر امير واحد من الامرا وانا واقف فى ركابه فكانة عدته ستين الف فارس غير من يتبعهم من غلمانهم وحواشيهم فتبسم الملك الكامل من قوله وامر بتسليم الهدية وقال للبطرك خذ هديتك كيف يكون الملك يخصك بشى تحمله الينا فحلف ما ياخذها واقسم عليه بحياة والده الملك العادل ان يقبلها فقبلها وامر بنجا رجال الرسل وان يقسم لهم مطران ولا يعوقهم فخرج من حضرة الملك الكامل وعاد الى مصر واحضر كهنة مصر والقاهرة وارخنتها وجمع مجمع عظيم وتسامعوا المسلمين بالقاهرة ما جرى للبطرك مع الملك الكامل وانه طلع الى مصر يقسم مطران فاستاجروا كل دابة من باب زويلة وغيره من الابواب وطلعوا الى مصر وبلغ اجرة الحمار من القاهرة الى مصر ثلثة دراهم حتى طلعوا يتفرجوا فلما امتلت كنيسة المعلقة من الخلق نصارى ومسلمين وقفها واخلا الناس من الفريقين احضر البطرك كبيل ابن الملبس المطران القديم وخلعه من المطرنة وضجر عليه وابعده وكان لما وصل رسول الملك قد حصل اخوين رهبان من دير انبا اندونه وسلمهما للتلاميذ وكانا على غاية من الصلاح والنسك الزهد فى الدنيا والوحيدة والانفراد عن الرهبان فى ديرهم وملازمة الصلاة الليل والنهار والاتضاع

وخدمة اخوتهم بلا ضجر ولا ملل احدهما اعلم من الاخر يشهد بصلاحهما جميع من يعرفهما واسماهما اسحق ويوسف من أهل البشطمير فقسم اسحق وهو الصغير مطرانا وقسم يوسف وهو الكبير قسا وسيره معه وذالك فى يوم الاحد الثانى من الصوم الكبير المقدس حادى عشر من برمهات سنة ستة وعشرين وتسعماية للشهدا الابرار الموافق للتاسع من شهر رمضان المبارك سنة شتة وستماية الهلالية فما كييل ابن الملبس المطران المقطوع فانه نزل من كنيسة المعلقة بخجل عظيم وهو يصرخ ويحتوا التراب على راسه ومضى الى حال سبيله وقد عدم المطرنة والاسقفية بسو تدبيره واما المطران الجديد واخوه القس فاخذوهم رسل الملك وتوجهوا بهم بكرامة وسلام الى مدينة عرفه مدينة الملك الذى اقسم المطران عليها وعلى جميع الحبشة ويوسف اخو المطران قسيسا وكان اسم الملك فى ذلك الزمان لاليله ابن شنوده وتفسيره الاسد واسم امراته مسقل كبرى الذى تفسيره عظيم هو الصليب وجنس الملك قبيلة يقال لها النكبة وسكنه مدينة عرفة وله ولدين اسم الكبير يبارك والصغير ابياب ولما كان نهار يوم الاثنين الرابع عشر من بشنس سنة سبع وعشرين وتسع ماية للشهدا الاطهار الموافق للرابع والعشرون من ذو القعدة سنة سبع وست ماية وصل الى دمياط ثمانية عشر مركبا من الافرنج عدو حربية فنزلوا على دير ارميا الدى للملكيين قرب من دمياط مقدار فرسخ من ناحيت الشط الغربى شط بورة الحيرة وكان من جملة المراكب بسطة كبيرة عمارتها الف رجل بحرية ومقاتلة وطريدتين لحمل الخيل فى كل طريدة خمسون فارسا وسبع شوانى وثمان حراقات عمروا من عكا وخرجوا منها نزلوا على الدير المذكور وكان مقدمهم ومدبرهم رجل يقال له الكندافلنك وطلع من المراكب المائة فارس والف رجل اقتسموا نصفين خمسون فارسا وخمس مائة رجل مضوا الى الحيرة قتلوا واسروا من اهلها الرجال والنساء ونهبوها واحرقوها بالنار وخمسون فارسا وخمس ماية مضوا الى بورة قتلوا واسروا منها الرجال والنساء ونهبوا منها متاع كثير شرب قطع مثمنة من جملتها للسلطان بخمسة الف دينار ولرجل قاضى يقال له على ذكروا انه له سنتين مقيم فيها يستعمل ويشد شدات قالوا بعشرة الف دينار وقالوا اكثر منها واما اهل البلد فما عرف مقدار ماخذوه لهم من شدات متاع

واكياس مملوه دنانير على اوساط نساهم ومن جملتهم زوجت القاضى على قاضى بورة كان على وسطها كيس الف دينار ولما نهبوا البلد وقتلوا واسروا من قدروا عليه احرقوا بعضها بالنار كل ذالك يوم الاثنين واخرجوا من المراكب خيام ضربوها قدام مراكبهم على البر منهم خيمة حمرة للملك الذى معهم واقاموا ينهبوا ويقتلوا وياسروا كلمن وجدوه يوم الاثنين ويوم الثلثا والاربعا وفى هذه المدة لم يخرج اليهم عسكر ولا قاتلهم احد لان عسكر مصر كان بالشام مع الملك العادل ولم يجسر جلدك والى دمياط يعدى اليهم يقاتلهم لقلة اجناده بل اغلق ابواب دمياط وعمر السور باهل البلد واجناده وكان على دمياط ثمنية شوانى اصطول مع الريس منصور فلم يخرج اليهم ولا قاتلهم ولما لم يروا احد يقاتلهم طمعوا وعلموا ان ما فى البلد من يمنعهم عدوا بعضهم فى الحراقات الى بردمياط فقاتلوه فلم يقدروا منها على شى فعادوا الى مراكبهم وطاب لهم الريح فعادوا الى بلادهم بكسبهم وقد كان العدو ايضا طرق ديار مصر فى ايام هذا الاب دفعة اخرى من ناحيت فم رشيذ وفعل فيها وفى فوه فى الحيرة وبورة هذه دفعتين ينجح العدو فيها ويكسب من اطراف البلاد ويعود سالما والامر لله سبحانه ما شا فعل وبعد هذه الامور عاد السلطان الى ديار مصر فى سنة ثمان وستماية واقام بها ولما كان فى شهر رجب سنة تسع وستماية خرج يتصيد فى الجيرة ومعه ولده الملك الكامل وسار فى الحاجز الى الاسكندرية ودخل اليها وكشف اسوارها ورتب احوالها وخرج منها بعد ان اقام بها عشرين يوما عدى بر الغربية وشق بلادها وكشف جسورها وعدى منها الى البر الشرقى مضى الى دمياط وكشف اسوارها وقلاعها وابراجها واخلع على البنايين والمهندسين ومضى الى اشمون نزل عليها فجا اليه ولده المعظم واعلمه انه طلب ياخذ قلعة كوكب من عز الدين اسامة لانه اشتراها من المملوك الذى فيها لاسامة بعشرة الف دينار وتقرر ان يسلمها له فطلع مملوك اسامة الذى فى القلعة زوجته على القضية وقال لها ناخذ هذا المال الكثير نعيش فيه ونشترى به ضياع واملاك وقد حلف لى المعظم انه ما يخرجنى منها وان يكون حكمى عليها وعلى غيرها من قلاعه ويدفع لى بوق وعلم واكو[illegible] افعل ما تريد وكانة تعرف تكتب

فقامت من ساعتها وكتبت لابن اسامة وكان مقيم فى قلعة صفد تعرفه القضية وتقول له اسرع واسبق الى القلعة والا المعظم يسبقك اليها فقام عند وقوفه على كتابها وسبق طلع الى القلعة واخذ المملوك قيده ورماه فى الجب الذى فيها وفى صبيحة اليوم الثانى جاء المعظم اليها فسلم عليه ابن سامة من فوقها وقال له ارى مولانا شرفنا بعبوره فى ارضنا فقال له المعظم اريد الصيد قال له ابن اسامة قد فتك فضحك منه وثم على فوره الى مصر حتى اجتمع بابوه واعلمه بالقضية ولما بلغ عز الدين اسامة ما جرا من المعظم اخذ عسكره وذكروا العوام انه سار معه ثلثة امرا اخر وانه سار فى نحو الفى فارس الى الشام وقال قوم انه يمضى الى قلاعه وقال قوم انه يمضى الى حلب للملك الظاهر وذالك فى شهر شعبان سنة تسع وستماية وذكروا ان الملك الكامل سار فى تبعه بعسكر ومنجنيقات لمحاصرته فى قلاعه ولما تحقق الملك العادل سفره سار من اشموم ونزل العباسة ونادى على الاجناد ان يجهزوا بركهم لسفر الشام وسار اسامة مع العرب فغدروا به وسلموه للملك المعظم فسلمه لابوه الملك العادل وقد كان الملك العادل سار فى طلبه كما تقدم قولنا فلما اظفره الله به مضى الى قلعة كوكب ونزل عليها وحاصرها فسلمها مملوك اسامة الذى فيها فتسلمها وحمل جميع ما فيها من المال والغلال والسلاح الى غيرها وهدمها وحمل حجارتها الى غيرها وهى قلعة جبل النطرون واعمرها به وترجه الى دمشق فى سنة تسع وستماية بعد ان اخذ اسامة وتسلم بقية قلاعه وهم قلعة صفد وقلعة عجلون وغيرهما مما لا نعرفه وقد اختلف القول فى امر اسامة فقوم يقولون قتله وقوم يقولوا اعتقله فى الكرك وبعد هذه الخطوب اسلم راهب من دير ابو مقار من قلاية البتريرخس اسمه يوحنا على يد الملك الكامل فدفع له حسبة منية غمر واقام فيها ثلثة سنين محتسب ويصلى مع المسلمين فى الجامع بها والمساجد وبعد ذالك ذكر دينه ورهبانيته فندم فاشترى شقة خام ومنديل واخذهم ومضى ووقف للملك الكامل وقال له هولاء كفنى اما تقتلنى او ترد لى دينى فوقع له توقيع حسن الى كافة الولاة بان يرد له دينه ولبس ثياب الرهبنة وتظاهر بدين النصرانية واقام على ذالك [illegible] من اهل الصعيد ثم ذكر دينه فندم فاخذ

كفنه ووقف للملك العادل قبل سفره الى دمشق وقال له ترد على دينى كما رد ابنك الملك الكامل على الراهب دينه ووقع له ان لا يعترضه احد فلما سمع الملك العادل كلامه امر ان يسلم لوالى القاهرة وان يبسط عليه العقوبة الى ان يموت او يجدد اسلامه فاسلم ثانية ولم يصبر للعقوبة وسير الملك العادل من ساعته مملوك الى دير ابو مقار وامره ان ياخذ يوحنا فان اسلم والا ياخذ راسه يحضرها له فمضى المملوك الى الدير واخذه وقال له اختار ما تريد اما الاسلام او الموت فاسلم وخرج من الدير مع المملوك وجابه للسلطان الملك العادل فجدد اسلامه على يده واعاده الى حسبة منية غمر واقام فيها بعد سفر السلطان زمانا ثم حضر الى الملك الكامل وقال ان الرهبان حفروا بير فى دير ابو مقار فوجدوا فيها مطلب واوانى ومصاغ كثير وكانوا الرهبان جابوا مسلم بنا لهم البير وهو الذى حفره وكان قصد الراهب يوحنا ان ياخذ الملك الكامل جميع اوانى الديارات اذا تم له اخذ اوانى دير ابو مقار فاظهر السيد المسيح فضايل القديس ابو مقار ودر هذا الفاجر عن محبيه وقديسيه حقيرا مهانا لم يظفر بمقصوده وذالك انه قال للملك الكامل انه مطلب من عهد الروم وكان قوله ذالك تدبير من الله لتكذيبه وسبب السلامة فندب الملك الكامل معه ثلثة من المماليك ومعهم شهود وساروا الى الدير فى جماعة كبيرة ولم يكن الفاجر يعرف موضع الاوانى لانها مخفية تحت الارض لا يعرف موضعها الا مقدم الدير او رجل اخر من ثقات الشيوخ فمسك يوحنا جماعة من الرهبان كان فى قلبه منهم حسد فعاقبهم فلما علم مقدم الدير ان توانا فى اظهار الاوانى تسلط على الرهبان بالعقوبة واخرجهم من اديانهم بادر وحضر بين يدى الشهود قال لهم وللاجناد الذى معهم ان هذا الرجل نقل للسلطان الكذب وغير الحق ظنا منه ان يوافقه على ظلمه وليس عندنا من الاوانى الا كاس فضة او صنية فضة او ستر حرير تكسى به الهيكل وقت القربان وجميعهم برسم القربان اهتموا بهم النصارى وانفذوهم وكل واحد منهم اسمه مكتوب على ما عمله فقالوا له الشهود اذا صح ما قلته فان الملك الكامل عادل خلد الله ملكه ومن عدله ان لا ياخذ منها شيا فطيب قلبك وقلوب اصحابك واحضرها [illegible] فيما حكاه عنكم اذا قرى ما عليها من

الكتوب وكان هذا بتدبير الله جرى فقام مقدم الدير بين يدى الشهود وفتح الموضع واخرج الاوانى فاثبتوها الشهود جميعا فى الاوراق وحملوها الى القاهرة واحضروها بين يدى الملك الكامل فقراها جميعها وكان جملتها ساقية لطيفة بلور صنعة عجيبة وشبكة لولو فاحضر الملك عرفا الصاغة والبرازين وقوموا المصاغ والستور الحرير وجميع الانية فذكر من حضراتها قومت بثلثة الف دينا على حكم الاختصار وربما تميز بازيد من ذالك فاحضر الملك الكامل البطرك انبا يوانس فسلم له جميع الاوانى بعد ان كان قال ابصروا رجلا نصرانى واسلم واخذ دين الاسلام بقبول وهو مشهور فيه بثقة وديانة وامانة يقرا لنا ما هو مكتوب على هذه الاوانى فاحضروا رجلا من اهل الاسكندرية اسمه بطرس ابن يوحنا كان شماس ببيعة السيدة بها واسلم فقرى للملك الكامل القبطى الذى على الكاسات والصوانى والصلبان والملاعق اسم كل من عمل شيا عليه فعجب الملك الكامل من ذالك وامر ان يستحلف بثلثة شيوخ من الرهبان ان هذه الانية لم توجد فى بير فحلفوا واحضروا البنآ الذى حفر لهم البير وبناها وكان رجلا مسلم مشهد بين يدى السلطان انه الذى حفر البير وبناها ولم يكن فيها شيا فصدقه السلطان فعند ذلك قال الحكيم ابو شاكر للملك الكامل يا مولانا قد كان رفع للملك الناصر صلاح الدين رحمه الله فى هذه الانية واحضرها وعلم كدب الرافع واعادها الى ديرها فعند ذالك اعادها الملك الكامل وامر بتسليمها البطرك فاخذها وجعلها فى اطباق على رووس الحمّالين واشترى شمع كثير ودار بها جميع شوارع القاهرة واسواقها وحولها خلق كثير من النصارى وطلع بها الى مصر وطاف شوارعها واسواقها والنصارى تصرخ بالدعا للسلطان وكان يوم مشهور عظيم جدا وصعب على الشاميين بمصر دوران الصلبان فى اسواقها وشوارعها ولكن لم يجسر احد يتكلم ولا يمد يده من هيبة الملك الكامل خلد الله ايامه وبعد ذلك جا راهب من دير ابو مقار من قلاية سكسيك كتب له رقعة فى البطرك يقول فيها ان البطرك فى كل سنة يحمل اليه مال كثير من الاساقفة وقد كانوا البطاركة الذى قبله جرت عادتهم ان ينفقوا فى مراكب الاسطول من اموالهم فاخذ فقضى [illegible] اعرضها على الملك الكامل فقال للقاضى

الاعز يا قاضى اذا كان غيرنا ظالما ما تكون نحن مثله دع هذا الراهب يمضى الى ديره حتى نطلبه فخرج اليه القاضى الاعز وقال له ما قاله الملك الكامل فمضى بوجه مجزى وحرس الله الاب البطرك من كيده وجرى فى ايام حياة هذا الاب من الامور الصعبة الحروب والجلا ما قدمنا ذكره ولو ذكرناه ما جرى فى ايام رياسته بجميع الديارات المصرية لم تبلغ ذالك ولا وصلنا اليه وانما ضمنا هذه السيرة ما نقلناه ممن تقدمنا من اسلافنا وما وصل الى علمنا بسماع الاخبار من ثقات شيوخنا الى مدينة المحلة بحكم سكننا فيها ومقامنا بها وقد نشر غيرنا من اخوتنا المومنين المقيمين بالقاهرة ومصر مما شاهده حقا وعلموه يقينا ثم تنيح الاب المغبوط انبا يوانس المذكور يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان سنة اثنى عشر وستماية الموافق للثانى عشر من طوبة سنة اثنين وثلثين وتسع مايه للشهدا الاطهار صلواته تحفظنا امين وكان هذا الاب البطرك قد سمع وهو حى ان انبا زخارياس البطرك لما تنيح امر ان يدفن جسده المقدس فى الحبس تحت قبر زخارياس البطرك فدفن فى مقبرة الحبس بمثروهما الى يوم تسطير هذه السيرة والسلام والمجد لله دايما ابديا سرمديا امين .

انبا يوانس البطرك

وهو من العدد الرابع والسبعون

نبتدى بمعونته وحسن تاييده بشرح ما جرى على اقليم مصر وما اصاب الشعوب المومنين بالمسيح المقيمين فيه من برج دمياط الى برج اسوان بعد وفات الاب المغبوط البكر الطاهر انبا يوانس البطرك نيح الله نفسه مع الابرار .

انا اذكر ما وصل الى علمى فيها فى المواضع الذى انتهى اليها فى هذه السيرة ومدة مقام الكرسى بغير بطرك كما تنبا بذالك انبا يوانس ولما طال الزمان خفت ان اموت ولم اشرح ذالك وقد امهلنى الله حتى سمعته وعلمت وابصرة فاكون كانى قد منعت نفسى تذكار رحمة الله وبخلت على غيرى بها فقدمت خيرة الله وسالته المعونة لى [illegible] انه على كل شى قادر وقد كنت ذكرة فى

اخر سيرة انبا يوانس البطرك انه تنيح يوم الجمعة الثانى عشر من طوبه سنة تسع ماية اثنين وثلثين للشهدا الاطهار الموافق للسادس عشر من رمضان سنة اثنى عشر وستماية وابتديت انا فى كتابة هذه السيرة يوم الاثنين السابع عشر من برموده سنة سبع وثلثين وتسع ماية الموافق للثامن عشر من صفر سنة ثمان عشر وستماية يكون مقام الكرسى خال بغير بطرك الى هذا التاريخ خمس سنين وثلثة اشهر وما زاد على ذالك يضاف اليه عند قسمة البطرك الذى يقيمه السيد المسيح لرعاية شعبه كما تنبا القديس انبا يوانس البطرك كذالك كان والدى بلغنى ممن كان حاضر عند انبا يوانيس يوم نياحه من شيوخ مصر قبل موته بيوم واحد انه غشى عليه نحو ثلثة ساعات ثم فيح عيناه وتحدث مع الحاضرين عنده وسالهم عن منصور تلميذه وكان مريضا فقالوا له مات فقال كفنوه وادفنوه فانا اغدا اكون عنده ثم غشى عليه دفعة ثانية ثم فتح عينيه وقال للحاضرين عنده يكو بينكم بعدى خلاف عظيم فيمن تقيموه ويكون الكرسى بلا بطرك زمانا طويلا حتى يقيم لكم المسيح رجل ياتى به من حيث لا تعرفون وتكون ايامه هادية وروح الله تكون عيه ثم تنيح ثاني يوم ودفن فى الحبس بمصر الى جانب قبر زخاياس البطرك كان وبقى الكرسى خال بغير بطرك من يوم نياحته الى يوم تسطير هذه السيرة كما تقدم القول وكان ذلك بامر الله كما تنبا به عليه الاب انبا يوانس بروح القدس المتكلم من فاه الطاهر ونشرح ها هنا ماجرى من الخلف بين المصريين فى من يقيموه بطركا ممن يصلح كامل الاوصاف والشروط الذى يشهد بها قانون البطركيه اولها ان يكون بتولا لا يعرف له صبوه ولا يشهد عليه بخلطة مشهودا له بالعفة والديانة وكثرة الامانه والعلم والاتضاع قد قرى العتيقة الحديثة وكانوا مجتهدين فى طلب من هذه صفته وكانة ديار مصر فى مملكة الغز والملك عليها الملك العادل ابو بكر ابن ايوب وكان فى ملكه ديار مصر واعمالها والبيت المقدس واعماله ومن خلف نهر الفراة حران والرها ونصيبين ومنيج فامدوميا فارقين وكل اعمالهم وكان له اولاد كثير فدفع ملك ارض مصر لولده الكامل واسمه محمد ودفع دمشق والبيت المقدس لولده المعظم واسمه عيسى الكريدى ودفع خلاط لولده الاشرف موسى وفرق المدن التى تضاف اليهم على

بقية اولاده وقبل عنه ان له عشرين ولد ودفع اليمن لاقسيس ولد ولده الملك الكامل ثم مات بعد ان رتب الامور وسنذكر ذالك فى موضعه ان بلغنا الانتها اليه وكان الملك الكامل ملك مصر قد خرج من القاهرة يريد الفرجة والصيد فعدى الى الغربية وسار فيها يريد الاسكندرية فعدى بحر ابيار فراى صومعة الحبيس الذى هناك فوقف تحتها وصاح له فكلمة من فوقها ودعا له فشكا له وجع فى فواده فصلى له على زيت طيب ودبفعه له وقال له اذا دهنت موضع الوجع والله الشافى فدهن به الوجع فبرى لوقته فوهبه شى من يده وصار له فى قلبه مودة ثم عاد الى القاهرة فوجد رجل من اولاد القبط أسمه ابو الفتوح ونعته نشو الخلافة يعرف بابن المقياظ قد أستخدمه الملك العادل فى ديوان الجيوش فضربه منه وكان يصدق بكلما يملكه ولا يدخر شيا ويعمل خيرا مع كلمن يقصده من النصاره والمسلمين وجميع الناس ولم يكن متزوج قط وهو كامل بكل عمل حسن فاوى اليه رجل قس اسمه داوود ويعرف بابن لقلق من اهل الفيوم وهو خيرا عالما قد قرى العتيقة والحديثة وجادل مخالفي دينه وظهر عليهم فصار لنشو الخلافة ابو الفتوح كالمعلم وكان يقول بالاعتراف فاما ابو الفتوح اليه فاتصل خبره بالاب انبا يوانس فى حياته وكان يكره القس داوود وكره ابو الفتوح من اجل انه مقيم عنده ومات وهو غير راضى عليهما وكان لما مات مطران الحبشة فى حياة انبا يوانس وجا رسولهم يطلب قسمة مطران فسمع القس داوود بذالك فحمل للملك العادل مايتى دينار على انه يامر البطرك كان يقسمه مطران لحبشة فسير السلطان رسول للبطرك يامره ان يقسمه مطران للحبشة فقال البطرك لرسول الملك قول لمولانا السلطان ان هذا ما يصلح لان امانته بالله فاسدة لانه يقول فى الله ماتقوله الروم فان مضى الى بلاد الحبشة افسدهم وجعلهم روم ويخرجوا عن طاعتى وطاعة السلطان وربما حملهم على محاربة المسلمين الذين هم مجاوريهم فى البلاد ويسفك بينهم دما كثير ويكونه ذالك فى ذمة السلطان وانا وشعبى برا منه فعاد الرسول الى السلطان واعلمه بما قاله البطرك فلم يكلفه ولا جبره على قسمته وابطل الله امره وضاع عليه ما حمله وقالوا قوم ان السلطان رده عليه بسوال نشو الخلافة ومساعدة فخر الدين عثمان وللوقت اقسم البطرك مطران غيره

للحبشة وسيره مع رسول الملك اليهم فلما تنيح الاب البطرك انبا يوانس اراد نشو الخلافة ابو الفتوح ابن ميقاظ ان يساعد القس داوود عند السلطان والشعب ان يقسمه بطركا وشرع في ذالك واجتمع بجماعة من الكتاب المصريين وغيرهم في ان يقيموا القس داوود عليهم بطركا فوافقه منهم اليسير وخالفه الكثير ولم يقدر ان يجمعهم الكل على الرضا به ولا على راى واحد فيه فانفذ رسله الى كراسى الابا الاساقفة بالوجه البحرى والى اسقف طمبدى بالوجه القبلى وكان خيرا عالما فاجتمع منهم سبعة اساقفة فاضافهم واكرمهم واوهبهم وطلب منهم ان يكتبوا خطوطهم في مسطور عمله له بان يصلح بطركا وكان فيهم اسقفين فقرا احدهم اسمه هدية اسقف دميرة والبرمون والاخر اسمه اصطفن اسقف البنوان دفع القس داوود له شى فكانا يقفا للسلطان اذا ركب يطلبوامنه ان يقسم لهم داوود بطرك ويقولوا للسلطان قد كتبوا له الاساقفة خطوطهم وجماعة الشعب انه يصلح بطركا وكان من سابق تدبير الله ما قدمت ذكره من امر حبيس ابيار مع الملك الكامل فلما سمعهم الملك الكامل يطلبوا لهم بطركا قال لهم انا امر ان يكون حبيس ابيار بطرككم وانا ارضاه لكم وكتب للوقت كتاب الى شمس الدين ولو الى الغربية بان يمضى الى ابيار وينزل بالحبيس من صومعته ويسيره الى القاهرة فانزله من صومعته وسيره الى القاهرة فلما سمع نشو الخلافة ابو الفتوح ذالك اتفق مع الامير فخر الدين عثمان وزير الملك الكامل ان يقولوا عنه للسلطان انه يسال مولانا السلطان ان لا يزعجوه ولا ينزلوه من صومعته فانفذوا رسل ردوه بعد ان وصل الى قليوب ففرحوا اهل ابيار برجوعه لهم وطلعوا به الى صومعته فسمع بخبره رجل نصرانى يعقوبى من اهل القاهرة يعرف بالاسعد ابن صدقة ضامن دار التفاح فغار لله كما غار فنحاس واخذ معه جماعة من الناس ووقف للسلطان وعاند نشو الخلافة ابو الفتوح في قسمة داوود وجعل عمدته الملك الكامل وقال له عن داوود انه يصانع بالمال حتى يتقدم علينا وما نرضاه وقد دفع للملك العادل مالا كثير حتى يامر البطرك ان يجعله مطران ما صلح يحل الله لك تجعله علينا بطرك يفسد ديانتنا ويجعل قبط ديار مصر كلهم روم [illegible] فانفذ الملك الكامل الى والى مصر يقول له

ان انث مكنت ابو الفتوح وأصحابه يقيموا لهم بطرك بغير امرى شنقتك وبعد ايام قليل خرج الملك العادل الى اسكندرية فاستاذنه ابو الفتوح فى قسمة داوود فقال له اجعله بطرك والحقنى الى الاسكندرية ولا تبطى فلما سمع القس داوود بذالك عمل عكازين احدهما عليه صليب فيه موشى بذهب والاخر موشا بخيوط فضة وفصل ثياب وغفافير حرير وهيآ ما يحتاجه لقسمته واخذه ابو الفتوح مع الاساقفة وطلع الى مصر الى المعلقة بقسمه بطركا فاتصل خبره بوالى مصر فركب ومعه جماعة من أجناده واعوانه وجا الى كنيسة المعلقة بطركا ونزل بهم انجس نزول وأخزق بهم وهرب داوود وخرجوا الاساقفة من الكنيسة هاجين على رووسهم من مصر الى كراسيهم وبطل امر داوود الى يوم تسطير هذه السيرة على ما تقدم من التاريخ وكهنة كل مكان يدبروه ولم يرجع نشو الخلافة يتحدث فى امر داوود ولا غيره ونعود الى تمام سيرة الملك العادل ابوابكر ابن ايوب ملك ديار مصر وما معها ولما كان يوم الاثنين النصف من جمادى الاخر سنة اربع عشر وستماية تواصلت له الاخبار ان ملك من ملوك الفرنج يقال له الهنكر من جزيرت برشيلية وصل الى عكا فى ماية وستين بطسة وطريدة وانه نزل فى مرج عكا واعرض عسكره وكان عدته اربعة الف فارس وتسعين الف راجل فجمع الملك العادل عساكره وسار فى مصر ونزل على بلبيس ونزل قريب من الافرنج واقام ايام فى نابلس حتى كمل عسكره وسار الى عكا ونزل على الطور فى مستهل رجب سنة تاريخه ثم وصلت الى عكا بطس وطرايد اخر من ملوك اخر حتى امتلأ مرج عكا ونزلوا فيه بالخيم حتى ضاق بهم المرج وسمع الملك العادل انهم يريدوا يكسبوه فى الليل فرحل من الطور ونزل على انهار بيسان عند عين جالوت لكثرت الما هناك وكان عسكره نازل من نابلس الى قصر معين الدين عند قنطرة اسامة وانفذ ملك الهنكر يطلب من السلطان المصاف وقال الملك لرسوله قول له اذا خرج من عكا الى برآ عنها فانا اصافيه فاعاد رسوله عليه ما قاله السلطان فسار من يومه فلما قرب من عسكر المسلمين راى السلطان ما هاله من كثرت الفرسان والرجاله لان ملك الهنكر وملك عكا وصاحب جبلة وطرابلس ومن كان قد بقى فى الساحل [illegible] بعض كلمة واحدة ان لا يخون احد منهم

صاحبه وصاروا بقلب واحد لحرب المسلمين فلما علم الملك العادل ذالك رحل من على بيسان نزل عقبة فيق فكلمن لحقه من عسكره مسلم فوقعوا الافرنج على سوق العسكر ومن لحقوه فنهبوه وقتلوا خلق كثير واخذوا الخيم والدواب وكلما كان في المنزلة ونزلوا تحت عقبة فيق في منزلة السلطان وذكر من اخبر ان الملك العادل انفذ رسل الى اولاد اخوه صلاح الدين وغيرهم من ملوك المسلمين ان يجوا اليه بعساكرهم ويساعدوه على الافرنج فلم يجيه احد فتوجه الى دمشق ونزل في مرج السعار وخلا مع ابنه الملك المعظم الفى فارس مع جماعة من الامرآ نازلين على القدس يحفظوه وفي يوم السبت النصف من شهر رمضان وصل كتاب جلدك والى دمياط كان يخبر فيه ان ملوك الافرنج قالوا للميبازنه والجنويين انتم الطور لكم امضوا وقاتلوه وخذوه فخرجوا من عند الافرنج اربعة الف رجل لانه حصن على جبل عال لا يقدر فارس يصل اليه وكان معهم عرب من بنى عقبة المحالفين مع الفرنج وكانوا يقاتلوا معهم المسلمين فجا اليهم الملك المعظم ومعه الفى فارس وكانوا قد صعدوا الى الطور ونقبوا القلعة واشرفوا على اخذها فادركهم الليل فانفذ الملك المعظم الى العرب بنى عقبة فافسدهم على الفرنج وحلف لهم انه يدفع لهم مالا قرره معهم ويقطعهم بلاد وحلف لهم على ذالك وقال لهم مايحل لكم من الله سفك دما المسلمين بيد الكفار في شهر رمضان فاطاعوه وحلفوا لرسوله انهم لا يقاتلوا مع الفرنج ولا يكونوا معهم على المسلمين وقالوا له الفرنج يناموا باالليل فاكسبهم في نصف الليل والاشارة بيننا وبينكم اذا وقدنا نار فاكسبهم ففعل كما قالوا له وكسبهم نصف الليل فتخلوا عنهم العرب فانتصر عليهم وقتل اكثرهم وسلم ونزل على الطور وقواه بالعدد والمال والرجال وفي مستهل جمادى الاول سنة تاريخه ماتوا الانفار في جميع ديار مصر بامر الله وكانوا مطروحين موتا حول بلادهم الى حافت البلاد من روايحهم وذكر قومامن العربان والمسافرين ان ابقار الوحوش في البرية ماتوا وماتوا ابقار الجيش وانا كاتب هذه السيرة رايت موت الابقار في ديار مصر في سنة اربع وخمسين وخمس مايه للهجرة قبل هذه الدفعة وبعد تلك السنة بعشرة سنين زالت دولة الخلفا الفاطميين وملكوا الغز ارض مصر في سنة اربع وستين وخمس مايه للهجرة

وعشت حتى رايتها فى هذه الدفعة الاخرى بعد ستين سنة وتواصلت الاخبار ان ملك الافرنج لما رجع من الطور الى عكا عبر على قرية من قرى الغور تسمى رحر النصارة فيها خلق كثير نصارى ملكية وسريان ومسلمين كثير فخرجوا للملك ولقيوه بالانجيل والصلبان والمباخر ووقفوا بين يديه فشكرهم وقال لهم بقى فى العسكر اربع فرسان مرضى خذوهم عندكم وداووهم فاذا فاقوا سيروهم الى عكا مع من يوصلهم الى وتركهم عندهم ومضى فقاموا مسلمين القرية على النصاره واخذوهم منهم وقتلوهم ولم يقدروا النصاره يمنعوهم عنهم من خوف السلطان ووصل خبرهم الى الملك بعكا فسير عسكر قتل كلمن فى رحر النصاره والمسلمين الرجال والنساء والاطفال لانه كان قال للنصاره عندكم مسلمين قالوا له لا فلما رجعوا اعتذروا ان المسلمين قتلوهم فلم يقبل عذرهم وقتلوا قسيس كنيسة رحر وشقوا بطنه وعملوا فيها كلب ميت لانه كان حلف لهم ان ما فى القرية مسلما وبعد هذه القضية عاد تلك الفرنج الى بيسان وحمل ما كان فيها من القمح الى عكا على رووس اهل الغور حمل الصبى القوى نصف اردب وما دونه ثلث اردب من بيسان الى عكا الى ان حملوا كلما فى بيسان من القمح وكانوا اذا تعب صبى وحط حمله حتى يستريح قتلوه وحملوه لغيره من الاسارى ولما حملوا القمح الى عكا اسروا الذين كانوا حملوه من اهل الغور واقتسموهم الملوك مع ملك عكا واخذ ملك عكا النصف وملك الهنكر النصف وكان عدد الجميع ثلثة الف وستماية نفس فاما ملك عكا فقيد الذى اسرهم ولم يقتلهم واما ملك الهنكر فقتل منهم جماعة وقطع من كل مسلم كف يده اليمنى وسير بقية الاحيا مع اكف القتلى الى بلاده فى بطس الى بايا روميه وكتب اليه يقول له انى قد فتحت بلاد المسلمين وقد سيرة اليك قليلا من الاحيا واكف القتلا حتى تراهم واما ملكهم فانه ما يقف لى واذا طلبت المصاف يهرب منى من موضع الى موضع ولا يقف قدامى وانا افتح ما بقى من القلاع والحصون واطلبه اين ما كان الى ان اخذه واما البيت المقدس فقد حصنوها بالرجال والاسوار وانت قلت لا يرمى فيه احدا من ملوك النصرانية سهما ولا حجر منجنيق وكيف يمكن اخذه مر... ـه وهم ما اخذوه الا بالقتال الشديد

والمنجنيقات فان كنت تحضر الينا فقدم حضورك لعل الله يدفعه لنا فعيد فيه جميعاً ان شا الله وهذا اخر ما وصل الينا عن ملك الهنكر وكانوا المسلمين يقولوا انه قتل فى الحرب وقالوا انه اسر ولم اتحقق عنه شي انه قتل اراسر او عاد الى بلاده والله اعلم بما كان من امره وهو حسبى وبه استعين ولما كان يوم الاثنين الثالث من ربيع الاول سنة خمسة عشر وستماية عشية النهار ضرب الراقوبى بدمياط على مراكب كثيرة فى اللجة فلما اصبح الصبح يوم الثلثا الرابع منه ضرب الراقوبى ذلك اليوم جميعه والمراكب تتواصل بعضها ببعض وترسى فى اللجة مقابل البروج ولم تزل المراكب تتواصل مدة اسبوع حتى صار فى ربيع الاول عشرة ايام فلما كملوا صعدوا على البر وضربوا جميعهم من المسجد الذى على شط البروج ويعرف بمسجد ابن الخيار الى فوق من بوره وحفروا عليهم خندق عرضه ثلثون ذراعا وعمقه خمسون ذراعا وطوله من البحر الحلو الى البحر المالح واطلقوا فيه الماء من البحر الحلو فامتلا مآ حلو وصار لهم حصنا وشربا ونصبوا من عندهم منجنيق كبير على كوم الحيرة مقابل دمياط فكانت حجارة تصل داخل دمياط الى دار الريس واى شي وقع عليه اهلكه ان كان انسان قتله او دار او حايط هدها أو على سقف خسفه وقتل من تحته وغاص فى الارض فهدم دور كثير فيها واهلك خلقا عظيمة فعملوا المسلمين من داخل دمياط منجنيق وضربوا به على منجنيق الافرنج اكسره فصاحوا بالافرنج صيحة عظيمة سقطت منها الحبالا وعملوا منجنيق اكبر من الاول ومعه اربعة منجنيقات اخر وكانوا يضربوا بالكبير على دمياط والصغار على برج السلسلة فلم لم يبلغوا مرادهم بالمنجنيقات فاوسعوا الخندق الذى تقدم ذكره انهم حفروه فاتسع حتى صار بحرا كبيرا فدخلوا منه الى بحر النيل تسعين مركب شوانى وحراريق فما صاروا فى بحر النيل عمروا مراكبهم بالرجال وقاتلوا اهل دمياط يوم الجمعة الحادى والعشرون من ربيع الاول سنة تاريخه وكان بينهم قتال شديد وقتل من المسلمين ومنهم وجرح من الفريقين كثيرا وافترقوا عند دخول الليل عليهم ولما لم يظفروا بمرادهم لان المسلمين كانوا يرموهم من البرج بالنشاب ولعبه عليه يرموا بها مراكبهم با[illegible] رهم وحروبهم اسمه كند الريش لانه كان

على راسه اكليل ذهب موضع بجواهر يخرج من جوانبه شبه الريش من ذهب مركب فيه فاسموه كند الريس وقال قوم اخر ان مراكبهم الذى وصلوا فيها ثلثماية بطسة وطريدة وقالوا انها اكثر من ذالك ولم يتحقق عددهم وذكر قوم ان فيهم سبعة ملوك مع كل ملك الف فارس وعشرة الف راجل يكون الجملة سبعة الف فارس وسبعين الف رجل ولم يتحرر ذالك عن يقين بل نقل سماع لانه لم يقدر احد يمضى اليهم ولا يجى من عندهم واما المنجنيق الذى نصبوه على كوم الحيرة فعملوا فى راسه صندوق رصاص وزنه قنطارين شامى واسموه المعرى وكان تحته يجره ستماية رجل وكان يرمى الى وسط دمياط حتى هد دار الريس واخلا ما حواليها وكان وزن الحجر الذى يخرج منه قنطار شامى وقتلوا به خلق كثير فى مدة مقامهم على دمياط وفى عسكر الفرنج نسا كثير مسلمات من اهل الغور وافرنجيات من اهل الساحل يطحنوا لهم القمح ويخدموهم وكان معهم صغار كثير وبقر وخنازير ودجاج وكان فى البحر مراكب كثير صيادين سمك يبيعوه فى عسكر الفرنج فلما قالوا للملك كند الريش عنهم مسكهم وضمنهم السمك بخمسين دينار فى كل يوم وقد كنا قلنا انهم فتحوا بحر من خلف البرج ودخلوا فيه بالشوانى والحراقات لقتال المسلمين وكانوا فى كل يوم يقاتلوا اهل دمياط فيقتل بينهم قتلا كثير ثم يفترقوا عند الليل فاقاموا على ذلك ربيع الاول وربيع الاخر ثم اخذوا مركبين كبار من مراكبهم وسمروا عليهم اخشاب جافية وعملوا فى وسطهم اربع صوارى وضموا الواحدة الى الاخرى بحكمتهم حتى صاروا واحدة واسموها المرمة واسمروها بكل مسمار طوله ثلثة اذرع وذراعين وذراع ونصف وشبر كل شى منهم فى موضعه وعملوا على الاربعة صوارى سقف سفلى يحمل ماية وخمسون رجل وسقف فوقه يحمل ماية وخمسين رجل فيكون ثلثماية رجل مقاتلة فقدموها الى البرج الذى فى البحر فلم تلصق به لان له زلاقة من كل ناحية خارجة منه فلما يقدروا يلصقوها للبرج قوى عليها التيار فردها بامر الله الى خلف وانكسرت الصوارى من نقل الرجال بالسلاح ووقع منهم فى البحر جماعة كبيرة غرقوا بلا حرب ولا قتال وبعد هذه المرمة لم يرجعوا يقدموا مرمة اخرى [illegible] منجنيقين اخر على البرج الذى فى وسط

البحر وكانوا يقاتلوا بها وبالزنبورك وكان له من دمياط خشب معمول بالمراكب والاخشاب مسمورة عليها ولم يزالوا يضربوا الخشب حتى كسروا مراكبه واخشابه وقطعوا حباله فلما كان يوم الجمعة الثامن من جمادى الاخر تكاثروا الافرنج على البرج بالمراكب والرجال فاخذوه وكان فيه مابة وخمسون من المسلمين قتل منهم وغرق منهم وهرب منهم من عام الى دمياط فسلم واسر منهم ستين رجل سيروهم الافرنج الى عكا وغيرها من بلادهم ولم يرجعوا من يوم اخذوا البرج يقدموا مرمة وذكر من اخبر ان الملك العادل مات بدمشق يوم الجمعة الثامن من جمادى الاخر سنة تاريخه وهو يوم اخذوا الافرنج فيه برج دمياط وذكر من اخبر ان جاسوس السلطان اعلمه ان مراكب كثير من الفرنج تفللت وراحت الشام فعدى اليهم بالعسكر فاخذهم فلما كان يوم الثلثا الحادى عشر من رجب سنة خمسة عشر وستماية امر الملك الكامل العسكر ان يعدى فاسرع نحو ثلثة الف راجل وعدوا الى بر الافرنج قبل ان يعدى العسكر وكان السلطان الملك الكامل قد اوصا جميع العسكر الفارس والراجل ان لا يتقدموا للقتال حتى يرفع لهم العلم الذى له على البرج الذى هو فيه من دمياط فنهض من الراجل جماعة طلبوا بجهلهم الكسب من قبل ان يكمل العسكر فهجموا خيم الفرنج وقتلوا وكسبوا وتمادى بهم الطمع وتطلعوا الفرنج لم يروا خلفهم عسكر فرجعوا عليهم فقتلوهم فى الخيم ورموا روسهم بالمنجنيق الى دمياط وعرف منهم جماعة كبيرة ورموا نفوسهم فى البحر بسلاحهم ولباسهم فشالوهم الفرنج بالمراكب واخذوا ما عليهم وهم موتا وحزن السلطان عليهم وامر ان يرجع العسكر واعرض الرجالة فوجد الذى قتل منهم ثلثة الف رجل قتلا وغرقا وفيما هو حزين عليهم تواصلت الاخبار بموت ابوه الملك العادل في دمشق من تخمة اصابته فى مرج الصفار وحمل الى دمشق فمات فيها ودفنوه بجانب صلاح الدين اخوه فى المقبرة يوم الجمعة الثامن من جمادى الاخر سنة خمسة عشر وستماية وهو يوميذ ملك مصر والشام وبيت المقدس والساحل والقلاع ودمشق واليمن ودفع دمشق وما معها من الشام وبيت المقدس والساحل والقلاع وما فتحه صلاح الدين من بلاد الفرنج لولده المعظم يسمى عيسى ويعرف بالكريدى ودفع مصر واعمالها لولده

الكامل محمد ودفع حران ومنبج واخلاط وكلما خلف نهر الفراة لولده الاشرف كان مدة ملكه تسعة عشر سنة وثلثه وخمسون يوما منذ دخل الى مصر ومات وعسكره عشرة الف طواشي وملك ولده الملك الكامل محمد ديار مصر واليمن وسير ولده اقسيس الى اليمن فملكه واستقر هو فى مملكة مصر ونفذ امره وحده بعد موت ابوه لاستقبال شهر رجب سنة خمسة عشر وستماية للهجرة

سيرة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابوا بكر ابوا ايوب وكان كتاب الملك العادل قبل موته وصل الملك الكامل ان العدو توجه من عكا الى مصر مراكب كثيرة فاحتز على الثغور ولا تقابله واخلى البلاد قدامه مسيرة ثلثة ايام فانه اذا غار يقطع مسافة اربعة ايام فى يوم واحد يقتل ويسبى ينهب ويعود الى خيمه فى بقية يومه فاخلى الملك الكامل قدامه من الغربية مسيرة اربعة ايام واخلى المحلة وكلما حواليها وسنجار وسنهور وقوه وكانوا هذه المدن خالية وابوابهم مغلقة ولم يقدر احد يخرج باكثر من ثيابه الذى عليه وما ينام فيه وتركوا كلما فى دورهم من القمح والحبوب والنبيذ وجميع القطانى فيها فمنها من سالم ومنها ما نقص بعضه ومنها ما اخذ كله ومضوا الناس الى القاهرة وقوم الى مصر والى الشام ودمشق وتفرقوا فى جميع الدنيا ومنهم من رجع ومنهم من لم يرجع واما سمنود فما خليت وبقيت عامرة وسكنوها ناس كثير من اهل البلاد وكان واليها نعته نور الدين على وكان حازم طول ليله يدور حواليها والناس تنام فى المراكب وعلى البحر مايروعهم مروع ولا خرج منها احد ولما كان يوم الثلثا السابع عشر من ذو القعدة حمل عماد الدين ابن المشطوب بين الملك الكامل وبين اخوه الملك الفايز كلام افسد قلوبهما بعضهما بعض وذكر عنه انه حالف الملك الفايز على قتل الملك الكامل ويملك الملك الفايز وكان جنديا من اجناد الملك الكامل حاضر معهم فمضى اليه واعلمه بكلما جرى وقال له انج بنفسك فقام من خيمته وركب فى الليل وساق مع اصحابه وخواصه ومماليكه ولم يشعر به احد الى اشمون ونزل فيها [illegible] فاضطرب العسكر فلما سمعوا انه نزل على

اشمون لحقوه وكان فى العسكر ضجة حتى تركوا خيمهم واموالهم ومواشيهم فلما اصبح الصبح يوم الثلثا سابع عشر ذو القعدة عدة حراقة من الفرنج للقتال فلم يخرج لها احد فدخلت البر فلم يروا فى الخيم احد والخيم كلها منصوبة والبسط فيها مفروشة والخيل والبغال والجمال حولها مربوطة وليس فيها انسان عادة الحراقة واخبرة الفرنج فقالوا هذه مكيدة عملوها علينا المسلمين فطلعلوا منهم قوم الى منارة جامع الحيرة لينظروا ان كان تم كمنا فلم يروا احد فنزلوا اعلموا الملك فامر ان يعمر شتى برجال ابطال ويعدى الى الخيم يكشف الخبر فعدوا وكشفوا الخيم من اولها الى اخرها فلم يجدوا فيها احد فعادوا واعلموهم فسير المراكب والرجال فحملوا الخيم وكلما فيها من الاموال والاوانى والدواب وشون القمح والشعير والحبوب وكلما للسلطان والامرا والتجار وملكوا اموال لا تحصى بلا سيف ولا قتال بامر الله ومشيته اخذوا من النعم والاموال والدواب والزاد والسلاح مالا يدرك له قيمة ولا يحصى له عدد واتوا به الى خيمهم واخذوا اساره كثير من المسلمين غلمان وغيرهم خلاف ما قتلوه خلق كثير وفى بقية يومهم قدموا البطس والمراكب الكبار وعدوا بالخيل والفرسان الى بر دمياط ونزلوا الفرنج فى خيم المسلمين على العادليه وتقدموا الى دمياط ونزلوا عليها واختلطوا بها فقطعوا اهل دمياط قنطرة باب الريس وكانوا يقاتلوا الفرنج الى ان وصل الملك المعظم عيسى الى اشمون يوم الاثنين الثالث والعشرون من ذو القعدة سنةتاريخه فوجد الفرنج محيطين بدمياط فسال اخوه الملك الكامل عن القضية فاعلمه ان عماد الدين ابن المشطوب افسد عليه العسكر واستحلف الاكراد ان يقتلوه ويملكوا الفايز وانه هرب منهم فى الليل وترك كل شيا له خوفا على نفسه فلما سمع كلامه جهز ثلثون فارس وثلثين هجين بثلثين راجل من العرب واحضر عماد الدين ابن المشطوب فلما حضر بين يديه قال له ما هذه الاعمال التى فعلتها طلبت تقتل السلطان وتكون سلطان ولو علمت قدر نعمة الله عليك علمت انك اروح سر من السلطان واهنى عيشا منه فاى شى طلبت تكون وامر الاجناد القيام قدامه فرموه اذى اخر ما وجد من اخبار الاب البطرك [illegible] قبول دعاهم الصالح .

انبا كيرلس البطرك
وهو من العدد الخامس والسبعون

نبتدئ بمعونة الرب سبحانه بشرح ما وجدناه من مختصر اخبار ساداتنا الاباء البطاركة تالاسكندرية الجلوس على كرسى مارى مرقس الانجيلى البشير وذلك مما وجدناه فى كتب التواريخ ملتقط لأجل سياقة العدد كيرلس البطرك الخامس والسبعون من العدد هذا الاب كيرلس ابن لقلق قدم بمدينة الاسكندرية فى يوم الاحد الثانى والعشرون من بؤونة سنة تسعماية واحد وخمسين للشهداء واقام بطركا سبع سنين وتسعة شهور وتنيح فى يوم الثلاث الرابع عشر من برمهات سنة تسعمائة تسعة وخمسين للشهداء بدير الشمع بالجيزية ودفن به وكان رجلا عالما فاضلا فيه عدة فنون من الفضيلة الا انه كان محبا للمال واخذ الشرطونية وجرا عليه شدايد بسببها وتعصب عليه قوما واهانوه وعقدوا له مجالس بحضور نايب السلطان والعدول الوزير معين الدين ابن الشيخ وغرموه بنيف عن اثنى عشر الف دينار وخلى الكرسى بعده سبعة سنين وسبعة شهور وهذا الاب هو الذى رتب كتاب الاعتراف الاثنين وعشرين مقالة وسماه كتاب المعلم .

نبتدى بمعونة الرب وحسن توفيقه بنقل تاريخ اللكنيسة المقدسة وذلك لاستقبال سنة اثنين وثلثين وتسع ماية للشهداء الابرار الموافق لسنة اثنى عشر وستماية للهجرة العربية .

لما تنيح الاب القديس الطاهر الكامل الروحانى الناسك الناطق بالخفايا المتنزه عن الدنايا أنبا يوحنا بطريرك المدينة العظمى الاسكندرية والقاهرة ومصر وأعمالها والحبشة والنوبة وخمس المدن وأفريقية فى نهار الخميس الحادى عشر من طوبة سنة اثنين وثلثين وتسع ماية للشهداء الابرار الموافق للخامس عشر من شهر رمضان سنة اثنى عشر وستماية الهلالية وهو يوم الغطاس المقدس توجعت المسكونة لفقده وارتجت

الامور من بعده وكان قبل موته قد أوصى ابنى اخته ابى سعيد وابى المكارم وأن لا يتركاه فى الكنيسة ولا يدفناه بها حتى ينقل الى الديارات المقدسة على جارى عادة البطاركة بل يجنزاه ويحملاه الى الحبش ويدفناه فيه فى التربة التى لأهل بيته هناك ففعلا ذلك وبيتاه فى الكنيسة المعلقة تلك الليلة وجنزاه أحسن تجنيز وحضر أسقف الملكية ولم يكن احد من الاساقفة حاضراً وطلعوا به ثانى يوم وهو يوم الجمعة الى الحبش وحوله من الخلق امم لا تحصى وكان يوماً مشهوداً وحفروا له وسط التربة المختصة بأهله وهى بقرب من قبر انبا زخاريس البطرك رزقنا الله صلاتهما ودفنوه هناك وعملوا قبره مصطبة وتحدس الناس يومهم ذاك فيمن يقيموه بطريرك فقوم وقع تخيرهم على القس بولس البوشى وقوم وقع تخيرهم علي القس داود بن يوحنا الفيومى وقوم تخيروا الشيخ ابا الكرم ارشيدياقن المعلقة بمصر والصاحب الأعز الوزير تعصبت لكاتبه سنى الدولة ابى الفضايل وتشعبت آراء الناس ولم يكن فيهم من هو ماسك غرضه إلا أصحاب القس داود بن يوحنا وكان للسلطان الملك الكامل اعز الله نصره طبيب خاص به يعرف بالحكيم ابى شاكر بن ابى سليمن وكان مع السلطان على فاقوس ومع السلطان الملك العادل خلد الله ملكه كاتب له تعرف بنش الخلافة أبى الفتوح وكان الملك العادل يوميذ على بيت المقدس واصلاً من دمشق الى مصر وكان هذان فى زمانهما اقرب للنصارى الى سلاطينهما فاجتمعت جمعيه الى القسداود بن يوحنا فى يوم دفن البطريرك وهو يوم الجمعة وجاءوا اليه عشية واتفق رأيهم على ان يدوروا ليلتهم تلك على الناس ويأخذوا خطوطهم باستصلاحه فمضوا الى دار واحد من الجماعة يعرف بشمس الرياسة بن صفى الملك بن المرصفاوى وراموا منه ذلك فلم يوافقهم عليه واعتذر بأن قال من هو أنا حتى اقم البطرك وفى الدنيا مثل الحكيم ابى شاكر والشيخ ابى الفتوح وكان فى الجماعة من هو مستنير وخال من الهوى وكفهم عن الرواح الى غيره وانصرفوا تلك الليلة بعد ان اتهموه بأنه فند اراهم وذلك الذى كان نصر هذه الجماعة من أول امرهم الى اخره لانهم كانوا كلما بصرهم الانسان مصلحة ونهاهم عن الافراط ف[illegible] الى الانقلاب عليهم واتخذوه عدواً وقصدوا

اخذ الاشيا بالقوة فاتصل بجماعة المصريين ما جرى من هذه الجماعة فاختبطوا وقاموا وقعدوا ونفذ القاضى الاعز الوزر الى جماعة من كتابه وتحدث معهم فى حق السنى كاتبه المقدس ذكره ولم يوافقهم احد عليه وكان ذلك فى ليلة الأحد رابع البطرك وفى صبيحة الأحد المذكور اجتمعت جماعة القس داود اليه واخذوا كتابا من رجل شيخ كاتب يعرف بالمعتمد بن حشيش الى الشيخ الوجيه بن الجندى كاتب السلطان الملك الكامل نصره الله لانه كان معه على فاقوس مضمون الكتاب المذكور ان الحضرة تعلم ما يلزم من حق الشيخ الاجل الرئيس المالك السيد نش الخلافة وما يرومه الاب القس داود وقد امكنت الفرصة والحضرة تعلم مكانه الشيخ المذكور من السلطان عز الله نصره والحضرة قريبة العهد به وما يومن ما يجرى على من يتحدث لغيره وكتاباً اخر من الفارس اخى الحكيم ابى شاكر اليه يقول فيه ان القاضى الاعز قد تعصب لكاتبه السنى ابى الفضايل وربما تم له الامر ليحمله بذلك وان ولدك ابا العلا مريض ليقلقه على المجيء وتتحدث معه الجماعة فى معنى القس داود وبينوا حاله واجتمعوا تلك الليلة عنده اعنى القس واكلوا وشربوا وسار بها الصايغ صاحب القس داود المذكور في نهار يوم الاثنين الكتب المذكورة طالباً للخيم المقصودة وسيروا المصريين جماعة منهم يتحدثوا فى حق الشيخ ابى الكرم المعروف بابن زينور المقدم ذكره وكان الحكيم ابى شاكر عند السلطان عندما بلغه خبر وفاة البطرك فقال له يا حكيم كيف تعملون فى البطرك الذى تقيمونه قال يا مولانا نختار ثلثة رجال اخياراً اتقيا علماء يقع الاتفاق عليهم ويكتب اسماءهم فى ثلاث رقاع كل رقعة اسم واحد ونكتب فى رقعة اخرى اسم السيد المسيح ويترك الجميع على الهيكل ونصلى ثلثة ايام بطلبات كثيرة وابتهال متواتر وفى اخر الثلثة ايام نحضر طفلاً دون البلوغ ونتركه يرفع واحدة من الرقاع بحضرة الشعب كله فيقراها فان وجدنا فيها اسما من الاسماء المختارة الثلثة قدمناه بطركاً علينا وان طلعت الرقعة التى فيها اسم السيد المسيح علمنا انه لم يرض احداً من اوليك فنبطلهم ونرجع نختار ثلثة أخر ولا نزال كذلك حتى يطلع اسم من الاسماء فنقدمه فأعجب السلطان ذلك وقال افعلوا عادتكم فلما وصل بها المذكور وبالكتب

التى على يديه اوصل الكتاب المختص بالوجيه بن الجندى اليه فقراه واخذه معه ودخ
على الحكيم ابى شاكر فى خيمته واوقفه على الكتاب المذكور فاغتاظ غاية الغيـ
وقال كان البطاركة يقدمون بمثل هذا ويقال انت تعلم ما يلزم من حق فلان واما تري
نقدم فلان لاجله ما سمع قط بهذا ثم اخذ الكتاب المذكور وكان قد وافى اليه الجماع
المصريون فنقلوا الكتاب على نسخ عدة ثم وقف على كتاب اخيه المضمن مرض ابـ
فقلق واخذ دستوراً من السلطان أعز الله نصره وحضر الى القاهرة وبلغ اشياء قبيحة عـ
القس داود وتحدث بها وبقيى مصراً على امر الرقاع ووافقه عليها اكثر الناس فام
القس داود وجماعته فما كانوا يرون ذلك بل كانوا يريدون الاخذ بالقوة والسلطنة و
يبالون بمن رضى أو غضب واجتمعت ابا يوحنا بن وهب بن يوحنا بن يحى ابن بولس
بالحكيم فى دخلته هذه الى القاهرة وقررت معه ان يكون اسم القس المذكور من جم
الثلاثة اسماء لانه كان صديقى وكنت اعرف منه علماً بارعاً وكهنوتاً حسناً وترجم
الالسن وانما كنت اكره منه تهافته وتظاهره بالطلب وقلة تحاشية من الحديث فى هذ
الامر لنفسه وكنت انصحه فى ذلك فلا يقبل النصح واقول له ان هذا الامر يصلح ا
يتظاهر العاقل بأنه لا يريده واذا تحدث بهذا قدامه كره الحديث وقام نزل من الموض
الذى يكون فيه هذا ان لم يكن باراً وان كان باراً فيكون هذا باطنه وظاهره لان هذ
الامر فيه اقدام على عظايم وتقليد لرعيه كثيرة يكون الانسان مداناً عنها فيحمل الام
متى على التقييد له ولا يرجع عما هو عليه ولم يكن متوكلاً على الله فى اعطا هذ
الامر له بل على سعيه واجتهاده ثم سألت الحكيم ان يقيم تلك الجمعه الى يوم الاح
ويجمع الاساقفة ويبث الحال على ما قام فى نفسه من امر الرقاع فلم يفعل وكان بي
الرأى بل انه لما علم ان ولده معافى رجع على حاله الى الخيم المنصوبة وبعد ذلك عم
المصريون محضراً بان القس داود المقدم ذكره ممنوع من أنبا بطرس اسقف الفيوم الذ
كرزه قساً بسبب الاعتراف وفتن جرتب الفيوم وافتراق الشعب وانه ما خرج من الفيو
الا مطروداً من قبل الاسقف وان الاب البطريرك منعه ايضاً لما اتضح له من فسا
[illegible] اثنان وعشرون قساً من قساً مصر والقاهر

وضواحيها وكان المحضر المذكور بخط مصطفى الملك ابى يوسف بن الخطاب وكثر القال والقيل وعظمت المحنة والبلية وصاروا الناس ياخذون على القس المذكور اشياء فقوم يقولون هذا من الفيوم والفيوم من حيز الصعيد ولا يجوز تقدمته وقوم يقولوا هذا كان طلب فى حياة البطريرك مطرنه الحبشة ولم يجب اليها البطريرك بل امتنع من هذا غاية الامتناع وقوم يقولون هذا ما استصلحه البطرك لان يقيم بدير العربه لانه كان طلع اليه ونزل به منه واشد ما كان عليهم انه لم يسل عن البطرك فى مرضه ولا حضر جنازته واشياء اخر شنيعة لا يليق ذكرها بهذا المسطور ولما كان تمام الشهر اجتمع خمسة من الاساقفة وهم ابنا مهنا اسقف ابو صير بنا وكان كبير الاساقفة يوميذ واخوه انبا مرقص اسقف لقانه وانبا ميخاييل اسقف طلخا المعروف بهديه وانبا غبريال اسقف اطفيح وانبا مرقص مليج وصلوا على البطريرك انبا يوحنا نيح الله نفسه فى تمام الشهر وتقربوا عليه فى يوم السبت الرابع من امشير من السنة المقدم ذكرها وعادوا الى كنيسة القديسين سرجيوس وواخس لانهم كانوا مقيمين بها فعند عودهم حضرت رسل الامير امين الدين والى مصر باحضارهم فحضروا قدامه فقال لهم انتم قد صليتم على بطرككم يخرج كل واحد منكم الى بلده ولا تقعدوا ساعة واحدة فقالوا يا مولاى نحن نقيم غداً لا غير حتى نصلى على قبره ونمضى وذكر ان الحامل للوالى على ذلك كاتبه تقرباً من قلب نش الخلافه لانه خشى ان يتفقوا على تقدمه غير القس داود فبادر بذلك وعادوا الى موضعهم كئيبين فذكر لى القس بومنصور قس كنيسة بو سرجة والشيخ السنى ابو المجد ابن القسيس بو الفرج انهم جميعاً اجتمعوا قدام الهيكل غير اسقف مليج وحرموا القس داود ومنعوه ودعوا عليه وحلفوا انهم لا يضعون عليه يداً ابداً بحكم ما جرى عليهم من وجع القلب بسببه ثم انهم صلوا على قبر البطريرك وتوجهوا كل منهم الى كرسيه ووصل السلطان الملك العادل خلد الله ملكه والشيخ نش الخلافة معه ودخل الجميع الى القاهرة فذكر لى الشيخ الحكيم ابو شاكر رحمه الله انه اجتمع بالشيخ نش الخلافة وقت وصوله وفاوضه فى امر القس داود فقال ما يصلح وانه مرتين اخرتين زاره فى داره بالقاهرة وذكر له انه ما يصلح وبقيت المشاجرة على حالها والبغضا وحديث

س بعضهم فى بعض واخرج مثالبهم ومناقضهم ودخل الصوم المبارك واجتمع الشيخ
الخلافة بالشيخ نش الامام بن عز الكفاه بن ابى يوسف ورام منه ان يكتب التزكية
س داود فامتنع عليه وانفصل منه مغضباً وبعد ذلك اجتمع بى القس داود وذكرنى
بينى وبينه من المودة وسالنى فى كتب التزكية فقلت فى نفسى هذه وراقة ما على
با من الله تبعه ان رضى الناس واتفقوا رضيت وان لم يفعلوا يكتبون له كنت انا لم
مل ذنباً إنما زكيت شخصاً يتعين له على ذلك فكتبت له أربع نسخ واحدة للاساقفة
حدة للقسوس واخرى للاراخنة واخرى للرهبان وبعد ذلك كتبنا اخرى للاسكندرانيين
ير الشيخ نش الخلافة القس مرقس بن رجال الى الوجه البحرى ومعه تزكية للاسقفة
رهبان فحضر ومعه اثنا عشر اسقفاً من أساقفة الوجه البحرى بعد ان كتبوا خطوطهم
التزكية منهم ثلاثة ممن قدمنا ذكره منهم اسقف لقانه واخوه الكبير واسقف طلخا
ان اسقف طمبدى انبا بطرس قد وصل فصاروا ثلثة عشر اسقفاً وكتب الاخر خطه في
زكية واحضرت تزكية الرهبان وقد كتب فيها زها اربعين راهباً وكتب فى تزكية
سوس جماعة من قسا القاهرة والوجه البحرى واما القسا الذين كتبوا فى محضر
عه فلم يكتب له منهم احد اصلا وكتب فى محضر الاراخنة جماعة كبيرة وبقى جماعة
نعين فلما رأى الحكيم وجماعة المصريين حضور الاساقفة وما جرى خافوا ان يتم الامر
غتاظ الحكيم غيظاً كثيراً فاجتمعت جماعة كبيرة من النصارى ووقفوا للسلطان الملك
كامل وتضرروا من تقدمة هذا القس عليهم وذكروا انهم لا يرضونه وانه مخالف
عتقادهم ورأيهم فقال لهم طيبوا قلوبكم ما يقدم عليكم إلا ما تريدون وبقى الشيخ
ش الخلافة متردداً الى الحكيم بوشاكر ليلا يسأل عنه ولا يقول له شيئاً بل ان الرسايل
انت بيه وبينه وكان الحكيم لا يرضى بهذا القس والشيخ نش الخلافة لا ينزل عن
فتياره والشغب واقع بين الشعب وبعد ذلك ثوب السلطان اعز الله نصره القاضى
لاعز الوزير الحضور الى مصر وجمع النصارى وسماع حديثهم فحضر الى مصر وحضر
عه الحكيم بوشاكر وجلس بدار الوكالة العادلية واحضر جماعة من وجوه المصريين
استخبرهم فقالوا هذا ما نريده اصلا وذكروا فيه اشياء قبيحة لا يليق ذكرها فقال لهم

فمن تريدون فقالوا عندنا رجل شيخ جيد يعنون الشيخ ابا الكرم المقدم ذكره والشيخ الصنيعة بن السكرى وهذا كان كاتب الخزانة العادلية وهو من اكابر اسل الاسكندرية والعضو الشريف عنده وذكروا جماعة من الرهبان منهم حبينس ابيار واتفق رايهم جميعاً على الرقاع وكتبوا محضر برضاهم بذلك فكتب فيه اكثر الناس واخذ السلطان الملك الكامل عرضه على ابيه وكان الشيخ نش الخلافة قد قال للملك العادل عندما جرى ذكر القرعة يا مولانا هذه سنة الافرنج وليست سنتنا فلما وقف عليه قال ما تم قرعة ولا صداع تتخيرون واحداً نجعله لهم ورجع النصارى وقفوا للسلطان الملك الكامل مرتين اخرتين في انهم لا يريدون هذا داود وهو يطيب قلوبهم ويقول لهم ما ينعمل عليكم إلا من تريدون ولم ز الحال يتراخا الي ان جاءت الجمعة السابعة فخرج الاساقفة الى كراسيهم بعد ان كتب منهم ثمانية خطوطهم بمنع نفوسهم ان قدموا غيره وبقى الحال بحاله والشقاق والفتنة باقيان فلما كان فى الجمعة الكبيرة نقل السلطان الملك العادل الصنيعة ابو غالب بن السكرى المقدم ذكره الى تولى ديوان ثغر الاسكندرية وامره بالخروج اليه واستخدم معه ناظراً يعرف بالقاضى الاكرم بن نهار فاعطى الشيخ ابو الفتوح التزكية المختصة بالاسكندرانيين للقاضى المذكور لياخذ فيها خط اهل الاسكندرية وخرج المذكور الى الثغ وكان هذا اول ما قوى نفس نش الخلافة لان هذا الصنيعة كان مضاهياً له فلما راح استبد هو بالامر وحده وعيد الناس مفترقى الآراء كثيرين الضغاين والأخن وبعد ايام وقع اختيار الشيخ نش الخلافة على سايح بجبال اطرابلس يعرف ببطرس المرشاد ووافقه عليه الجماعة ولم يثبت على هذا الراى بل كان من طريق امتحان لبعض الناس واستمر الحال على ما هو عليه الى ان فرغ الخمسون فاشار الشيخ نش الخلافة الى الجماعة الموافقين له وكان اكثرهم كتاباً بان يقفوا للسلطان الملك الكامل ويطبوا منه تقدمة هذا داود فاجتمعوا ووقفوا له بدار السلطان عند عبوره الى خدمة ابيه فقال لهم اين هو هذا الذى اخترتموه احضروه وانفصل مجلسهم ذلك على هذا ورجعوا بعد ذلك وقفوا له مرة اخرى فى دار السلطان ايضاً

فقال هاتوا المحاضر وعبر الى دار ابيه فسير الشيخ نش الخلافة المحاضر المذكورة الليه الى داخل الدار مع واحد من غلمان السلطان وكان محضر الاسكندرية قد حضر فسيره معها ثم خرج الملك الكامل من عند ابيه فوقف له الجماعة وتقاصوه الجواب فقال جوابكم مع ابى الفتوح فدخل الشيخ الفتوح الى السلطان الملك العادل وقال يا مولانا مولانا الملك الكامل قال للنصارى كذا وكذا بماذا يجيبهم (عبدك) المملوك فقال من احضر لى الف دينار قدمته فخرج وأعلم الجماعة ذلك وكان الحكيم ابو شاكر قد تنجز كتاب السلطان الملك الكامل الى والى الغربية بأن يجمع الاساقفة وينزل حبيس ابيار ويسيره معهم الى ثغر الاسكندرية ليقدموه بطريركاً فلما خرج يومه ذاك من عند ابيه بعد وقوف النصارى له نزل الى مصر ومضى الى منظرته بالجزيرة وقف له المصريون وقالوا يا مولانا انت كنت انعمت علينا ببطرك ونشتهى تمام الانعام فقال ما قد قلنا لكم روحوا اعملوا شغلكم ثم علم لهم على الكتاب واعطاه لهم فاخذه القس بو المنصور بن القس بو المعانى المرسوم على بيعة القديسن سرجيوس وواخس بقصر الشمع بمصر والاسعد هبة بن صدقة الشماس بكنيسة المعلقة ضامن السمسره يعرضنى الفاكهة بالقاهرة ومصر وسار بعد ان اخذا معهما بدلة من ثياب البطرك واعطاهما الحكيم بو شاكر شيأ برسم نفقة الحبيس وكان مسيرهما عشية الثلثا فلما اصبح الشيخ ابو الفتوح وبلغه ما جرى قلق وكل من كان موافقة على رايه فعبر الى الهلطان الملك العادل واعلمه القضية فكتب السلطان كتابً الى والى الغربية بان لا ينزل الحبيس من مكانه ولا يتغير عن حاله وكتاباً الى والى اسكندرية بان لا يقدم إلا من معه كتاباً وسير بهما رسولاً جاداً فلما اتصل بالحكيم الخبر طالع المولى الملك الكامل به فعظم عليه وكتب كتاباً ثانياً بأن يحضر الحبيس الى القاهرة وسيره مع واحد من غلمانه فأما اولئك فانهم وصلوا الى المحلة فى نهار يوم الخميس واجتمعوا بالامير فرحب بهم وانزلهم عند كاتبه وللوقت كتب باحضار الاساقفة وفى بقية الليلة وصل كتاب السلطان الملك العادل بالتبطيل وفى صباح يوم الجمعة وصل كتاب الملك الكامل باحضاره فأمر الامير بذلك وسير معهم من يستقدمهم على الملما وصلوا الى الحبيس وكان يوم الجمعة لم يصلوا

الى عشية النهار فانزل لهم ما ياكلون وهو رجل معروف بكرم وخير فباتوا عنده يروضونه فلما اصبحوا راودوه على النزول وكان حاضراً هناك اسقف ابيار فقال له امر السلطان ما يخالف فقال له يا ابى اكتب لى خطك بأنك أذنت لى بالنزول وان هذا الحبس لى متى عدت اليه سكنت به بلا مانع فكتب له خطة بذلك ثم قدس القس بو منصور على الهيكل الذى هناك ودفعوا القربان اليه فتقرب على جارى العاده ودلى قفة من عنده وجلس فيها ونزل باكياً ومن كان حاضراً من اهل البلد متأسفين لاجل فرقته معترفين بأنهم فى بركته فأخذوه وساروا وكان بغير نعل فخلع والى ابيار سرموزته من رجله وسأله ان يلبسها فلم يفعل وكان غلام المولى الملك الكامل محتفظاً به مانعاً احداً ان يقربه فوصلوا الى قليوب فى بكرة يوم الاحد فدخلوا الى الكنيسة واجتمع اليهم جمع كبير حتى ان القس بو المنصور حدثنى انه قدس ذلك اليوم وانه حمل ثلاث عشر قربانه وقرب يسيراً يسيراً وفرح به الناس فرحاً عظيماً واضافوه فى قليوب ضيافات كثيرة ثم خرجوا الي ان وصلوا الى تحت القلعة فجاء اليهم الأمير شمس الدين اخو والى القاهرة فافرد الحبيس منهم وقال لهم يا نصارى قضيت حاجة السلطان امضوا الى سبيلكم فتركوه ومضوا وبعد رواحهم اركبه على بغلة وامر الرسول الذى معه ان يعيده على فوره الى مكانه فأخذه من ساعته ورجع به واعاده وطلع به الى حبه وسكتت الناس وانقطع القول بسبب البطرك مدة وفى هذه المدة جرت امور منها ان امير من الامراء يعرف ببها الذين شريحاً كان له كاتب يعرف بالسنى الى المجد بن سنى الدولة وكان هذا الامير قد راح الى اليمن وكانت له هناك جارية محرومة وكان هذا الرجل المسكين يمنعها التطرف الى التبهرج وفعل مالا يجب فكرهته وعلمها الشيطان ان مضت الى والى القاهرة وذكرت انه راودها عن نفسها فانفذ حبسه وشاور عليه السلطان وجرت عليه شدة وبعد هذا لطف الله به وتخلص وكان صاحبه هذا مسافراً فلما وصل فى هذه المدة خرج اليه فلقيه على حلوان وسار قدامه فلحقه وضربه بالسيف فقطع عمامته وشج راسه وضربه ضربة اخرى فلقيها بيده فانجرحت يده ووكل به من يحضره الى داره ووصل الى القاهرة وهو [illegible]بته واعتقله فى داره وضيق عليه وبقى

عنده مدة الى ان عمل له حسابه واقتضى منه ما يريده وبعد ذلك منع من كان يتردد اليه من نظره يومين ثلثه ثم لما كان بعد ذلك جاووا اليه بشى ياكل على جارى العادة وكان غلمان الامير كل يوم يوخذون منهم داك ليطلعوا به اليه فلم ياخذوه منهم ذلك اليوم بل قالوا لابنه وغلامه صاحبكم مات من يومين تعالوا خذوه فعادوا بالويل والحراب واجتمع اخوه واولاده وجماعة من النصارى ووقفوا للمولى الملك الكامل عند حضوره الى خدمة ابيه عشية الخميس فلم يجيبهم بكلمة فقعدوا عند دار السلطان الى ان خرج فرجعوا وقفوا له فقال بينكم الشرع فألحوا عليه فقال ادفنوا ميتكم فخرج بعض الجماعة ومن فيه مرؤه ليلا كما هو وحصل له تابوتاً واحضر الحمالين ومضوا الى الموضع الذى كان فيه فوجدوه المسكين وقد انتفخ ووجهه اسود ولسانه مدلى على صدره ولا شك انه خنق فحملوه بعد جهد عظيم وخرجوا على حالهم الى الحبش ودفنوه وترددوا اهله بعد ذلك الى السلطان وهو لا يخرجهم من الشرع فاحتبسوه فى سبيل الله وشكروا الله المحمود على كل حال وسكتوا فالله لا يخلينا من معونته ولا يدخلنا التجارب وفى اثنا هذه المدة كان صبى نصرانى صعيدى يعمل فى بعض معاصر الزيت الحار وان انساناً من المسلمين اتهمه بابنه وكان صغير السن وذكر انه حضر اليه وهو على غير الاستوا وانه ذكر ان الفاعل به هذا الشخص فاعتقل اياما وعرض عليه الاسلام فأبى فاستفتوا فيه الفقها فافتوا برجمه وان يعمل عليه دايره من الناس ويجعل فيها فرجه فان هو خرج وسلم فلا يعارض وان مات كان بحقه ففعلوا ذلك .

فلم يكن استطاعة للتخلص بل ضربه عبد كان لابى الصبى بحجر خلط به فكه فوقع صريعاً وتواتر عليه الرجم الى ان مات فحمل ودفن بالحبش وبعده بهنيهه طلع الصبى الى السطح لبعض شانه فوقع من البادهنج وتعلق قفص الكيزان فى اضلاعه فوقع ميتا وذكر ان ذلك النصرانى كان برياً وان الفاعل للقبيح العبد الذى قتله فانه لقى شدة عظيمة وهلك وسافر الشيخ السنى بو المجد بن القسيس بو الفرج الى قوص لانه كان مستوفيها وهو كان اكبر المضادين للقس داود المجاهدين لسببه وقبض على

الفاضي الاعز الوزير وخشب واعتقل بدار السلطان واخذ بو سعيد بن اخت البطرك المتنيح وادخل على السلطان الملك العادل فقال له اريد منك ارث البطرك لانه حشرى فقال لا مولاى لم يكن له شي وقد اشهد على نفسه قبل موته قال ذاهذيان اريد ثلثين الف دينار وامر باعتقاله فى دار السلطان فخافت نفوس الناس واستوثق الامر للشيخ نش الخلافه وكتب للقس داود بالتزكيه من لم يكن يكتب له ولم يبق من الجماعة من لم يكتب له إلا النزر اليسي قوم يعدون وبعد ذلك وصل القس نصير الراهب الذى كان البطرك انبا يوحنا سيره الى بلاد الحبشة بكتابه بالوصاه على المسلمين الذين هناك والمترددين كما كان امره المولى الملك الكامل ومعه رسول حبشى اسقف من بلادهم ورجل من اهل اخصهم رفيق الاسقف فى الرسالة يعرف بابى الفضل ابن ابى المنصور وعلى يدهم هدية برسم السلطان وهدية اخرى برسم البطرك رحمه الله فاما هدية السلطان فاوصلوها واما هدية البطرك فلم يعلم ما كان منها ونزل المذكورين فى دار على البحر واقاموا مدة ولم يظهروا بكثير طايل ولا متوفر قبول وانصرفوا الى بلادهم بعد ان شاهدوا من اختلاف الشعب وتفرق اراهم ووقع الفتنة بينهم مالا مزيج عليه وبلغ النيل فى هذه السنة إلى .... ثم دخل فصل الخريف فمرض الناس كلهم وكان فصلا شديدا مثل الفصل الذى كان قبله واشد ودخلت سنة ثلاث وثلثين وتسع مايه للشهدا الاطهار وكان الحكيم بوشاكر ملازما للقلعة بايتاً بها لاجل مرض من بدار السلطان وكانت له منزلة كبيرة وحرمة عظيمة حتى انه كان يدخل من باب القلعة راكباً الى الباب الجوانى ولم يكن احد يدخله راكباً إلا السلطان وحده وكان فى بعض الاوقات يلقى اخوه السلطان واكابر الامراء وقاضى القضاة وجلة الفقها رجاله يمشون وهو راكب فلا ينزل وكانوا يعذرونه لان الامر خرج اليه بذلك واما فى هذه المدة مدة المرض فانه كان يركب فى صحن القاعة الجوانى ويدور على الحرم من قاعة الى قاعة فمرض فى القاعة التى افردت له بالقلعة واقام ايام وتوفى الى رحمة الله فحمل على سريره الذى كان عليه الى الخندق ودفن هناك ودفن الى جانب اخيه ابى سعيد فى كنيسة بالدير

المذكور واشتمل السلطان على ابن اخيه وابن ابنه وامرهما بالملازمة واحلهما محله لانه
كان علمهما ورجحهما لذلك قبل موته ثم بقى الحال على ما هو عليه الى طوبه
فاستدعانى الشخ نش الخلافه وقال نريد رقعة للسلطان بسبب البطرك فقررنا مسودة
رقعة مضمونها أن مولانا قد انعم على كافة الخلق وقوم كل فاسد وبقى المماليك
مختلى الاحوال بغير بطرك ويسئلون النظر فى حالهم واخذهم فعرضها على السلطان
وكان قبل عيد الفطر فقال بعد العيد ننظر فى حالهم فلما كان فى يوم الجمعة الثامن
عشر من طوبه الموافق للثالث من شوال تقدم الى السلطان وقال يا مولانا النصارى
يطلبون مراحم السلطان بما وعدهم به من النظر فى حاله فقال نعم أجمعهم حتى نقرر
حالهم فقال يا مولانا ومن هو انا هؤلاء ارباب بيوتات وما يلتفتون الى بل بأمر مولانا
والى مصر والى القاهرة ينذرهم ليحضروا بين يدى مولانا فى اليوم الذى يعينه وخرج
من عنده فى شغل طلبه منه فوجد والى مصر على الباب فعاد اليه وقال يا مولانا هوذا
والى مصر برا ان كان مولانا يامره بشىء فذاك اليه قال نعم صيحوا به فاستدعاه وامره
ان يجمع النصارى ويحضرهم صحبته يوم الاثنين الحادى والعشرين من طوبه ليتفقوا
على البطرك الذى قيمه لهم واحضر والى القاهرة وامره بمثل ذلك فأشعروا الناس ليلة
السبت وليلة الأحد وليلة الاثنين واعلموا قسيس كل كنيسة ان يعلم جماعته وياخذهم
ويحضر فى صبيحة يوم الاثنين واما والى مصر فسير كاتبه وحاجبه الى المميزين من
اهل مصر يعلمهم بذلك فاجتمع المصريون الى دار امين الدين والى مصر والقاهريون الى
باب دار السلطان وطلع والى مصر بالمصريين واجتمعوا مع القاهريين وكانوا زها ماية
رجل او اكثر ودخلوا جميعهم الى دار السلطان فوجدوا الواليين على مصطبة بها
فاستدعيا جماعة من اعيانهم وقال من تريدون ان يكون لكم بطرك فقالا القس داود
الذى كتبنا له خطوطنا فانتدبوا واحد من المصريين يقال له بو العز ابن وكيل الجناح وهو
شماس من شمامسة المعلقة وقال يا مولانا نحن ما نرضى ووازره اخر يعرف بابى الرضا
ابن قسيس كنيسة ابى شنوده بالساحل وشيعا ولم يتكلم غيرهما فنفد الشيخ نش
الخلافة الى ابى العز احضره اليه الى الخزانة المعمورة ولاطفه فاوسك مقرب الرضا

على حاله فدخل الواليان على السلطان وعرفاه اختلاف الجماعة فقال احضروا لى جماعة من هولاء وجماعة من هولاء حتى اسمع كلامهم فقال جماعة الذين لا يريدون القس داود بقى من اصحابنا شيخ وهو كبيرنا قس بحارة الروم القاهرة وهو يسمى يوسف فأمر والى القاهرة باحضاره فاحضر وادخل الى السلطان وكان ارشيبابا القسوس بالقاهرة والقس بركات ارشيبابا القسوس بمصر وجماعة من القسوس وغيرهم فكر كلا منهم قدام السلطان وزاد ونقص فزجرهم واستمراخر حديثهم ان رضى المصريون بالقس بركات والقاهريون بالقس يوسف واعترفا بانهما مقدماهما فامسك السلطان القسين وامر باقى الجماعة بالخروج فخرجوا والتفت الى القسين فقال لهما كم يحصل للبطرك كل سنة فقالا اربع ماية دينار فى السنة قال فما يفعل بها قالا ينفقها على نفسه ويتصدق بها قال فاى شى كان قبل بطركيته قالا تاجراً قال فمن خلف من الورثة قالا اخته قال فكم لها من الميراث قالا النصف وغلطا فى هذا لانهما كان ضعيفين فى علم البيعة لان شيعة النصرانية توجب للأخت جميع الميراث اذا لم يخلف غيرها وهما عملا على شرع المسلمين فقال فالنصف الاخر لمن قالا لك يا مولانا قال فانا اطلب منكما نصيبى لانكما مقدما الجماعة قالا نحن ما كنا نكاتره ولا نعلم شيئاً مما كان فيه فقال هذا شى ما اعرف وتشدد عليهما فقالا يا مولاى اولاد اخته أولى بهذا منا فقال كان له جماعة اولاد اخت ما نعرف الا واحداً الذى هو عندنا قالا يا مولاى بقى اخر يسما مكارم وهو مقيم بمصر فالتفت الى الوالى وقال يحضر الساعة فاحضر لوقته وترك عند اخيه فى الموضع الذى كان معتقلا به بدار السلطان ثم التفت اليهما وقال من تريدان ان يكون لكم بطركاً قالا يا مولانا نحن لنا عادة ان نعمل قرعة ونكتب ثلثة اسماء فمن طلع لنا عملناه قال فهذا صاحب المحاضر وكان السلطان قد سير احضر المحاضر فقالا يا مولاى ما يجوز عندنا تقديمه لانه ممنوع من مقدمنا قال فمن الثلثة الذى تعينون عليهم قالا الصنيعة اى غالب بن السكرى قال ذلك كاتبنا ما لكم معه حديث فمن غيره قالا الشيخ بو الكرم رجل من مصر شيخ عالم قال ومن قالا الحبيس الذى بابيار قال [illegible] ومن الثالث قالا صاحب هذه المحاضر قال

فالساعة نفيتموه وقلتم ما يجب قالا يا مولاى هذه الرقاع نحن نعتقد انه لا يطلع فيها الا من يختاره الله فما نبالى من كتبنا ونحن نعمل هذا قطعاً للشر لئلا يبقى فى قلب احد من الجماعة شيء فالتفت الى الواليين وقال احضر الى خمسة من وجوه المصريين وخمسة من وجوه القاهريين فخرج الواليين فاختارا خمسة من كل فئة كنت انا من خير المصريين فعبر الجماعة الى قدامه وجلسوا فى الجانبين بين ديديه فرفع راسه اليهم وقال هاذان مقدما كما قالوا هاذان مقدما كنايسهما قال افلستم راضين بما قرراه قالوا حتى نعلم ما هو قال قد ذكرا اسماء ليعملا عليهما القرعة قالوا ومن هم الاسماء قال السلطان للقسيسين تعرفاهم قالا اخترنا الشيخ ابا الكرم قالت الجماعة يا مولانا رجل شيخ فانى لا يقوم بهذا الامر قال السلطان فأين هو قالوا بمصر قالت الجماعة يا قسيسين من غير ابى الكرم قالا حبيس ابيار قالوا لهما فانما تعرفاه حتى تزكياه قالا الملك الكامل يعرفه وهو الذى اختاره فقال السلطان الملك الكامل ما يدخل بينكم دعوه عنكم وكثر العياط فامرهم السلطان بالسكوت ثم قال هاتوا المحاضر فاحضرت فقال لوالى القاهرة اعطها لهم فاخذ يدفعها للقاهريين فقال السلطان لا ادفعها لهولاء الذين يخالفون يعنى المصريين ولم يكن احد ممن دخل اليه فى هذه المرة يخالف فى القس داود بل كلهم كانوا كتبوا له وانما السلطان كان يبث فى نفسه ان المصريين كلهم كانوا مخالفين لما كان يجرى من اجتماع اكثرهم ووقفهم للملك الكامل فاخذنا المحاضر فقال ما تقولون فى هذه قلنا نحن راضون بهذا الرجل وهذه خطوطنا قال ما هو خطكم وحدكم بل وخط الاساقفة والرهابنه قلنا نعم يا مولانا فالتفت الى القاهريين وقال فانتم ما تقولون قالوا راضون بهذا الرجل فقال القسيسين فانتم ما تقولان فسكت القس بركات فقال القس يوسف إذا رضى هولاء وهولا اى شى تقول نحن ، فقال السلطان اخرجوا واتفقوا مع اصحابكم الذى برا وقدموا بطرككم ووحيات رأسي وتربة السلطان ان لم تنفقوا ما قدمت لكم بطركاً ابداً فقاموا خرجوا وارتفعت الضجة بناء على ان القس داود قد أثبت امره وانخزا الذين يضادونه وعاد اكثرهم الى الرضى ودخل الناس الى الشيخ نش[illegible] الى القس داوود يخدمونه ويهنئونه حتى لم

تسعهم الدار وكان ناس يروحون واخرون يجيون وما شك احد فى انه البطرك وانه يكرز فى يوم الاحد الذى بين الرفاعين وهو السابع والعشرين من طوبه ونفذ الشيخ نش الخلافة لاحضار الاساقفة واجتمع بى القس وقال تريد كتب التقليد فقلت يا مولاى هذه وظيفة فخر الدولة ابى سعيد كاتب القلايه وكان قريباً لى وصديقاً ونسيباً ولم يكن طيب القلب هذه القضية فقال فخر الدولة الساعة ما اليه سبيل وربما لا يفعل فقلت انا افعل هذا بشرط على حكم النيابة عنه بشرط ان الاب لا يغير عليه شياً قال سمعاً وطاعة فقررت نسخة التقليد عربياً واسميته انبا كيرلس وبيضتها ونقلوها الى القبطى وحررت نسخة القبطى عليها وفصلت الثياب والفقاقير واحضر كرسى كان من مقدم الزمان برسم البطاركه وجلى واحضرت العكاكيز واشتريت الدواب وتجهز القس واصحابه للرواح الى ثغر الاسكندرية بعد القمصية وفى اثناء هذا خرج السلطان الى خصوص عين شمس متوجها الى ثغر الاسكندرية وكان الناس يظنون ان الشيخ ابا الفتوح قد استخرج امره بتقدمة القس داود ووصل اسقف لقانه الذى كان يتلوا الرشيابسقويو واخبر ان اخاه الكبير مريض ووصل معه بعده ثلثة اساقفة اخر وهما اسقف اشموم واسقف مليج واسقف شطنوف وتحقق الناس انه قد تم امره وبقى المضاددون له يقولون نحن نفعل ونصنع اشياء ما كانوا يقدرون عليها لو خرج الامر فلما كان فى عشية السبت ليلة الاحد المقدم ذكره اجتمعت الاساقفة والجماعة واجروا الحديث فقالوا نحن غداً فى مصر قال لهم فماذا قالوا كيف أما نكرز البطرك ، قال لا ما له فى غد تكريز لاننا ما شاورنا السلطان بعد ولا اخذنا كتاباً الي والى الاسكندرية فسكتوا واصبح المصريون طلعوا الى القاهرة ليجثوا صحبته فاعلموا ذلك فرجعوا وبقى الاساقفة بالقاهرة ولما كان نهار يوم الثلثا من جمعة الرفاع اجتمعت جماعة من قسوس المصريين واهل الصفا وقوم ممن كان لا يريد اللقس داو وخرجوا يبتغون السلطان لعلموه انهم لا يريدون داود وفى يوم الاربعا اتبعهم الشيخ نش الخلافة جماعة ممن كان معه ليقفوا له ويقولوا انهم يريدونه وخرج هولاء وهولاء وكان السلطان قد رحل فاما جماعة المطليين فانهم لحقوا السلطان واما اصحاب الشيخ ابى الفتوح فانهم لقيوا فى

طريقهم الاسقف المعروف بهديه فى قليوب جايئاً لتكريز البطرك فعرفوه القضية فرجع معهم وكان معه جماعة فصاروا عدة وساروا فوافوا السلطان على معديه دجوه في نهار يوم الخميس وكان مطر فوقفوا له فقال ما تريدون واحضر الاسقف

فقال يا مولانا كنت انعمت علينا بتقدمة البطرك ولما وصلت لم اجد معهم خط مولانا ولم ينعمل لنا شى بغير خط وانا اسأل من انعام مولانا ان يكتب لنا خطه قال نعم تعالوا الى المنزله نقضى حاجتكم وسا فلقيه تلك الجماعة فقال ما لهولاء فقالوا يا مولانا انت امرت ان نتفق ونحن فما رضينا بهذا الرجل فقال من احضر عشرة الف دينار جعلناه بطركاً ووقفوا له مرة أخرى واخرى وهو لا يخرجهم عن ذلك فرجعوا وبقى اوليك سايرين مع السلطان منتظرين ما وعدهم به وكان الشيخ نش الخلافة يعد بالقاهرة لم يخرج منها فلما كان يوم الاحد الرفاع تقرب هو والاساقفة بكنيسة الفخارين بالقاهرة وبعد القربان اخذ الاساقفة معه ومضى الى دار القاضى الاشرف بن القاضى الفاضل وادخلهم عليه فقال لهم ما بالكم قالوا يا مولانا قد فسدت احوالنا بغير بطرك ونحن فقد رضينا هذا الرجل فقال طيبوا قلوبكم انا اخرج الى السلطان واعلمه ما سمعت منكم وانجز لكم القضية فدعوا له وانفصلوا من عنده وخرج هو والشيخ نش الخلافة فى بقية النهار وسار للسلطان وتلك الجماعة معه وقد انضم اليهم اساقفة اخرون هم يقفون له فى الوقت بعد الوقت ولا يخرجهم عن المواعيد الى انهوصلوا الى ثغر الاسكندرية ووصل الشيخ نش الخلافة واجتمعوا هناك ولم يزالوا كذلك الا ان هم السلطان بالخروج من الثغر فى اخر الجمعة السادسة من الصوم وكان عازماً على المضى إلى ثغر دمياط فتقدم إليه الشيخ نش الخلافه وقال يا مولانا هولاء النصارى قد طالت مدتهم ومولانا أولى من قضى حاجتهم فامر السلطان ان يكتب لهم كتاب بتقدمته عليهم فكتب ولم يبق الا العلامة فسمع رجل من كتاب السلطان يعرف بالرضى ابى الرضا بن ددراق فكتب رقعة الى السلطان بان هذا الرجل ما يصلح وان كل من كتب له انما كتب له خوفاً والاساقفة هو الذى يكلفهم ما جرى من غير رغبة منهم ودخل بها يقصد من [illegible] على باب القاعة منفرداً فقال ما لك يا

ابا الرضى فناوله الرقعة فقرأها ثم امر بتبطيل الكتاب وقال نحن نروح الى مصر نكشف عن حاله واما ما كان من حديث ابنى اخت البطرك فان السلطان كان قبل خروجه سلمها للصمصام مشد الدواوين فعصرهما وتهددهما وعاقبهما ولم يزل معهما حتى قطعا على انفسهما ثلثة الف دينار وضمن عليهما بها وانحرجهما فقاما بها ثم أن السلطان خرج من أسكندرية ورجع رايه عن الروح الى دمياط فجاء الى القاهرة ودخل اليها فى نهار يوم الجمعة من الجمعة السابعة من الصوم المقدس ودخل الشيخ نش الخلافة معه والجماعة وفى نهار يوم السبت الذى هو سبت العازر احضر الشيخ نش الخلافة الاساقفة الى بين يدى السلطان وكانوا سبعة ، والاربعة المقيمون بالقاهرة فى دار الشيخ نش الخلافة عند القس داود وثلثة الذين كانوا يسيرون وراء السلطان من موضع الى موضع فاستخبرهم عن القس داود فقالوا نحن راضيون به ولا نخرج عما كتبنا به خطوطنا له فقال لهم اخرجوا واشهدوا عليكم بذلك فخرجوا الى الديوان وكتبوا عليهم شهادة برضاهم بالقس داود واستصلاحهم له أن يكون بطريركاً وسيرها الشيخ نش الخلافة الى السلطان فخرجت علامته عليها للوقت فاخذ الشيخ الخط وسيره الى والى مصر عشاء لكى ينذر الناس بان يخرجوا باكر للقاء بطركهم وليوقدوا كنيسة المعلقة ويزينوها فنفذ الى كهنة المعلقة وتقدم اليهم بذلك فشاعت القضية وخرج الاسعد هبة الله بن صدقة المذكور أولا وهو الذى كان يولب الناس على الوقوف للسلطان بتلك المرار ويجمعهم وصار يدخل من كنيسة الى كنيسة الى ان اجتمع معه خلق فطلعوا الى القاهرة لوقهم ومعهم جميع قسا الكنايس ما خلا قسيس كنيسة بومرقوره ،، وأوقدوا الشمع وقصدوا القلعة ليلا فلبوا وغوثوا وصرخوا واستغاثوا الى ان سمعهم الملك الكامل ثم عادوا ليدخلوا القاهرة فوجدوا باب زويله قد اغلق فرقدوا على الباب وبطلت فى تلك الليلة جميع كنايس مصر من الابصلمدية ومن تدوير الزيتونه فلما اصبحوا قصدوا دار القاضى الاشرف بن الفاضل قبل ركوبه ثم مضوا الى دار السلطان فمنهم من عبر ومنهم من بقى برا يغوث ويصيح ودخل من هذه الجماعة قوم إلى القاضى [illegible] وذكروا له ان البطرك مات وله فى جهة

الاساقفة ديارته سنة وهذه سنة بعد موته والسلطان وارثه فاطلبها منهم وهى الفان ومايتا دينار فنفذ اليهم ووكل بهم وكانوا عازمين الى النزول الى مصر لتقديم البطرك وكتب رقعة للسلطان بانه جرى كذا وكذا فقال السلطان ان تعرض اليهم احد ضربت رقبته هذا هذيان اى شيء اسكتهم عنهم هذا الزمان كله فقد رقع التوكيل عنهم وركبوا مطمأنين وركب معهم القس واجتمع معهم من الخلق مالا يحصى عدده وكان يوماً مشهوداً وجات الرهجية فاعطوهم شيئا وصرفوهم وتبادرت الاخبار الى مصر بان الامر انبت فصارت الاسواق لا تنشق فاما المعلقة فلم يكن لأحد فيها وطأة قدم من كثرة الخلق فطلعوا برزمة فيها ثيابه ومعها عكازه الى كنيسة المعلقة وكان والى القاهرة قد مضى الى الملك الكامل وعرفه ما جرى فقال مهما أمر به السلطان تمتثل فلما غوت النصارى تلك الليلة نفذ استدعاه وحمله رسالة الى ابيه وكان القس والجماعة قد خرجوا من باب الخوخه قاصدين مصر فوصلوا الى الميمونة ومعهم نايب والى يالقاهرة وتلقاهم بن والى مصر هناك واذا رسل قد جاءوا عدواً استردوا اللاساقفة وقالوا السلطان طلبهم وفى الحال جاء سهم الدين والى القاهرة يركض فاستعاد الحظ الذى كان فيه علامة السلطان واخذ الاساقفة معه وعاد فلما وصل الى باب دار السلطان كاد الناس يرجمون اللاساقفة فحماهم سهم الدين وقال والله ان تعرض اليهم احد قطعت يده فكفت عنهم الايدى بل تناولوهم بالالسن فشتموهم وسبوهم وعيروهم وعبروا الى دار السلطان فعيقوا بها واما القس وبعض الجماعة فدخلوا الى كنيسة حارة الروم الحمرا وبعضهم بقى برا على الطريق وبعضهم بل اكثرهم تغللوا وبقى من بقى منتظرين لم ينقطع رجاهم واما اوليك فكانوا مقيمين على باب دار السلطان لما دخل الملك الكامل الى خدمة ابيه وقفوا له وراهم ولما خرج وقفوا له ودعوا له وطالت الحال وجآت التاسعة وكنت انا فى جميع ما جرى فى هذا النهار مقيماً بكنيسة ابو سرجه فلما قيل لى قد وصل الى الميمونه قلت اقوم القاه على رأس الدرب فقمت ركبت وانا اقول هنا القاه هنا القاه الى ان قيل لى الجماعة قد نزلوا عند الحمرا فتعجبت واسرعت لعلم الخبر فجيت وجدت اصحابنا قعوداً [illegible] فلما فاتت التاسعة قلت اليوم عظيم

وما يجب ان يفوتنا فيه القربان وكان هناك قس من اهل دميره يسمى بانوب فاخذته معى وجماعة من اصحابنا المكابرين لى وجينا الى كنيسة غبريال وكانوا قدسوا فيها قبل ذلك فطلبنا قربانة فاحضرت واحضر كسوة وانيه فقدسنا وتقربنا وعدت انا الى كنيسة بو سرجة التى كنت مقيم بها فى الصوم وبقى بعض اصحابنا منتظراً على حاله فاما اوليك المصريون فبقوا على باب دار السلطان الى العشا الى ان اخرجت الاساقفة واكثرهم باتوا بالقاهرة واما القس داود فاقام بكنيسة حارة الروم الحمرا الى عشية النهار ثم عاد الى بيته وبطلت كنايس مصر فى هذا النهار من القداس وهو يوم الشعانين واصبحوا الناس يوم الاثنين الذى هو اول يوم البصخه وكان عيد الاضحى اجتمعوا ووقفوا للسلطان بالاناجيل والمجامر والصلبان يدعون له وخرجوا الاساقفة فى ذلك النهار كل منهم الى كرسيه ورجع الناس الى كنايسهم واستقروا بها وعيدوا والقال والقيل بينهم يحتبك واما ما جرى على يالبيعة فى هذه الايام فان وكيل السلطان جاء الى قصر الشمع وصقعه جميعه واخذ الناس بأن يقوموا عن كل دار بشى على حكم الحكر واخذ من كثير منهم وحدد عليهم الحكر مضاعفاً وقطع على اوقاف الكنايس التى للذمه عن كل دار خمسة دنانير ووقع للناس من ذلك فى شدة عظيمة وكان التوكيل على القسوس فى كل حين بهذا السبب وقاموا ببعض امبلغ فعزمت كنيستنا المعلقة وبو سرجه زهاء خمسون دينار ولما وصل السلطان وقفوا عن الطلب وبعد ذلك وردت الاخبار بغلا الغلة فى الشام وخصوصاً ارض القدس والساحل حتى انهم ذكروا ان الماء عدم بها وان عين سلوان نزحت حتى صارت طريقاً ولم يسمع بمثل هذا وتحركت الاسعار بمصر الى خمسة وثلثين دينار المائة اردب القمح ثم انحطت الى سبعة وعشرين دينار وعمل جسر مراكب من الجزيرة الى الجيزه وكان مبتداه من قدام الصناعة المستجده وعدة المراكب التى فيه ثلثة وخمسين مركباً وكان كماله فى نهار يوم الخميس التاسع من ابيب سنة ثلاث وثلثين وتسعماية وأبيع للناس بغير حق يطلب عنه واستخدم السلطان برسمه رجال لاصلاح ما يفسد منه ولفتح الابواب للمراكب المصعده والمنحدره لانهم [illegible] المراكب وتعاد على حالها وصار الناس رايحين

الى الجيزه وجايين ركاباً ورجالة وفرحوا بذلك فرحاً عظيماً ودعوا للسلطان بسببه وعمل عليه درابزين خشب من الجانبين احترازاً من ان يسقط احد الى البحر فى وقت .

ووجد الناس به راحة عظيمة ووصل الماء فى هذه السنة الى اثنين وعشرين اصبعاً من سبع عشر ذراعاً ثم انحط وتحركت اسعار الغلة الى ان بلغ القمح خمسين دينار المائة اردب ثم انحط الى خمسة وعشرين دينار ورجعوا كرروا الطلب على القسوس فى طلب قيمة ما قطعوه على الاوقاف ولم يزالوا مجتهدين الى ان غلقوه بعد جهد وشدة ورهبان اجحفت بالكنيسة وفى هذه السنة خرج السلطان الملك العادل من القاهرة الى البركة المعروفة ببركة الحبش طالباً للدار الشامية لما بلغه من اخبار الفرنج وكثرتهم واقام بها مدة ثم انتقل الى بلبيس دخلت سنة أربع وثلثين وتسع مائة ثم توجه الى الشام ونزل ببيسان يجمع عساكره وجنوده واقام بها مدة طويلة وكان قد وصل الى الافرنج ملك من ورا البحر يعرف بملك الهنكر وقيل انهم اجتمعوا فى اربعة الف راكب ومائة الف راجل وقصدوا عسكر الاسلام ببيسان فلم يثبت قدامهم بل انهزموا وتبعتهم الافرنج اربعة خمسة ايام الى ان ابعدوهم عن الساحل ونهبوا من الغلال والاسلحة وقتلوا واسروا خلقاً عظيماً ثم عادوا نزلوا على طبرية اياماً ثم رجعوا الى عكا اقاموا بها يعملون آلات الحصار ثم خرجوا نازلوا الطور وهى قلعة عظيمة استنجد بها الملك العادل قريبة من عكا وقاتلوها عشرة ايام وقتلوا مقدمها ثم رحلوا منها بغير سبب علم وعادوا الى عكا وكان قبل عيد الميلاد المقدس وفى هذه الايام امر السلطان عز نصره بعرض المسجونين فعرضوا عليه فكان فيهم رجل يسمى اسداً وكان حايكاً وكان قد تخاصم مع امرأته فحملته الى الشرع فجرت منه لقطه شهد عليه بالاسلام وانكره فاعتقل وبقى فى الاعتقال مدة سنة الى هذا الاوان فاحضره السلطان ورغبه ووعده بمال وكسوة ان هو بقى على الاسلام فامتنع وقال ما انا الا نصرانى وعلى نصرانيتى اموت فقال له ويلك تلفظ بالشهادة قدامى واينما اردت امضى أفتضل بنفسك قال لا كان هذا ابدا ولم يزل الحال يتردد بينهم وبينه الى يوم الغطاس المجيد فامر بضرب رقبته فاحضره والى القاهرة عند باب زويله واحضر الشهود وعرض عليه الاسلام قدامهم فامتنع وقال انجزونى بالله

عليكم ولا تردونى الى الحبس فتقدم اليه احد مماليكه فنخسه بالسيف الى ان غاب منه فيه اربع اصابع فقال له كمل فقال له المملوك مد عنقك فمده فضربه ضربة طارت بها رأسه عن جسده وعلق بدنه على باب زويله ومجد الناس الله على صبر هذا الرجل وحسن ايمانه وبقى معلقاً ثلثة ايام وبعد ذلك حطوه واخرجوه خارج المدينة واخذوا ان يحرقوه ولم يلق عليه من الوقود ما يفى باحاقه فبقى جسده سالماً واجتمعت جماعة من النصارى المباركين وسالوا الوالى فيه فاعطاهم أياه فاخذوه ودفنوه فى كنيسة الملكية التى بحارة الروم الحمرا وشكروا الله الذى يثبت قديسيه على الايمان باسمه الى اخر نفس وفى هذا الوقت امرر السلطان ابقاه الله ان يعمل على مصر سور من جانب البحر وان يمد مع طول الخليج الى القاهرة وشرعوا فى ذلك وابتدوا به من عند دار الملك وحفروا الاساس وشرعوا فى العمارة وفى هذه الايام خرج امر الملك الكامل الى القاهرة ومصر بان يخرجوا كل ليلة ويتشالقوا ففعلوا ذلك وصارت تقع بينهم القتلى والجرحى والمعطوبون من الحجارة وصار كل من فى البلدين بايديهم المقاليع وبطلوا اهل مصر وبقى أهل القاهرة على الحال وهم فى كل وقت متزايدين وبعد ذلك دخل الصوم المقدس فجعل الاراخنة اصحاب القس داود ياخذونه فى كل احد الى كنيسة ويقدس بها ويفرحون معه لانه كان كاهناً حسناً وعالماً خبيراً ومحبوباً ممن يخاف الله فاما من كان تعانده فما كان تعانده الا لوجوه شتى اغراضيه منهم من كان يحسده ومنهم من كان يخاف من تقدمته لاجل اشياء هو مرتكبها او من مكروه قد اسداه اليه فيخاف معاقبته عليه ومنهم من لا يذرى فيظن لاجل كثرة الشناعة ان الامر صحيح وانه غير مستحق فضادد فى أمره ديناً فلما كان فى الاحد الثالث خلف عليه بعض الجماعة الي كنيسة القديس بو سرجه بمصر باتفاق من قس البيعة المذكورة فحضر وحضرت معه جماعة من الاراخنة وشعب كثير وضرب له قسيس الكنيسة المطاونة فقدس فلما وصلوا الى الابسطلس واذا برجل يعرف بابن صدقه المقدم ذكره قد خل ومعه غلمان الوالى وشغب وصاح وافترى على قس البيعة ورام تبطيل القداس بعد ان حمل القربان واجتمع من الناس على باب الكنيسة خلق عظيم لينظروا ما يكون وجرت مفاوضات كثيرة اخرها

ان القس داود يكمل القداس ووالى مصر قاعد له فى وسط الكنيسة على دكة ليحفظ القس داود ممن يتعرض اليه لان ابن صدقه واصحابه راموا رجمه وهو على الهيكل وكمل القداس كيرلس على ما جرت به عادته لم يتغير شي من كهنوته المعروف منه ثم خرج وركب ووالى مصر راكب معه فى خدمته الى أن اوصله الى قريب القاهرة ومضي اليي بيته سالم واجتمع الصعيدون بياعون الزيت الحار والاشنان الذين هم يعتقدون ان هذا الذى يعملونه دين لغرارتهم وجهلهم ورباطاهم وطلعوا الى تحت القلعة ثانى يوم وقصدوا الوقوف للسلطان وكتبوا رقاعاً ولم يخرج لهم جواب بل رجعوا خايبين وهذه امور لله فيها سر ومشيئة وهو العالم بالمصلحة فى كل شي وبقى الناس على ما هم عليه ولما كان يوم الثلثا الرابع من بوونه من السنة المذكورة وصلوا الفرنج الى ثغر دمياط فى عدة عظيمه ونزلوا على بر الجيره وضربوا خيامهم وتقدموا الى برج السلسلة فصبوا عليه منجيقات وقاتلوه وعبروا بشخاتير وحراريق حربية الى البحر الحلو وصاروا قبلى السلسلة وانقطعت الميرة عن دمياط فى البحر وما صار ينقل اليها شى الا فى البر على الجمال واشتد بالناس الامر واخلت الدميرتان والمحله وشنهور وسخا واكثر البلاد البحريه وانتقل اهل مصر الى القاهرة ووصلت العساكر من الشام الى دمياط وخرج من مصر والقاهرة خلق عظيم للجهاد فمنهم من انفق فيهم السلطان ومنهم من انفق فيهم وجوه المدينتين ومنهم من خرج من ذات نفسه ديناً وصارت الاخبار تزيد وتنقص واتخذ الناس فى بيوتهم الطواحين وخزنوا القمح والدقيق والكعك والارز وغيره من الات الحصار وخرج الملك الكامل بنفسه الى الثغر واقام على شارمستاح ونصب الافرنج على دمياط وعلى برج السلسلة الذى مقابلها ثمانية منجنيقات وكانت حجارتها تصل الى وسط المدينة وكانت نشابهم لا تفتر ليلاً ولا نهاراً مع المنجنييقات على الاستمرار وكانت القتلى والجرحى كثيرة جداً ولما كان فى نهار يوم الجمعة الثامن والعشرين من بوونه ركبوا فى زهاء سبعين ثمانين مركباً بعد ان لبدوها وستروها وزحفوا بها على البلد وقاتلوا قتالاً عظيماً وكان يوماً شديداً ثم رجعوا الى منزتهم والحال على ما هو عليه من ضرب المنجنيقات ورمى النشاب الى يوم الاحد

السابع من ابيب فعملوا علي اربع بطس اربعة ابراج وزحفوا بثلثة منها الى البرج وواحدة الى الثغر وقاتلوا وجدوا فى القتال واشرفوا على البرج ونصبوا سلالم للطلوع اليه ولم يبق فى اخذه شيء ومالوا كلهم الى صوب البرج وكانوا مثقلين بالحديد فانقسم الصارى ووقع كل من كان على السلالم الى البحر بزردياتهم وعددهم فغرقوا كلهم وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً وزينت المدينتان ورجع من سلم منهم الى يمنزلتهم والحال على ما هو عليه من ضرب المنجنيقات ورمى النشاب وبعد ايام وصلت الاخبار بان احد اولاد السلطان دخل الى بلاد عكا واخذ منها برجاً يسمى دهوق كان فيه ثلثون نفساً وضربت ايضاً البشاير بالقاهرة وعملت بالقاهرة ومصر سلسلة عظيمة لتقوى بهاتيك السلسلة وزنها ماية وثلثون قنطاراً بالمصرى واستمر الحال على الرمى بالنشاب والضرب بالمجنيقات وركب من الفرنج خيل وغاروا الى بعض الدنجاويه واخذوا منها غلة وتبنا وعادوا وقتلوا من لقيوه فى الطريق وسير السلطان احرق البلاد المجاورة للموضع الذى وصلوا اليه وصارت الغارات مستمرة فى البر والبحر والقتال لا يفتر وكان مقابلهم فى بر العب جماعة كبيرة من العربان تناهز ثلاثة الف فارس ومعهم اميرين من اكابر العرب فركب من الفرنج الفا فارس وكان بينهم وبينهم مسافة يوم واحد فساقوا ركضاً الى ان وصلوهم فلما صدموهم انهزموا قدامهم وقتل منهم خلق كثير واسر وحصل بيد الفرنج من الخيول العربية مالا يدرى ونموا عليهم الى ان تعدوا خيامهم واخذوها واخذوا كلما فيها واخذوا الازواد اتى كانت عندهم والجمال ورجعوا الى منزلهم فاما العرب الذين انهزموا فمنهم من كان من الفيوم ومنهم من كان من الصعيد فتموا على شوطهم نهبوا من كان بقى فى العربية وتفرقوا الى بلادهم وفى اثنا ذلك هدم الملك المعظم سلطان الشام قلعة الطور التى كان الافرنج نازلوها ونقل جميع ما كان فيها الى القدس الشريف واستمروا الحال بالزحف بين كل يومين ثلثة والرمى بالمنجنيقات العظيمة الهايله التى وزن حجر احدها فكان ثلثماية وخمسين رطلاً بالمصرى والنشاب العظيم الكبير الذى هو اصناف وانواع واهتموا بمراكب يسمونها [illegible] والنشاب والمسمار الى ان بقيت الاثنتان مثل

واحدة وعملوا فيها اربعة صوارى وركبوا على الصوارى برجاً من الخشب وعملوا حوله سوراً مثل سور المدن بشراريف وعملوا اسقاله عظيمة بحبال وبكر ترخى وترفع وتقدموا الى البرج فى نهار يوم الجمعة اول النسى من سنة اربع وثلثين وتسع مايه وكان به ثلثماية مقاتل من المسلمين فارخوا الاسقاله على البرج ونزلوا اليه وملكوا الطبقة الفوقانية وقتلوا من كان فيها فاما الذين فى الطبقة الوسطا فصاحوا الامان فاسروهم وكان الجسر قد انقطع فلم يفلت منهم احد إلا من رمى بنفسه الى البحر وكان يوماً عظيماً ونصبوا على البرج الاعلام والصلبان وسدوا بابه الذى من جانب دمياط وفتحوا الباب الذى من برهم ونصبوا جسرهم من عندهم اليه واخذوا فيه من الاسلحة والنفط والازواد ما لا يحصى وفرحوا فرحاً عظيماً وكثرت الادلة على نظر سيدنا لهذا الدين ورضاه عن اهله فمنه ما حدثنى به القسيس بانوب وهو رجل فاضل مسيحى صادق قال قدست فى هذه السنة بكنيسة سمرنيه من اعمال الغربيه فى يوم عيد الثلثة الفتية وهو عشرة ايام فى بشنس فلما كان وقت الاسبسمس الذى هو الصلح ظهر فوق قبة الهيكل شخص جالس على كرسى وقدامه شخص واقف بين يديه وفى يده مجمره وهو يبخر ولهيب النار صاعد من المجمره ثم ظهر بداير القبة كلها خياله ركاب على خيل مثل صور القديسين التى فى الكنايس وكانوا يدورون حول القبة وأذناب خيلهم تتحرك وكلهم اعنى الناس يشاهدونها فاذا وصلوا الى الكرسى صقعوا وعبروا ولم يزالوا كذلك الى وقت القربان انصرفوا وظهر مثل ذلك فى كنيسة حانوت من مدة طويله وشاع وايضاً فى كنيسة شباس وفى كنيسة السيدة بظاهر منية عمرو وفى كنيسة الشهيد بويحنس بشبرا الخيمة وكل ذلك يشهد به المسلمون اهل البلاد وحدثنى هذا القس ايضاً انه رأى فى منامه كانه واقف بكنيسة يصلى وكأن صليباً قد ظهر من المشرق قدر دراع فى مثله وكأنه كله نار يتقد وفى وسطه صورة السيد وكأنه سجد له وارتاع وأعلن بكيرياليصون ورفع رأسه فرأى الصليب قد امتد من اربع الجهات الى ان ملأ الافق وعم الارض فانتبه عند ذلك

وحدثنا أيضاً انه رأى ف ليلة اخرى كأن الفتنة قد ثارت والناس قد خافوا وكأنه هو فى كنيسة وكأن رجلا جآء اليه فقال له كلم الهنكر فحضر بيين يديه فقال له امضى الى اخوتنا النصارى طمن قلوبهم وهدهم واعلمهم اننا ما جينا الا ننتقم من اعدايهم ما جينا لنوذيهم وانهم باقون فى كنايسهم وعلى سنتهم وعند ذلك استفاق من منامه وتاخر وفاء النيل فى هذه السنة الى السادس من توت فخلق المقياس وكسر الخليج فيه ونودى على الماء فى ثانيه اربعة اصابع من سبعة عش ذراعاً ودخلت سنة خمس وثلثين وتسع مايه للشهداء الاطهار وبعد ذلك وردت الاخبار بموت الملك العادل ابى بكر محمد بن ايوب وكان السلطان الكبير والملك العظيم وكانت مملكته من اليمن الى خلاط وجعل كل واحد من اولاده فى مملكة فالملك الكامل وهو ولى عهده بمصر وهو الذى فتح اليمن وقام به ولداً له ينعت بالملك المسعود وفى الشام الملك المعظم وفى المشرق وخلاط الملك الاشرف وفى الرها شهاب الدين غازى وفى قلعة جعبر الملك الحافظ وفى قلعة بصرمى واعمالها الملك الصالح وفى قلاع ببنين وهو نين والشقيف وبانياس الملك العزيز وحلف الناس للملك الكامل انه السلطان من بعده وخطب له على المنبر وضربت السكة باسمه وهو مقابل الافرنج على دمياط وانتهى النيل فى هذه السنة الى سبعة اصابع من سبعة عش ذراعاً وهى سنة خمس وثلثين وتسع مايه القبطية وانحط بسرعة وشرق اكثر الديار المصرية وتحرك سعر الغلة واجتمع على الناس فى هذه السنة ثلثة اشياء موت السلطان ونزول العدو على البلاد وشحة النيل والكنيسة خالية من البطرك ثم ان المسلمين اجتمع رأيهم على ان يقصدوا الافرنج ويزحفوا اليهم فعدا منخيالتهم مقدار اربعة الف فارس ومن الرجاله مثلها ورتبوا خمسين ستين مركباً شوانى وحراريق تزحف فى البحر فاما الخياله فكان زحفهم من القبلة فوصلوا الى خندق فوجدوه منيعاً وخلفه حمية من المقاتله فلم يتعدوه واما الرجاله فانهم زحفوا من جانب البحر من شرقى منزلة الافرنج فاخلوا لهم الفرنج اطراف الخيم واندفعوا قدامهم واوجدوهم الضعف والقلة الى ان توسطوا خيامهم ثم قاطعوا عليهم من الجنوب فقتلوا

اكثرهم ولم يفلت منهم إلا من رمى بنفسه الى البحر واكثر الذين رموا نفوسهم الى البحر غرقوا لان منهم من لا كان يعرف يعوم من رجالة الشام ومنهم من يعرف العوم فاعجل عن نزع لباسه فوقع به الى البحر فغرقه واما الذين فى المراكب فلما رأوا ما كان من الرجاله بقوا مكانهم ولم يرجعوا وكانت وقعة عظيمة فى نهار يوم الثلثا الحادى عشر من بابه ورجع السطان امر العسكر الذى كان تمدى بالرجوع الى بر دمياط وشرع فى الحشد والجمع ولما كان فى نهار يوم الجمعة السابع والعشرين من بابه زحفت الافرنج الى عسكر المسلمين الذى كان عدى الى بر العرب وكانوا زهاء الف فارس لانهم كانوا حلقة الملك الكامل بكمالها ومن انضاف اليهم من العرب والمغازير فكسروهم جميعهم واوصلوهم الى البحر واخذوا خيولهم وعددهم وقتلوا جماعة من ابطالهم ولم يسلم منهم الا العدد القليل من رمى بنفسه الى البحر وكان خبيراً بالعوم واشتد الرعب وخافت نفوس الناس وعظمت مهابة الافرنج وانحلت العزايم عن لقايهم وتمادى الحال على ذلك ودخل الشتا وشتى الافرنج على البلاد ولما كان فى اوايل كيهك جاء نو عظيم ورياح عاصفه وطلعت البحيره مما تحامل عليها من البحر المالح ففرقت خيام العسكر من دمياط الى العادلية وهى القرية التى استجدت فى بر دمياط مقابل بورة بعد اخذ القرنج لبوره وهلك فى هذه النوبه من المسلمين خلق عظيم ومن الدواب وضاع من الاموال الامتعة والاسلحة مالا يقع عليه الحصر وكان البحر قد طما والامطار والبرد يقع والريح يكاد يزعزع الجبال وكانت شدة عظيمة لم يشاهد مثلها وحمل البحر مسرمة كان الافرنج عملوها على ست بطس كبار وعملوا فيها من السلالم والابراج والازقة مالا يحصيه الوصف فرماها فى بر المسلمين وكان فيها ستة عشر رجلاً منهم اربعة عشر قاتلوا حتى قتلوا واثنان رموا نفوسهم الى البحر وعاد الى البر الاخر فاخذهما الملك وشنقهما كيف لم يقتلا ويصبرا للحرب مثل البقية وتكاثر المسلمون على هذه المرمه فنظروا ان ليس لهم بها طاقة وانهم لا يحسنون تدبيرها ولا يامنون من ان تتكاثر الافرنج عليهم فاخذونها منهم فاحرقوها وكانت شياً عجيباً لا يوصف وكانت للفرنج مراكب فى البحر جانيه من عكا وغيرها لانهم منذ نزلوا هذه المنزة لم تنقطع

المراكب عنهم فتكسرت كلها واسندت الى البرو.فاخذ منها شى فى غزه والعريش وغيرهما وكانوا قد حفروا بحراً كان يعرف بخليج الزعفران ليعبروا مراكبهم منه لان السلطان كان وقد وعر ما بين البرجين خشيه من عبورهم بمراكبهم الكبار فلما جات الامطار وطلع البحر الكبير ملا الخليج الذى حفروه وكانوا قد قربوا الحفر من البحر فصاروا يحملون مراكبهم على الحمير ويطرحونها فى ذلك البحر فصار لهم فيه جملة مراكب واستمر الحال على ذلك الى مدة فرجع السلطان غرق مراكب قدام الموضع الذى طلعوا اليه وجعلها ثلاث صفوف وركب فيها صوارى وسمر عليها صوارى اخر بالعرض فلما كان فى يوم السبت الذى بين الرفاعين هيأت الافرنج مراكبهم وطلعوا اليه بآلاتهم وخيامهم وعددهم واسلحتهم وطاب لهم الريح وكان هذا اليوم الثامن من امشير فاقلعوا يدا واحده والمسلمون كلهم مطلبون على البر راجلهم وفارسهم ومعتقدين انهم يصلون الى تلك الصوارى فيقفون فلما وصلوا الى تلك الصوارى جعلها الله لهم مثل الحشيش فقصفوها جميعاً وتموا طالعين الى الموضع الذى ارادوه وهو مضيق البحر فتعجب المسلمون من ذلك وكان عليهم يوماً شديداً واقاموا جميعاً الافرنج والمسلمون يوم السبت والاحد والاثنين ملبسين رابطين بعضهم بعضاً فلما كان فى ليلة الثلثا الحادى عشر من امشير جرى بين السلطان وواحد من اكابر الامرا يعرف بابن المشطوب بخلف معماهم فيه من الارتباك والشهدة فقضى ذلك برحيلهم جميعهم ليلا وتركهم لخيامهم وجميع عددهم والاتهم واصبح الافرنج متعجبين معتقدين انها مكيدة لانهم كانوا يودون لو هلك اكثرهم حتى تملكوا شطرا من بر الشرق لا غير فاتفق لهم ان ملكوه منعماً من الخيرات والنعم التى لا توصف ولا تحد ولا تحصى قيمتها فطلعوا الى البر المذكور فى يوم الثلثا المقدم ذكره وتسلموا الخيام بجميع ما فيها والابراج والمنجنيقات والعدد والزرد التى لا تحصى كثره وقتلوا كل من وجدوه متخلفاً فى المنزله لان الناس كانوا يظنون ان طلوعهم اليها يتراخى فبقوا بها طمعاً فيما يشيلونه من قماشهم وكانوا زهاء ثلاثة الف نفس واحاطوا بدمياط من كل ناحية ونصبوا عليها المنجنيقات وجدوا فى القتال عليها واما السلطان فانه غرس سنجقه باشموم وكل من

راه من الامرا الاكابر وقف حوله فاما المغار به والطواشين فانهم ساحوا فى البلاد واكثرهم عبروا الى القاهرة وبقى الناس مختبطين فعاقت نفوسهم جدا وكثرت الشناعات على النصارى واشتد بعض القوم فيهم وكان فى اثناء هذه الحال اجمع المسلمون وقرروا تصقيع الاملاك بمصر القاهرة واخذ اجرتها شهرين ومساعدة السلطان بها وصقعوا مصر ولم يستخرجوا منها شيا وبطل ذلك ثم عادوا جبوا من المسلمين على قدر احوالهم طريقين حتى انتهوا الى ان اخذوا من الخمسة دراهم الى ما فوق ولم يجد ذلك نفعاً ولا حصل منه طايل وبعد هذه الكسرة المقدم ذكرها بيومين ثلاثة وصل الملك المعظم سلطان الشام الى اخيه الملك الكامل الى اشموم واتفق رايهما وقبضوا على ابن المشطوب الذى هو اكبر الامراء الذى ذكر انه كان سبب الكسرة وقيدوه وسيروه الى قلعة الكرك موثقاً ثم ذكر انه نف يالى بلاد الشرق وكانت الاقوال تزيد وتنقص فقوم قالوا قتل كل نصرانى فى دمياط وقوماً قالوا ما قتل الا الاسرى لانهم وجدوهم قد بقوا وراموا الخروج الي اصحابهم واما اهل منية ابن سلسيل فان أهلها ثاروا على النصارى واهلكوا منهم جماعة وكان الزمن كلما مر اشتد والفتنة كلما مرت عظمت ثم رسم بتصقيع املاك الناس بمصر والقاهرة وان يجبى منهم اجرة شهرين واخذ اكابر مصر ان يجبوا من اهلها شياً على قدر احوالهم ويسروه مساعدة للسلطان والمسلمين فحصلوا فى جبابتين زهاء ثلثة الف دينار ولما وصل الملك المعظم ملك الشام واجتمع باخيه اتفق رايهم على ان يعدوا الى بر الغرب لان صليبه الفرنج كانت فيه فعدوا بالعساكر والجنود وامروا بعمارة سور من مصر الى القاهرة ليحوز البلدين وشرعوا فى عمارته وبدوا فيه من مصر من عند دار الملك ومن القاهرة من اللؤلؤه وجعلوا اساسه الحجر وباقيه بالتراب عمل المغاربة ثم استأدوا جوالى الذمة لسنة ست عشر وستماية فى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمسة عشر وستماية ثم رجع رأيهم عن عمل السور بالتراب فهدموا ما كانت المغاربة عملته وشرعوا فى البنايه باللبن ثم ورد الامر باستخراج اجر الاملاك من الناس كافة بالقاهرة ومصر وشرع فى استخراجها واما ما كان من امر العسكر فيصدوا ... الى قرب منزلة الافرنج فى يوم الاحد

السابع من برمهات فارسل الله ريحاً عاصفة وامطاراً وهاج البحر وطلع اليهم ولو لم يتلافوا بالرجوع كان غرقهم فرجعوا ولم ينالوا قصداً وعدوا الى بر الشرق ونزوا على فارسكور وما والاها وكانت فى هذه السنة شتوة ما شوهد مثلها فى الديار المصريه حتى انه حدث بها من الثامن برمهات الى الخامس عشر منه من الرياح والامطار والبرد الشديد ما لم يشاهد قط مثله وكانت احوال هذه السنة كلها عجيبة غريبة وبعد ذلك ورد امر السلطان باخراج نصف اهل مصر والقاهرة الي القتال اختياراً واضطراراً وخرج اكثر الناس وصار المميزون الذى لا يليق بهم الخروج يفدون انفسهم بما يقومون به من الذهب كل منهم على قدر حاله فاما النصارى الذين بالقاهرة انهم جبوا منهم مع اصحاب المعايش كل من كان متمعشاً مع اهل معيشة ولم يجحف بهم ولا باحد من اهل القاهرة وفى الاخر جبوا من الكتاب المقيمين بها وراعوا ابعض وتركوا البعض فاما مصر فان واليها كان منقاداً بالفقها فاحضر قسا الكنايس التى للقبط والملكية وقال لهم تخرجون وتهدهم وقال انتم تخرجون مع المسلمين وما تصلون معهم الى باب المدينة حتى يقتلوكم وما يقدر احد يقول لهم فى هذا الوقت شياً وكان الميل فى القول بالاكثر على الملكية لانهم كانوا يشنعون عليهم بانهم يحبسون الافرنج وانهم على سننهم فى تربية الشعر وترك الختان وما شابهه فعمل فيهم الخوف واستعجل واحد منهم وقال عندنا الف دينار فقالوا مبارك قوموا جيبوا بالف دينار وقالوا للحاضرين من قسوس القبط هولاء منكم بالقيراط نحن نجعلهم بالعشر اعطونا عشرة الف دينار واخر الحال انهم قرروا عليهم ثلثة الف دينار وخرج جميعهم بالترسيم وعلقت سلبه فى كنيسة المعلقة وسلبه فى كنيسة الملكية وسلبه فى كنيسة اليهود لان الأخر كانوا وزنوا فى المرة الأوله وقت ما طلب من النصارى شيء خمس ماية دينار وقرروا عليهم فى هذه النوبة ستماية دينار وصار الضرب فى الناس والتعليق والترسيم والهوان وكان القسا هم الذين يخرجون اسماء الناس ويقطعون عليهم القطايع وكانت ايام الصوم المقدس وكانت اياماً صعبة شديدة واضطهاد عظيم فاما الملكية فانهم جبوا من شعبهم الذى قدروا عليه وبقيا عليهم جملة فاخرجوا الانية الفضة الذى لهم ورهنوها عند واحد من

المسلمين فقيه يقال له الفقيه نصر على مايتى دينار بمايتى وخمسين دينار واوردوها واما القبط فانهم جحفوا بالناس غاية الاجحاف ولم يتصور ان احداً بقى بلا غرامة الا النادر القليل وكان جملة ما حصل لهم الف ومابة دينار وكان بعضهم برافع بعضاً وصار كل من يريد ان يخفف عن نفسه دخل فى القضية وصار مستخرجاً فاجتمعوا بالوالى ودخلوا في كل مدخل الى ان جعلوها الفا ومايتى دينار ورجعوا الى الذى بقى فقضوه على الكنايس كل كنيسة على قدرها حتى نفدوا الى الديارات البرانية مثل دير طموه ودير الشمع وغيرها واخذوا منها القطيعه وطلعوا الى القاهرة يسترفدون اهلها فلم يعطيهم احداً منها شياً فعادوا خايبين لانهم كانوا الذين وقفوا فى امر القسيس داود فى معنى البطركية وما زالوا الى ان وفوا المبلغ المذكور ولم يبيعوا انية ولا ربعاً ولا رهنوا بل انها كانت اياماً شديدة وكثير من الكنايس اغلقت اياماً كثيرة بسبب هذه القطيعه وكان قد استخدم من القاهرة ومصر عشرة الف رجل وسيروا وكان اكثرهم مغاربة فهدموا كل كنيسة وجدوها فى طريقهم الى ان وصلوا الى المعسكر وكان الزحف قد ترتب ان يكون يوم الزيتونه فزحفوا الى الفرنج فقتل اكثر اوليك الرجاله الذين هدموا الكنايس والذى سلم من القتل خرج ووصلت منهم جماعة الى القاهرة ومصر مراكب مملوه ثم زحفوا زحفة اخرى ولم ينالوا غرضاً لان الفرنج كانوا عملوا عليهمه خندقاً من البرين وجسرين فى البحر وعملوا على الخندق ابراجاً وبتاكى مثل سور المدينة وجعلا خلفه الرماه والمقاتلة فصاروا لا يقدر احد يدنوا منهم ثم اجمع راى المسلمين على سد بحر الشرق من عند زفيتا وان يتحامل الماء جميعه الى بحر الغرب وشرعوا فى ذلك وأخذوا له المراكب والعدد والآلات وتكامل سده فى نهار الجمعه الخامس عشر من بشنس سنة خمس وثلثين وتسع مايه بعد كلفة عظيمة وغرامة كثيرة الا انه صار طريقاً ولم ترجع المراكب تصعد فيه ولا تنحدر وانقطع فى ليلته وضاع كلما غرم عليه وذكر انه كان غرم عليه سبعة عشر الف دينار وتحامل الملاء موضعه ويئس من سده ثانية فترك بحاله وهدم القدس الشريف فى برموده من السنة المقدم ذكرها بعد ان اخلى من اهله ولم يبق به سوى القيامة المقدسة وبرج داود ومسجد الصخرة والجامع المعروف

بالاقصى وهدم باقيه اسواره ودوره وفنادقه ووقع على الناس بسبب هدمه خوف عظيم وقلق للشام من اجله وعلا السعر فيه فاما ديار مصر فكان السعر فيها رخيصاً فى طول هذه الايام ثم ان الافرنج هيأوا مرمات عظيمة وابراجاً كباراً وزحفوا الى دمياط براً وبحراً سبعة ايام متوالية فى العشر الاوسط من ابيب وزحفت المسلمون اليهم وبقوا فى القتال ليلا ونهاراً ثم ان الافرنج اخروا الاتهم عن دمياط فرجع المسلمون الى منزلهم وبقى الامر على ما هو عليه وقد كانوا قبل ذلك شغبوا بكنيسة القديس مرقص التى بظاهر الاسكندرية المعروفة بالقمحا وتقدم الامر بهدمها فبذل النصارى في ابقايها الفى ديناراً ولم تقبل وقيل لابد من هدمها فان هذه اذية على الثغر لانها ترصع برجاً عليه ويقاتل العدو الثغر منها اذا نزل عليه فهدم منها اكثرها بامر السلطنة حتى لم يبق منها سوي قامة واحدة فلما كان فى يوم الجمعة الذى يتلو هدمها صلا المسلمون صلاة الجمعة وخرجوا اليها فهدموا باقيها الى الارض وكان حزناً عظيماً على الطايفة وكآبة متواترة وشدة متظاهرة وكان ذلك فى اوايل ابب ثم ان الماء تأخر فى هذه السنة حتى جاء اخر ابيب وهو فى ستة ادرع وتزيد سعر القمح الى ان بلغ ستين دينار المابة اردب .
ثم ان النيل بقى متوقفاً والسعر ياخذ ويعطى ولما كان فى يوم الخميس سادس النسى لانها كانت سنة كبيس زحفت الافرنج الى المسلمين براً وبحراً فانكسروا قدامهم وكان الفرنج تظن أن الماء الذى فى خندق المعلمين حلو فلما وصلوا الى الخندق المذكور من جانب الرمل وهو موضع بعيد من البحر ذاقوا الماء فوجدوه مالحاً فرجعوا على اثرهم من ذاتهم من غير ان يكسرهم احد فلما راهم المسلمون قد رجعوا تبعوهم وطمعوا فيهم فصارت علهيم كسرة عظيمة فاخذ من خيالتهم زها اربع مايه فارس منهم جماعة اكناد ومقدمون وقتل من الرجال والاطراف ما مقدره الفا نفس ووردت البطايق بذلك وطيرت الطيور وزينت القاهرة ومصر وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً ودخلت سنة ست وثلثين وتسع مابة للشهداء وكان النيل مقصراً وغاية ما انتهى اليه خمسة عشر ذراعاً ولم يثبت عليها بل نقص ونواتر نقصه وفتح خليج القاهرة المحروسة فى يوم الخميس الرابع عشر من توت ونشف فى يوم الخميس الذى يتلوه ومشى الناس فى وسطه وفتح بحر

ابى المنجا يوم الاحد الذى هو عيد الصليب المقدس فنقص الماء يومئذ ذراعاً كاملاً ولم ينتفع به ولا روى فى بركة الحبش الا خلجان واما ارض الطباله فلم يشرب اصلا ولم يروا من البلاد فى هذه السنة إلا القليل مثل الفيوم وكورة البوصيريه والدنجاويه والبشمور وما جرى مجراها من بلاد الغربيه وحمل اكثر الاسرى الذين اخذوا فى هذه الكسرة الى القاهرة المحروسة وشقت المدينة بهم وابقي منهم المقدمون بالعكسر ليتحدوا فى الصلح فمشوا فيه حتى كاد يتقرر على ان ياخذوا القدس بعد ان يعمر لهم وجميع ما كان فى ايديهم مما فتحه الملك الناصر وبقى الامر متردداً بينهم وارتفع سعر الغلة حتى بيع القمح بدينارين ونصف الاردب وكان لا يقدر عليه الا بالغاية ثم وردت الاخبار بان النجدات قد وصلت الى الافرنج وان الصلح قد انتقض وجا امر السلطان باخراج كل من بالقاهرة ومصر للغزاه وضربت الاجراس بذلك وخرج اكثر الناس على وجوههم واغلق البلدان ورجع سعر القمح انحل لاجل اشتغال الناس بنفوسهم حتى بلغ دينار واحد ونصف كل اردب ودينار وربع ولم يجد من يشتريه وكانت شدة عظيمة وضايقة شديدة إلا ان الذمه لم يكونوا تعرضوا لهم فى الاول فلما كان بعد ذلك امسك والى القاهرة النصارى وعلقهم على ابواب دورهم وادارهم فى الطواحين وقال لهم أريد منكم المال واخذ منهم ما يطيقون ومالاً يطيقون حتى انهم يذكرون الحاكه وحدهم من النصارى بالقاهرة قاموا بالف وثلثماية ديناراً واشتد الامر على الناس فاما والى مصر فلما راى ما فعله والى القاهرة احضر قسا النصارى وقال لهم انتم قد سمعتم ما عمله والى القاهرة وانا اشير عليكم ان تجمعا مع بعضكم بعض وتجمعوا بينكم الف دينار وتحضروها والا انا استخرجها وما اخذها الا خمسة الف فشكوا اليه وتضرروا فقررها ثمان ماية دينار وخرجوا قعدوا فى الكنايس وشرعوا فى الاستخراج وكانت ايام صعبه على العالم اجمع ومن جملة ما جرى فيها ان السلطان كان فى اثناء ما ذكرناه قد زحف الى الإفرنج ونزل على كنف خندقهم من بر الغرب ونزل الملك الفايز على كنف خندقهم من بر الشرق وضايقوهم من البرين وسير السلطان الى المدنتين يطلب الجرار الفرغ وكل والى [illegible] بها الخندق ونودى فى مصر بذلك واجتمع

على ساحل البحر من الجرار والقدور الاف لا تحصى وأحضر معظمها الى المعسكر فرجعوا تحدثوا فى الصلح فاذعن اليه الافرنج بعض الاذعان حتى رجع الملكة عن خندقهما من البرن ثم عادوا هم وسعوا الخنادق وقووا الابراج فامتنعوا من الصلح فاغتاظ الملك وسير اخاه الملك الفايز الى الشرق يطلب النجدات وألبسه الحداد وسفره على التخت وانقسم عسكر الافرنج قسمين قسم يزحف الى دمياط بالنوبه ليلا ونهاراً وقسم يحفظ جهة الخندق مقابل عسكر المسلمون ولم يزل الحال على ذلك ياخذ ويعطى والاخبار تتواتر بان الثغر قد ضعف ومات اكثر من فيه فرتب السلطان سبع ماية راجل مقاتله وانفق فيهم وقرر معهم ان يهجموا هجمة واحدة ليلا ويدخلوا حميه اليى الثغر ففعلوا ذلك فقتل اكثرهم والقليل منهم سلموا وعبروا فما كان بعد عبورهم الا بليلة او ليلتين حتى فتح الافرنج ثثغر دمياط فى ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الثلثا الثامن من هتور سنة ست وثلثين وتسع ماية المقدم ذكرها الموافق للخامس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستماية وكانت ليلة عظيمة ويوماً مشهوداً ولم يشعر المسلمون بذلك حتى راوا اعلام الافرنج والصلبان على الابراج والمرقب فعند ذلك علموا ان الثغر قد اخذ فرحل ملوك المسلمين لوقتهم وتركوا التجار والعوام فى المنزله فصار الانسان منهم ما همه إلا ان ينجوا بنفسه وتركوا كل اموالهم وبضايعهم فضاع فى هذه النوبة ايضاً من الاموال مالا يحصى وجاء السلطان فنزل مقابل طلخا على راس بحر اشموم من القبلة واما الملك المعظم صاحب الشام فتوجه الى بلاده ونزل على غزه واختلف اقول فى فتح الثغر فقوم قالوا ما فتح الا مخامره من اهله لما وقعوا فيه من الشدة وقوم قالوا ما فتح الا بالسيف عنوه وقيل انهم وجدوا فيه من الاموال الذهب والفضة قناطير مقنطره فاما الاسلحة والزرد هى من الملوك والامرا والاجناد كان قد جعل كلما يعز عليه فيها اعنى دمياط لانها كانت حصينة جداً وما ظن احد انها توخذ وقيل انهم وجدوا بها ستة الف رجل وقيل احد عشر الفاً الا انهم اسروا كل من وجدوه بها ما خلا النصارى وأما المسلمون فكانوا يقولون انه لم يبق بها سوى ستماية نفس ولم يصح ذلك وذكر المحققون ان باب الثغر اغلق على ستة واربعين الف رجل خارجاً

عن النسا والصغار واستوطن الافرنج الثغر واستقرت قاعدتهم فيه فلما كان بعد رواح الملك المعظم سير السلطان أستدعى الصاحب صفى الدين عبد الله بن على الذى كان وزير ابيه وقلده تدبير مملكته فنفذ هذا بالحوطه على جماعة من الكتاب مسلمين ونصارى ويهود وبسط عليهم العقوبات وطالبهم بالاموال وامتلات الحبوس منهم ومنهم من خرج عن مذهبه من الشدة والعقوبة ومنهم من عطبت بعض اعضايه وكانت ايام صعبه جداً وفي اثناء ذلك صقعوا رياع الناس واملاكهم بالقاهرة ومصر واستادوا اجرتها الشهرين وكانت ايام شديدة على الناس ولا يخرجون من شى حتى يدخلون فما هو اشد منه وبطلوا ادور الوكالات جميعاً وكل الفنادق التى تباع فيها البضايع مثل الكتان وغيره ورسم ان لا يباع شى الا بدار وكالة السلطان التى بدار الملك وان تكون السمسرة للسلطان ونظروا في أوراق الناس وفيما بايديهم وضاق الوقت على العالم ولو مكنوا من الخروج لم يبق فى البلاد احد واما الافرنج فكانت ترد أخبارهم من العدل والرافة وحسن المعاملة مالا يوصف وبلغت الدراهم السودا عندهم ماية درهم بدينار لكثرة ما وجدوه منها بالثغر وكونهم لا يتعاملون بها ولما كان فى نهار يوم الثلثا السادس عشر من امشير فى الجمعة الثانية من الصوم المقدس حدثت امطار عظيمة واستمرت ليلة الاربعاء ويوم الاربعاء ونصف ليلة الخميس وفى النصف الثانى خرجت ريح عظيمة ولم يزل الى الظهر من يوم الخميس وهدمت مواضع كثيرة وكثيرون ماتوا تحت الردم وكانت حادثة عجيبة لم يشاهد مثلها ثم بعد ذلك خرج الامر بجبايجة الديارية التى كان البطرك يستأديها من الكراسى والكنايس وندب فى كل عمل واحد لذلك وكتب الى والى مصر والقاهرة بجباية ما يخصمها فاحضر والى مصر قسا الكنايس وقال لهم اعطونا ما كان ياخذه البطرك منكم فقالوا ما جرت عادة القاهرة ومصر ان يوخذ منها شى قال فاكتبوا لنا حججاً بانكم ما قمتم قط للبطرك بشى فابتدر واحد منهم وقال يا مولاى نحضر تعليق البطرك ومن يضمن باسمه شياً قام به قال واين تعليق البطرك قالوا هو عند بن صدقه يعنون المقدم ذكره فاحضره وقال اريد تعليق البطرك فاحضره لوقته وكان تعليقاً قديماً وفيه اشا عتيقة قبل الغلا واشياء ما

كان البطرك يستأديها بل كان ذكرها فى التعليق حفظاً لمبلغها فنقلوه كهيئة وسيروا نسخته الى السلطان فخرج امره الى الولاه باستيدا ما تضمنه فصار كل منهم يقصد الاستظهار والتبرير على الاخر فيستخرج المبلغ مضاعفاً وكانت هذه الايام كلها ما روى فى العمر اصعب منها وندب لاستخراج مال الدياريه والتصقيع وسدس ثمن ثمرة البساتين بالوجه القبلى لانهم كانوا اوجبوا ذلك فى جميع ديار مصر ونقط النخل ايضاً عن كل نخله خمسة دراهم خارجاً عن الخراج الجارى به العادة وكان امير يقال له المكرم بن اللمطى وكان رجلاً مغربياً وابغض ما اليه النصارى فوصل الى مصر وامسك بها جماعة ممن هو منهم بجبال من النصارى واليهود وعلق علهم العقوبة والهوان الى ان اخذ خطوطهم بما مبلعه احد عشر الف دينار كل منهم علي قدر ما قطع عليه وسيرها على كتابه الى السلطان فاكبر ذلك وانكره ورسم بان تعاد الخطوط على اربابها وكانت هذه نادره لم يجر مثلها فى هذه الايام فاعيدت الخطوط وتوجه بن اللمطى الى الصعيد لجباية التصقيع والدياريه وسدس ثمن الثمار ونقط النخل عن كل نخله قايمة خمسة دراهم وكان ذلك فى جميع الديار المصرية واستمر الحال على ذلك وزادت الشدة على الناس حتى ان جماعة شنقوا انفسهم وجماعة خرجوا من الايمان ولم يفدهم ذلك .

ثم لما كان فى جمعة الفصح المقدس وكان ذلك اخر برمهات ورد على الارض من الجراد شىء لم ير قط فى الديار المصرية مثله حتى انه ملأ الفضاء وستر السماء ورعي كل خضرا وخاف الناس من ذلك وعلموا انها ضربة من الله لتواتر الظلم واعلى كل شىء حتى كاد يعدم وفى ليلة الاثنين الذى هو صبيحة حد الحدود الموافق للحادى عشر من برموده جات ريح سودا ظن الناس انها القيامة قد قامت وظنوا انه لا يبقى على الارض جدار قايم ووقع من النخل شى كثير وظهرت نيران فى الجو وكانت ليلة عظيمة لم ينم احد فيها ولما اصبحوا سكن ذلك الهيج والاضطراب ووجدوا بعض المواضع وقعت وبعضها سالمة وبقى الطلب والمصادره على حالها والاساقفة فى التوكيل والضرب ونصارى البلاد كذلك ودخلت سنة سبع وثلاثين وتسع مايه وانتهى النيل فى هذه السنة المباركة الى اصبعين من سبعة عشر ذراعاً وهى سنة سبع وثلاثين وتسع مايه

الموافقة لسنة سبع عشره وستماية للهجرة الاسلامية وبقيت الاسعار على حالها تاخذ وتعطى القمح العال الغاية بماية وخمسين دينار الماية اردب والشعير والفول بماية دينار الماية اردب واما الحمص فكان قليلاً بدينارين الاردب وروى فى البلاد اكثر مما روى فى العام الماضى وكانت التقاوى قد نفذت لاجل حاجة الناس وخوفهم فامر بان يوخذ غلال التجار ويقوى بها البلاد ويكتب على الاجناد ونوابهم حجج بالثمن الى زمن الميسور ففعلوا ذلك فى القاهرة ومصر وجميع الديار المصرية حتى صاروا يدخلون الى بيت الواحد يجدونه فيه قمحاً ولو وبيه فياخذونه ويتركونه بلا شىء ولما زرعوا ارسل الله فى اواخر بابه وهتور جراداً لم ير قط فى الديار المصرية مثله من كثرته وعظمه وكان احمر وقد كان الذى جاء فى السنة الخارجة اصفر فرعى اكثر ما زرع وطلع وخصوصاً المواضع التى حول المدينتين والقوم ثم ان السعر تحرك فى طوبه فبلغ القمح ماية درهم الاردب والشعير والفول ستين درهم الاردب وقلت الغله من ايدى الناس وكثر القحط وازداد الفقرا من الناس والمساكين والسايلون على الابواب واما امر العدو فى طول هذه المدة فكان على حال واحد تارة يخرج اسطول المسلمين فى البحر فتصادف لهم مراكب زاد ونجده فياخذها وتارة يخرجون هم الى بعض الثغور والاطراف المصرية والشامية فينهبون وياسرون ويرجعون واشتدت البلية من الغلا والخوف والظلم وبلغ الزيت الطبيب ثلثة دراهم الرطل والكنيسة بلا من يسوسها ولا من يدبرها ثم تزيد الهسعر ايضاً الى ان بلغ القمح ثلثة دنانير الاردب ولم يزل كذلك الى عيد الفصح فانحل واستبشر الناس ولم يزل ينحط الى ان بلغ دينار واحد الاردب القمح والشعير والفول بنصف دينار الاردب ووردت الاخبار بخروج ملك من الشرق يقال له ملك الصين ومعه خلق من الاتراك القطا والقفجق وانه كسر خوارزم شاه ملك الفرس وفتح خوارزم بخاراً والمراغه ومدناً كثيرة من بلاد العجم وسبى اهلها ووصل الى الكرج فكسرهم وجا الى ارض اربل وخافت البلاد منه لانه ذكر ان معه الافاً جملة من الاجناد والخلايق ماية الف او يزيدون ووصل الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وميا فارقين وحران وسنجار وما مع [illegible] العدو المذكور هو صاحب أربل فوجدوه قد وصل الى

ففعلوا ذلك فى القاهرة ومصر وجميع الديار المصرية حتى صاروا يدخلون الى بيت الواحد يجدونه فيه قمحاً ولو ويبه فياخذونه ويتركونه بلا شىء ولما زرعوا ارسل الله فى اواخر بابه وهتور جراداً لم ير قط فى الديار المصرية مثله من كثرته وعظمه وكان احمر وقد كان الذى جاء فى السنة الخارجة اصفر فرعى اكثر ما زرع وطلع وخصوصاً المواضع التى حول المدينتين والقوم ثم ان السعر تحرك فى طوبه فبلغ القمح ماية درهم الاردب والشعير والفول ستين درهم الاردب وقلت الغله من ايدى الناس وكثر القحط وازداد الفقرا من الناس والمساكين والسايلون على الابواب واما امر العدو فى طول هذه المدة فكان على حال واحد تارة يخرج اسطول المسلمين فى البحر فتصادف لهم مراكب زاد ونجده فياخذها وتارة يخرجون هم الى بعض الثغور والاطراف المصرية والشامية فينهبون وياسرون ويرجعون واشتدت البلية من الغلا والخوف والظلم وبلغ الزيت الطيب ثلثة دراهم الرطل والكنيسة بلا من يسوسها ولا من يدبرها ثم تزيد السعر ايضاً الى ان بلغ القمح ثلثة دنانير الاردب ولم يزل كذلك الى عيد الفصح فانحل واستبشر الناس ولم يزل ينحط الى ان بلغ دينار واحد الاردب القمح والشعير والفول بنصف دينار الاردب ووردت الاخبار بخروج ملك من الشرق يقال له ملك الصين ومعه خلق من الاتراك القطا والقفجق وانه كسر خوارزم شاه ملك الفرس وفتح خوارزم بخاراً والمراغه ومدناً كثيرة من بلاد العجم وسبى اهلها ووصل الى الكرج فكسرهم وجا الى ارض اربل وخافت البلاد منه لانه ذكر ان معه الافاً جملة من الاجناد والخلايق مايه الف او يزيدون ووصل الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وميا فارقين وحران وسنجار وما مع ذلك الى ارض الموصل وقصد العدو المذكور هو صاحب اربل فوجدوه قد وصل الى شهرور فلم يلقهم بل رجع على اثره من غير قتال ولا كسرة فرجع الملك الاشرف الى يحران وسار اليه اخوه الملك المعظم صاحب الشام واجتمعا هناك وجمع العساكر وجيشاً الجيوش وقصدا مصر لنصرة اخيهما الملك الكامل على عدوه الذين هم الافرنج ملاك دمياط وكانت الافرنج قد وصلت اليهم ايضاً نجده من داخل البحر فاجتمعوا وحشدوا وخرجوا من دمياط براً وبحراً متمهلين متنقلين من منزلة الى منزلة

شهرور فلم يلقهم بل رجع على اثره من غير قتال ولا كسرة فرجع الملك الاشرف ال
بحران وسار اليه اخوه الملك المعظم صاحب الشام واجتمعا هناك وجمع العساكر وجيشاً
الجيوش وقصدا مصر لنصرة اخيهما الملك الكامل على عدوه الذين هم الافرنج ملاك
دمياط وكانت الافرنج قد وصلت اليهم ايضاً نجده من داخل البحر فجمعوا وحشدوا
وخرجوا من دمياط براً وبحراً متمهلين متنقلين من منزلة الى منزلة الى ان وصلوا قبالة
منزلة المسلمين على رأس بحر اشموم من الشمال وبقى يالبحر فاصلاً بينهم وانزعجت
البلاد لخروجهم وسير السلطان بسفر المسلمين للخروج للقايهم فجمعهم الولاه وقرروا
على كل سوق جماعة من الرجال ينفقون فيهم ويخرجونهم وجبوا اكثر ذلك وسيروا عدة
لها كثرة ومبغة وفى اثنا ذلك سير السلطان الامير حسام الدين يونس والى الاسكندرية
كان الى القاهرة ومصر لاخراج من بهما قاطبة وسير الي كل عمل اميراً يفعل فيه كذلك
وخرج عامة الناس واكثرهم حتى لم يبق الا شيخ فان او صبى لم يبلغ الحلم واغلقت
المدينتان فى نهار يوم الاحد الثامن عشر من جمادى الاخره سنة ثمانى عشرة وستماية
الموافق للخامس عشر من مسرى واصبحت يوم الاثنين باقية مغلقة حتى لم يوجد شى
يوكل ولا تتعامل الناس فى هذين اليومين الا الاجراس تضرب فى البلدين معاشر
المسلمين كافة من بات في هذه الليلة فى المدينة شنق والولاه ركاب يهجمون على الناس
بيوتهم ويخرجونهم منها ومن وجدوه لم يسافر غرز واحرق به حتى لم يبق الا النساء
وكانت اياماً ما شوهد مثلها من الخوف والضنك والهجاج على الناس قاطبة وكانت ايام
النيل إلا انه لم يعنى به احد ولا يطلع اليه ثم وصل الملك المعظم سلطان السام والملك
الاشرف سلطان الشرق ومن معهما من الملوك مثل صاحب حمص وصاحب حماه
والعساكر والجيوش وعدو من اشموم واقطعوا علي الافرنج وصاروا بينهم وبين دمياط
براً وخرج اسطول المسلمين من فم بحر المحله البحرى وقطع بين ماكب الافرنج وبين الثغر
فصاروا لا يصل اليهم ميره لا براً ولا بحراً ولا يجيهم خبر عن دمياط ولا يجيها عنهم
خبراً واستمروا على ذلك اياماً والمسلمون كلما مروا فى قوة وهم كلما مروا فى ضعف
[illegible] جمعوا أمرهم فى ليلة صبيحتها الجمعة رابع النسى

على ان يوقدوا النيران ويتركوا بعض الخيام التى لا حاجة لهم بها ويرحلوا ويصدموا العسكر الذى بينهم وبين دمياط فانه لا تقوى بهم ويتلاقوا بالثغر ويحفظوا الجدار فانهم اذا حفظوه لم ينتفعوا فوشى بهم الى السلطان فى ليلتهم فكب وركبت العساكر وكان زمان النيل وهم اغراراً بالبلاد فامر السلطان بفتح الترع الذى فى طرقهم وكسر الجسور وبحريتها من كل جانب وهم يتحاملون الى ان وصلوا البرمون فرأوا انفسهم فى وسط الطوفان لا مسلك لهم فاجتمعوا فى موضع واحد واشتد القتال بقية ليلة الجمعة ويوم الجمعة وليلة السبت الى ان تضحى نهار السبت والرسل تتردد والسلطان يضرب الراى مع الجماعة ويعرفهم ان هذه الجماعة من الافرنج هالكة الا انها لا تهلك حتى تهلك مثلها من المسلمين ثم لا يسلم دمياط ابداً لانه كان بها تسعون الف مقاتل خارجاً عمن خرج وقد عملوا عليها سبعة خنادق ويضعف الناس عن نظرها فضلاً عن النزول عليها لانهم لا يفنون هذه الشريدمة حتى تفنى اضعافها فاجتمع رايهم على الصلح وترددت الرسل بينهم وتقرر الصلح على ان يسلموا دمياط وترد كل فئة ما عندها من اسرى الاخرى من قديم الزمان والى الان وتقرر الصلح ثمان سنين ونزل الملك والملكان والمقدمين عند السلطان الى ان تسلموا دمياط واخذوا الفرنج عندهم رهاين عليهم خشية من أن يغدروا بهم الملك الصالح ابن السلطان وقطب الدين اخاه وشمس الدين بن اخته وجماعة من اكابر الامراء فتركوهم فى مركب برا البحر المالح واحسن السلطان الى الملك والذين معه احساناً ما روى مثله وقام لهم بكلما يحتاجونه واكرمهم كرامة عظيمة وامر بأن يحمل الى معسكرهم من الخبز والرمان والبطيخ مالا يحصى وامر الناس ان يعبروا الى اوطاقهم ويبايعوهم ويشاورهم فصار مخيمهم كانه سوق من اسواق المسلمين وباعوا واشتروا وفرح السلطان والمسلمون فرحاً عظيماً لانهم كانوا مترقبين انهم مغلوبون وان البلاد قد خرجت من ايديهم وقد كانوا اعطوا القدس والساحل وقطيعة اخرى فداء لدمياط فما فعل الافرنج واعطوها هكذى فكان موضع السرور والغبطه لهم ودخلت سنة ثمان وثلثين وتسع ماية وفى اثنا هذا وصلت خمسة واربعين شينيا من عسكر الانبرور الذى كان جانباً فى النجدة الى دمياط فلما سمعوا

ما جرى من الهدنه وان الملوك رهاين رجعوا واخذ السلطان يجهز الافرنج للرواح فمنهم من راح في البحر فاعطاهم الازواد والاقامات وجهز معهم اخاه صاحب قلعة جعبر حتى سيرهم ومنهم من مد لهم الجسور الى بر الغرب حتى عبروا سايرين الى دمياط لان بر الشرق ما كان يحلقهم والمرمة العظيمة التى لهم ومراكبهم حولها محاذيه لهم فى البحر وما زالوا اياماً حتى وصلوا وسافر اكثرهم وخرج من بقى بدمياط الى اجرمها وسلمت دمياط في العشر الأول من توت وسار السلطان اليها هو والعساكر وبقى بها الى ان سافر بقية الافرنج وودع الملوك الافرنجيه من البحر وعاد الى اشموم وبقى با الى ان ودع اخوته وعساكر الشام والشرق وعاد الى القاهرة فعبر اليها فى نهار يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وستماية وكان عبوره يوماً ما شهد وزينت المدينتان زينة ما روى مثلها وفرح الناس وامنوا وبلغ النيل فى هذه السنة الى .... وصارت بين السلطان وبين ملك عكا صداقة عظمة اكيده والهدايا تحمل من هذا الى هذا وتزاحمت الظنون فقوماً قالوا انه كان مخامراً وانه الذى فعل بالفرنج هذه الفعله وقوم قالوا ما كان عن رضاه وانما اللكات الذى اشار بالخروج وما امكنه ان يخالفه ليلا ينسبه الى المخامره ولقد قال له ينبغى ان لا نخرج من بلدنا هذا يعنى دمياط حتى يأتى تحدثنا الامبرور ويحق اذا بقينا ورا خنادقنا الف سنة ما نلتفت لاحد ولو جاء عدد الرمل وهذه العساكر التى تسمع بها فما يثبتوا عندنا لان ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغايتهم ان ينزلوا علينا بها فما يثبتوا عندنا لان ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغايتهم ان ينزلوا علينا شهراً اثنين ثلاثة فلا ينالون منا طايلا فيرجع كل واحد الى موضعه فنقوى نحن وتقوى عزايمنا ويقل عدونا وتضعف نفسه واذا ملكنا مصر فى عشرين سنة نكون قد استعجلنا فما قبل منه بل قال انت مخامر قال انا اخرج معك وارادة الرب تكون فخرجوا حتى جا واشار مساح فقال له ينبغى ان تقيم ها هنا هذه السنة ونحفر علينا خندقاً ونزرع من هنا الى دمياط ومراكبنا تجينا والطير ما يقدر يطير بيننا وبين دمياط فاذا انفض هذا الجمع وجات نجدتنا كانت مصر قدامنا فى يومين بلا مانع فقال انت مخامر ما اخذ مصر الا فى هذه الايام فصاروا حتى بلغوا

ما جرى من الهدنه وان الملوك رهاين رجعوا واخذ السلطان يجهز الافرنج للرواح فمنهم من راح فى البحر فاعطاهم الازواد والاقامات وجهز معهم اخاه صاحب قلعة جعبر حتى سيرهم ومنهم من مد لهم الجسور الى بر الغرب حتى عبروا سايرين الى دمياط لان بر الشرق ما كان يحلقهم والمرمة العظيمة التى لهم ومراكبهم حولها محاذيه لهم فى البحر وما زالوا اياماً حتى وصلوا وسافر اكثرهم وخرج من بقى بدمياط الى اجرمها وسلمت دمياط فى العشر الأول من توت وسار السلطان اليها هو والعساكر وبقى بها الى ان سافر بقية الافرنج وودع الملوك الافرنجيه من البحر وعاد الى اشموم وبقى با الى ان ودع اخوته وعساكر الشام والشرق وعاد الى القاهرة فعبر اليها فى نهار يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وستماية وكان عبوره يوماً ما شهد وزينت المدينتان زينة ما روى مثلها وفرح الناس وامنوا وبلغ النيل فى هذه السنة الى .... وصارت بين السلطان وبين ملك عكا صداقة عظمة اكيده والهدايا تحمل من هذا الى هذا وتزاحمت الظنون فقوماً قالوا انه كان مخامراً وانه الذى فعل بالفرنج هذه الفعله وقوم قالوا ما كان عن رضاه وانما اللكات الذى اشار بالخروج وما امكنه ان يخالفه ليلا ينسبه الى المخامره ولقد قال له ينبغى ان لا نخرج من بلدنا هذا يعنى دمياط حتى يأتى تحدثنا الامبرور ويحق اذا بقينا ورا خنادقنا الف سنة ما نلتفت لاحد ولو جاء عدد الرمل وهذه العساكر التى تسمع بها فما يثبتوا عندنا لان ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغايتهم ان ينزلوا علينا بها فما يثبتوا عندنا لان ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغايتهم ان ينزلوا علنيا شهراً اثنين ثلاثة فلا ينالون منا طاييلا فيرجع كل واحد الى موضعه فنقوى نحن وتقوى عزايمنا ويقل عدونا وتضعف نفسه واذا ملكنا مصر فى عشرين سنة نكون قد استعجلنا فما قبل منه بل قال انت مخامر قال انا اخرج معك وارادة الرب تكون فخرجوا حتى جا واشار مساح فقال له ينبغى ان تقيم ها هنا هذه السنة ونحفر علينا خندقاً ونزرع من هنا الى دمياط ومراكبنا تجينا والطير ما يقدر يطير بيننا وبين دمياط فاذا انفض هذا الجمع وجات نجدتنا كانت مصر قدامنا فى يومين بلا مانع فقال انت مخامر ما اخذ مصر الا فى هذه الايام فصاروا حتى بلغوا

مقابل فم بحر المحله الذي قدام البرمون الذى خرجت منه مراكب المسلمين فقال له هذا البحر ما علينا اضر منه اعطنى هذه المراكب الكبير الذى معك نحطه فى فم هذا البحر ونجعل معه عشر شوانى تمنع الهواء يعبر من هنا ونأمن شره فقال وحق دينى ما احط هذه الصلبان التى على رأس هذا الصارى الا على سور القاهرة قال له سر وسوف نرى ما يجرى وانه لو لم يكن فعل ذلك كانت الافرنج قد اهلكته ثم خرج السلطان الى ابيار اقام بها مدة الصيف ثم انحدر الى دمياط وامر بان يعمل جسراً على بر البحيرة من بوره الى البحر المالح يمنع ماء البحر ان يفيض على البحيرة ووظف على الامرار والاجناد كل صاحب الف دينار حراقتين ففعلوا ذلك وفرغ الجسر ثم شرع فى عمارة بر الجيزة قلعة حوالى النيل وجعل فيها احد عشر برجاً وطرح الابراج على الامرا على قدر قوتهم فمنهم من طرح عليه برجاً بمفرده ومنهم اثنان فى برج واخرون ثلثة وأربعة فى برج ودخلت سنة تسع وثلثين وتسع مايه للشهداء الاطهار وانتهى النيل فى هذه السنة الى سبعة اصابع من ثمانية عشر ذراعاً ورخصت الاسعار وطابت الديار وفى هذه اسنة وصل الملك الاشرف سلطان الشرق الى ديار مصر على سبيل الفرجه والخدمة لاخيه السلطان الملك الكامل وتلقوه بالضيافات والاقامات من الرمل وعبر الى القاهرة فى يوم الخميس العاشر من طوبه من هذه السنة وقد زينت زينة ما روى مثلها وكان هذا اليوم من ايامها العظيمة المشهوده وهرد الملك الاشرف فى الديار المصرية من القاهرة الى الخرقانيه الى اشموم الى ابيار الى جزيرة مصر وكان نزوله بالجزيره فى ايام النيل المبارك وكانت النيران توقد فى كل ليلة بحمله من الشمع والزيت وكان اهتماماً ما شوهد مثله فأما ليلة خلوق المقياس فزادوا على وقود الزيت وقيد اطواف خشب وجدروها فى البحر ووقود العشاريه والحراريق ويفرشها فى وسط البحر وكانت ايام كلها اعياد ورخصت الاسعار الى الغايه حتى بيع القمح بثلثين دينار المايه اردب والشعير والفول بعشرين دينار المايه اردب والخبرة عشرة ارطال بدرهم واللحم بنصف وثمن درهم الرطل والفراريخ بخمسة دراهم العشرة ولم يكن شيا غالى وكان البرسيم ايام زيادة النيل بخمسة وعشرين درهماً الاردب ولما نقص النيل بيع البعلى بستة

وستين درهما الاردب والحراتى باربعة وخمسين درهما الاردب وهو شى عجيب لان النيل ما كان بالعالى الا انها أمور بيد الله تعالى وتحدث بعض الاراخنة مع الصاحب الوزير اقامة البطرك فرسم بان يطلب الحبيس الذى بابيار وان يقام عنه بخمسه مايه دينار لبيت المال وشرعوا فى طلب المبلغ المذكور وتقسيطه على الكنايس فلم يقدر عليه ولا مشى فيه حال فوقفت القضية وانقطع الحديث وسافر الملك الاشرف من مناظر سيف الاسلام التى على بركة الفيل فى نهار السبت الحادى من شعبان سنة عشرين وستمايه الموافق الحادى عشر من توت وخرج السلطان الملك الكامل لوداعه وكانت المصادرات على حالها والجيوش ملأى من الكتاب واصحاب الدواوين والوزير لا يعرف الا شيا يحصله للسلطان من كل وجه ودخلت سنة اربعين وتسع مايه وبلغ النيل فى هذه السنة الى اثنا عشر اصبعا من سبعة عشر ذراعاً وكانت الاسعار رخيصة والاشيا كثيرة موجودة والدنيا هادية من الفتن ولم يكن شيا غالياً الا الذهب والشمع فان اصرف بلغ ثلثة واربعين درهماً بدينار والشمع ثمانية دراهم ونصف الرطل وبقى الحال على ما هو عليه وفى اخر كيهك فى هذه السنة وردت الاخبار ان الملك المسعود صاحب اليمن ابن السلطان الملك الكامل واصل الى الديار المصريه وانه بلغ عيذاب فاخرج السلطان ابنه الملك الصالح وابن اخيه الملك المظفر تقى الدين وابن اخيه شمس الملوك ابن الملك الاعز بن صلاح الدين ومن معهم من الامرا والاجناد لتلقيه فلقوه قريباً من قوص ثم وصل الى القاهرة فى امشير من السنة المذكورة بتحمل عظيم وهدايا كثيرة واموال جمه ومن حمله ما وصل معه من العجايب ثلثة افيال منهم اثنان لم ير قط اعظم منهما مثل الجزاير العظام وذكر ان عمر كل منهما دون العشرين سنة واخر صغير عمره ثمان سنين وذكر المشايخ وارباب التواريخ انه لم يرد قط الى البلاد اعظم منهم وكان عبوره يوماً مشهوداً وقد كان سير قبل ذلك عسكر الى خدمته الى الحجاز مع ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين ابن مودور فخالفهم فى الطريق فمضى اوليك الى الينبع وهى قلعة منيعة من بلاد الحجاز وكانت ممتنعة على الملك المسعود قد اجتمعوا بها جماعة وقد عصت عليه [illegible] وتركوا بها خليفة لهم ورجعوا وبقى الملك

المسعود بالقاهرة نازلاً بالقصر والاحوال مستقرة على ما هى عليه والصاحب صفى الدين الأمر كله فى يديه والاسعار بحالها فى طول السنة وزاد رخص الاشيا وبلغ النيل فى هذه النة الى اربع اصابع من ثمانى عشر ذراعاً ثم دخلت سنة احدى وأربعين وتسع ماية والسلطان الملك الكامل مقيم بقلعته المعموره بالقاهرة والملك المسعود مقيم ايضاً والصاحب ابن شكر الحاكم فى الامور مستقلاً والبيعة بغير بطرك والاسعار بحالها فلما كان فى اثناء السنة بلغ السلطان من بعض الناس عن بعض الامرا أمر يوهم منه فاعتقل بعضهم ونفى بعضهم واحتاط على موجودهم واقطع اخبازهم وطالب بعضهم بمال وفى الصوم المبارك تقدم المستوفيون الى الصاحب وقالوا له انك قد اصلحت كل شىء الا امر النصارى فانهم بغير بطرك وقد استضروا وانحلت نواميسهم فقال لهم لابد من شى للسلطان فقرروا معه خمس ماية دينار فكتب الى السلطان واستاذنه فجاء جوابه بان يختاروا فاختار المستوفيون وجماعة الرعاع راهباً يقال له بولس البوشى وكان في ذلك الزمان قد حضر من ديره ليتداوى لانه كان بحمى الكبد ووازراهم على ذلك الصاحب واختار بعض الناس القس داود بن يوحنا المعروف بابن لقلق ولم يكونوا يجسرون ان يظهروا ذلك لان القسيس المذكور مشهوراً بانه صاحب الشيخ نش الخلافه بن المنقاط والشيخ المذكور فهو عدو الصاحب لا يضل له الى دار بالضد من كل من فى البلاد وكل من سمع انه يسلم عليه فى الطرق قد عمل فى اهلاكه لا سيما من يكون صديقه وصاحبه فكان كل من يريد القس داود يخفى ذلك ولا ظهره خوفاً من الصاحب وتعذر الحال لبولس البوشى وأنبرم وجات الاساقفة وكتبوا له محضراً كتب فيه اكثر الناس بالرضى به لاجل نفس الصاحب إلى ان وقف للسلطان قوم لا يعنى بهم وقالوا يا مولانا نحن ما نرضى بهذا البوشى وعندنا من يصلح سواه فقال ومن هو قالوا داود ابن لقلق ونشتهى من مولانا ان يحضر الاثنين الى بين يديه ويسمع حديثهما وعلمهما ومن رجحه فقد رضيناه لان مولانا نايب الله فى ارضه فقرر احضارهما وقد كان الشيخ نش الخلافة تحدث مع السلطان فى ذلك وقرر القاعدة وانتهى الحال فيما بين اصحاب الاثنين الى ان [illegible] فاما اصحاب داود فكانوا يقولون انهم

يقترضونها ويدبرونها ولا يكلفون احداً شيا فاما اصحاب بولس فكانوا قد قرروا مع الصاحب انهم يجبونها من النصارى بالوجهين القبلى والبحرى والناس كافة فاعتمد السلطان على احضارهما فى يوم معين لانهما كانا فى حيز مصر وان يحضر بطرك الملكية معهما فحضروا جميعاً واحضر السلطان الفقها واجلا الناس وعبر مع داود اثنان من اصحابه واما بولس فلم يتركوا احداً يعبر معه وخرج داود مرجحاً الا ان الحال واقف لاجل ما قاله فخر الدين عثمان للسلطان لاجل عرض الصاحب وصار الناس فيتين ورجعوا الى ما كانوا عليه من البغضة والتعادى وعمل المحاضر المزوره فى حق القس داود وايصالها الى السلطان الى ان اوقفوا خاطره فى القضية وضاق الوقت وتدحرجت الايام وجاء العيد والحال على ما هو عليه وفى اخر هذه السنة توفى الصاحب الوزير ودفن بالقاهرة فى موضع قريب من داره عمره لنفسه وكان له خروج عظيم وجنازة عظيمة شهدها كل من حضر من المدينتين وسير السلطان اولاده واقرابه صلوا عليه ثم دخلت سنة اثنين واربعين وتسع ماية فى شعبان سنة اثنين وعشرين وستماية والنيل لم يوف ولا وصل المقرر والاسعار قد تحركت وفى ليلة الاربعاء السادس من توت كسر الخليج من قبل الوفا سراً ولم يعلم به احداً وشاط سعر الغلة وطلبها الناس فمنع السلطان احداً ان يبيع منها شيا اصلاً ثم وصل المقرر فى النهار المذكور فاهتدى الناس واملوا ان الماء يزيد فمادى الحال ونقص الماء وكانت الغلة فى هذه السنة كثيرة فاستقر السعر القمح العالى الغاية على عشرين درهم الاردب والشعير ثلثة عشر درهماً والفول عشرة دراهم والجميع من هذه النسبة ولم يغل شى لا لحم ولا غيره وغاية ما انتهى اليه فى هذه السنة ستة عشر اصبعاً من ستة عشر ذراعاً ولم يوف ولا خلق المقياس فى هذه السنة ولا نودى عليه ثم ان السلطان كثر تخيله من الأمرا فاعتقل جماعة اخرى ثم قبض على اولاد الصاحب وغلمانه وعاقبهم وطالبهم بالاموال وكان هذا الوقت وقتاً صعباً لان السلطان طالب الناس بالبواقى وامر بتحريج الاخلاف والمطالبة بالاموال وهو مقيم بالقلعة المحروسة وابنه صاحب اليمن عنده بالقاهرة وجميع العساكر بعد ان خرجوا فى [illegible] واقاموا اياماً ولبسوا كلهم العدد والتشاهير

وعرضوا كل امير يطلبه وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله ولبسوا كلهم العدد والتشاهير
وعرضوا كل امير يبطلبه وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله ثم امرهم ان لا يخرج احد منهم
الى الريف ولا يزالوا بالقاهرة لا صغير منهمه ولا كبير وكان الذهب فى طول هذه الايام
لا يقدر عليه حتى ان الصرف بلغ الى اربعة واربعين درهماً ونصف بدينار واستمر كذلك
ورسم السلطان ان يفتح دار ضرب بالقلعة ودار اخرى بمصر مع الدار التى بالقاهرة
ففتحت الدار التي بالقلعة وضربت بها دراهم مدوره وغلا الذهب بالكليه الى ان كاد
يعدم وبيعت الدراهم خمسين درهماً بدينا واقله سبعة واربعين درهماً بدينار ثم خرجت
الدراهم المذكورة وامر ببيعها سبعة وثلثين درهماً بدينار وان يكون العتق اثنين واربعين
درهماً بدينا وكان الناس في هذا الزمان فى ضيق عظيم وتخبيط والسلطان يطلب
الاموال ويجمعها من كل وجه واولاد الصاحب وغلمانه فى العصر والعقوبة وهم يبيعون
ويوردون ثم ان الماء كان قد انتهى الى ما تقدم ذكره ولم يغلق وانحط الى ثلاثة عشر
ذراعاً ثم رجع زاد فى اواخر بابه الى ان بلغ الى اصابع من خمسة عشر ذراعاً ثم نقص
الى ان عاد الى ثلثة عشر ذراعاً ثم عاد زاد الى ان بلغ ما كان عليه فى الاول وغرق
كل ما كان قد زرعه الناس وعاد عبر الخليج وعبرت فيه المراكب فى النصف من هتور
بعدما كان قد جف ومشى الناس فيه وتعجب من هذا الامر كل احد وفى هذه الايام
اسلم راهب من رهبان دير ابو مقار ووشى بالرهبان عند السلطان وذكر ان فيهم من
يحتمى بالرهبنه عن وزن الجاليه وان عندهم حقوقاً ومواريث الديوان ورسم السلطان ان
يخرج معه امير من الامرا للكشف عنهم فخرج معه امير يعرف بابن سيروين وصار الى
الدياره بوادى هبيب فلم يجعله كشفاً بل امسك الرهبان وضربهم وعلقهم وعاقبهم الى
ان قطع عليهم ستماية دينار واستخرج منها اربع ماية دينار واحضرها صحبته وقرر
معهم ان يحصلوا المايتى الاخرى حتى يعود ياخذها منهم وحمل المبلغ المذكور الى
السلطان وهو اربع ماية دينار وقال له انى مضيت الى الدياره وقلت للرهبان احلفوا انه
ليس للسلطان عندكم حق فاشتروا يمينهم بستماية دينار وقد احضرت منها اربع ماية
دينار [illegible] الا وهم على تحصيلها وحضر من مشايخ

الرهبان جماعة ووقفوا للسلطان اعز الله نصره وشكوا له قضيتهم فلما وقف على امرهم امر بان يعاد ما حمل من جهتهم عليهم فاخذوه وجعلوه في صنية واوقدوا الشمع وداروا به القاهرة كلها وكانت قضية تعجب منها كل احد وعجيبة ظهرت من اباء الديارات ثم امر بان لا يتعاملوا بالدراهم العتق اصلا بل من كان معه منها شي يمضى به الى الصيرفى وياخذ به ذهباً على حساب خمسة واربعين درهماً بدينار ويرجع يصرف الذهب بدراهم جدد علي حساب سبعة وثلثين بدينار وكان هذا بالاسم لان الذهب ما كان نقي يقدر عليه وكل من كان معه شي ما كان يقربه وانما هو اسم حتى تحل معاملتهم على مقتضى دينهم لانهم يقولوا ان بيع الفضة بالفضة لا تحل بل حرام وكذلك الذهب بالذهب وكل شي بمثله وكان الناس يتعاملون بها ولكن في السر كل عشرة دراهم عتق يحسبوها بثمانية دراهم وربع جدداً وكل درهم ينقصونه ثلاثة خرايب والدراهم التى تجمع المدورة بلا زيادة ولا نقصان وكانت فايدة للسلطان فيها كل الف دينار ماية خمسة وسبعين دينار وكانت الدار تعمل في كل يوم ماية الف درهم فايدتها كل يوم بالتقريب خمس ماية دينار واستمر الحال على ذلك وتوسوس الناس وانضروا واستغاثوا الى الله تعالى فلم يغثهم وعدم الذهب بالكلية حتى صار الدينار يدفع فيه خمسين درهماً عتقاً فلا يقبل صاحبه يبيعه ولم يوجد من يقربه وانضر الناس فى هذا اضراراً بيناً لان كل درهم كان مع الناس رجع الى النصف والربع ونقص الربع او انشف لا محاله وضربوه بعد ذلك فلوساً وباعوها كل اربعة فلوس بربع درهم واستبشر الناس بها اكثر من الدراهم الجدد وبقى الناس على هذه الحال مذبذبين وجات رسل خوارزم شاه ملك الفرس وما علم فى اى شى جاءوا وفى الصوم المقدس من هذه السنة تحرك اصحاب القسيس داود لطلب البطركيه له واجتمعوا بانسان رومى تاجر يتردد الى البلاد من عكا وغيرها وكان اسمه مفرجاً وكان قريباً من السلطان اعز الله نصره ومن الامير فخر الذين استاذ الدار وجعلوا للسلطان خلد الله ملكه الفى دينار عن تقدمه داود فطلب منهم الفا معجلة والالف الاخراه حتى تنجز حال القسمة فاجتمع سبعة انفس من اصحابه ومضوا الى انسان تاجر يقال له الحلى فادانوا منه الف دينار بالف ومايتى

دينار الى شهرين وسلموها الى مفرج وتطاول الحال وسمع اضداد داود بهذا فتجمعوا وتحربوا وكتبوا الى السلطان بانهم غير راضين وتفاقم الامر بينهم على جارى العاده واقتبلوا بالالفى دينار قسطوها على الكنايس والنصارى على ان داود لا يذكر ورفعوا الامر الى السلطان فلم يقبل بل قال لهم اتفقوا مع اصحابكم ولم يزل الحال كذلك ورقعة الالف دينار مع مفرج والسلطان لا يردها ولا ياخذها لانه ينتظر اتفاقهم وفى اثنا هذا قبض على بعض المستوفيين الذين كانوا يعاندون داود وكان اخر ما تقرر ان تكتب اربعة رقاع من جملتهم داود ويرفع على الهيكل فمن طلع اسمه قدم الا ان اصحاب داود لم يرضوا بالقرعة لأنهم كانوا يقولون ما عندنا الا صاحبنا ومن هو مثله حتى نقرنه به وتقارع بينهما وكان التناحر والاحتيال والمنازعة قوياً جداً وكان زماناً صعباً على الناس وخصوصاً الكتاب ولما امسك هولاء المستوفيون اشتغل كل احد بنفسه ووقف حديثه البطركية فمنهم من اخذ خطه بعشرة الف دينار ومنهم من اخذ خطه بخمسة الف دينار واقلهم ثلثة الف دينار وكان الوقت على الناس كلهم صعباً شديداً وان كان الرخص الا من قبل قساوة السلطان عليهم وفى هذه المدة وصل رسول امير المومنين ابى نصر الظاهر بامر الله القايم بعد ابيه الناصر لانه توفى فى هذه السنة من بغداد ومعه خلع سنيه سود مذهبه وحل منها ما هو مفصل بذهب برسم ركوب السلطان الكبير ولبس السلطان واولاده الخلع بالعمايم والبس اكابره واكابر الامرا خلعاً دونها من كان منهم يلبس العمامة اعطاه عمامة ومن كان منهم يلبس شربوشاً اعطاه شربوشاً وكل ذلك مما جعل من بغداد وكان يوم ذلك يوماً مشهوداً ووصل بعد ذلك رسول ملك الروم صاحب قونيه واقصرا ورسول الكرج ورسل كثيرة من كل جهة وارجف بعد ذلك بان خوارزم شاه قد كسر عسكر الكرج وفتح تفليس وايجاراً وشاعت بذلك الاخبار وبعد هذا طال على اصحاب القسيس داود المطال وطالبهم صاحب الالف دينار بها ويربحها لانهم كانوا اخذوها منه الى شهرين بالف ومايتى دينار فلما تجاوزت الشهرين اعطوه فايدة اخرى فشاوروا السلطان واستعادوا الالف دينار المذكورة واعادوها الى صاحبها ... وانقطع القال والقيل ثم جاء النيل فمد مداً لطيفاً ثم

دينار الى شهرين وسلموها الى مفرج وتطاول الحال وسمع اضداد داود بهذا فتجمعوا وتحربوا وكتبوا الى السلطان بانهم غير راضين وتفاقم الامر بينهم على جارى العاده واقتبلوا بالالفى دينار قسطوها على الكنايس والنصارى على ان داود لا يذكر ورفعوا الامر الى السلطان فلم يقبل بل قال لهم اتفقوا مع اصحابكم ولم يزل الحال كذلك ورقعة الالف دينار مع مفرج والسلطان لا يردها ولا ياخذها لانه ينتظر اتفاقهم وفى اثنا هذا قبض على بعض المستوفيين الذين كانوا يعاندون داود وكان اخر ما تقرر ان تكتب اربعة رقاع من جملتهم داود ويرفع على الهيكل فمن طلع اسمه قدم الا ان اصحاب داود لم يرضوا بالقرعة لأنهم كانوا يقولون ما عندنا الا صاحبنا ومن هو مثله حتى نقرنه به وتقارع بينهما وكان التناحر والاحتيال والمنازعة قوياً جداً وكان زماناً صعباً على الناس وخصوصاً الكتاب ولما امسك هولاء المستوفيون اشتغل كل احد بنفسه ووقف حديثه البطركية فمنهم من اخذ خطه بعشرة الف دينار ومنهم من اخذ خطه بخمسة الف دينار واقلهم ثلثة الف دينار وكان الوقت على الناس كلهم صعباً شديداً وان كان الرخص الا من قبل قساوة السلطان عليهم وفى هذه المدة وصل رسول امير المومنين ابى نصر الظاهر بامر الله القايم بعد ابيه الناصر لانه توفى فى هذه السنة من بغداد ومعه خلع سنيه سود مذهبه وحل منها ما هو مفصل بذهب برسم ركوب السلطان الكبير ولبس السلطان واولاده الخلع بالعمايم والبس اكابره واكابر الامرا خلعاً دونها من كان منهم يلبس العمامة اعطاه عمامة ومن كان منهم يلبس شربوشاً اعطاه شربوشاً وكل ذلك مما جعل من بغداد وكان يوم ذلك يوماً مشهوداً ووصل بعد ذلك رسول ملك الروم صاحب قونيه واقصرا ورسول الكرج ورسل كثيرة من كل جهة وارجف بعد ذلك بان خوارزم شاه قد كسر عسكر الكرج وفتح تفليس وايجاراً وشاعت بذلك الاخبار وبعد هذا طال على اصحاب القسيس داود المطال وطالبهم صاحب الالف دينار بها ويربحها لانهم كانوا اخذوها منه الى شهرين بالف ومايتى دينار فلما تجاوزت الشهرين اعطوه فايدة اخرى فشاوروا السلطان واستعادوا الالف دينار المذكورة واعادوها الى صاحبها [illegible] والقيل ثم جاء النيل فمد مداً لطيفاً ثم

نقص من السادس عشر من ابيب الى العشرين منه مقدار عشرة اصابع ثم رد النقص وزاد الزيادة المعهوده وفى هذه الايام وردت الاخبار بان الملك المعظم سلطان الشام قد خرج من دمشق طالباً الى حماه وانه قد حرك خوارزم شاه على ارض خلاط وهى ملك الملك الاشرف صاحب الشرق والسلطان صاحب مصر من قبله فامر العساكر المصرية ان يخرجوا الى ارض القدس والساحل وما يتاخم دمشق ونهبوا وحرقوا وسبوا فجهزوا لذلك والناس بعد ذلك فى ضايقة وشدة من النقود واختلافها وقول السلطان لا يتعامل بالنقد العتيق وهو كثير بايدى الناس وايضاً فلبعضهم فى النقد الجديد لانهم كانوا يخسرون فيه الربع من اموالهم لانهم كانوا يحضرون الى الصيارف او الى دار الضرب خمسة واربعين درهماً عتيقاً فيعطون بها سبعة وثلثين درهما جديد والقيمة القيمة والعيار العيار فيكون غرامتهم فيه الربع او دونه والندا مستمر بانه من تعامل بها احل ماله ودمه ومن وجدت معه احرق به ونكل والذهب قليل جداً ورسم السلطان ان يكون صرف الدينار بالجديد اربعين درهماً بدينار واذا جا الانسان الى الصيرفى يطلب منه ديناراً بدراهم ولا ياخذ منه الا ثلثة واربعين درهماً ونصف جديدة والا انكره ان ما عنده ذهباً اصلاً وكان الناس من هذا الوجه فى شدة شديدة الا ان الاسعار كانت رخيصه والاشياء موجوده وسببه استيلا الفقر والضعف على الناس واستوديت الجزيه فى هذه السنة من الذمه دينارين كل راس صرف ثمانية واربعين درهماً عتق بدينار تقع ماية درهم الجزيه فى القاهرة ومصر فأما البلد البرانيه فتقع الجزيه ماية وعرن درهماً وندب من المقام السلطانى قوم يقال لهم الصقعون والكشاف خرجوا الى العمال القبليه والبحريه واحدثوا على الناس حوادث منها انهم طلبوا منهم حق الجبانات والمقابر وثمن الطوب والحجارة التى بنوا بها بيوتهم وادعوا ملكية الدور وطالبوهم بالاثبات وقالوا البلاد كلها ملك السلطان وانتم من اين ملكتم هذه اثبتوا بالشرع والا الكل ملك السلطان وقوموا بالاجرة منذ سكنتم والى الان واعادوا عليهم المساحات فى الراتب وغيره وزيدوها عليهم وكثر الرفاعون وانفتحت لهم الابواب وحصل من هذه الجهة جملة كبيرة [illegible] رجل يقال له عبد القادر وكان قد ضمن مكوس

الذمه بالقاهرة ومصر وكان عليهم منه ضر عظيم وكان يظلمهم ظلماً فاحشاً وقطع مصانفاتهم وياخذ جواريهم ومماليكهم باليد ويودعهم الحجز ويقول هولاء مسلمون وانتم سمحتم فيهم وغلبهم عليهم فاما نبالغهم واما يقطع مصانعتهم عليهم وكان ارباب الدوله يساعدونه على ذلك لعلمهم بنفس الاصل وفى هذه السنة فتح خليج الذكر الذى من قنطرة المقسس وخرق الى خليج القاهرة المعروف بالحاكمى وعمل على فمه سد مضافاً الى السد الجارى به العاده وفى هذه السنة التقى البحران فى نهار الجمعة السابع من مسرى الموافق للرابع من شعبان سنة ثلاث وعشرين وستماية وكان السعر رخيصاً والاشيا موجودة الا ان الرزق مقتر قليل ثم ان السلطان اعز الله نصره عزم على التوجه الى الشام لخلف وقع بينه وبين اخيه صاحب دمشق ورسم للامراء والاجناد بتجهيز اشغالهم وقويت الحركة فى ذلك وتجهز الناس بما يقدرون عليه وخرجوا الى البركة وفى يوم الاربعا السادس والعشرين من مسرى الموافق لثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وستماية وصل المفرد من الصعيد واخبر بان النيل وفى به فى .... وكان النيل اذ ذاك فى مصر على اصبع من ستة عشر واصبح فى السابع والعشرين من مسرى زاد ثلاثة اصابع وفى الثامن والعشرين ثلاثة اصابع وفى التاسع والعشرين اصبع واحد فصار على ثمان اصابع من ستة عشر ذراعاً ثم وقف اخر مسرى واول النسى وربما اضطرب وفى هذا النهار ورد الخبر بموت الامام الظاهر ابى نصر محمد الخليفة الجديد وما له اكثر من ستة اشهر وعملت ضحيته ببركة الحب فى اليوم المذكور وهو يوم الاثنين اول النسى والسلطان راحل يريد الشام والاسعار رخيصة والاشيا موجوده الا ان الناس ضعاف الى الغاية والدولة فيها عنف ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وتسع مايه للشهداء والماء متوقف ثم زاد وفتح سد بحراى المنجا الاول فى يوم الثلثا اربع توت وخلق المقياس فى يوم الاربعا خامسه وفتح الخليج الجارى به العادة فى يوم الخميس سادسة فاما الخليج المستجد من المقس من الخليج المعروف بخليج الذكر فانه فتح من مدة ثم رد عليه الخليج الحاكمى فعمل له سد عند باب القنطره من جانب الميدان الذى هناك وتتابعت زيادة النيل الى الرابع عشر من بابه وبلغ اثنا عشر اصبعاً

من ثمانية عشر ذراعاً وكان من عجايب الدنيا لانه ما روى بل توقف توقفه وجا مجيه ثم انه نزل نزولاً مهتدياً من اصبعين ومن ثلثة ورخصت جميع الاشيا واتفق الملك المعظم صاحب الشام مع الملك الاشرف صاحب الشرق اخوه السلطان الملك الكامل اعز الله نصره وزال الشنان الذى بينهم وعاد مولانا الملك الكامل بعسكره من العباسه الى القاهرة المحروسة واستقر الحال بمملكته الشريفة وبسط العدل على الرعيه وبذل لهم الاحسان وكانت ايام رخية وخيرات كثيرة ثم وردت الاخبار بخلافة الامام المستنصر ابى جعفر المنصور ودعى له وضربت السكة باسمه وهو ولد الامام الطاهر ابى نصر محمد المتوفى وفى هذه الايام تجهز المولى الملك المسعود صاحب اليمن للرواح الى بلاده وسير اكبر قماشه فى البحر وكان هو ايضاً عازماً على الرواح فى البحر ثم رجع رايه عن ذلك فاخرج خيمته الى البركه وقوى عزمه على السفر فى البر ثم ان السلطان اعز الله نصره صار يتعهد النزول الى مناظر البركة المعروفة بمناظر سيف الاسلام ويأمر السكان بها بوقودها فى الليالى التى تنزلها ورمى فى البركة السمارية والحراريق يركب فيها كل ليلة ويدور تحت دورها ويعطى الناس ويهبهم الدنانير والدراهم والمطعوم والمشروب والفاكهة وغيرها ويقرب من النا وعادتهم وكانوا الناس يتفننون فيها يعملونه من الوفيد وغيره وكانت هذه الايام ايام نزه ولهو وطيبة ورخا وامن والسلطان خلد الله ملكه يتردد من البركة الى الجزيرة ومن الجزيرة الى البركة وكانت ليالى البركة عجيبة مبدعه الى الغاية وجد الملك المسعود على المسير الى اليمن ورد بثقله واخذ له من جميع الصناع من يسافر معه الى بلاده وتجهز فى البر والبحر وسافر الى اليمن على ملكة فى البر ثم ان الزراعات نجبت والخيرات كثرت والاسعار رخصت والامور ساكنت والدنيا بظل السلطان آمنة وسير الملك المسعود فى هذه السنة رجلا من اهل الهند صورته صورة الادميين وعلى وجهه وجسمه جميعه شعر وصوف يشبه صوف الدب حتى ان لحيته لا تتميز من شعر وجهه ومعه ترجمان يكلمه بالهندى وذكر انه من اهل بيت كلهم هكذا الرجال منهم والنسوان وانزله السلطان واكرمه ورتب له راتب يقوم به وزيادة وجاء الصيام المبارك فلم يجر حديث فى امر البطركية ولا غيرها وانفق فيها انفق ردى وهو

ان واحداً من الكتاب يعرف بالاسعد بن الكردوش كان يخدم كاتباً ببيت المال المعمور فاحضر من ثغر الاسكندرية متاع على جارى العادة وكان قد امسى عليهم المساء عن ان يفسروه فتركوه فى الصناديق البرانية واصبحوا قابلوا بالرسالة على المتاع فوجدوه قد عدمت منه سوسيه فقالوا من كان فى بيت المال البارحة عند وضع القماش فيه فذكروا جماعة منهم هذا الاسعد الكاتب فكتب بن رمضان صاحب الديوان الى السلطان بصورة ما جرى فامر السلطان بمسك جميعهم وايقاع الحوطه بينهم فأمسك جميعهم واحتيط على نسايهم وكان المقصود منهم الاسعد المذكور فأمسك ولده وعوقب فأقر على ابيه انه اخذها ثم ظهرت السوسيه بعد ذلك من عند شخص عدل فى بيت المال ذكر ان امرأة رمتها لاجل بنيه ومعها رقعة وتركتهم وهربت وانهم اطلعوا على انها من بيت الاسعد بن الكردوش وأن الرقعة من عندهم وفيها استروا ما ستر الله وارحموا ترحموا وشى من هذا فاحضرها من ساعته الى السلطان مهما تقدم من اقرار ولده عليه فامر السلطان ان تقطع يده اليمنى وشفع فيه كل امير فى الدولة فما قبل فقطعت يده يوم الاحد وتوفى فى يوم الاحد الاخر وكان صابراً محتسباً شاكراً لله تعالى ولم يقر قط بشى وجرى على الطايفة شدة وامهان اياماً عدة وخصوصاً الكتاب ثم ادركت الغلات ورخصت الاسعار حتى بيع القمح فى بلاد الصعيد باربعة دراهم ونصف الاردب والشعير بثلاثة دراهم الاردب وكذلك الجلبان والترمس اما السلجم وبزر الكتان فانهما بيعا بثمانية دراهم الاردب وهو شىء ما سمع بمثله والزيت الحار بثلاثين درهم القلة والبطيخ بدرهم القنطار والعنب بسبعة دراهم القنطار وكل الماكولات من هذه النسبة وكانت خيرات ما روى مثلها من سنين عديدة الا ان الارزاق كانت قليلة والمكاسب كانت ضعيفة والناس يشكون من وقوف احوالهم حتى ان جماعة من البذارين تركوا دكاكينهم وقاموا من الاسواق لاجل البوار وانحط صرف الذهب الى ان بلغ احد واربعين درهما ونصف بدينار وجاء او ان النيل المبارك فتوقف اولاً ثم اندفع ثم وقف ايام فى مسرى ونقص اصبعا او اصبعين ثم ردها وزاد ثم دخلت سنة اربع واربعيين وتسع ماية والنيل [illegible] يوم الخميس الرابع من توت وزاد الى ان

بلغ عشر اصابع من سبع عشر ذراعاً فى الثامن عشر من توت ونقص من التاسع عشر منه نقصاً فاحشاً وخرجت الاراض وتحركت الاسعار شيا يسيراً ثم انحطت الى حدها ورسم السلطان للامرا والاجناد بان يخرجوا الى ظاهر القاهرة ويلبسوا ويطلبوا حتى يخرج يعرضهم على الخيل فى الجبل ففعلوا ذلك وخرجوا كلهم مع من اجتمع معهم من العربان والاصحاب والرحالة وكان جمعاً عظيماً ويوماً مشهوداً وتزينوا اطلاباً اطلاباً ميمنة وميسرة وقلباً من باب القاهرة الى بركة الحب وعبر السلطان عليهم راكباً يمر يطلب طلب ينمر جميعهم وعددهم وتركهم ويجوز من واحد الى اخر فى يوم الثلثا الرابع عشر من شوال سنة اربع وعشرين وستماية وامرهم ان يعودوا من الجبل ويبيت كل امير وجماعته فى منزلته بغير خيام ويصبحون يعبرون عليه فما بقى لكل امير فى وطاقة الا خيمة واحدة برسمة لا غير وباتوا واصبحوا عبروا على الخيمة التى ضربها السلطان على تل قريب من باب النصر وبدايرها شبابيك خشب وقد سمرت سقفها وهو جالس داخل الشبابيك مع خواصه والمعممين من اهل دولته وصار الامرا يعبرون عليه كل امير على ترتيب ما وضع لهم بأوراق بأن فلان بعد فلان وفلان بعد فلان ولا يقدر احد ان يتعدى ذلك وكان اول من عبر المولى الملك الصالح ولد السلطان لانه كان رأس الميمنة وما زال الامرا يعبرون فى يوم الاربعاء الخامس عشر من شوال المقدم ذكره من صلاة الصبح الى موذن العشا طلب بعد طلب بحيث لا ينقطع العبور لحظة واحدة الا اواخر هذا الطلب أوايل الذى بعده الجنايب والهجن والعدد والزرد والنشاهير والاكواس والبوقات حتى ارهجت الارض وكان عسكراً ما روى مثله ثم عبر السلطان مساء بعد عبورهم جميعاً ثم رسم لهم بأن يشدوا ويركبوا فى نهار يوم الاحد التاسع عشر من شوال الذى يلى الاربعاء المقدم ذكره لاجل ظهور المولى الملك العادل ولده الاصغر فلبسوا وركبوا وليس كاليومين الاولين الا مختصرين من ذلك وخرجوا الى صوب جامع بن طولون تحت القلعة ولعبوا وكان السماط قد عمل فى الميدان الذى هناك ونزل السلطان من القلعه راكباً وعبر على الاطلاب ومر بالسماط فامر به فتخاطفه الناس [illegible] المحروسة وظهر ولده وختن معه خلقا من اولاد الناس

ومن الصعاليك الذين لا قدرة لهم كسباً لثوابهم وجرى الامر فى نزوله لى بركة الفيل وشربه بها واعطايه الناس وهباته وصلاته ووقود البرين والازر وطرح السماريه والحواريق فيها على ما جرت عليه الحال فى السنة الخالة وبعد ذلك خرج السلطان اعز الله نصره الى ثغر الاسكندرية لكشف احواله وتدبر اموره لانه وقعت الشناعة بان العدو على حركة ووردت الاخبار فى ذى الحجة سنة اربع وعشرين وستماية بوفاة الملك المعظم سلطان دمشق والقدس وقعود ولده الملك الناصر بعده فى مملكته واستقر الامر على يده وعمل العزا بالاسكندرية بحضور السلطان الملك الكامل وبقيت الاحوال على ما هى عليه والاسعار راخيه والاشياء كثيرة والخيرات موجودة الا ان الناس كانوا يشكون من قلة المعاش وعدم المكسب وقلة الدرهم والدينار وفى هذه الايام فى اواخر كيهك عاد السلطان الملك الكامل من ثغر الاسكندرية وجعل طرقه على الديارات ديارة بو مقار بوادى هبيب ونزل بها واضافه الرهبان وكل من معه واكثروا لهم الخير مما يوجد عند الرهبان وانعم عليهم السلطان ووقع لهم بخمس ماية اردب غله ثلثمايه قمحاً وشعيراً وماية فولا وماية جلبانا واكرمهم وقربهم منه ورفع الحجاب دونهم وكتب لهم منشوراً بان من ترهب لا يلزمه جريه ولا يطلب بها وان اى راهب مات كان ميراثه للرهبان ولا للمواريث الجسديه عليه تعلق ولا للديوان السلطانى عليه اعتراض وتحدثوا معه في امر البطرك فقالوا له يا مولانا نحن بغير بطرك وقد تلفت احوالنا وكان بهذا الدير نيف وثمانين قساً ما فيه اليوم الا اربعة لانهم ما وجد من تقدم عوضهم فقال لهم اختاروا من شئتم وانا اقدمه لكم قالوا يا مولانا نحن ما معنا مال والبطرك يطلب عليه المال فقال لهم اتفقوا على من اردتم وما يطلب احد منكم شيئاً ولم يقو عزمهم على احد وانفصل السلطان عنهم وهو شاكر لهم وكذلك ساير العسكر ثم وصول رسول السلطان الذى كان توجه مع رسول الانبرور الواصل فى السنة الخارجة ووصل معه رسول اخر من جهة الانبرور المذكور الا انه ليس مثل ذاك الرسول فى حرمته بل دونه واحضر معه هدايا من خيل وقماش ومصاغ وجوارح وانزل على جارى العاده وتحرك السلطان عز نصره [illegible] القاهرة فى يوم الاحد التاسع والعشرين

من ابيب من السنة المذكورة وسار على فوره ونزل على تل العجول منزله بين الداروم وبين غزه بعد ان استخلف بمصر وده الملك الصالح وسلطنه بها واستنابه فيها ودخلت سنة خمس واربعين وتسع مايه ثم ان السلطان تنقل من تلك العجول من منزله الى منزله الى ان وصل الى نابلس فاقام بها وامتدت جيوشه للفور الى قصر بن معين الذين وجاز القدس والساحل من الداروم الى القصر المذكور وفى اثنا ذلك وصل الانبرور من المغرب الى قبرص ومن قبرص الى عكا وجات رسله الى السلطان بهدايا نفيسه وبجمل عظيم وكانوا اثنين جليلين احدهما صاحب صيدا ولاخر للكند تماس نايب الملك فى عكا وتلقاهم السلطان ملقاً عظيماً وركب العسكر جميعه يوم وصولهم وانزلوا فى كرامه كبيرة وترددت الرسل من السلطان اليهم ومنهم الى السلطان وكان هذا الانبرور رجلاً حكيماً كريماً حسن المقاصد مشكور السيرة وتمادى الحال على ذلك والسلطان أعز الله نصره يمده بالهدايا من الحجورة والبغال والهجن والنجابي والاقمشة وغير ذلك من تحف الملوك وبعد ذلك رحل السلطان من على نابلس وعاد الى مجدليا نزل عليها وتنقل فى المنازل الى قرباً بالقرب من عسقلان وهناك وصل اله اخوه الملك الاشرف صاحب الشرق يوم عيد الاضحى من سنة خمس وعشرين وستماية وكان يوماً مشهوداً ورسل الانبرور لم تكن تنقطع وسير السلطان اعز الله نصره احضر من مصر الفيل الذى كان الملك المسعود صاحب اليمن والحجاز احضره صحبته مع جملة الفيلة ولم يكن بقى منهم سواه لانهم ماتوا كلهم وسير الفيل المذكور الى الانبرور ورحل الانبرور من عكسا ونزل يافا يعمرها بعد عمارة قيسارية ووصل نيل مصر فى هذه السنة الى عشرين اصبعاً من سبعة عشر ذراعاً وكانت الاسعار راخيه بها جداً والشام بضد ذلك وكان العسكر فى ضايقة وغلا حتى انهم باعوا خيلهم وعددهم ورحل السلطان نزل تل العجول اقام بها والملك الاشرف معه ورجع الملك الناصر ولد الملك المعظم صاحب دمشق يسلم بلاده من الغور الى غزه ولم يبق بيد السلطان من الشام سوا غزه والداروم ووصل الى السلطان على هذه المنزله الملك المجاهد صاحب حمص اقام عنده مدة ورسل الانبرور مترددة وهو على يافا ورسل السلطان مترددة اليه ايضاً وفى اثناء ذلك رحل الملك الاشرف ورحل

معه صاحب حمص وكان المستامنون من عسكر دمشق كثيراً يحضرون الى خدمة السلطان ويرحب بهم ويعطيهم ويخلع عليهم وقطعهم وكانوا عدة لا تنحصر واخر من جا منهم عز الدين ايدمر وكان من اجل امرأيهم وينزل بمنزلة استاذ الدار وأوفى واعطاه السلطان من النعم مالا يوصف وادناه وقربه ورفع منزلته واعطاه فى جملة ما اعطاه دار الصاحب شكر بالقاهرة لسكنه واحسن اليه احساناً كثيراً وفى هذه المدة تحركت الغلة بمصر وبلغ القمح خمسين دينار المائة اردب والشعير مثله او دونه بشى يسير ثم انحط يسيراً فصار القمح بثمانية عشر درهما الاردب والشعير ثلثة عشر درهماً وأشيع بان السلطان عز نصره صالح الانبرور على ان تعطيه القدس الشريف وبلاد من اعماله وهى التى على الطريق من عكا اليه وبيت لحم من جملة ذلك ثم صحت الشناعة وتسلم الانبرور مدينة القدس الشريف وبيت لحم ولد الرملة وما والى ذلك من القدس الى عكا ويافا وكان فى طول هذه المدة قد عمر قيسارية ويافا واستتب الامر بينه وبين السلطان خلد الله ملكه وعبر الانبرور الى بيت المقدس فى اوايل الصوم الشريف من هذه اسنة وكان يوماً عظيماً وتسلموا الصخرة ثم اقام الانبرور بالقدس يومين لا غير وخرج منه الى عكا وبقى بها الى ان فرغ العيد واستخلف فى البلاد من يثق به وسافر فى البحر الى بلاده وكان السلطان الملك الاشرف قد اخذ بعض العسكر وتوجه الى دمشق نازلها ولحقه السلطان الكبير الملك الكامل ونزلوا جميعاً عليها واجتمعت اليهم العساكر من الشام والشرق وضايقوها وحاصروها وقاتلوها وفى اثنا ذلك وردت الاخبار بوفاة الملك المسعود صاحب اليمن والحجاز بمكة لانه كان خرج من اليمن طالباً الى ديار مصر واحضر معه كل موجود وكل تحفه وجميع ما اقتناه واقتناه من تقدمه فى طول المدد وسيرها براً وبحراً فتوفى بمكة ووصلت امواله وخزاينه الى القاهرة المحروسة وكان موجوداً عظيماً لا يحصر فسبحان الحى الذى لا يموت ووصل نساوه وحشمه وغلمانه وبعد ذلك ورخصت الاسعار بمصر ورجعت الى حدها واستمر الحصار والقتال على دمشق والرسل تتردد بين السلطان وبين ابن اخيه الى ان تقرر انه يسلم دمشق ويقنع بالكرك ونابلس والغور والبلقا وبقية بلاد القدس الشريف فتسلمها السلطان فى الثامن

من شعبان سنة ست وعشرن وستماية وتقرر ان يعطيها الملك الاشرف بشرط ان يسلم اليه الرها وحران وسروج والوزر وما والاها وتوجهت امراء السلطان وامناوه لتسليم ذلك فاذا تسلموا هذه البلاد يسلم الملك الاشرف دمشق وانتقل منها السلطان الى غيرها وتوقف النيل فى هذه السنة توقفاً عظيماً فى مباديه حتى انه جاء الخامس والعشرين منه وكان القمح والغلة كلها قد غلت وبيع القمح بعشرين درهماً الاردب خفية لانه كان قد منع بيعه الا على يالمحتاجين من الطحانين بستة عشر درهماً الاردب ثم دفع النيل دفعاً عظيماً من السادس والعشرين من ابيب حتى انه كان يزيد فى النهار وعشرين اصبعاً وما حولها والتقى البحران فى ليلة الخميس التاسع من مسرى وانحطت الاسعا واطمان الناس ووصل المقرر فى نهار الثلثا الحادى والعشرين من مسرى المذكور وزاد الرخص واطمأن الناس من قبل الطعام وما يجرى مجراه وفى هذه الايام وردت الاخبار بان السلطان جرد عسكرا وسيره من دمشق الى حماه لياخذها ويسلمها الى ابن اخيه الملك المظفر بن الملك المنصور بين تقى الدين لان العهد كان له من ابيه انها له من بعده واتفقت وفاة ابيه وهو عند السلطان الملك الكامل بالديار المصرية فى نوية الافرنج عليى دمياط فغلبه على الملك وسبقه اليه اخ له شقيق يقال له الملك الناصر واقام بها مدة وكان الملك المعظم يشد منه فلما توفى الملك المعظم وفتحت دمشق اراد السلطان اعز الله نصره ان يوصل كل ذى حق الى حقه فامر العساكر فسارت مع الملك المظفر المذكور ونزلوا الى حماه ونازلوها وضايقوها الا ان الملك الناصر الذى فيها حصن القلعة وقواها وهى قلعة حصينة منيعة وحصل فيها من الازواد ما يكفى لسنين كثيرة وبقيت البلدة محاصرة والقتال عليها وتوقف النيل بمصر ونقص اصابع يسيرة بعد وصول المفرد وساء ظن الناس به .

ثم دخلت سنة ست واربعين وتسع ماية ووفى النيل ستة عشر ذراعاً فى اول توت وخلق المقياس فى نهار الخميس ثانية وكسر الخليج فى اليوم المذكور وكان يوماً عظيماً وافلت الاسعار ورخصت وكثرت الخيرات والانهر وفتحت حماه سلماً لان صاحبها خرج

منها طالباً لخدمة السلطان وان يستعطفه فاوقعت الحوطة به ورأى الذين بقواه بعده فى القلعة انه قد حيل بينهم وبينه فما كان لهم الا ان راسلوا اخاه الملك المظفر واطلعوه الي القلعة وسلموا اليه المملكة فى مستهل شوال من السنة المذكوره وعاد العسكر المصرى ومقدمه الامير فخر الدين استاذ الدار فنزلوا على بعلبك وحاصروها فما بقوا بها الا اياماً قلايل حتى اخذوا المدينة وتحامت للقلعة مدة مديدة لان صاحبها كان مدبراً شيخاً فنزل الملك الاشرف على القلعة المذكورة عسكراً يحضرها ويمنع من يطلع اليها او ميرة تحمل اليها وتوجه العسكر فى خدمة السلطان الي حران لان السلطان كان قد تقدم وقت نزول العسكر على حماه وكان السلطان قد اخذ من الملك الاشرف حران والرها وسروج والرقة ورأس العين واقام بالبلاد المذكورة يحفظها ويدبر احوالها فجا خوارزم شاه وهو ملك الفرس الاعظم نزل على خلاط وحاصرها وقطع عنها الميره واحتاطا بها وكان فى جيوش لا تحصى وشتا عليها واصحابها متماسكين الى ان فرغ الشتا فتقدم اليها وقاتلها فاخذها بالسيف وقتل فيها جماعة كبيرة من الاجناد واهل البلد ثم رفع السيف عنهم فلما علم السلطان ذلك عاد الى القاهرة المحروسة فى بوونه الموافق لشهر رجب من السنة المذكورة ودخل اليها فى اليوم الثامن عشر منه وكان ولده فى حال غيبته قد جاف على العامة وظلم الرعية وصار يسخرهم فى بستان ومناظر عمرها بغير اجرة فلما علم السلطان ذلك ازاله واخذ من كان حوله مما كان يحسن له ذلك قوماً اعتقلهم وقوماً ضربهم وصادرهم وقوماً نفاهم وعاد الى الدواوين المستخدمين فاخذهم بتغليق الاموال واستخراج بواقى الاعمال فما كان فى شدة سواهم وطرح الشيخ نش الخلافة بو الفتوح الجب دفعة ثانية لانه كان رسم له ان يخرج الى الاسكندرية فيكشفها فاعتذر وطلب الاعفا من ذلك فحنق عليه فامر برميه الجب وتوقف النيل الى اخر ابيب وتحرك سعر الغلة حتى بلغ عشرين درهماً الاردب القمح والشعير عشرة دراهم ونصف الاردب وارتاح الناس من ذلك ثم توقف النيل الى ان جا العاشر من مسرى وهو في اربعة اذرع فطلب القمح ودفع فيه ستة وعشرين وسبعة وعشرين درهماً الاردب ثم نودى عليه

وسعر بعشرين درهماً الاردب والشعير باثنى عشر درهماً الاردب وكذلك الفول وجزم السلطان فى ذلك جزماً لم ير مثله ثم من الله تعالى ودفع النيل دفعاً عظيماً متواصلاً من الحادى عشر من مسرى الى العشرين منه فزاد فى عشرة ايام سبعة اذرع والتقا البحران فى يوم الاربعا الحادى والعشرين من مسرى وكان ثالث عيد المسلمين الذى هو الفطر وسر الناس بذلك سروراً عظيماً وانحطت الاسعار وطابت قلوب الناس واستبشروا بالخير ومد النيل بعد ذلك الى الخامس والعشرين من مسرى وكان يزيد فى كل يوم نصف ذراع ثم تقاصرت زيادته الى يوم الاحد الثانى من النسى وهو الرابع عشر من شوال سنة سبع وعشرين وستماية فوقف وقد بلغ اصابع من اربعة عشر ذراعاً وورد الخبر بكسر الخوارزمى فى يوم الثلثا السادس عشر من شوال من السنة المكورة الموافق للرابع من النسى ودقت البشاير بذلك ثلاثة ايام وخلع على الرسول الواصل من دمشق بهذا الخبر خلعاً سنية واعطى فرساً بسخت وشرفسار ذهب والف دينار فى كيس وركب بذلك ودار القاهرة ومصر ودخلت سنة سبع واربعين وتسع مايه للشهداء الابرار فى نهار الخميس الثانى عشر من شوال سنة سبع وعشرين وستماية الهلالية والنيل متوقف والناس مغتمون لذلك والقمح مسعر بعشرين درهماً الاردب ولا يباع الا على الطحانين بمقدار ما يستعملونه او باطلاق من الوالى والحبوب قد تحرك سعرها وصار الخبز ثمانية ارطال بدرهم وكسر الخليج من غير وفا فى يوم الاربعا السابع من توت الموافق للرابع والعشرين من شوال سنة سبع وعشرين وستماية واقام الى ثانى يوم حتى وصل الى باب الخرق وبعد ثلثة أيام وصل الى باب الخوخه ووقف هناك وبلغ الماء الى ثلثة وعشرين اصبعا من أربعة عشر ذراعاً ولم يشرب احد فى هذه السنة من الخليج ولا استقا منه سقا ولا احتيج فيه الى معديه لانه كان يخاض ونقص من السابع عشر من توت الذى هو عيد الصليب وجا فى توت المذكور من الحرما لم يعهد مثله ثم رد بعض النقص فى الرابع والعشرين من توت الى اخره اصابع لم ينتفع بها وارتفعت الاسعار ورسم السلطان بالتسعير وان لا يباع القمح الا بعشرين درهماً الاردب ووظف على كل شونه شيا معينا برسم الطحانين وامتنع الناس من البيع ومن جلب الغله وضاق بالناس الامر

وصار الخبز لا يصاب بالاسواق وان وجد كان عليه من الضراب مالا يوصف ثم يكون متغير الطعم والرايحة لان الناس ما يبيعون من القمح الا العتيق المسوس وما يجد الطحانون سواه فيعملونه مخبى على هذه الحالة والسوس فما كان يقدر على شرا شى لان الوطف للطحانين لا يعطون احداً منه شيئاً واصحاب القمح لا تسمح نفوسهم ان يبيعوا شيئاً بهذا السعر الا غصباً وبقى هذا الحال الى اوايل هتور وكاد القمح يعدم ورسم السلطان باطلاق السعر فبيع فى نهار اطلاقه بستين درهماً الاردب ثم رجع انحط الي اربعين واستمر على ذلك مدة واما الزيت الحار فانه بلغ الى ماية ودرهمين القله وانحط الى تسعين وما دونها واستمر على ذلك وكان اكثر البضايع فايدة فى هذه السنة وكذلك ما يختص به من البزر والسلجم وفى طوبه من السنة المذكورة رسم بحفر خليج القاهرة وطرح على اصحاب الادر والبساتين التى عليه فاعتمد الناس ذلك ونالهم منه غرامة كثيرة وكانت الدار تغرم ثلثين دينار وما دونها على قدر الدار وعرضها وكذلك رسم فى جميع البلاد ان تحفر خلجها وتقوى جسورها وتفتح لها الترع المستجدة التى تقضى ريها من الانيال القليلة وكل ذلك على المقطعين واهل البلاد ثم رسم فى اواخر امشير بان يحفر بحر مصر من جهة دار الملك الى فم خليج القاهرة وجعل ذلك على اصحاب الادر بمصر والجزيرة التى على البحر واجبوا ذلك على الناس وجعلوه قصباً تكون القصبة طول سبعة اذرع فى عرض اربعة قصبات او خمس على حسب بعد المكان من البحر وقاربه فى عمق خمسة عشر ذراعاً بالعمل فكان ينوب القصبة عشرة دنانير واكثر وتحرك السعر وبلغ القمح الى ستين درهماً الاردب والشعير الى ثلثين درهماً وجميع الحبوب من النسبة واحترق البحر احتراقاً ما روى مثله وظهرت القرابيص التى فيه من امشير وجرفت المراكب الصغار وقيل ان الذى في قاع البحر فى الوقت المذكور ثلثة اذرع ونصف وربع ولم يزل الحال على ذلك والاسعار غالية والناس فى شدة شديدة لان احوالهم كانت ضعيفة الى الغاية وجاء الخامس والعشرين من بوونه الذى يطالع فيه باحوال النيل وفى القاع ذراع واحد ونصف وربع وهو شى قليل ما روى مثله وتوقف الماء ابيب كله ثم زاد فى مسرى وانتهى الى خمسة عشر ذراعاً ثم وقف النسى

ويئس الناس منه ثم دخلت سنة ثمان واربعين وتسع ماية للشهدا الابرار وكسر مجراى المنجا خشية من نزول الماء وكذلك ساير الابحر الكبار واذن الله بزيادته فزاد فى توت شيا لم يعهد قط ووفى فى التاسع منه وانتهت زيادته الى عشرة اصابع من سبعة عشر ذراعاً ورويت البلاد كلها لان السلطان كان دبر البلاد تدبير لم يدبره احد واخذ اهل كل عمل لعمل جسورهم وحفر تراعهم وحمل الماء اليها من المواضع البعيدة بالجور التى تعمل عليها فرويت البلاد كلها ولم يشرق منها الا السواحل العوال التى لا يبالى بها معما انه روى من هذا الماء ما لا كان يروى الا من ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر ذراعاً وكل ذلك بتدبير مولانا السلطان وحسن نظره وكانت الفلوس قد كثر فيها الزغل والفساد وصار فى الصعيد من يضربها خارج الدار وكثر ذلك وفشا وكان صرفها كل ستة عشر فلساً بدرهم اسود وليس بينها وبين الصرف فى الذهب بالدراهم سوى نصف درهم فى الدنيا ونصف وربع وكان الناس طيبين النفوس بها ولا يردها احد فامر السلطان بان ينادى ان لا يتعامل الا بالفلوس السلطانيه وما ظهر من غير ذلك يقص وطرح واقيم لذلك صيارف وتلف على الناس من ذلك شيء كثير ثم ان صرفها رخص فصار الدينار بخمسة واربعين درهماً فلوساً ثم تدرج الى ان بلغ يوم تطيره وهو السادس والعشرين من ابيب الى ثمانين درهماً فلوساً بدينار والدراهم السواد كل عشرة دراهم بثمانية عشر درهماً فلوس يكون الدرهم المصرى ثلثين فلساً واما الدراهم النقرة فانها تساوى كل درهم ستة دراهم وربع بالفلوس وما بقى بايدى الناس سوى الفلوس لان ديون السلطان ما كان ياخذها فى شى من معاملاته لا فى اجرة املاك ولا ضمان ولا بيع ولا شرا وبطل عمل الفلوس بدار ضربها وهى كلما مرت رخصت ثم انه جرت فى هذه السنة كاينة عجيبة وذلك ان رجلاً قسيساً راهباً خبيراً يعرف بابى سعيد بن العفيف كانت زوجة اخيه قد ابتاعت جاريه روميه من رجل فرنجى ثم باعتها الى رجل من التجار المترددين من بلاد الفرنج فلما بلغ مولانا السلطان ذلك انكره غاية الانكار وامر بان يباع القسيس وامرة أخيه واختها ونودى عليهم فى سوق الرقيق وكانت شدة [illegible] نصرانى من الشام من المارونيه وقد اسلم

فابتاعهم بستين دينار وانتحى الناس عنهم وجمعوها لهم وانتكوهم وكان هذا الرجل محسناً الهم الى الغاية واما القس فانه خرج الى دير العربة فاقام به والمرتان احداهما كانت راهبة وكان كلاهما قديسين واطلق سبيلهما وسافر السلطان بالعسكر المنصورة فى يوم عيد الفصح من هذه السنة وهو فى جمادى الاخره سنة تسع وعشرين وستماية الهلاليه ومضى الي دمشق ومن دمشق الى الشرق لان عدواً كان قد خرج على بلاد الفرس والعراق يعرف بكافر ترك فى عدة كثيرة لا يحصى عددها وهزم خوارزم شاه واستباح بلاده وأخربها ووصل الى اطراف بلاد بغداد وسير الخليفة الامام المستنصر ابو جعفر المنصور من بغداد الى السلطان رسولين جليلى القدر احدهما معمم والاخر مشربش من اخص مماليكه وكانت لهما حشمة وحرمة لم يعرف لرسول مثلها واهتم بهما السلطان اهتمام مثله وجعل لهما من الاقامة والراتب ما يعجز الواصف عن وصفه وكانا احضر معهما خلع الخلافة الشريفة على السلطان عز نصره وعلى اقاربه وخواصه والعهد بسلطنة البلاد والمماليك التى بيد سلطاننا وكان وصولهما من دواعى اسباب سفر السلطان عز نصره وكانت اخبار هذا الخليفة احسن الاخبار من العدل والاحسان وتجنب الظلم والعدوان واعاده ما عطب من سالف الزمان والمساواه فى الفضل على كل انسان حتى ان الذهب كثر فى ايدى الناس وورد منه الى مصر جملة كبيرة لكثرة عطايه واحسانه الى رعيته كافة واوليائه ثم ان السلطان الملك الكامل سافر الى الشام المحروس فى برموده من هذه السنة الموافق الجمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وستماية على ما تقدم ذكره وتوجه الى الشرق وقصد الكافر فاندفع قدامه ولم يقف اصلاً وخرج عن البلاد ونزل السلطان عز نصره على أميد وحاصرها ووفى النيل المبارك فى الثانى من النسى بعد توقفه اياماً كثيرة لان المفرد وكان وصوله فى السادس عشر من مسرى وتاخر الوفا بعده الى هذا التاريخ وكانت الفلوس قد كثرت جداص ورخصت حتى بلغ الدينار الى تسعين درهماً فاوس والدرهم النقرة الى سبعة دراهم وتأذى الناس من ذلك

ثم دخلت سنة تسع واربعين وتسع مايه وبلغ النيل الى ان وفى ثمانية عشر ذراعاً ... الى ... من ... وزاد فى هذا الشهر زيادة ما عهد مثلها

وذلك انه زاد فى ثانية وثالثة وخامسة اصبعين اصبعين فى كل يوم وهو ذراع الثمانية عشر وفى سادسه وسابعه وهو اخر زيادته كل يوم ثلثة اصابع ورخصت الاسعار وبيع القمح بعشرين درهماً الاردب بالفلوس والشعير بعشرة دراهم الاردب ورخصت الاشياء كلها الا ان الفلوس رخصت بالاكثر وبلغت الى ماية وعشرين درهماً بدينار والدرهم النقرة بتسعة فى ساير معاملاتهم الا ذهباً او دراهم سواداً ولم يبق بايدى الناس الا الفلوس وكانوا فى شدة عظيمة من هذا المعنى ووردت الاخبار بان السلطان عز نصره فتح امد وجميع حصونها وهى اثنين وسبعين حصنا ولم يبق منها سوى حصن واحد يسمى حصن كيفا ومات فى اوايل هذه السنة شمس الملوك بن اخت السلطان والامير فخر الدين عثمان استاذ الدار وجماعة من الامراء الكبار وكان الغلا عندهم الى حد لا يوصف الخبز بثلاثة دراهم نقرة الرطل والعلاق الشعير بدرهمين نقره والتبن باربعين درهماً نقرة الجمل ولا يقدر عليه ووصل اكثر العسكر رجاله عرايا الى القاهرة المحروسة ثم ورد الامر السلطانى بتاريخ يوم الاحد اخر كيهك الموافق للثانى عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلثين وستماية بتبطيل ضرب الفلوس والمعاملة بها فنودى عليها فى يوم الاثنين ثانى النهار المذكور وبيعت من نهارها بالرطل فى سوق النحاسين بدرهمين ونصف الرطل ودرهمين وربع وصار المال الى ربعه وتلف على الناس جملة كبيرة ثم بيعت بعد ذلك بدرهم واحد وربع الرطل وتلف على الناس شى كثير وجملة كبيرة الا انهم تباشروا ببطلانها للنظر فى العاقبة فيما تقدم ثم وردت الاخبار بفتح حصن كيفا وتسليم السلطان له ثم انه استناب عنه فى بلاد الشرق وامد واعمالها وحران وما والاها وسروج وما معها ابنه الملك الصالح ايوب الذى كان ولى عهده بمصر ووصل الى القاهرة المحروسة فى جمادى الاخرة سنة ثلثين وستماية ووصل بعده فى خدمته الملك المسعود الذى كان صاحب امد ومعه خواصه واهله وماله وحرمه واحسن اليه سلطاننا احساناً لم يسبق اليه واعطاه من الاموال والكساوى والاوانى ما لم يعط احد واقطعه بلاداً تغل اربعين الف دينار فى السنة الخاصة خارجاً عن الغله واضاف اليه خبز مائتى فارس وانزله فى قطر من دار الوزارة وهو المعروف بباب السر وشكره كل

ملك فى الارض وعلى ذلك وعرف حسن عهده وصحة وفايه وتحرك جماعة اصحابنا واجتمعوا مع رهبان دير بو مقار لانه كان الصيام واتفقوا على اختيار الشيخ يوحنا بن الموتمن بن بو البدر شماس من كنيسة المعلقة ذو دين ونسك واعمال جميلة وكتبوا له محاضر وكتبوا كلهم خطوطهم فيها وقدموها لمولانا السلطان عز نصره ورسم على لسان الامير الصلاح بأنه اذا اتفقوا عليه تقدم لهم ثم تجادلوا فيما بينهم ولم يعملوا شيأً ونحلت القضية وخرج الرهبان الى ديرهم وبقى الحال بحاله الا ان هذه الايام كانت اياماً مباركة الكنايس تعمر بالنهار باذن مولانا السلطان وفتاوى الفقها والنصارى مكرمون معززون ركاب الخيل والبغال ولا يطالبهم احد بغيار والسلطان مراع للرهبان منعم عليهم محسن اليهم وارثهم بعضهم لبعض لا يدخل بينهم يد حشريه وكذلك النصارى واليهود تقبل اقوال مقدمين فى انسابهم ومن ذكروا انه اهل لم يتعض اليه ثم جاء النيل المبارك وبدر شيا لم يعرف مثله وذلك انه التقى البحران تحت جزيرة مصر فى الرابع والعشرين من ابيب ووصل الماء الى سد الخليج فى التاسع والعشرين منه ووصل المفرد فى السادس من مسرى وتوقفت الزيادة ووفى وخلق المقياس فى يوم الجمعة التاسع عشر من مسرى الموافق للثالث من ذى القعدة سنة ثلثين وستماية وكسر الخليج فى ثانى اليوم المذكور وكان نيلا ما روى اعجب منه ومن عجايبه انه زاد فى السادس والعشرين من مسرى فى ذراع السبعة عشر عشرة اصابع فصار تسعة عشر من سبعة عشر وفى ثانيه سبع اصابع فكمل سبعة عشر ذراعاً ودخلت سنة خمسين وتسعماية للشهداء الابرار ثم زاد فى ذراع الثمانية عشر فى الثانى عشر من توت اربعة اصابع فصار تسعة من ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى سادس عشر توت اربعة اصابع صار على سبعة عشر من ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى سابع عشر توت وهو يوم عيد الصليب سبعة اصابع فكمل ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى ثامن عشرة ستة اصابع فى ذراع التسعة عشر وكانت نهاية زيادته عشر اصابع من تسعة عشر ذراعاً وثبت على الارض فى اخر بابه حتى ظن انه ما ينزل ثم نزل فى واحدة وزرع الناس وتباشروا بعد ان غرق بلاداً كثيرة ... كان نيلا عظيماً ورخصت الاسعار وبيع القمح

العالي بتسعة دراهم الاردب والشعير بخمسة ودونها بدون ذلك وساير الحبوب من النسبة ولم يكن ثم شي غالياً الا اللحم والدجاج وكان ذلك لانقطاع الطرق لان النيل غشى الارض كلها وفى هذه السنة تجهز السلطان الملك الكامل عز نصره للخروج الى الشرق وانفق فى العساكر اموالا عظيمة حتى كانت الدراهم تشق القاهرة على اقفاص الحمالين الى ادر الامراء لكل امير على قدر عدنه لانه اذا كان الامير معه مايه فارس اعط المايه الفى دينار لكل فارس عشرين دينار والامير الف دينار ولجميعهم من هذه النسبة وفيهم من خصصه بزيادة عن ذلك مثل حلقته الخاص وغيرهم فاما انقص فلا ولم يبق من لا اخذ هذه النفقه الا المجردون بالحجاز وولاة الاعمال والمتاخرون من السفر لا غير وخرج من القاهرة فى الحادى عشر من بشنس من هذه السنة وقد كان تقدمه اخوه الملك الاشرف موسى بأيام ثم رسم بان يكون نائباً عند ولده الاصغر الملك لاعادل فولاه ذلك وركب بالسيوف والسنجق بعد سفره فى يوم الاثنين العشرين من بشنس المقدم ذكره وقد كانوا الجماعة يحدثوا فى امر البطرك على لسان امير يقال له الصلاح الاربلى وطلب منهم خمسة الف دينار ووعدهم ان يحظهم منها شيا فلم ينهض قواهم بذلك ولا تحرر امر بل قالوا انه وصى ولده الملك العاد بانهم اذا اوردوا المبلغ تقدم لهم من يختارونه وبقى الناس بعضهم يرى ذلك وبعضهم يقول ما هو مصلحة لأنه حادث على الكنيسة ولا يرجع يتغير ابداً ولم تكن نياتهم خالصة ولا بينهم اتفاق الا فى الظاهر واستمر الرخص والامن الا ان الثمار فى هذه السنة كانت قليلة جداً لاجل الغرق وثبات الماء على الارض المدة الطويلة ثم ان الماء زاد فى بوونه زيادة ظاهرة مقدار ذراعين وكان فى القاع مقدار ستة اذرع وجا اوان اخذ استقرار القاع بالمقياس المبارك وهوالخامس والعشرين من بوونه وهو فى اول التسعة اذرع ثم نقص مقدار نصف ذراع ووقف وتحرك سعر الغلة اربعة دراهم اللاردب وحدث فى عشية نهار السبت الرابع وعشرين من ابيب الموافق للتاسع من شوال سنة احدى وثلثين وستماية غيم كثير واصفر الجو وامطرت ساعة جيدة وبقى الغيم طول الليل وكان هذا من جملة النوادر التى لم يجر مثلها ووفى النيل المبارك فى يوم الاربعا الثالث والعشرين من مسرى وخلق المقياس فى النهار

المذكور بحضور الملك العادل بن السلطان الملك الكامل اعز الله نصره ورخصت الاسعار ورجعت الى حدها الا ان الغل كان قليلاً والثمار فسدت كلها لان النيل الماضى كان غرقها وبنياته خنقها فافسد اكثر الثمار مما اصلح وخسر اكثر مما اربح وبيع العنب فى هذه السنة بخمسين درهماً القنطار واقند باربعة دنانير ونصف القنطار واصناف الحلاوة من النسبة ولم يعصر من الناس فى هذه السنة الا النزر اليسير والذى يعمل شياً أقتصر على نصفه لاجل غلا الاصناف ووردت الاخبار ان السلطان أعز الله نصره دخل الى بلاد الروم ودقت البشاير بالقلعة بالنصرة والظفر وانه اخذ من بلاد الروم حصناً يقال له حصن منصور ثم عبر على ضيعة يقال لها رعبان وعبر منها الى الدربندات التى تسميها العرب الدروب وانتهى الى الدربند الثالث بالعساكر والجموع وكانت عساكر جمه لم يجتمع مثلها وقيل انه عرض فى سبعة وعشرين الف جندى خارجاً عمن يتبعها من غلمان واتباع وعربان وكان الشى عندهم غالياً جداً لان بلاد الروم لا يخرج لهم منها شئ وبلاد الشام قد ابعدوا عنها فرأى السلطان ان الامر عسر وان عساكر الروم قدامه فرجع من هناك وعدى موضع يعرف بجسر الخشب طالباً الى الشرق وكان صاحب خرت برت فيمن كان معه وكان قد عرفه ان الطريق من بلاده الى بلاد الروم سهلة وان الذى دل السلطان على هذه الطريق غرة فقصد السلطان أعز الله نصره ان يعبر الى الروم من هناك ودخلت سنة احدى وخمسين وتسع مايه للشهداء الابرار وزاد النيل المبارك وانتهى الى احدى عشر اصبعاً ثم ان ملك الروم وهو المسلم صاحب قونيه واقصريا ابلغه قصد السلطان خرت برت فاتاها بالرم والطم فسير السلطان اعز نصره ابن اخته الملك المظفر بن تقى الدين صاحب حماه نجدة لصاحب خرت برت ومعه جماعة من اكابر الامراء مثل البانياسى وصواب الخادم ومن يجرى مجراهم فوافوا المدينة قبل وصول الرومى اليها فجعلوها طهرهم وجاء الرومى فقاتلوه اشد قتال وامره ثم كثر عليهم الجمع لانهم ما كان معهم سوى زهاء ثلثة الف فارس فانكسروا وعادوا الى المدينة فاما صاحب حماه والامراء ومن معه من الامراء فالتجأوا الي القلعة واما الاجناد [illegible] من هرب وفيهم من قتل وعبروا الى القلعة

وصاحب خرت برت معهم وكان قد وعدهم ان بالقلعة كلما يحتاجوه فما وجدوا بها شيا وقيل انها كانت مكيدة منه فتجالدوا وتصبروا على شر شديد وضنك عظيم أياماً تناهز العشرين يوماً فلما تيقنوا الهلاك سيروا من جماعتهم امير يقال له بها الدين بن ملكيشوا الذى كان والى القاهرة الى ملك الروم يطلب لهم الامان على انفسهم وان يسلموا القلعة فاعطاهم الامان على نفوسهم خاصة فخرجوا باسوا حال يكون ولم يخلع على احد منهم سواء الملك المظفر وصواب الخادم واعطى كل منهم فرساً يركبه الي يعسكر السلطان وكان فى طريقهم الدير المعروف بدير برصوما فخرج اليهم الرهبان السيان تلقوهم بالازوواد والخيرات وحملوهم على بغال الدير الى ان اوصلوهم الى العسكر وصار للرهبان بهذه القضية عند ساير المسلمين مدحه عظيمة ونزل النيل فى يوقته وتباشر الناس بانها سنة مقبلة وان الزراعات فيها ناجيه لان السنة الماضية ما افلح فيها زرع وكان سعر القمح من ثلثة عشر درهم الاردب الى سبعة دراهم الاردب على قدر العالى والدون والشعير بخمسة دراهم الاردب والفول بستة والجلبان مثله وبذر الكتان بعشرة دراهم الاردب والسلجم والبرسيم من النسبة وجميع الماكولات والمطعومات رخاص جداً ولم يكن شياً غالياً اصلا وعاد السلطان الملك الكامل عز نصره الى الديار المصريه وطلع الى قلعة المحروسة في يوم الاثنين الثامن من جمادى الاول سنة اثنين وثلثين وستماية الموافق للرابع من امشير سنة احدى وخمسين وتسع مايه وهو اول يوم من صيام اهل نينوى واطمأن الناس وطابت الاخبار الا ان الناس لقوا فى هذه السفره شدة عظيمة وقاسوا صعوبة فى الطرق ووقعت اصابع اناس كثير من الثلج وناس ماتوا بالكلية ومنهم الاكرام بن زنبور فانه وقعت اصابع يديه ورجليه من الثلج ومات بحران ليلة الميلاد وكثير مثله ممن لا يعرف وممن يعرف وكانت الرهبان قد جرت لهم تجربة عجيبة وهو ان جماعة من الصبيان قد صاروا ان يلبسون الثياب الصوف ويتزيون بزى الرهبنة وهم في المدن متصرفون ليحتموا من الجزيه فنمى امرهم الى السلطان فرسم بانه اى راهب لا يكون مقيماً فى دير منقطعاً فى البرية مشهود له بذلك توخذ [illegible] اكثر من هذه الكلمة ومددوا ايديهم الى

الرهبان وصاروا يمسكون الصالح والطالح ويأخذون المشايخ الذين لهم خمسون سنة فى البرية واستادوا من جزيتهم جملة كبيرة تزيد على الف دينار وخصوصاً بالغربية لانه كان فيها رجل ناظر من اهل اسكندرية يقال له ابن القرمسينى وكان مبغضاً فى النصارى فجعل وكده الرهبان واكثرهم فى اعمال الغربية وهى بلاد جرايتهم ودياراتهم فى ذلك الحين فأنالهم اذيه عظيمة وكان هذا ادباً من الله لانهم ما كانوا بقوا مستقيمين واما الرهبان الصغار فانهم كلهم رجعوا الى ما كانوا عليه وقلعوا الثياب الصوف إذ لم تغن عنهم من اداء الجزيه ولما جا السلطان عز نصره اجمع جماعة من رهبان الديارات وجاءوا الى باب السلطان بهدية على قدر حالهم مما يليق بالرهبان فكتب لهم بماية وخمسين اردباً غله وسمع بخبرهم رهبان دير القصير الملكية فاحضروا الاخر هديه من النسبة فامر لهم بماية اردب غله وبق الرهبان ملازمين باب السلطان مدة وبعد ذلك خرج الامر بان يكتب لهم بان يجروا على عادتهم بشرط أنهم لا يخفون عندهم احداً ممن يجب عليه الجزيه ولا يرهبون احداً الا بعد تنزيله فى الديوان وممن يستحق الرهبنه ويدخل فيها لطلب الله تعالى لا لاجل زجزية ولا شدة لحقته واخذوا الكتاب المذكور ومضوا به الى الغربية ولم يفدهم شياً واستمر ابن القرمسينى على ما هو عليه والرهبان فى الشدة الشديدة وكانت هذه تجربة من الله تعال جاء بها عليهم لاجل سوء تصرفهم فى الرهبنة ولما كان فى العاشر من بوونه ورد كتاب السلطان عز نصره الى الامير جمال الدين بن يغمور نايبه فى القاهرة من ثغر الاسكندرية المحروس لان السلطان كان خرج الى الثغر المذكور فى هذه المدة لاجل طيبة هوايه ولين فنايه فورد كتابه المذكور يطلب القسيس داود بن لقلق ان يمضى اليه ولا علم احد من كان السبب فى ذلك لانهم علموا انه انما طلب للبطركية إلا ان راهباً مرشاراً شاباً من اهل الصعيد كان قد توجه مع الشيخ عماد الدين شيخ الشيوخ الى ثغر الاسكندرية وكان للشيخ المذكور عناية بالقسيس داود وكان يتردد اليه الى الدير الذى كان مقيماً به وهذا الراهب المرشار هو الذى احضر الكتاب المشار اليه فقيل انه هو الساعى وانه قرر مالاً على البطركية وكان قصد القسيس داود ان يجعل قمصاً في مصر قبل خروجه الى

الثغر لانه كان له رغبة عظيمة فى هذا الامر وما كان يتلثم فيه ولا يتكثم فاشار جماعة من العقلا ان هذا ما هو مصلحة وربما افسد ما ريد ان يتم لان السلطان ما رسم الا بتسييره لا غير واتفق الحال على ذلك ولم يكن بقى فى الكراسى من الاساقفة سوى خمة ثلاثة فى الوجه القبلى اسقفاً طحا واسقف ارمنت واسقف اسنى وكان قد عجز وكبر وصار كالميت وفى الوجه البحرى اثنان اسقف مليج وهو كبير الاسقفة يومئذ واسقف دمنهور فاحضر اسقف مليج على انه يجعله اقمصاً وكان اسقف ارمنت بمصر لانه كان بالقدس ووصل وحصل الرهج من جماعة المصريين وكثر القال والقيل الا انه لم يجسر احد ان يتظاهر بشيء وكان بمصر بكنيسة بو سرجه رجل راهب يعرف قبل رهبانيته بالسنى ابى المجد بن القسيس ابى الفرج من بيت بن غليل فترهب بدير انطونيوس وعاد منه لما استدعاه السلطان واستخدمه فى ديوان النظر على الديار المصرية واقام سنين وهو راهب ثم انفصل منه وقعد فى الكنيسة المذكورة لانه كان شماساً بها قبل رهبنيته وكان رجل جليل القدر مسموع القول عند المسلمين لاجل ما اسلفه اليهم من الخير فى ايام تصرفه ولانه كان متنزهاً ناسكاً وكان قد صار مثل البطرك وكان الناس يحتكمون اليه وامره نافذ فى الكنايس فى الديارات وممتثل فى الرهبان وغيرهم وحكمه جايل فى الاوقاف وكان قد سعى فى عمارة كثير من الكنايس وثمر اوقافها فعظم عليه هذا الامر واغتاظ منه غيظاً عظيماً وصار يتوهم فى كل من يعرفه وكل من يقرب منه ويظن ان له باطناً فى تقدمة داود والامر بضد ذلك حتى وصل من حرجه الى انه صار يسب ويشتم ويتكلم بما لا يليق بعلماني عاقل ان يتكلم به لاسيما شيخ راهب مثله وكان هو قد اعاد الحديث فى معنى ابى البدر بن الموتمن الذى تقدم ذكره وكتب مدرجاً ياخذ فيه خطوط الجماعة بما يقوم به كل واحد مساعدة فى اقامة البطرك لانه علم انه بعد ان وصلت الامور الى هذه الغاية ما يقوم البطرك الا بشيء ووافقه على ذلك جماعة واكثرهم كتبوا خطوطهم بما تيسر لهم وفيهم من كان فى وقت الحقيقة يضاعف ما كان كتب به خطه وكان هذا الامر داعياً لداو ولاصحابه الى تجديد الحديث وتجديد المطالبة وبذل الجملة الكثيرة والنقدة المعجلة المميزة وكان ممن

وافقه على ابن الموتمن ورفض داود بالكلية الشيخ نش الخلافة بو الفتح والحكيم الرشيد بو الوحش بن الفارس فلما جرى لداود ما جرى اتهما بان لهما باطناً معه كما اتهم غيرهما حتى ان الشيخ بو الفتوح طلع اليه يوم ميلاد يوحنا المعمدان ثلثين من بوونه ليفتقده فجرى عليه منه من السفه والشتم والقذف بالقبايح التى لا يستحسن الانسان ان يخطرها بباله فضلاً عن ان ينطق بها وكان ذلك بمحضر من جماعة قسوس وغيرهم وكان مطلع كلامه معه ان قال له هذا مسيلمة الكذاب ثم خرج من ذلك الى مالا يتسع ذكره وهذا مسيلمة فهو رجع يزعم المسلمون انه رجل ادعى النبوه بعد نبيهم وظهر كذبه الا ان الشيخ ابا الفتوح لزم لفظه اكثر من الراهب وبعد ذلك ما انفصلا حتى اصطلحا وضرب كل منهما الاخر المطانوه واما القسيس داود فانه توجه الى الاسكندرية فى يوم الخميس الثالث من بوونه ومعه اسقف مليج فاما اسقف ارمنت فاعتذر بالمرض ولم يخرج لانه خشى ان لا يتم له شى ووصل القسيس داود الى اسكندرية يوم الاثنين السابع عشر من بوونه واجتمع بالسلطان عز نصره فى يوم الثالث على موضع يعف ببوقير وتقررت له البطركية وقام بالف دينار وحملها الى الخزانة معجلة ولم تكن معه وانما دبرها بقرض وغيره وكتب خطه بألفى دينار اخرتين الى شهرين وقدم اقمصا فى يوم السبت الثانى والعشرين من بوونه بكنيسة بو شنوده المعروفه بكنيسة السباع خارج البلد وكمل فى يوم الاحد بطريركاً بكنيسة السوتير وسير اليه السلطان خلعة حسنة وهى ثوب عتابى ازرق بطراز ذهب وبعيار ذهب وطرحه وحكى الحاضر انه كان يوماً مشهوداً وان اكثر غلمان السلطان وخدامه كانوا حاضرين وانه كان مجداً لم ير مثله من زمان وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من بوونه ركب وخرج الى دار ابن السكرى التى فيها راس مرقس الانجيلى وقيل انها راس بطرس باورمرتيرس لان راسل الرسول الانجيلى كانت مع جسده لما نقله الروم الى البندقية فاخرج له على العادة وكان لهذا الراس ما اخرج ثمانى واربعين سنة مدة مقام انبا يوحنا نيح الله نفسه ثمانى وعشرين سنة ومدة التعطيل بعده فى الزور والفرق والبدع عشرين سنة ووضع فى حجره وكساه كسوة جديدة على جارى العادة واقام البطرك المذكور بالاسكندرية مدة ثم خرج منها الى

ديرٍ بو مقار وكرز فيه قسوساً وشمامسة ورتب فيه تراتيب واقام في كل دير يوماً ويومين ثم جاء الى دير نهيا في يوم الخميس الثانى عشر من ابيب ثم وصل الى دير الشمع في يوم الجمعة ثانية وقدس فيه وجاء يوم السبت الى كنيسة ميكائيل راس الخلج بمصر وفيها لقيته انا الحقير وسلمت عليه واخذت بركته واقام بالكنيسة المذكور ذلك النهار وبات بها واهتم به اهل الكنيسة المقدم ذكرها وحضر اليه من القاهرة ومصر وما حولها امم لا تحصى واجتمع من الامم الغريبة المسلمون واليهود خلق عظيم حتى كانوا ممتدوين ملء الطريق وعلى الدكاكين والفرج والاسطحة من ميكائيل الى المعلقة ورفعت الصلبان قدامه على العيدان والاناجيل في ثنى الابرسفارنيات وكان الشمامسة والكهنة يجتمعون احزاباً احزاباً خمسين خمسين واكثر من ذلك واقبل يقراون قدامه المدايح والتسابيح والاراخنه ركاب البغال والخيل قدامه ونايب والى مصر واكثر اصحابه قدامه معهم وجات طبول وبوقات وشبابه ضربن قدامه وكن قدامه زها ماية شمعة موقودة واكثر وكان يوماً ما شهر وما روى في جيلنا مثله ولما جاء ما عبروا به من الخراب على الزقوقين بل جاوا به على دار وكالة دار الملك وسيرا به من راس السوق الكبير الى القلعة وطلع اليها في يوم الاحد الحادى والعشرين من ابيب المقدم ذكره وكرز بها وطلع الى السنترانس وقرى الانجيل المعروف للبطاركة وهو الذى فيه انا هو الراعى الصالح وهو من يوم وفسرته انا الخاطى عليه وكان من الايام المشهورة المشهودة ثم من بعد ذلك اجتمع جماعة من المسلمين وانكروا ما عمل واستبشعوا حمل الصلبان على رووس الاشهاد وسط النهار في الاسواق وتحدثوا في هذا واكثروا وحملوا رجلاً فقيهاً متميزاً يعرف بعوض البوشى على ان كتب رقعة الى السلطان فشكوا فيها ما جرى فوقع مولانا السلطان عليها الى والى مصر بان يحضر البطرك ويوقعه على مضمون الرقعة ويتقدم اليه ان لا يتعدى على الشريعة ويعود الى مكانه ففعل الوالى ذلك واحضره وكان عنده رجلاً معلم كان في مسجد من المساجد التي في الطريق التى عبر عليها البطرك وكان قد لبى رغوث وشعث وقام الصبيان الى عنده بالالواح التى بايديهم فيهم [illegible] فلم يوثر ذلك لان العالم كان عظيماً

ومهابة السلطنة شديدة لا سيما ونايب الوالى وغلمانه قدام البطرك فلما حضر البطرك عند الوالى كلمه المعلم المذكور وقال انت رفعت الصلبان وفعلت وصنعت فقال ما علمت شياء مما صنع وكنت محمولاً من كثرة الناس ولا اعلم ما كان تم وعاد الى المعلقة ومعه جماعة من غلمان الوالى لان المسلمين كانوا وقفوا فى الطريق وقصدوا ان يعبثوا به فما مكنوا ذلك وعاد الى كنيسة المعلقة بكرامة ووقار وكانت تلك الليلة ليلة عيد القديس مرقوريوس وقد اهتموا له فى كنيسة بالساحل بما ينبغى لاجل العيد والبطرك فامتنع من الرواح اول الليل لانه بلغه ان جماعة وقفوا على باب الكنيسة وعبثوا بالنصارى العابرين اليها ومنهم من رجموهم ومنهم من لوثوا ثيابهم ولما كان بعد العشا الاخير جاء كهنة بو مرقوره ومعهم غلمان الوالى وساتدعوا الى الكنسة المذكورة وقال له غلمان الوالى ما سيرنا الامير الا فى خدمتك نقوم ونحن قدامك ومن تعرض الى شىء جازيناه وكنت انا عنده اذ ذاك فاشرت عليه بان لا يروح فصرف غلمان الوالى بعد ان شكره وشكرهم وقمت بين يديه الى ان جاء الى كنيسة بو سرجه وطلع الى قلاية الاب الراهب انبا بطرس المعروف قبل رهبنته بالسنى بو المجد وطيب قلبه وازال ما فى نفسه من الوحشة وتفضل فى ذلك غاية التفضل وعاد بعد ذلك الى المعلقة مشكوراً ماجورا ثم ان شيوخ كنيسة بو مرقوره جاو اليه عند ذلك واخذوه بغير اختياراً منه الى كنيستهم فبات بها وعيد ثانى يوم وكان عيداً عظيماً على ما بلغنى لانى لم احضره ولم يجر بحمد الله شىء مما كان يتوقع ولا شاب العيد شايب وكان ذلك اليوم الخميس وكانت عادة الفقها ان يحضروا عند مولانا السلطان عز نصره ليلة الجمعة فاجتمعوا عنده على العادة واجروا ذكر النصارى وركوبهم البغال وامر ما جرى من حديث البطرك فلم يصغ الى شىء من ذلك ولما كان يوم السبت كان والى مصر قد حضر بين يديه فانكر عليه وقال بلغنى ان اهل مصر تعرضوا الى البطرك والى كنايسه واقسم بالله لئن جرى شى من هذا فكان قبالته الا روحه واشتهر هذا الامر لكل احد واطمأنت نفوس المومنين وقوى نفس البطرك مع ان الساده المسلمين ما فيهم الا من ساعد واحسن الـ[illegible] ثم جاء الى كنيسة حارة الروم بالقاهرة

فى نهار يوم الاحد الثامن والعشرين من ابيب واهتم له بها ارشد باقتها الشيخ فخر السعد بن زنبور وكان ايضاً يوماً مشهوداً وكان الناس يظنون انه ياخذ الشرطونيه من كل من يكرزه لاجل المبلغ المقدر عليه فلم يجز الامر فى ذلك على نظام ولا بشرط وكان يجنى من الناس على قدر قدرتهم بغير عسف ولا حيف وشرع فى تكريز الاساقفة على الكراسى الخاليه وكرز فى يوم الاحد الخامس من مسرى بكنيسة بومرقوره أربعة اساقفة على كرسى سمنود واسنى والواح والبنوان واستمر تكريز الاساقفة والقسوس والشمامسة والرهبان والعلمانيين واستقرت القاعدة على انه لا يكرز احداً الا بشرطونيه وكان فى الاساقفة من يزن المايتى دينار واقل الى المايه دينار والفقير والصاحب خمسين دينار والذين من هذه البابه اثنان او ثلاثة والا الجميع من البابة الكبيرة ولم يتكرر من الاساقفة احد بغير شرطونيه سوى مطران دمياط الذى كان قد ترهب وكان يعرف قبل رهبنته بالعميد بن الدهيرى وكان قد جا من الشام وسكن مع البطرك المذكور قبل بطركيته بدير القدس فيلاتاوس المعروف بدير النسطور فانه لم ياخذ منه شيا واما القسوس فكان فيهم من يزن الخمسة دنانير اليما دونها والشمامسة ممن كان يكون له خصم او مناصب يقوم بالعشرة الدنانير واكثرهم من ثلثة دنانير الى دونها وكانت قضية مستنكره الا انها قد شاعت وذاعت وعرفت والفت ثم انه صرف بعض اولاد الشوانى والثوالث واقام الحجة فى امرهم فجات هذه مع الشرطونية فانحرف الراهب انبا بطرس المعروف بالسنى قبل رهبنته ولم يرجع يحضر معه فى كنيسة ولا ياخذ له بركة مع أن الشيخ نش الخلافة أبا الفتوح المعروف بابن الميقاط قد تغير قلبه من جهته وصار لا يصل اليه ولا يسلم عليه بعدما كان بينه وبينه مما تقدم شرحه متقدماً .

ثم دخلت سنة اثنين وخمسين وتسع مايه وكرز البطرك المذكور منذ بطركيته والى ان دخل الصوم من هذه السنة ما يزيد عن اربعين اسقفاً فاما من الشمامسة والقسوس فما لا يعد وكان العذر فى اخذ الشرطونية ما قرر السلطان وتغلق الذى للسلطان وحمل هو كمال ثلثة الف دينار والحال على ما هو عليه وكان السلطان اعز الله نصره قد بلغه [illegible] قصدوا اطراف بلاده بالمشرق فخرج الى الام

بالعساكر والجحافل فاما اولئك فانهم نزلوا على امد واقاموا عليها جمعه من الزمان فلم ينالوا منها طايلا فرحلوا عنها إلا ان احرقوا زراعاتها واحرقوا رساتيقها ثم جاو الى السويدا اخذوها بمخامرة ممن كان بها لانه باعها لهم ثم انتقلوا الى الرها فاخذوها بالسيف وقتلوا اكثر من كان منها اسروا وسبوا وكان اكثرهم المساكين نصارى سريان وارمن وحاصروا القلعة اياماً فاخذوها بالامان من غلام من غلمان السلطان يقال له كويح يقال انه صالحهم عليها لانها كان بها مال عظيم وسلاح وقماش يناهز ماية الف دينار فاخذوها واخذوه معهم ثمث انتقلوا الى حران اخذوها واخذوا قلعتها بالامان ثم ان السلطان اعز الله نصره عدى الفرات فتركوا فى كل قلعة من يحفظها وتوجهوا الى بلادهم بعد ان اسروا وقتلوا واخربوا ما شا الله فسير السلطان عسكر الى دنيسر وبلاد ماردين لان صاحبها كان مع الرومى فاخربوا البلاد واسروا العباد واخذوا من الكسب مالا يحصى حتى ان المراة المستحسنة بيعت بخمسين درهماً نقره والبغل الجيد بثلثين درهماً والخروف بدرهم ووصل سبيهم الى القاهرة ومصر ثم عاد السلطان الى حران ونزل على قلعتها وحاصرها اياماً وامتنعت فنصب عليها منجنيق مغربى فاخذها بالسيف واسر كل من فيها وكانت عدتهم تزيد عن سبع ماية رجل وسيروا الى القاهرة فى القيود والكبول وانتقل الى الرها نزل على قلعتها وكانت احصن وامنع من قلعة حران فم تمسك مع المنجنيق المغربى لانه هذا معها بدنه يوم علق عليها فاخذت ايضاً بالسيف واخذ من بها اسرى ووصلوا ايضاً الى القاهرة وكانوا زها الف رجل وكان النيل قد بلغ فى هذه السنة الى ثمانية عشر ذراعاً واحدى عشر اصبعا وكانت الاسعار رخيصة والاشيا موجوده ولم يكن فى البلد شى غالياً سوى السكر فانه كان بثلثة دراهم الرطل واتفق فى هذه السنة ان وقع فى الديار المصرية وباء عظيم وخصوصاً بالقاهرة ومصر وضواحيها حتى انه كان يخرج فى كل يوم من البلد ما يزيد عن مايتى ميت واستمر هذا من النصف من بابه الى اخر امشير وكان شيا ما شوهد مثله وقل من لا مرض فى هذه السنة ولم يكن فى البلدين بيت لم يخرج منه ميت ثم رفع الله ذلك عن الناس وبقيت عقب الامراض وكان الى جانب الكنيسة المعلقة مسجد وفيه مادته عالية وهو

مجاور للطبقة التى سكن فيها الاب البطرك وهى كانت قلاية انبا مرقس بن زرعه نيح الله نفسه وكان فيه موذن يسمى سالم ولا شك انه ما كان ينصف من جهة من كان يتولى احوال البطرك وكان من حقوق الطبقة المذكورة سطيحة من جانب المسجد وكانت مكشوفة من المسجد فاراد البطرك ان يعمل عليها سترة فمنعه الموذن المذكور ولما عملت طلع هدها وازالها وبقيت النفوس غير طيبة واتفق أن البطرك خرج الى منية صراد ليعيد بها عيد السيدة فى احد وعشرين يوماً من طوبه وكانت الطبقة المذكورة خالية فاصبح من كانت معه مفاتيحي القلاية طلع اليه فوجد الابواب من برا مغلقة سالمة والباب الفوقانى قد كسر وموضع اخر قد ثعب وباب الخزانة قد قلعت منه حشوه وكان ثم قما كثير وجاء البطرك فما وجد عدم له سوى صنية فضة وصليب فضه كان فيه قطعة من صليب الصليوت وجميع القماش سالماً وكانت له قيمة وحضر البوابون فشهدوا ان هذا المكان ما عمل الا من ناحية المسجد واعلموا الوالى بذلك فاخذ الموذن وحبسه وجاءت شفاعة بعض اكابر المسلمين الى البطرك بسببه فابى ان يخرجه فتعصب اموذنون بالجامع العتيق بمصر وهم جمع كبير وصاروا يجتمعون طوايف ويحضرون الى المسجد المذكور ويوذنون جميعاً حتى تنزعج الحارة لهم فشكى حالهم الى القاضى جمال الدين بن المثلى صاحب ديوان الاحباس فرسم بان لا يوذن فى المسجد المذكور ويوذنون جميعاً حتى تنزعج الحاره لهم فشكى حالهم الى القاضى جمال الدين بن لمثلى صاحب ديوان الاحباس فرسم بان لا يوذن فى المسجد الا بموذن واحد وافضى الامر الى ان اغلق المسجد المذكور فاجتمع المسلمون الغوام وجاوا فى جم غفير الى باب المسجد وكسروا الاقفال التى عليه وطلعوا المأذنة وغوثوا ولبوا واجتمع على باب الكنسة المعلقة جمع لا يحصى وخافت انفس المومنين وكان يوم الاحد الاول من الصوم والبطرك قد ابدل وهو فى القداس وقد قدس قداس كيرلس فجا الوالى وصرف الناس وانفصل الامر على خير ومضى اكثر الجمع الى الامير جمال الدين بن يغمور نايب السلطان وشكوا اليه وقالوا يا مولانا تغلق المساجد وتفتح الكنايس فقال هذا حديث ما يسمع بل ان الجميع تفتح ومن اراد المسجد طلع اليه ومن اراد الكنيسة طلع اليها الا انه لا يوذى احد ولا يتعرض

احد الى احد فهولاء رعية السلطان وانتم اخبر وان كان هذا المسجد فقيراً انا اقوم به الا ان التعدى ايمكن احد منه فمضى المسلمون وجمعوا بينهم شياً وبيضوا المسجد وعملوا عنده مصطبه وبيضوها ولم يجر منهم إلاً خيراً وكان النصارى فى هذه المدة كلها مع المسلمين فى انصاف عظيم واكرام جسيم وود عميم فالله سبحانه يحرس ايامهم وينصر سلطانهم وهو سلطاننا وامامهم وهو راعينا وبعد ذلك توجه الاب البطرك الى دير بو مقار فى الجمعة السادسة من الصوم المقدس ومعه جماعة من اساقفة الوجه البحرى ومن القسوس والشمامسه ومحفل كبير وكان قد استطلق من السلطان الملك العدال شيئاً من دهن البلسم فامر له به فاخذه معه ومضي الى الدير وقدسه فى الخميس الكبير على الرسم والعاده وكان معه جمع كبير من كهنة القاهرة ومصر والبلاد فاراد ان يجبر قلوبهم بان يصرفهم فى هيكل بنيامين فاغتاظ الرهبان من ذلك وجاوا بالعكاكيز وكسروا بعض قناديل الكنيسة ولم تلفت البطرك اليهم بل كمل شغله وخرج الى قلايته بات بها واصبح صلاً فيها صلاة الساعة الأولى من الجمعة الكبيرة واذا الرهبان قد اجتمعوا وحضروا اليه وضربوا له المطانوه وسالوه ان يغفر لهم ذلتهم ودخلوا تحت كلما شرطه عليهم وكانت لهم عوايد ردية ازالهم عنها وجات الى الكنيسة وفرح وكمل العيد وكرز لمن اراد تكريزه الا ان الرسم ما كان بد منه لاجل ما تاخر من المبلغ المقرر للسلطان ثم توجه الى ثغر الاسكندرية واقام به مدة وجرى له فيها ما جرى فى الدير مع كهنتها ثم رجعوا الى الطاعة وموافقة الجماعة وكان هذا البطرك له قوة نفس وصبر واحتمال فما كان يبالى بشى مما يجرى ثم عاد الى مصر بعد ان شق بلاد الغربية واكثر الوجه البحرى وافتقد كنايسه السلطان عن نصره مقيم بالشام والشيخ السنى الراهب معهم بكنيسة بوسرجه بمصر وهو لا يطيع البطرك ولا يجتمع به ولا يوافق على شى من اعماله والبطرك لا يصل الى الكنيسة لان هذا ما هو بطرك بل هو ضامن البطركية من السلطان والسلطان لا يخالف ويذكر اشياء يندد بها ويهدد وفى هذه الايام رسم بحفر جانب البحر على الساحل ليعمل فيه اساس السور الذى رسم ببنايه على مصر والقاهرة [illegible] ابه ويحفر مع الناس وعزل له مكان مقدار

طولهماية ذراع فى عمق الاساس وقد كان الناس كلهم قد حفروا الامرا والاشراف والولاه وساير الناس واليهود اخرجوهم عند خروج النصارى فاستحى الناس وحضروا من كل مكان وحفروا من كل مكان وحفروا وبقوا كذلك قريباً من شهر ثم انهوا العمل وساتراحوا وكان البطرك يقوم بهم فيما ياكلون وما يشربون ووقف اخذ الشرطونية وقل الا فى النادر والاسعار راخيه والاشيا موجوده والامن عام البلاد واما الشيخ نش الخلافة ابا الفتوح فان البطرك كان مشى الى منزله ليلة وبت عنده فاثر فيه ذلك وصار لا صديقاً ولا عدواً بل على جانب الا انه يكثر الترداد الى كنيسة بو سرجه والاجتماع بالشيخ السنى الراهب وكان البطرك قد حرم انه لا يقيم راهب فى مدينة ولا ريف الا في ايام الجرانه لا غير واستمر الحال على ذلك ثم وردت الاخبار بان عسكر الروم خرجوا وجاوا الى حران واحرقوا دار العافيه التى بظاهرها وسبوا ونهبوا وعادوا نزلوا على امد يحاصرونها وزاد الماء المبارك واطمان الناس بذلك وجاء امر السلطان باخراج العساكر ولم يكن حضر منهم الا الاجناد وبعض الامراء القليل منهم والا الجميع كانوا فى خدمة السلطان بدمشق فتجهزاً وخرجوا متقاطرين من عشرة وخمسة عشر واكثر واقل وكان ضعفى ليس لهم شى لخسه اخبازهم ورخص اسعار الغلات واستقر الحال على ذلك ودخلت سنة ثلاث وخمسين وتسع مايه وبلغ النيل المبارك ثمانية عشر ذراعاً وثمانية اصابع والاسعار راخية والخيرات موجودة كثيرة ثم ان جماعة من الاراخنه اجتمعوا وطلعوا الا الاب البطرك بكنيسة المعلقة وقالوا له الى متى تفعل هذه الاشياء التى قد جعلتنا به سبة بين الامم والشعوب قال لهم وما هى قالوا له أخذك الشرطونيه على الكهنوت فقال نوفي مال السلطان قالوا له ومن احوجك الى ان نقرر للسلطان مالا قال انتم قررتم المال للملك قالوا فما كان يتعين عليك ان تدخل فيه وال البطركيه طرحت عليك باشدة بل انت بر طلت عليها وخطبتها ولك اليوم تسعى فيها عشرين سنة وقد اخربت كنيستنا قال انا ما أخربت كنيستكم بل عمرتها وما كان بقى فيها اسقف وقد صار فيها اليوم خمسين اسقفاً ومن الكهنة مالا يحصى عددهم وزاد الحديث منهم ونغص اخر الامر انه جلف ان المال الذى للسلطان ما تغلق الى الان وانه بقي منه الى

ساعة تلك ثلثماية دينار قالوا له فالاساقفة الاخر ياخذون الشرطونية قال ومن يرضي للاساقفة بهذا والله ما بلغنى ان اسقفاً اخذ شرطونية الا فامنعه وهذه كتبى تخترق البلاد بهذا قالوا فتكرز اولاد التوانى قال ارونى قانوناً قد منعوا فيه من الكهنوت قالوا عاده كنيستنا وما جرت به سنه ابابنا قال انا اوافقكم على هذا انه عادة لكم الشرع وناموس قالوا فنريد كتباً الى الوجهين القبلى والبحرى بمنع الشرطونية وقطع تكريز اولاد من تزوجت رجلاً ثانياً قال انا اكتبها واسيرها لكم وانفصل المجلس على لا شىء ولم يكتب كتباً ولا عمل شياً ثم وقع المرض فى الناس والموت مثل السنة الخارجة واشد واستمر ذلك ومات ناس كثيرون ومرض البطرك مرضه شديدة قارب فيها الموت ومن الله عليه بالعافيه ثم ان السلطان عز الله نصره عاد من سفرته هذه الى القاهرة المحروس فى العشرين من امشير اقام به مدة ثم انتقل الي ثغر الاسكندرية واقام بها مدة وكان غرضه على انه يقيم بها زماناً طويلاً لانها طيبة فى الصيف وكان قد اهتم فيها بدار ما رأى احد من الملوك مثلها حتى جاءوا امراً وجب له الخروج منها والمجى الى القاهرة المحروسه وهو ان اخاه الملك الاشرف صاحب دمشق وسنجار تغير قلبه ووقع بينهما شنان فعاد لتدبير هذه الحال واكن قد وصل رسول الخليفة من بغداد وهو رجل فقيه من اكابرها ومضى الى السلطان الى دمياط واجتمع به فى معنى الصلح مع ملك الروم التى كانت المحاربة بينه وبينه وسيّر السلطان معه رسولاً من قبله وسارا الى ان وصلا الى قيسارية وهى كرسى مملكة الروم للمسلمين فاتفق فى وصولهما ان مات ملك الروم المذكور ولم يجتمعا به وقعد على كرسيه ولده واطلق الاسرى الذين كانوا عنده من عسكر مصر والشام الذى كان ابوه اسرهم فى تلك الليلة المتقدمة ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره اطلق الاسرى الذين كانوا عنده كلهم الذين اخذهم من القلاع التى استعادها من الروم وقويت الاخبار بمجاهرة الملك الاشرف لمولانا السلطان ووافقه على ذلك صاحب حمص وصاحب حماه واكثر ملوك الشرق حتى انه طرد نوابه الذين بدمشق واخذ حواصله التى بها وحواصل ابن اخيه الملك الناصر صاحب الكرك لانه كان فى طاعة السلطان الملك الكامل ... الى القاهرة المحروسة فى يوم الجمعة

الثانى من ابيب من هذه السنة وكان يوم عبوره يوماً مشهوداً لان المدينتين زينتا والاسوا من باب النصر الى القلعة المحروسة وكان كل امير ياخذ برجاً وبدنيين ثلثة ومنهم من ياخذ برجين على قدرته ويزينها بعدته ورنكه واسلحته والصور العجيبة والحركات المستغربة وكان كل واحد يريد ان يزيد على الآخر فكان امراً عجيباً مستحسناً فاما القلعة فما زينها الا السلطان وخواصه وخدامه الساكنون وكانت كنيسة الجزيرة قد انهدت زربيتها واخذ البحر البستان الذى لها وبعض كنايس العلو وخشى على الجامع الذى بها وهو المقياس فخرج السلطان الى والى مصر بان يتقدم الى البطرك بعمارتها فنزل بها واهتم بامرها وعمرها ويقال انه انفق عليها الف دينار وعمرتها برسمه قاعة على البحر بشبابيك وهمة عالية ما ترى احسن منها وقدس بها وجلس على السنطرن وقرى عليه الابرولوغس واخذها من اسقف الجيزه وصارت بطريكيه ولم يجعل لاسقف حكماً الا فى كنايس المدن خاصة ثم انه قدم مطراناً على البيت المقدس والساحل والشام الى نواحي الفرات وسيره الى هناك وامتعض لهذا بعض الاراخنه وقال هذا مالا يجوز لان هذه البلاد من كرسى انطاكية والكرسيان واحد ويقع هذا فرق لم تجر به عادة ولم يلتفت البطرك بل قدمه وجعل الحكم له فى تيك البلاد كلها حتى بلاد الافرنج وسيره فلما كان عيد القيامة المقدسة وصل انبا اغناطس بطريرك السريان الى البيت المقدس والكناغيطس (١) بطريرك الارمن فلما بلغ البطرك ذلك جهز لبطرك السيان هدية من هدايا مصر وسير بها اسقف الخندق وقسيس من قسوس مصر فلما وصلوا الى القدس بلغ المطران وصولهم فخرج بلقاهم بالاناجيل والمباخر والصلبان وانزلهم عنده ومضي اسقف الخندق الى بطرك السريان اجتمع به وسلم عليه واعطاه كتاب الاب البطرك وهديته وكانت عود بخور ومنديلين لليد وشبوقه ابنوس فقبلها واقبل عليهم وقال لهم الاب البطريرك انبا كيرلس اخى وانما هذا الشيطان رمى بيننا وافرق الكنيسة وما له عندى تصرف يعنى المطران وخرجوا من عنده فنفذ اليهم وسالهم النزول عنده فامتنع الاسقف وقال انا نازل عند المطران وما اقدر اخرج من عنده الا باذنه فـ[illegible] المطران ولم يرجع يرى الاسقف وجهاً

واما المطران فانه استعان بالافرنج وواخى منهم جماعة وتصرف فى كنايس القبط هو وشعبه ويقال ان الافرنج اخذوا خطه بان اعترافه اعترافهم واعتقاده اعتقادهم وان هذه عادة لهم ان لا يتصرف احد من الاجناس الا بعد ذلك وانفصل اسقف الخندق ومن معه على غير طيبه ثم ان السلطان عز نصره جهز العساكر أولاً اولاً وصار يخرج عسكر ويردفه باخر وفى هذه الايام وردت الاخبار بان التطر نزلوا على اربل واخذوها بالسيف ويقال انهم قتلوا فى جامعها سبعين الف نفس وبقيت القلعة ممتنعة عليهم وسيروا الى صاحب الموصل واطاعهم صاحبها وحمل اليهم الاتاوه والازواد والاقامات لان بينهم وبينه مسافة دون يوم وكانت الاخبار من الشرق والغرب تدل على ان الاحوال مضطربة ووفى النيل المبارك فى هذه السنة فى نهار يوم الخميس الثالث عشر من مسرى وهو عيد التجلى بطور تابور وكان نيلا بدرياً وتواترت زيادته وكانت الاسعار رخيصه والاشياء موجودة رخيصة الى الغاية والناس فى رخا عظيم وخيرات واسعة ثم دخلت سنة اربع وخمسين وتسع مايه والماء يزيد الى ان بلغ ثلاثاً وعشرون اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً وكان لما بلغ ثمانية عشر اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً رسم السلطان عز نصره ان لا يرجع ينادى عليه بل ان الخواص علموا ذلك من الرقاع التى كانت ترفع الى السلطان فى كل يوم ووردت الاخبار من دمشق بان الملك الاشرف مات ولم يصح ذلك حتى جاوا العزايه وعملت له الصبحه وفشا اللامر ثم ان عماد الراهب المثرار الذى كان السبب فى تقدمة البطرك وعاد عدواً له لما ابعده اجتمع مع شخص يقال له الاسعد بو الكرم ابن ابن اخت البطرك المتنيح وكان هذا البطرك قد انتخبه وجعله صاحب سره وكلما ياخذه على يده وشهد قدام الجماعة مراراً انه راض بقوله وان كل ما اخذه على يده وانه قد بقى على البطرك ثلثماية دينار ذهباً والاسعد عالم بها فوقع بين البطرك وبينه لامر ما علم فاتفق مع هذا الراهب وعمل اوراقه مفصلة باسما من اخذ منه البطرك شرطونية وغيرها على يده خاصة فى مدة صحبته له الى ان فارقه يشتمل على تسعة الف دينار ومتين واخداها وطلعا بها الى القلعة وكانت نسخاً تسلمها الامير نور الدين بن ... ار ونسخة تسلمها اقاضى الاسعد الفايزى

الوزير فسيرا احضرا البطرك بحضور الراهب والاسعد وقابلوا بينهم فاتفق الحال على ان البطرك يقوم بالف دينار لبيت المال المعمور وفيما هو يقوم بها كان رجل صايغ يعرف بينها وهو من اصحاب البطرك وهو الذى كان يخدمه وياوى اليه فى ايام العلمانية وكان له دكان فى الصاغة بالقاهرة فاتفق ان عبداً سرق من القلعة مصاغاً ونزل به الى دكان هذا بها سلمه اليه وتسلم عليه مبلغاً ثم ان هذا الصايغ المذكور تصرف فى بعض المصاغ وسبكه فلما كان فى هذه الايام علم بالعبد انه اخذ العمله فامسك وضرب وقرر فقر على بها المذكور فاخذ هذا ووكل به واحرق به واستعيد منه اكثر المصاغ وغرم كلما يملكه عوضاً عما عدم منه ثم بعد ذلك رجعوا على البطرك بالطلب وقالوا هذا صاحبك وانت علمت به ورضيت واخر الحال انهم قرروا عليه خمس ماية دينار اخرى وصار مطلوباً بالف وخمسماية دينار وقام بها وامسا بها فانه بقى فى الترسيم اياماً حتى يقوم بما طلب منه حتى انه المسكين وصلت حاله الى ان طلب من الناس وبعد ذلك لما علم انه لم يبق له شى رمى الجب واما العبد فقطعت يده ثم ان مولانا السلطان خرج من القاهرة طالباً الى دمشق فى يوم الخميس الثامن عشر من بابه فى هذه السنة ووصل اليها ونزل عليها وحاصرها وكان القتال يستجبر عليها من جوا وبراً وكان رسول الخليفة رجلاً يقال له ابن الجوزى فمشى بين السلطان وبين اخيه الذى كان بها وهو الملك الصالح غازى فاصطلحا على ان يعطى الملك مع بصرى قلعته التى له بعلبك وبلاد اخرى وسلم السلطان الملك الكامل مدينة دمشق وعبر اليها فى نهار يوم الاربعا الرابع من كيهك ولم تدخل حمص وحلب فى اليمين وكان المرض ايضاً قد فشا فى الناس مثل السنين المتقدمة ومات خلق كثيرة واقام السلطان بدمشق وعظم امره وعزم على الخروج لاخذ حلب وجهز العساكر لذلك فمرض فى اثنا ذلك وتوفى فى ليلة الخميس الخامس عشر من برمهات الموافق للرابع والعشرين من رجب بالعدد من سنة خمس وثلثين وستماية فكانت مدة مقامة بدمشق ماية يوم ويوماً واحداً وكان الخدام متوليين امره ولم يعبر اليه احد من اقاربه ولا خواصه من الامرا ولم يوص بشى فكتموا امر وفاته وادعا انه مريض وانه رسم بان تحلف الامرا لولده [illegible] من بعده وهو والولد الاصغر الذى بمصر

فحلفوا جميعهم فلما تكاملت ايمانهم افشوا خبر موته فندم بعضهم ومن لم يحلف ما حلف وهو الملك الناصر بن المعظم الذى كان صاحب دمشق الذى كان السلطان قد ركبه فى القاهرة ركوب السلطنه على انه اتابك وولده هذا المحلوف له واركبه ف دمشق بعد فتحها كذلك فعز عليه هذا الامر وكان اهل دمشق يحبونه لولايهم فى ابيه وما اعنى ذلك شيأً فاخذ الامرا الكبار والخدم الملك الجواد مظفر الدين بن ممدود بن ابى بكر بن ايوب وهو ابن اخى السلطان المتوفا سلموا له دمشق وجعلوه اتابك الملك العادل صاحب مصرفها وسلموا اليه الخزاين فاعطى وخلع ووهب واقطع وكان كريماً حسن الخلق فاخذ بقلوب الامرا والاجناد واحبه الناس الا ان الغلا كان بدمشق وكان لما ورد اخبر بوفاة السلطان الى مصر واستصحه الناس طب كل أحد الغلة وشحت نفوسهم عليها وتوهموا ان ثم حصاراً يقع وارتفع السعر الى ان بلغ ثلثين درهماً الاردب والشعير ثمانية عشر درهماً والفول مثله ومنع بيع الغله اصلاً الا لطحانين على قدر غلاتهم وبقى الناس فى شدة والقمح لا يقدر عليه ولا الخبز وعلى كل دكان زحام حتى لا يقدر احد يعبر عليه وجنارية الولاه على دكاكين الخبازين ولا يباع لاحد خبز الا بالقسط واستمر هذا جمعة من الزمان حتى اطلقت الغلة للناس اشروها ورخصت وكثر الجلب واهتدى الناس مما هم فيه وكان البطرك قد توجه الى اسكندرية فى اثنا الصوم قبل ورود هذا الخبر بايام وبعد هذا تواصلت العساكر من الشام اولاً الأوجات الحزاين مع الخدام بعد ان اخذ منها الملك الجواد ما احتاجه وتكامل العسكر بالديار المصرية ولم يبق بدمشق الا امراء قلايل اختارهم الملك الجواد لمساعدته ومرافقته وكان السلطان الملك العادل قد احضر العربان لياخذ عليهم العهود والايمان وكانوا قد كثروا بالقاهرة حتى صار فيها زهاء الفى فارس وخشى الناس منهم الى ان وصل العسكر وخلع عليهم وحلفوا وخرجوا وخلع على الامراء الذين وصلوا ووصلوا بالمال والزيارات فى اقطاعاتهم وكان الناس بعد موت السلطان قد تكرهوا الفلوس والمعاملة بها وصار فى البلدين سعران سعر بالفضة وسعر بالفلوس وانتهى حالها الى ان صار كل درهم ورقاً بدرهمين فلوساً والدرهم النقرة بستة دراهم فلوساً وضرب منهم وشهر وهم لا يرجعون ثم بعد ذلك صاروا يبيعونها

بالرطل بدرهم واحد رزقاً ونصف درهم ورقاً كل رطل وحدث فى عشية يوم الاربعا اول بونه مطر عظيم لم ير مثله ف يمثل هذا الوقت من السنة ودام الى برهة من الليل وكان معه برق ورعد مخوف وكان هذا من جملة الاعاجيب ثم انهم رجعوا شرعوا فى تتمة عمل السور على البلدين من ناحية البحر والخليج ورجعوا الزموا الناس كلهم بحفر الاساس من المسلمين والنصارى واليهود وصاروا يمسكون القسوس الذين بالقاهرة ومصر الذين هم قسوس الكنايس بها وصار اوليك المساكين يتكلفون ان يصيروا اما حشاراً او نقباً اسطول وياخذوا معهم الجنداريه من عند المشدين ويجبون الى المساكين ارباب الصنايع والمتماعشين يخرجونهم يحفرون من بكره الى الليل ومن كانت له اجره وزن عن نفسه حق البديل لمن يحفر عنه على ما يشارطه عليه من ثلثة دراهم الى حولها وكان رجل من اهل طمبدى وكيلا للبطرك على رياع الاوقاف وكان اشد ما عليى النصارى هو لانه كان يؤلب عليهم الولاه والمشدين حتى يقطع مصانعة النصارى لانه جعلها معيشه والبطرك غايب والناس فى شدة وهى واقعة بالضعفا خاصة لان الكتاب وارباب الجاه ما كان احد يتعرض اليهم ولا كان فيهم هم من المروه ان يواسرهم ولا من القوة ان يخلصوهم وبقوا عل هذه الحال واما اليهود فانهم تعصبوا على جارى عادتهم وواسى غنيهم فقيرهم وقام كل عن نفسه ببديل ممن لا يقدر على الحفر وانجزوا ما يخصهم وتفرغوا لاشغالهم وكان الشيخ السنى الراهب المقدم ذكره منحرفاً متوجعاً لما يجرى على القسيسين ولا يجد من ينجده ولا من يساعده لانه كان قد انقطع بكنيسة بو سرجه وترك خدم السلطان عن طاهر بك ولو كان متصرفاً لما جرى من هذا شى وكان يضارب بالنيه ثم ان الراهب عماد الاخميمى الذى كان سبباً لتقدمة البطرك وهو الذى قرر للسلطان الثلاثة الاف دينار على البطركيه ما زال يتسبب حتى ينجز كتاب السلطان الملك العادل الى والى الاسكندريه الي والى البحيرة بان يسير معه اسقف دمنهور واسقف فوه وكان قصده ان يثبت عليه اشيا بوجب القطع بحضور اسقفين فما مكنه الوالى من ذلك الا انه اخذ معه راغلامين وجندارين بالكتب التى معه وعبر على فوه ودمنهورر اخذ الاسقفين معه ودخل الثغر واوصل الكتاب الى الوالى فامر الوالى يبان

يسلم اليه البطرك واصحابه المعينين فى الكتب وكانت ليلة الاحد والبطرك قد فرغ من الصلاة وخرج الناس من الكنيسة فنقل البطرك الى طبقة كان قد نز بها واخذ اصحابه اودعهم السجن وقصد ان يعمل مجمعاً بالثغر فما اتفق له ذلك لان اكابر البلد كانوا اصحاب البطرك فاجتمعوا بالوالى وقالوا السلطان ما رسم الا بتسييره تسيره اليه وهو يفصل فيه هناك فاخذه وخرج واخرج اصحابه مخشبين وهم الكاتب والتلميذان واحدهما عبده الذى رهبه وكرزه شماساً على دير الشمع ووصل الى القاهرة فى عشية يوم الجمعة فى اواخر بوونه فطلع الراهب الى القلعة واخبر بان البطرك وصل فامر ان يحبس هو واصحابه فى حبس القلعة فباتوا فيه تلك الليلة ثم ان جماعة المستوفين اجمعوا ثانى يوم وهو يوم السبت واجتمعوا بالامير الصارم لانه كان استاد الدار فى ذلك الزمان ولم يزالوا به حتى اخرجوه من الحبس وانزلوه الى الكنيسة بحارة زويلة بالقاهرة فجا الراهب الى الصارم وقال له موه على الامير وهذا الرجل مطلوب من السلطان فحمله وقد قعد هو واصحابه ياكلون ويشربون ورحت اليهم فضربونى وعربدوا على فسير الصارم الى والى القاهرة بان ياخذه ويحبسه فجا الراهب من عند الوالى بجمع عظيم ورهج واخذ البطرك حافياً راجلاً وامسك كل من وجده عنده وركب بغلته والبطرك ماش وهو يفترى عليه فلما وصلوا الى الوالى على تلك الحال وكان رجلاً جيداً اعظم الحال واكرم البطرك وخلى طريق اولئك المسوكين من الناس ما خلا اصحاب البطرك ورسم بان يقعد فى طبقة بالربع الجديد الذى بين القصرين الذى تحته دكاكين الصيارف هو واصحابه ومعه مترسمون من قبله وزجر الراهب معهما عند الشيخ السنى الراهب ثم ان الراهب السنى اتفق مع اسقف فوه على اوراق عملوها لياخذوا خط البطرك بها ان ابقوه فى البطركيه منها امانة القبط وان لا ياخذ رشوه على شرطية احد من رتب الكهنوت وان لا يجعل للمطران فى الشام امراً فى كرسى انطاكية بل تقتصر به على غزه وما ولاها من تخوم مصر وان يقطع اولاد النساء الثوانى الذين يقدموا على رتبة الكهنوت وكذلك العبيد الذين قدمهم وان يختصر فى اللباس على ما جرت به عادة [illegible] الملكية وان يوفر اجر الاوقاف على المواضع

التى هى موقوفه عليها فبدا بعمارة الرباع المذكورة ثم بالكنيسة والفقرا من كهنتها
فيما فضل بعد ذلك استجد به وقفاً اخر ولا ياخذ رسوم الاعياد التى ياخذها من ساير
الديار المصرية بل يوفرها على مصالح الكنايس التى الاعياد لها ومن له رسم فيها
مثل اسقف او والى او غيرهما فيما فضل كان للفقراء والمساكين وكذلك ديارية
الديارات التى احدثها وجعلها له فى الديار المصرية أن يوفرها على الديارات لعمارتها
والرهبان لضروراتهم وان ياخذ من الدياريه المقررة على البلاد الجارى بها العادة ما
يكفيه لنفقته وهو خمسة عشر دينار فى كل شهر ويترك باقيها المنقطع لا يقدر على
جزيته فيزنها عنه ويشترى بها دينه او عادم قوته وملبوسه فيريح نفسه ويستر جسده او
كاينه تجرى مثل حفر البحر وما يجرى مجراه فيحمل ثقلها عن الصعاليك ويرفع البدلة
عن القسوس الذين عادو مماليك وان يشترى فى كل سنة من مال هذه البيعة ماية أردب
قمحاً برسم الرهبانات المقيمات بدير المعلقة ويصون وجوههن من البدله واحوالهن من
القلة وان يكون كاتبه شيخاً اسقفاً لا مطعن عليه واشيا مما هذه سبيله وسيرت اليه
الاوراق وقريت عليه فما اجاب الى شى منها وكان الراهب عماد المبدا بذكره ملازماً
لباب السلطان ساعياً فى عمل المجمع على البطرك فما زال المستوفيون يسعون في امره
حتى اخذه امير جندار ضربه ضرباً منكراً وطرحه فى الزردخاناه وعمل فى حلقه طوقاً
وفى رجله باشه وكان عادماً الخبز فلقى شدة عظيمة حتى انهم منعوا من يفتقده فى
بالحبس وتسببوا الى ان اخرجوا البطرك من الطبقه وانزلوه الى كنيسة حارة زويله أقام
بها ولم يزل الحال كذلك الى الرابع والعشرين من ابيب وكانوا قد اصلحوا اكابر الدولة
فتحدثوا فى خلاصه فخلص وكانت ليلة عيد بومرقوره فنزل كما هو الى كنيسته التى
بمصر واصبح ابدل على جارى عادته وزفوه فى وسط الكنيسة وطرح له كرسى جلس
عليه ومدح وكان يوماً عظيماً مشهوداً واجتمع فيه من الخلق مالا يحصى وتردد الى
الكنايس وجرى على حالته الاولى واما عماد فانه كان قد اخذ خطه بان يقوم لبيت المال
المعمور باربعة الف وثمانى ماية دينار التى ذكر انه يظهرها فى جهة اصحاب ابطرك
فما زال الشيخ السنى ومن يختص به يسعون حتى تخلص واستعيد خطه ثم ان البطرك

لم يزل يتوسع حتى عبر الى السلطان واهدى اليه هدية فقبلها وسمع منه ما قوى جنانه وبسط لسانه وتسلط به على النصارى واما ما جرى فى هذه الايام من الكاينات فان الملك النصار بن المعظم قصد بلاد الساحل ووصل الى غزه واقطع البلاد وجند الجنود وكان قصده كله دمشق وسير الى السلطان الملك العادل يعلمه ان صاحب دمشق معه وانه دعاه الى مطاوعته وان يكونوا معاً يداً واحده وسير كتبه اليه بذلك فبلغ صاحب دمشق ذلك وكان الملك الجواد مظفر الدين بن ممدود وكان قد استخدم جيشاً قوياً كثيراً مع العسكر الذى معه من مصر فخرج اليه فى عدد وعدد فالتقوا بالقرب من الغور فانكسر الناصر ولم ينج الا بنفسه فمضى الى الكرك واخذت عامة اصحابه واثقاله وازواده ويزكه وغنم العسكر الدمشقى غنماً كثيراً وسيرت اعلامه الى القاهرة وطيف بها وكان النيل المبارك قد هجم فى هذه السنة من اولها ثم توقف بعد ذلك ووفى فى يوم السبت اخر النسى وفيه خلق المقياس وكسر الخليج وكان فى هذه السنة عجايب حدثت فى غير وقتها جات زلزلة ظاهرة تبينت لكل احد فى البيت ومطرت فى ايام النسى وقيل انها لا تحدث الا فى سنة شح النيل ثم دخلت سنة خمس وخمسين وتسع مايه وانتهى الماء فيها الى ستة عشر ذراعاً وثمانى اصابع وكان الجسور قد انقطع اكثرها لانها كانت مدبرة فى ايام الملك الكامل فلما مات زالت تيك المهابة ووقع الطمع فى قلوب الولاه والمتصرفين فاهملوا امرها فانقطع اكثرها ومنها جسر كان بالجيزه وكان جسراً عظمياً يرد الماء من اراضى البهنسى فانقطع وخرج اليه الامير جمال الدين ابن يعمور مشد الدواون المعمورة واقام عليه مدة وانفق عليه جملة من المال والعده ولم يقدر ان يسده واتفق على الناس فى هذه السنة المباركة شحة النيل ويقطع الجسور ونشفت البلاد بسبب العربان لانهم كانوا قد اختلفوا بالصعيد ونهبوا الناس وسبوا اهل بعض البلاد فقلت الاسعار وصار القمح بدينار الاردب والشعير قرباً منه وما روى قط الشعير بسعر القمح الا فى هذه السنة وغلا كل شى ورخص الذهب حتى صار صرف الدينار بالنقده اثنا عشر درهماً وربع وثمن وبالورق خمسة وثلثين درهماً وكان السبب فى ذلك كثرة ما اخرج السلطان من الاموال وفرقه على الامرا

والاجناد وهو السبب الاكبر فى غلا الاسعار لان الناس كثرت معهم الاموال وخصوصاً الاجناد واطمانوا على نفوسهم حتى ان النبيذ القديم ابيع باربعة دراهم نقرة الجلرة لكثرة طلب الناس له والفواكه غلت والملبوس والمصاغ والاملاك ايضاً وكانت ايام تشبهها الناس لايام الملك العزيز رحمه الله لطيبها ثم ان الاساقفة حضروا من الوجه البحرى وكانت عدتهم اربعة عشر اسقفاً واجتمعوا فى كنيسة حارة زويلة وتحدثوا فى امر البطرك وذكروا انهم ما يرضون اشياء تاتى منه عددوها وايقنوها فى مسطور كتبوه عنه وكتب خطه فى طرته بما مثاله فوق البسمله وعلامته بين السطور تكتب الاخوة الاساقفة الرب يبارك عليهم وعلى شعبهم وكراسيهم بالموافقة على هذا المكتوب وما يثبت فيه من الامانة والسيرة المرضية والعوايد البيعية ومن خرج عنه او حاد عن شروطه كان محروماً مبعداً من فم الثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس ومن فم الثلثماية وثمانية عشر المجتمعين بنيقية بطركاً كان او اسقفاً انا او اساقفتى وليس له حظ مع المومنين الله يعيدنا من ذلك وكان من شروطه بعد الاعتراف بالامانة المستقيمة المقررة بمجمع نيقيه والمجمعين المقدسين المجتمعين بقسطنطينية وافس ثم الاقرار بما اختصت به البيعة اليعقوبية مما اخذناه من الاب كيرلس الكبير والابن ساويرس وديسقرس الارتذكسين وهو الايمان بان المسيح الاله المتأنس طبيعة واحدة اقنوم واحد مشيئة واحدة فهو الاله الكلمة وهو الانسان المولود من مريم العذراء ولذلك يصح وصفه بكل الاوصاف الالهية والانسانية ثم من بعد الزام ما تضمنته الكتب الالهية والقوانين الرسولية والمجامع المقبولة والعادات المستقرة فى البيعة اليعقوبية القبطية التى عليها اعتمادنا فى ديانتنا فاما الفصول التى دعا الوقت الى امرها بالذكر طلبا لدوام السلامة الأول لا يقدم اسقف من الان الا من كان عارفاً وعملت له تزكية ورضى به شعبه ولا يوخذ منه شرطونيه ولا تباع روح القدس ولا تشترى وكذلك يجرى الامر فى تقدمة القسوس والشمامسة وجميع رتب الكهنوت ولا يأخذ احد من الحكام رشوى له وما يقوم مقامها فى حكم من ساير الاحكام بطركاً كان او اسسقفاً او نائباً عنهما او يحابى [illegible] ذلك كان ممنوعاً الثانى ان يتفق البطرك

مع الاساقفة العلما على عمل مختصر قوانين في المحرمات والمباحات فى الزيجات وغيرها وفى المواريث وترتيب طقوس الكهنوت وتكتب نسخاً وعليها خط البطرك والاساقفة بالموافقة وتخلد للكراسى واى حكم خرج عنها كان باطلاً . الثالث ان يجتمع الاساقفة الى القلاية دفعة واحدة فى السنة وهى من اول الجمعة الثالثة من الخمسين والى اخر الجمعة الرابعة منه وان لا يغير القواعد المستقرة فى البيع القبطية كالختان قبل التعميد ما لم يقطعه ضرورة وكالامتناع من تكريز اولاد السرارى والعبيد ما خلا المسبين من بلاد الحبشة والنوبه اذا احسنت سيرتهم وزكوا للكهنوت ومن كان غير مسبى بل ابن جارية عاهرة غير مكللة فلا يقدم من الان فى شى من درج الكهنوت وكذلك اولاد النسا الرواجع من الان لا يقدمون فى شى درج الكهنوت وكذلك اولاد الزوجة الثالثة ولو كانت بكراً لا يقدمون فى شى درج الكهنوت ويمنع من تكلل سراً فى البيوت خارجاً عن الكنيسة والقربان ويحرم دخول الحايضات الى الكنايس فى وقت حيضهن وان يكون كاتب القلايه من يختاره البطرك اما اسقفاً واما رجلاً معتبرا وان يطلب خط مطران غزه وما والاها بالموافقة على اعتقاد البيعة اليعقوبية المقدم ذكره وموافقة من وافقها ويمنع من يمنعه من المجامع ومتى لم يجب الى ذلك قطع وان يكون طقس مطران دمياط الحاضر بها الان مستقراً على العادة لمن يقدمه بها وان لا يكرز البطرك ولا الاساقفة على غير كراسيهم بالجملة ولا يطقسوا احداً الا برضى اهل كرسيه او اكثرهم وبرضى اسقفه الذى قدمه ولا يقبله اسقف كرسى اخر الا برضى اسقفه الذى هو فى كرسيه ولو كان ساكناً عنده واى من انتقل من بلده وكنيسته من غير امر ضرورى الى كرسى اخر او كنيسة اخرى فليمنع من كليهما ولا يمنع البطرك احداً من شعوب كراسى الاساقفة الا بموجب شرعى اذ اثبت عن اسقفه انه لا يمنعه فليسير البطرك بامره بمنعه فان تأبى الاسقف لوجه غير مرضى واصر على ذلك يمنعه البطرك وان لا يحل البطرك من منعه اسقفه الا اذا ثبت عنه انه منعه بهوى عن غير وجه شرعى ويكاتبه البطرك دفعة واثنتين بسببه فان اصر الاسقف على ذلك احضرهما كليهما و[illegible] بما يوجبه [illegible] من الاساقفة وعمله فلا تنقص عليه منه

بلد ومن استقر بيده كرسى بلاده الى يوم تسطيره فلا يخرج عنه واما الدياريه التى توجد من الاساقفة التى للبطرك فلا يوخذ على سبيل القهر الا على قدر كراسيهم وعلى قدر ما يسهل عليهم على سبيل البركة وان لا يلزم البطرك الاسقف بان يطقس فى كرسيه او يكرز من لا يرضاه اسقف الكرسى او اكثر جماعته ويساوى بين الاساقفة فيما هو مطلق لجميعهم وممنوع وان لا يتعرض البطرك الى ما يدخل الكنايس فى اعيادها ورسومها واوقافها بل يكون تحت نظر الاسقف ولا يخرج عن يده الا من كان قد اشترط عليه ذلك قبل تكريزه ان يكون دخل الكنيسة عوضاً عن دياريه الكرسى ولا يخرج عن ايديهم شىء من اديرة كراسيهم الا من كان قد التزم بذلك قبل تكريزه وان لا يقبل قول الرهبان بعضهم فى بعض الا بعد الفحص الشديد والاخذ بقول الاكثرين المزكيين ولا يزعج الرهبان من أديرتهم من غير ضرورة ظاهرة ولا يستتاب فى الحكم بين الرهبان قوم من العلمانيين بل روساء الاديره ومن يقوم مقامهم من المومنين المعتبرين العارفين وان لا يمنع اسقف على الامور الصغار من القلايه ومتى وقع فيما يوجب منعه يكاتبه البطرك دفعه واثنين ويحذره عن ذلك وبعد ذلك يحضر الى القلايه يحاقق عن نفسه قبل منعه ان وجب عليه المنع الاغوسننس رتبته رتبة ارشى بابا القسوس له ان يقول التحليل على القسيس المقدس ويرفع البخور بعده ويتقرب بعده وقبل ساير من دونه من القسوس غير المقدسين واذا حضر مع الاسقف يتناول هو البخور من يد الاسقف ولا يناول هو البخور لاحد من يده من القسوس وليس له شى غير ذلك ومن اراد من المومنين ان يمضى الى عيد كنيسه من اى كرسى كان فلا يمنعه اسقفه بهذا السبب وهو مسطور طويل الشرح وهذه زبد معانيه اختصرناها خشية من التطويل وتاريخه فى سادس توت من سنة خمس وخمسين وتسع مايه وعمل مختصر القوانين فى الامور الضرورية الواقعة فى الزواج وشروطه والميراث واقسامه وهو بايدى المومنين نسخ عدة وكتب عليه البطرك والاساقفة ثم خرج الاساقفة الى كراسيهم وقد طابت نفوسهم بذلك ثم ان السلطان سير امير من اخص اصحابه واجلايهم الى دمشق الي الملك الجواد بن عـ... الى اقطاع شاء وخيره فى ذلك وينزل عن

دمشق وكان ذلك تغبطاً ومتوهماً انه اذا وصل الى مصر صار الخيار عليه لا له فكتب الى الملك الصالح صاحب الشرق امد وحصن كيفا ونجار وغير ذلك مما هو قاطع الفرات يعلمه انه طايع له وانه يعطيه دمشق اذا اعطاه من بلاد الشرق ما تقدم به فحلف له على سنجار وبلاد اخرى معها فلما توثق به سير اليه بان يحضر ويقال انهما اجتمعا فى البرية وتحالفا وعبر الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل الى دمشق وتسلمها وخرج الملك الجواد مظفر الدين الى سنجار وتسلمها واستقر الملك الصالح بدمشق وكان معه عسكر يقال لهم الخوارزميه وكان الناس خايفين منهم لانهم مفسدون فى الارض من جنس التطر الا انهم لم يصلوا معه الى دمشق بل كانوا مقمين فى البرية صوب بلاد حلب وما والاها وكان قبل دخول الملك اللصالح الى دمشق قد قفز علي رسول السلطان الملك العادل الذى تقدم ذكره وهو عماد الدين شيخ الشيوخ بن شيخ الشيوخ وقتل بدار السلطان بدمشق وكان بدعة ما سمع بمثلها واول رسول قتل الا انهم ذكروا انه ما قتل الا غيلة عمل عليه صاحب حمص فقتله وبعد ذلك تسلط الخوارزميه على بلاد الشام اخربوها ونزلوا على حمص وحاصروها واعطاهم صاحبها مالا جزيلاً حتى رحلوا عنها وسير الملك الصالح الى الساحل اقطعه وكان الغلا فى الشام بلغ القمح فى دمشق مايتى وثلثين درهماً الغراره وانجلى اكثر اهل البلاد الى مصر مع انها كانت مرخصه الا انها بالنسبة ارفق ورسم بخروج العساكر الى بلبيس ونزولهم عليها الى ان يومروا بما يعتمدون عليه وخرج منهم جماعة عين عليهم ونزلوا بها ثم ان قوماً من المسلمين كانوا مقيمين بالمسجد الذى الى جانب الكنيسة المعلقه جاوا الى حايط بينهم وبين الكنيسة تفضى الى مجلس كان البطرك عمله برسم جلوسه تحت قلايته الفوقانية فهدموا منها طاقات وصورة ابواب وادعوا انه من حقوق المسجد وصار فى الكنايس بلبله لان ذلك كان فى نصف الصوم المقدس وفى الكنيسة المعلقة بالاكثر وتعطلت من القداس والصلاة اياماً كثيرة فى الصيام وكان المسلمون يطلعون على سلالم الى سطح قلاية البطرك العالية ويوذنون ويكبرون ما يذكرونه على ما عهد منهم وجرت فى ذلك خطوب [illegible] اشد ضرب وحبس والى مصر منهم جماعة

دفعتين ولا يجدى ذلك فيهم وحضر المهندسون وكتبوا مشاريح بان هذا الحايط للكنيسة وما للمسجد فيه شى ولا فى المجلس الذى يليه ودخل فى ذلك صاحب ديوان الاحباس وتحدثوا فى ان يضعوا نصف نخل فى ذلك صاحب ديوان الاحباس وتحدثوا فى ان يضعوا نصف نخل من دون الحايط وتسد الحايط على نصف النخل بين الموضعين ولم يجب اصحابنا الى شىء من ذلك ثم تحدثوا فى ان يسدوا الحايط المهدوم على حده على ما كان عليه وتهد الطبقة العالية وامتنع اهل الكنيسة من ذلك وبقى الامر على ذلك مدة وجا العيد والامر على بحاله ودخل شهر رمضان سنة ست وثلثين وستمايه وما عدم اصحابنا فى هذه المدة غرامة جملة كبيرة وفى هذه الايام اخرج صاحب امد من الاعتقال لانه كان فى برج بالقلعة وله مدة طويله وخلع عليه واعيد اليه كل قماش كان اخذ منه لانه كان محفوظاً مودعاً مضبوطاً وجهز باهله وجماعته ليتوجه فى البحر الى انطاكية الى خدمة قريبة ملك الروم صاحب قونيه واقصرا وكانت هذه القضيه من المكارم العظام التى ابتدعها هذا السلطان ثم ان الغلة انحط عرها قليلاً وكان القمح من ثلثين الى اربعة وعشرين درهماً الاردب والشعير من ثمانية وعشرين درهمً الاردب الى دونها والفول بعشرين درهماً الاردب وتباشر الناس بالرخص لان الغلال نجبت فى هذه السنة نجاباً ما سمع بمثله وكانت مطرت مطراً كثيراً لم يجر به العادة فى مصر وواتها برودة عظيمة الى اخر وقت ولم يكن فى المدينتين شىء غالياً خارجاً عن القياس سوى التبن فانه كان بستة دراهم نقره الشبكة وحمولته والحطب فانه بلغ عشه ورقا الجمله والزيت الحار فانه كان بخمسة عشرة درهماً اعشرة ارطال ثم رسم بخروج بعض العساكر الى بلبيس واقامتهم بها فخرج جماعة من الامرا يكونون زهاء من ثلاثة الف فارس فكان منهم امير كبير يعرف بنور الدين بن فخر الدين عثمان فاتفق ان وقع بينه وبين والى بلبيس واقع فصار يكتب فيه الى السلطان ويذكر انه بكاتب الملك الصالح وتجيه رسل الملك الصالح وكتبه فصار ثم توهم منه فخرج الامر بان يتوجه الى رشيد يتركز بها بمفرده وكان هذا الثغر مما يجرى فى حيز الامير المذكور فتوهم ان ارساله الى هناك لشرير ادبه وان يمسك ويحبس فتوقف عن الرواح وكاتب اكابر الدولة فاعفى من ذلك

وبقى فى القلوب ما فيها وكان قد اتفق معه على رايه جماعة من الامرا وهم عز الدين ايبك الكردى وعز الدين ايبك الحمد لله المعروف بقضيب البان وسيف الدين الدنيسرى وسطر الخوارزمى واخو وعلاء الدين بن الشهاب احمد ونور الدين على بن الاكتع وعز الدين تلبان المجاهدى والركن عمر الفانرى وايدكين العزيزى وعلم الدين سحر اليمنى وكانوا جميعاً نزالاً فى منزلة واحدة ورايهم واحد وكلمتهم واحدة وشاع امرهم وذاع فسير اليهم السلطان الامير فخرج الدين بن الشيخ يطيب قلوبهم وطمنهم وكتب اليهم كتاباً بخطه يذكر فيه انه ليس عنده خبر مما توهموه وانه يحلف لهم على ما يريدونه فطابت قلوبهم بذلك وكتبوا نسخة اليمين وتسلمها الامير فخر الدين بن الشيخ وعاد الى القاهرة ليحلف السلطان عليها بعد ان حلف الامرا المذكورون له انهم فى طاعته ما لم يغير عليهم امراً وما لم يبدلهم شيياً منكراً وحلف السلطان على النسخة وجات مع الامير شجاع الدين بن ابى ذكرى ثم ان احد الامرا المقدم ذكرهم كان متأخراً بالقاهرة وهو تلبان المجاهدى الذى كان والى البهنسى فخرج منها بغير دستور اعنى القاهرة وجاء الى هذه الجماعة نزل عندهم فوقع التخيل ايضاً ولم يفد اليمين شياً فرجع فخر الدين بن الشيخ خرج الى العسكر وخرج مع الامير بهاء الدين ابن ملكيشوا الذى كان والى القاهرة مرة وتولى دمشق ايضاً مرة واجتمعوا بالامرا وفاوضوهم فى هذا الامر وان خروج تلبان المجاهدى بغير دستور ما كان واجباً وانكم رضيتم بهذا وهو قبح الايمان وكان ذلك اليوم الاربعا الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثلثين وستماية الموافق للثانى من بشنس واتفق فى ذلك النهار ان جماعة من رجال الحلقه وهم الاتراك اتفقوا على ان يخرجوا ويلحقوا بالامرا المقدم ذكرهم وكانوا زهاء الفى فارس فاجتمعوا ولبسوا وخرجوا من القاهرة وكان للامرا طلايع يعرفونهم الاخبار فجاهم فارس يركض واخبرهم بان الحلقة قد خرجت لاخذهم وان الفارس خطلبا مقدمهم وكان الفارس خطلبا المذكور قد خرج الى الجماعة المذكورة ليردهم هو وامير اخر معه يعرف بالصارم المسعودى فاخذوهما وربطوهما معهم وكان للامرا طلايع فجا فارس ركضاً الى بلبيس [illegible] عليهم فقاموا ولبسوا وركبوا فسمع الركن

الهجاوى والاكراد الفيه الاخرى بذلك فركبوا ايضاً لابسين السلاح وعدة الحرب وتواقعوا فاندفع الامرا المقدم ذكرهم قدام الجماعة التى من حزب السلطان ولم يزالوا كذلك يقالبوهم قلبه بقلبه الى وقت المغرب وقد وصلوا الى قريب العباسه وحال بينهم الليل وعاد عسكر السلطان الى موضعه وتم الامرا على نويتهم ولم يضف معهم من اصحابهم الا القليل لان اكثرهم رجعوا الى خدمة السلطان لاجل بيوتهم واقطاعاتهم وكان قد وقع من جماعة الامرا امير يعرف بابن الاكتع واخذ اسيرا واصطنعه الامير فخر الدين بن الشيخ والركن الهجاوى ومن معهم وذكروا انه فعل ذلك قاصداً لخدمة السلطان واحضر الى القاهرة وخلع عليه وابقى على خبره واما الحلقه فانهم لم يلحقوا الامرا ولم يعبروا على بلبيس بل جعلوها على يسارهم واخذوا من شرقيها صوب البريه والاميران الاسيران معهم فاتفق رايهم على ان يطلقا الاميرين المذكورين وان ينفذوا من اكابرهم خمسة رجال الى السلطان يستوثقون منه ويستحلفونه ويعودون الى اخبازهم لان الجميع ما كان بهم الا خوف على نفوسهم لا غير فجاء الاميران المذكوران والخمسة الاكابر وتحدثوا مع السلطان فى معناهم فاجاب الى مطلوبهم وخلع على الخمسة وانعم عليهم وجهزهم وسير معهم احد خدامه وهو المسمى بنان فخرجوا الى ان وصلوا الى الداروم فلم يجدوهم ولا شك انهم فى اثناء ذلك اجتمعوا بالامرا فقبلوا روسهم واخذوهم معهم وساروا فعاد الخدام والخمسة ولم يصنعوا شياً وكانت البلاد فيها قلق واضطراب وخوف واحتيط على موجود الامرا وادرهم مرة ثانية لانهم كانوا افرجوا عنهم لما توهموا رجوعهم وبعد ايام وصل الملك الناصر بن الملك المعظم الى القاهرة المحروسة فى يوم السبت التاسع عشر من بشنس الموافق للثامن من شوال سنة ست وثلثين وستماية وزينت له القاهرة ومصر والقلعه ونزل بدار الوزاره ثم انه شفع فى الامرا ورجال الحلقه وتقرر انه يسير اليهم يطيب قلوبهم ويحضرهم ووصل ابنه بعده بايام يسيرة ومازالت الزينة مستمرة بل زيدت الى ان وصل وبعد هذا بلغهم ان الملك الصالح خرج من دمشق فجمع السلطان الامرا واحضر الملك الناصر واستحلفهم انهم مطيعون مخلصون وانهم يقاتلون عنه الى ان يموتوا قدامه وهذه اليمين الرابعة ثم ان قبيلتين من العرب يقال

لاحدهما جذام والاخرى ثعلبه وكانتا باعمال الشرقية وكان بينهما دماً وضغائن قديمة فلما حضر هذا التشويش حسد بعضهم على بعض واقتتلوا مراراً وقتل بينهم جماعة كبيرة وكانت ثعلبة فى هوى ملك مصر وجذام فى هوى ملك الشام فاستنجدت ثعلبة بسنبس فجاوهم من بر العرب واستعانت جذام بمزاته وزناره فجاوهم من البحيرة وكانت ايام خوف وحرب وانقطعت الطرقات وسير السلطان جماعة من الامرا والاجناد لاصلاح ما بينهم فجروا بينهم عصى الى اجل معلوم بعدما قتل منهم ثم ابتد للناس رجل خادم يقال له شبل الدوله خادم النبى وادعى انه راى نبيهم فى النوم وقال له خذ الذمه بتغير حليهم فانهم قد خرجوا عن حدهم وشرع فى ضرب الناس والاخراق بهم من النصارى واليهود فالنصارى ناخذهم برفع الدواييب وشد الزنانير واليهود بعمل العلامه الصفرا وصار بعض الجماعة بشد الزنار ونرخى الدار به فانته الى ان قطع دوبة القس كاتب الحوايج خاناه لانه كان ارخاها وشد الزنار وكان اذا لم يجد مع واحد زناراً قطع عمامته وشد وسطه بها ونودى على ذلك بالاشهار بالقاهرة ومصر فى يوم السبت الخامس عشر من ابيب ووقع الناس من ذلك فى شدة وثقل عليهم لانه شى قد بعد عهدهم به منذ عشرين سنة واكثرهم ممن كان يمكنه القعود فى بيته لزم داره واما الحكما السامييون فامر بان لا يتعرض اليهم فبقوا على حالهم ولابد للخادم المذكور اذا لقيهم من ان يذنب ويعيرهم بالكلام واسلم بهذا السبب رجل من خيار النصارى يقال له النفه بن الشماس وكان صاحب ديوان الحوايج خاناه والبيوت والاسطبلات وديوان الحاشيه فاجتمع عليه الخدام واخذوه لشد الزنار فشده فاخذوه برفع العدبه فابى فتكاثروا عليه ولزوه فرمى الزنار فقالوا اسلم وشهدوا عليه فاسلم*وكان النصارى فى هذا الوقت فى ضيق عظيم وهوان اليم راى من لقيهم من العوام والسوقة شتمهم وسبهم ثم ان الامر تحلل فى امر العدبه فصار بعض الناس يرخيها لكن بامر استاد الدار وهم ثلثة انفس الذى رسم لهم بارخاء الدوابه مع شد الزنار ثم انهم اجتمعوا وكتبوا فتاوى واخذوا فيها خطوط الفقهاء فى امر الدوابة من العمامة فافتوا جميعهم بانه لا يلزم رفعها بل شد الزنار خا[illegible] كتب لهم بذلك الشريف شمس الدين

قاضى العسكر وهو نقيب الاشراف وبها الدين بن الحميرى خطيب القاهرة وجمال الدين بن البورى الذى كان تولى الوزارة فى ايام السلطان الملك الكامل ومبارك المعروف بابن الطباخ وبعد هذا لم يرخوها خوفاً من الخادم ثم ان النيل مد وزاد ووصل المفرد فى يوم السبت العشرين من مسرى وانحطت الاسعار وبيع القمح بعشرين درهماً الاردب ودونها والشعير بستة عشرة درهماً وبقية الحبوب بالنسبة وكان السلطان الملك العادل قد خرج الى بلبيس بعساكره وجنوده لما بلغه ان اخاه الملك الصالح قد تقدم من بلبيس واصلا اليه ورحل نزل الى العباسه وكان بعض الجماعة قد سعى سعياً نافعاً في امر ارخا الدوابه من العمامة فرسم بارخايها بشرط شد الزنار وارخا اكثر الناس ووفى النيل المبارك فى يوم السبت العشرين من مسرى وكان السلطان الملك العادل قد دخل المدينة لاجل الخلوق فلما كان يوم الخلوق اتفق ان الخادم المشار اليه كان فى البحر واتفق ان قوماً من النصارى كانوا فى مركب فى البحر وفيهم من هو مشدود الزنار ومن هو بغير الزنار فعرفهم الخادم والصق اليهم وحملهم الى الامير جمال الدين استاذ الدار فسيرهم الى المحتسب بمصر فحمل الامر على انهم جميعاً بغير زنار فضربوا واشهروا مصر كلها وكانت قضية شديدة على النصارى وتمكن العوام منهم وكانت بدعة عظيمة وكان هذا حكماً من الله تعالى الواحده فى ترك الزنار واخفا المذهب واخرى ان الجماعة المذكورة كانوا شمامسة والشمامسة لا ينبغى لهم ان يشهدوا هذه المشاهدة ولا يحضروا مواضع الملاعب ولا المجامع الخارجة عن المذهب المسيحى الا انهم صبروا وشكروا وحسب ذلك لهم براً ثم ان السلطان فى حال دخوله الى القاهرة بلغه ان العسكر اضطرب عليه وانه صار فرقاً فخرج على حاله وامسك ثلثة امراً احدهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ وليس فى الامرا اكبر منه والاخر فتح الدين سليمان ابن اخى الشهاب احمد وكان اخص من عنده هذا السلطان وقد اعطاه الله حمله كبيره والثالث زين الدين غار فاما ابن الشيخ فخر الدين فجعل فى برج بالقلعة وهذا البرج الذى كان فيه صاحب امد واما الاثنان الاخران فنزل بهما الى الجب الذى بالقلعة وكان الناس فى هذه الايام فى وجل وتوقع وشا[illegible] قد توسط سعرها فكان القمح اغلاه

بثلاثين درهماً الاردب ودونه بعشرين درهماً الاردب والشعير والفول بتسعة عشر درهماً الاردب والحمص باربعين درهماً الاردب الا ان كل شيء غال من المأكول والمشروب والملبوس والعدد والالات العمارة وغيرها وساير الماكولات غالية السعر والنبيذ باربعة دراهم نقره الجره والشمع بثمانية دراهم ونصف الرطل ولم يكون فى المدينتين شيء رخيصاً سوى السكر فانه كان بدرهم ونصف الرطل وهو رخيص بالنسبة لغيره من الاصناف ثم ان العربان كانوا قد طمعوا وصاروا يغارون على البلاد فيأخذون كل ما فيها ويقتلون ويسبون وفى هذه الايام غاروا على خمسة وعشرين بلداً فى الغربية فجرد لهم السلطان اميراً يقال له الفارس خطلباً ومعه الف فارس اقسه وحراريق فى البحر فمضوا الى العربان فوجدوهم قد طلعوا الى البرية وفاتوهم فجاوا الى البلاد فصاروا يدعون انهم بنون العربان فصاروا ينهبون اموال الناس وياخذون نساهم وداريهم على انهم اهالى العربان وليس الامر كذلك فخربت البلاد خراباً ثانياً وجاء اهل البلاد وقفوا للسلطان فأمر برد ما اخذ منهم اليهم وبقوا فى حيره ممن ياخذون ولمن يطلبون وقد جرى على حرمهم مالا يعلمونه الا ان النيل زايد والاحوال متماسكة ثم دخلت سنة ست وخمسين وتسعمايه والبطريرك انبا كيرلس المعروف بداود بن لقلق وهو الخامس والسبعون والسلطان الملك العادل ابو بكر بن الملك الكامل محمد والقاضى شرف الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة والغالب على الامور السلطانيه بدر الدين يونس امير حندار وكان السلطان قد خرج الي العباسه بالعساكر والجنود وبلغ النيل خمسة عشر اصبعا من ثمانى عشر ذراعاً ثم ان رجال الحلقة الذين كانوا نافقوا وتوجهوا الى الشام الى خدمة الملك الصالح اخى السلطان كاتبوا السلطان الملك العادل وسيروا نقابهم يعرفونه ان قصة حرب لاخيه اوجبت له ان سير يطلب العسكر الذى على غزه مع عميه مجبر الدين وتقى الدين فانهم امتنعوا من الرواح معهم ويستاذنوه فى المجيء ويطلبون عسكراً يمضى الى غزه يتسلمها لان اولئك تركوا وذهبوا فخلع السلطان على رسلهم وكانوا منهم وعطاهم الهبات والصلات فصاروا يتواصلون من [illegible] عليه ويعطى الصلة الى ان تكاملوا وكان

الملك الناصر ابن المعظم وهو ابن عم السلطان قد اخذ عسكراً زها الف فارس وفيهم امرا مقدمون مثل ابن قلج وغيره ومضى الى الكرك قلعته وفى اثنا ذلك عمل الملك الصالح اسماعيل الذى هو اخو الكامل الذى كان نايب الملك الاشرف فى دمشق ولما مات الملك الاشرف خرج الملك الكامل الى دمشق اخذها منه واعطاه بعلبك مع بسري لانها كانت له فعمل على دمشق مع روسايها لانه كان محبوباً منهم وكان فى القلعة ابن الملك الصالح ايوب بن الكامل وكان الملك الصالح المذكور فى نابلس قد رابطها ومكث بها والامراء الذين جاوا اليه فسلم روساء دمشق المدينة المذكورة الى الملك الصالح ايوب بن الكامل وكان الملك الصالح المذكور فى نابلس قد رابطها ومكث بها والامراء الذيين جاوا اليه فسلم روساء دمشق المدينة المذكورة الى الملك الصالح اسماعيل الذى كان عندهم اولا وخرج ابن الملك الصالح ايوب وهو ابن ابن اخيه من القلعة هارباً وقعد الملك الصالح اسماعيل بدمشق وجاءت البشاير الى العباسية الى السلطان الملك العادل بذلك ودقت البشاير فى العسكر بذلك وفى القاهرة ومصر والقلعة وزينت المدينتان والقلعة مدة ايام كثيرة وانفض العسكر الذى كان مع الملك الصالح حتى انه لم يبق معه الا خواصه وحتى كادت العرب تنهبه فاستجار بالملك الناصر صاحب الكرك فاجاره وحمل اليه الازواد والاقامات ثم حمله الى الكرك فاقام بها لانه ابن عمه ثم ان الافرنج لما انفضت ايام الهدنه اخلوا القدس الشريف حتى لم يبق به سوى فارس واحد وسبعين راجلاً يعمروا فى برج داود ثم ان السلطان جرد زهاء الفى فارس من عدة امرا وسيرهم الى غزة لحفظ البلاد وكان الافرنج قد خرجوا الى عسقلان ونزولها وقصدوا عمارتها فركبوا وتجمعوا وجاوا الى قريبا فتواقعوا مع عسكر المسلمين الذى كان على غزه فكسروهم من اول النهار الى الظهر ثم تحايا عسكر المسلمين على عادتهم وقد تعب راجل الافرنج فكروا عليهم فاسروا منهم جماعة وكان الافرنج ايضاً قد قتلوا من المسلمين جماعة واسروا جماعة منهم امراء ومقدمون فتكافات القبيلتان واما السلطان فعاد ببقية العساكر الى القاهرة ثم خرج الى الصيد بعد ان امر ان يوخذ موجود الامرا الذين نافقوا ونهب دورهم ومن كان لهم عنده شي يوخذ منه وصار الناس

يكذبون بعضهم على بعض ووقع الناس من ذلك فى شدة شديدة وطلبوا بما لا عندهم ومنهم من غرم ومنهم من حبس واما الاسعار فانها رخصت وانحلت ورجع كل شى الى حده ما خلا الزيت الطيب والزيت الحار والسيرج واللحم والدجاج والبيض والحمص والجلبان فانها كانت الزيت الطيب لاجل انقطاع الطرق بثلثة دراهم الرطل والزيت الحار بدرهم وربع الرطل والسيرج بدرهم ونصف واللحم بدرهم ونصف والدجاج بدرهمين الدجاجة والحمص بخمسين درهما الاردب والجلبان بخمسة وعشرين درهماً والشمع بثمانية دراهم ونصف الرطل والعسل والنحل بدرهمين الرطل لان النحل جميعه هلك فى هذه السنة واما القمح فانه انحط الى خمسة عشر درهما الاردب والشعير الى تسعة دراهم الاردب ثم بعد ذلك انحلت الوقعة بين المسلمين والافرنج على ان الكسرة للمسلمين على الافرنج وذلك ان الذين خرجوا مع الافرنج كانوا من العرب الذين لا يعرفون مكان البلاد ولا ختال المسلمين فى القتال ولا حيلهم فسافروا وتفرقوا وامعنوا فى البلاد لانهم ساقوا من عسقلان الى غزه ولم يصحبهم احد من الساحليه المتدربين بالبلاد بل تركوهم طعمة على جارى عادتهم فى المخامرة والمواطاه مع عدوهم على اهل مذهبهم وكان المسلمون قد اندفعوا قدامهم واستجروهم الى ان طمعوا وتفرقوا واحدقت بهم العربان من كل جانب فاخذ منهم كند كبير وزها خمسة عشر فارساً ومن الرجاله ما يناهز خمس ماية رجل وقتل اضعافهم ولم يقتل من عسكر المسلمين سوى ابن خلكان ومن لا يبعا بن ووصل الاسرى المذكورون الى القاهرة وكان يوم وصلوهم يوماً مشهوداً وركب الكند والخيال البغال والرجاله الجمال وكان معهم قسيس فركب بغلة ايضاً ثم ان السلطان احسن الى الكند فلم يقيده بل تركه فى برج وحده واطلق له كلما يحتاج اليه واما القسيس والخياله فجعلوا فى ارجلهم قيوداً بطوق حديد واما الرجاله فقيدوهم واستعملوهم فى القلعة ونزل الملك الناصر صاحب الكرك الى القدس بعد هذه الكسرة وتسلمه وقتل كل من كان بقى فيه من الافرنج وخطب فيه خطبة عظيمة على حكم القرآن وبقى الملك الصالح بن الملك الكامل معافاً عند ابن عمه هذا الملك الناصر بالكرك وكانت الاحوال مضطربه ورجع الخوارزميه عدوا الفرات وجاءوا الى حمص

حاصروها اياماً وخربوا بلادها واخذوا من صاحبها مالا ورجعوا والعربان بالصعيد على حالهم فى الشقاق والنفاق بحجة ما بين بعضهم البعض ثم ان الغلة رجعت تحركت وبلغ القمح ثلثين درهماً الاردب العال الغاية والشعير ثلثة عشر درهماً الاردب ولم يكن فى هذه الايام شيء رخيصاً لا غله ولا غيرها ولا ملبوس ولا عدة لان الاجناد كانوا قد امتلأوا من عطايا السلطان وغلوا كل شيء وفسد فى هذه السنة اكثر نبيذ الناس حتى انه لا يوجد بيت لم يفسد فيه نبيذ خمراً كان او شمسياً ثم ان الراهب عماد المرشاد الذى كان سعى فى تقدمه البطرك بالرشى وداس قوانين البيعة وفعل ذلك وحده من غير رأى احد اشترك معه فيه لا اسقف ولا ارخن واوقع الله بينهما العداوة لان القصد كان فاسداً فصار البطرك يضطهده فى كل موضع ويمنعه لانه كان قساً وكان هو يتصدى عبرات البطرك ويتتبع نقايضه ويقاومه فى كل زمان ويروم قطعه كما تقدم من الشرح فجاء فى هذا الوقت وتسبب الى ان استخرج امر السلطان الى امير من الامرا يقال له الصارم المسعودى بانْ ينظر فى أمر البطرك ويعقد له مجلساً مع النصارى بحضور ادة المسلمين وقضايهم وحكامهم وعدو لهم فشرع فى ذلك وكان البطرك قد طلع الى الكنيسة المعلقة بمُصر ليكرز راهبه بها وكان له زمن كبير ما طلع اليها منذ خرج منها لما استولى المسلمون على قطر منها بسبب ما جرى بينه وبينهم من التفاقم ولاجل النظرة التى حددها وكانت قد دبرت على ما قدم من القول فلما ابدل وخرج الى وسط الكنيسة والشمع قدامه والكهنة يمدحونه على جارى عادته وكان هناك رجل مخبل يعرف باسرائيل بن المهندس مقيماً فى علو الكنيسة فلما سمع بذلك جاء الى موضع يشرف على المكان الذى فيه الجماعة وسب وذكر قبايح وقال اخرجوه اخرجوه وعمل ما لا يسوغ عقلاً الا انه عادم العقل فاحتد بعض الجماعة وطلعوا اليه فضربوه وشجوا راسه وجرى دمه على ثيابه فخرج مستغيثاً الى والى الصناعة وهو من مماليك السلطان فوافا الراهب عماد عنده قد جا بامر من عند الامير الصارم يطلب البطرك فطلع البطرك ومعه التوكيل ووكل على ابن اخيه والخازن الذى له ويعرف بابى الفرج بن خلبوصى وجاؤا بالبطرك الى دار الامير الصارم ومعه المطفان انبا يوساب اسقف فوه وانبا بولس

اسقف الفيوم فانزلوهم فى طبقة بجانب ادر الامير المذكور وكان له صاحب نصرانى يعرف بالنجيب كاتب الصلاح فتحدث مع الامير ونقلهم الى داره واقاموا كذلك من يوم الاحد السادس من الصوم المقدس الى يوم الاربعا من الجمعة السابعة وهو التاسع من برموده من السنة المذكورة فعقد المجلس فى اليوم المذكور واحضر جماعة من وجوه النصارى ممن طلب وفيمن طلب من لم يحضر منهم لقصد ومنهم لشغل وحضر المجلس المذكور الامير الصارم نيابة عن السلطان عز نصره والقاضى الفقيه جمال الدين بن البورى الناظر على الدواوين المعمورة بالديار المصرية والقاضى المحى نائب الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة والفقيه شرف الدين السبكى المحتسب بها وهو كان المتكلم فى المجلس واربعة عشر عدلاً على ما ذكر من حضر من النفقات من اصحابنا فتقدم البطرك وعماد وجلسا قدام صدور المجلس فقالوا من كان له قول او دعوى يدعى بها على صاحبه فليقل فتقدم عماد وقال ادعى على هذا داود بانه اعطى الرشا على التقدمة واخذها على من قدمه من رتب الكهنوت وهو خارج عن شعنا فقالوا للبطرك ما تقول قال ما اخذت قال عماد ولا امرت من خذ لك قال ولا امرت من اخذ لى قالوا فمن لك يشهد بالاخذ يقولون لعماد قال هذا الاسقفان فقالا ما نشهد بشىء ولا رأينا شيئاً لانهما الاخرين ممن كان دفع الرشوة عند تقدمته لانه لم يكن فيمن تقدم من هولاء الاساقفة كلهم الذين قدموا فى زمان هذا البطرك من لم يعط رشوة سوى اثنان وهما مطران دمياط واسقف الخندق لا غير والباقون جميعهم اعطوا معجلاً وموجلاً وكتبوا خطوطهم بالمؤجل حتى خرجوا الى كراسيهم حيوه وستروه وكانت رشوتهم من مائتى دينار وهم الاكثر الى خمسين ديناراً وهم الاقل وذلك خارج عما يدفع لابن اخى البطرك وهو حمله لها حسد وعن الهدايا من المتاع والدواب وغير ذلك من اللاصنام المخصوصة بصقع صقع فقيل لعماد من لك يشرب غير هذين فقال هولاء قسوس المعلقة فاستدعى القس ابو المكارم لانه الكبير كان طقساً وسناً فقام فقل له ما تشهد فتلكا واخر الامر قال اخذ للضرورة وخجل فقيل اقعد فقعد واستدعى المكنا بصندوق العلم القس ابو المعالى ... هذا البطرك اعطى الرشا على الكهنوت

واخذها لنفسه ممن قدمه ثم قعد ثم بدأوا براهب يعرف بانبا ميخاييل وكان قبل رهبنته يعرف بفخر الدوله مرجا وهو كان مساكن هذا البطرك مدة ثلثة عشر سنة فقام فقالوا بماذا تشهد فقال اشهد ان هذا البطرك اخذ الرشى على الشرطونيه واعطاها فقال البطرك هذا راهب مجرد ما يقبل قوله على وقد كان البطرك لما استدعى القسوس للشهادة عليه قال ما يقبل قولهم على قيل له فهم عدول قال عدول الا على لان البطرك لا يقبل فيه الا قول الاساقفة قالوا اكتب لانهم كلما جرى شى سطروه على نصه فكتبوا كلما جرى ثم بعد ذلك قال الحكام للبطرك فان شهد عليك الاساقفة قال ان شهد على اسقفان انى اخذت رشوة على من قدمته فى رتبة من رتب الكهنوت او امرت من اخذها كنت مقطوعاً من كهنوتى فقال الراهب تحلف فقال البطرك انا ما يمكنى ان احلف لان البطارقة اذا حلفوا سقطوا من رتبتهم قالوا له فان ادعى عليك مدع بما ليس عندك كنت تقر ولا تحلف قال كنت اما اخسر واما احبس ولا احلف فتقرت القاعدة على انه لا يحلف بمال من الاحوال قال فيقسم بنعمة السلطان خلد الله ملكه انه ان شهد عليك اسقفان بانه اخذ رشوة على تقدمة او اذن لمن اخذها كان مقطوعاً من كهنوته فسطروا ذلك ثم قال الحكام لعماد هلل من دعوى اخرى قال نعم هذا داود قدم على القدس وبلاد الافرنج مطراناً اخرج القبط عن اعتقاداتهم ومنعهم من الختان وزيجة القرايب وصارت كتب الافرنج تاتى اليه وكتبه تمضى اليهم وهذا لم تجريه عادة.فقال البطرك انا ما قدمته الا على غزه لا غير فان كان قد تعدى الى غيرها فما امرته بذلك فقيل له فهل فعل هذا من تقدمك قال لهم هناك قسوس قال عماد كانت القسوس لما كان القدس بيد المسلمين وانت عملت هذا مطراناً والقدس بيد الافرنج والمطران غير القسوس وها هنا من يشهد بان هذا المطران تجول الى بلاد الافرنجيه بامرك وقد صار اعتقاده اعتقادهم فقالوا من هو فاستدعى القس الراهب غبريال بن القس مكارم بن كليل فقام وشهد بانه فارقه بعكا فسطروا ذلك ثم قل هل من دعوى اخرى فقام عماد وقال نعم اخذ رجللاً مسلماً يعرف بابى الفخر القلا لانه كان يبيع القلى الذى يبيض به الكتان و[illegible] يشهد واستمسك فمسك ولم يشهد عليه احد

بهذه فكتبوا ذلك جميعه عل يانهم يوقفون عليه السلطان ويستخرجون امره بما يعتمدونه فيه وجرى ذكر اوقاف الكنايس وانه يتسلم ريعها ولا يوصل ارباب الوقف الى شيء منها وزاد الحديث فيها ونقص وكتب الفصل الاخر وانفض المجلس والمسلمون غير شاكرين للنصارى ولا لمقدمهم اما مقدمهم فكيف لم يكن عنده رياضة الى ان يسوس عقولهم ويولف قلوبهم له واما النصارى فكيف وصلوا مع مقدمهم الى هذا الحد واما العقلا من النصارى فما رضوا بهذا المجلس ولا استحسنوا ما جريي فيه وقالوا كان من الواجب ان يجتمع الاساقفة والاراخنة ويجتمعون بالبطرك ويعزلوه فيما بينهم على كل ما يكرهونه منه مما يخالف شريعتهم وينافى احكامهم فان رجع عن ذلك فهو المقصود وان اصر عليه كان لهم ان لا يتبعوه ولا يذكروه فى قداساتهم بحيث يتفق على ذلك جمهورتهم وجلتم وبعد ذلك انقطع الحديث ولم يظهر لذلك المسطور اثر ولا وقف له على خبر ورفع الترسم عن البطرك واصحابه ويقال انه غرم فى هذه النوبة ثلثماية دينار فاما عماد فانه لما راى انه لم ينعمل له شيء خرج من ساعته من دار الامير الصارم ولحق البطرك الى المواضع الذى كان فيه ولازمه وما كان جرى منه شيء وكان البطرك قد سير الى الاساقفة بان يحضروا لعقد المجلس معتقداً انه يتاخر الى ان يحضروا فوصلوا الى قليوب بعد المجلس فى يوم سبت العازر وكتب البطرك اليهم بان يرجعوا الى كراسيهم وان الله قد اغنى عن ازعاجهم وان الدايرة كانت على من عانده ووافقه فرجعوا لان طلبهم ما كان الا من جهته لا غير وكان فيهم على ما ذكر من يريد ان يشهد عليه باخذ الرشى وانما وجدوا سبيلا ولا صادقوا محلاً وبقى البطرك لا هو طيب مع الجماعة ولا هم طيبون معه لا ظاهراً ولا باطناً ثم ان البطرك مضى فى عيد الزيتونه الى كنيسة بوجرج الحمرا وكان مقيماً بها شيخ ارخن يعرف بالصنيعة اخى السنى وهو مستوفى ديوان الخزانه المعمورة الذى الدواوين كلها راجعة الليه وكان قصد البطرك اصلاح قلبه لانه كان رجلاً عالماً عاقلاً نافذ الكلمة خالياً من الهوى فبات عنده ليلة الزيتونة وكتب له خطة بان يسلم الاوقاف التى للكنايس لرجل جيد ممن تختاره الجماعة [illegible] الكنايس ووقودها وقرابينها ومهما فضل

فرق على المساكين وليس له فى ذلك الا النظر لا غير ولا يتسلم منه درهماً وانه يقيم على مصر اسقفاً وكذلك على الخندق وكذلك ساير الكراسى الخالية ممن ترتضيه الجماعة ويشهد بصلاحته وانه يقيم بمصر معلماً وبالقاهرة معلماً ليعلم الناس ما يشذ عنهم ويفسر لهم ما يشكل عليهم ويحرر الكتب والتفاسير بحيث انه لا يقف على من يقراها منها شى وانه اى ديراً اراد اربابه ان يكون تحت نظر اسقف ذلك الكرسى الذى ذلك الدير فيه جعل نظره عليه بشرط ان يحمل دياريه الدير المذكوور اليه واشياء من هذا الجنس كثيرة منها انه يجعل معه اسقفين يكونان حاضرين للاحكام والتصرفات كلها ولا يبت امراً من دونهما فاخذ الشيخ السنى الراهب لانه كان مقيما بها فاوقفه عليه وكان معه جماعة من الكهنة والاراخنة فما رضى به وقال ان اقدم اسقفاً على مصر فما تكون كنيسة بو سرجه له واريده ان يكتب نسخة هذا الكتاب واخرج نسخة كتاب بخط انبا يوحنا ابن ابى غالب المتنيح وفيه شرح الامانة والبركة من المجمع الرابع وفصول كثيرة فى امر الختان وتربية الشعر وما يجرى مجرى ذلك فقال الشيخ الصنيعة يكتب هذا الكتاب وما فيه شى ردى قال واريد ان يكتب بانه يصرف الرهبان فى المدن والريف وان لا يرجع يكلل عروساً فى يوم رفاع نينوى ولا الرفاع الكبير لاجل دخول الاصوام عليهم وان يعمر كنيسة المعلقة ودير بو مقار وأشيا مثل هذه الامور فاخذ بها الشيخ الصنيعة نسخة وضمن انه يفعلها وتوجه وكان هذا فى يوم احد الزيتونة وبعد ذلك خرج الامر بهدم دار الامير نور الدين بن الامير فخر الدين عثمان التى بدار الدياج وهو مقدم الامرا الذين كانوا نافقوا وراحوا الى الشام الى الملك الصالح اسمعيل فى العام الماضى فشرع فى هدمها فى العشر الاوسط من برموده من السنة المذكورة وهم بهدف دار بن الشيخ الاخرى التى فى درب ملوخيه ولم يفعل ذلك بل ان رخامها وسلاحها قلع وحمل الى القلعة المحروسة ووصلت فى هذه الايام رسل امير المومنين خليفة العصر المقيم ببغداد بالجامع وتقليده الوزارة للسلطان الملك العادل اعز الله نصره ومعهم رسول السلطان المشار اليه الذى كان سيره الى هناك من مدة ولبسها السلطان فى يوم الجمعة

وكان يوم الصلبوت العظيم الثامن عشر من برموده من هذه السنة وطلع الى قلعته المحروسة وكان يوم مشهوداً وخرجت الطوايف كلها فى خدمته ،، النصارى وبطركهم وغيرهم وفى يوم الاربعا الثالث والعشرين من برموده المذكور ركب ولد السلطان المذكور بخلع الخليفة بولايته العهد بعد ابيه وكان طفلاً صغيراً مقدار عمره ثلاث سنين الى ما حولها وكان وراه خادم راكباً والخلع كانت سوداً كلها لان هذا شعار الدولة العباسية ورنكها وكان يوماً مشهوداً الا انه دون اليوم الاول لان السلطان الكبير ما ركب ولا رسل الديوان بل الامراء يمشون فى ركابه وبعد هذا انتبه البطرك رجل قس يعرف بالمكين اى البها من اهل منية عمر وهو كان من اصحاب البطرك وكان يمشى له فى جباية الوجه البحرى وكان البطرك قدمه قساً على تغر الاسكندرية وكان قد حصل له غيظ من البطرك لاجل ماا يراه من اقواله واحكامه وتصرفته فمضى الى الصارم المسعودى الذى تولى الامر أولاً وقال له ان البطرك يقول انك اخذت منه مالا وتركته وان السلطان اذا بلغه هذا لم نامن منه والمجلس ما انفصل الا مقروفاً بحضور الاساقفة وشهادتهم وقد وصلت الاساقفة الى قليوب وردهم البطرك يكتبه واغراه بالطرك واخرجه الى ان رجع سيراً حضر البطرك ووكل به واقعده فى كنسة حارة زويلة واحضر بن اخيه ابا سعيد ووكيله ابا الفرج بن خلبوص وكاتبه القس سمعان وحبسهم وسير احضر انبا يوساب اسقف فوه لانهم اخرجوا خطه على البطرك لفصول تحققها ف جهته كان كتبها ايام مخاصمته معه لما اخذ منه الضيعة المعروفة بدبدبه فحبس الاخر معهم وسير الصارم كتبه الى الاساقفة بان يحضروا فحضر منهم احدى عشر اسقفاً وفيهم من كتب خطة تسعة وهم انبا يونس اسقف سمنود وانبا مرقس اسقف طلخا وانبا يونس اسقف بنها ونبا يونس اسقف لقانه وانبا مخاييل اسقف ادمون وانبا غبريال اسقف سنهور وانبا ميخاييل اسقف سنشا وانبا افرهام اسقف نستراو وانبا مرقس اسقف سنجار ومنهم من لاحظه اثنان وهما اسقف فوه واسقف اشموم وكتبوا جميعهم خطوطهم بان البطرك [illegible] ومنهم من كتب انه دخل تحت المنع

وكان يوم الصلبوت العظيم الثامن عشر من برموده من هذه السنة وطلع الى قلعته المحروسة وكان يوم مشهوداً وخرجت الطوايف كلها فى خدمته ،، النصارى وبطركهم وغيرهم وفى يوم الاربعا الثالث والعشرين من برموده المذكور ركب ولد السلطان المذكور بخلع الخليفة بولايته العهد بعد ابيه وكان طفلاً صغيراً مقدار عمره ثلاث سنين الى ما حولها وكان وراه خادم راكباً والخلع كانت سوداً كلها لان هذا شعار الدولة العباسية ورنكها وكان يوماً مشهوداً الا انه دون اليوم الاول لان السلطان الكبير ما ركب ولا رسل الديوان بل الامراء يمشون فى ركابه وبعد هذا انتبه البطرك رجل قس يعرف بالمكين اى البها من اهل منية عمر وهو كان من اصحاب البطرك وكان يمشى له فى جباية الوجه البحرى وكان البطرك قدمه قساً على تغر الاسكندرية وكان قد حصل له غيظ من البطرك لاجل ماا يراه من اقواله واحكامه وتصرفته فمضى الى الصارم المسعودى الذى تولى الامر أولاً وقال له ان البطرك يقول انك اخذت منه مالا وتركته وان السلطان اذا بلغه هذا لم نامن منه والمجلس ما انفصل الا مقروفاً بحضور الاساقفة وشهادتهم وقد وصلت الاساقفة الى قليوب وردهم البطرك يكتبه واغراه بالطرك واخرجه الى ان رجع سيراً حضر البطرك ووكل به واقعده فى كنسة حارة زويلة واحضر بن اخيه ابا سعيد ووكيله ابا الفرج بن خلبوص وكاتبه القس سمعان وحبسهم وسير احضر انبا يوساب اسقف فوه لانهم اخرجوا خطه على* البطرك لفصول تحققها ف جهته كان كتبها ايام مخاصمته معه لما اخذ منه الضيعة المعروفة بدبدبه فحبس الاخر معهم وسير الصارم كتبه الى الاساقفة بان يحضروا فحضر منهم احدى عشر اسقفاً وفيهم من كتب خطة تسعة وهم انبا يونس اسقف سمنود وانبا مرقس اسقف طلخا وانبا يونس اسقف بنها ونبا يونس اسقف لقانه وانبا مخاييل اسقف ادمون وانبا غبريال اسقف سنهور وانبا ميخاييل اسقف سنشا وانبا افرهام اسقف نستراو وانبا مرقس اسقف سنجار ومنهم من لاحظه اثنان وهما اسقف فوه واسقف اشموم وكتبوا جميعهم خطوطهم بان البطرك اخذ الرشى على رتب الكهنوت واعطاهم ومنهم من كتب انه دخل تحت المنع

لانه كتب خطه بشروطه وخرج عنها ولم يبق من لم يكتب خطه منهم الا مطران دمياط واسقف اشمون فانهما لم يوافقا على شيء من ذلك وجرت مفاوضات بين البطرك وبين هذا الق وعدد له اشيا منها انه منع اسقف الخندق على اخذ ستة دنانير فى ثمن تربه بدير الخندق ثم اخذها منه لنفسه وانه حكم على امراه بان ترد المهر لمالكها مضاعفاً لما اراد الرهبنة ثم خالف الحكم فى غيرها وانه كرز اولاد العبي كهنة واشيا يطول شرحها وشرح ذكرها وكان يقول انا ما افعل هذا الا من شان الله ولالج صلاح كنيسة الله ومازال الحال يتردد والشناءن تتأكد وكتب كاتب البطرك خطه مفصلاً بالاسماء بان الذي وصل الى البطرك من رشى الكهنوت وما يجرى مجراها انها سبعة عشر الف دينار وقيل خمسة عشر الف دينار وكسور ثم ان الشيخ النى المقدم ذكره كان من المساعدين للقس ابى اليها لانه كان يرى ذلك من اسباب البر وانواع الاجر فارسل اليه وطلب منه بان يكتب خطه بنسخه كتاب وجد بخط انبا بولس بن ابى غالب الذى كان قبل هذا البطرك قد كتبته فى اول بطركيته بامانته الارثدكسيه ويقطع من ياخذ شيا من الرشى على رتبة من رتب الكهنوت او يعطيها وابوابا من الاحكام والبراه من مجمع خلقدونيه فكتب بالجميع بخط كاتبه وكتب خطه عليه بانه صادر عنه وانه قابل بما فيه وقابل له فقال الشيخ المذكور ما يكتب الجميع الا بخطه ويضيف اليه انه لا يقدم اولاد الرواجع ولا يدخل امراه الى الكنيسة الا بعد نقاها من الحيض بخمسة ايام فكتب الجميع بخطه وكتب الزيادة التى زادها ثم ان السلطان حضره الامر على الخروج فخرج الى بلبيس وخرج معه الامير الصارم واقفل ذلك المجلس واجتمع الاساقفة بالبطرك واتلوا عذرهم ولم يقل لهم كلمة الا ان خطوطهم بما كانوا كتبوا به قد صارت بايدى الناس نسخاً عده ومن بعد خروج السلطان الملك العادل الى بلبيس اجمع العساكر على امساكه وان يرسلوا الى اخيه الملك الصالح بان ياتى ويتسلم المملكة فاجتمع فى ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الجمعة التاسع من ذى القعدة سنة ست وثلثين وستماية للهلالية الموافق لسابع عشر برموده من هذه السنة وكان الذين اجتمعوا رجال الحلقة

ومقدموهم ثلثة من الخدام شمس الخواص مسرور وشبل الدولة كافور والصفى جوهر النوبى والاشرفية وكان مقدمهم مملوكاً يعرف بابيك الاسمر وداروا حول خيمة السلطان ملبسين الزرد والعدد من العشا الى بكره فلما صبح النهار عبوا اليه اخرجوه وجعلوه فى خركاه فى خيمة لطيفة ووكلوا به من رجال الحلقة من يحفظه ليلا ونهاراً ثم داروا على وطاقات ساير الامراء من الاكراد والمولدين فنهبوها ونهبت ادر كثيرة فى مدينة بلبيس ونهبت الكتاب والحكما والمغنون والسوقه وكانت نوبة عظيمة الا انها لم يسفك فيها دم ثم عادوا الى اصحاب الملك العادل الخواص فاوقعوا الحوطة عليهم وعلى موجودهم وكتبوا الى السلطان الملك الصالح العادل الخواص فاوقعوا الحوطة عليهم وعلى موجودهم وكتبوا الى السلطان الملك الصالح ايوب بان يحضر فوصل رسولهم اليه وهو بالقدس عازم على العود الى الكرك لانه كان قد عجز عن المقام على غزه لان عسكر مصر قدامه ومن ورايه الافرنج ومعهم صاحب دمشق وكانت نية الملك الناصر بن عمه انهم اذا رجعوا الي الكرك اوقع عليهم الحوطة كما كانت اولا فجاه الفرج بل الملك من حيث لا يحتسب وركب وجاء الى العسكر ببلبيس فوصل يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة سنة سبع وثلثين وستماية الموافق للسابع عشر من بوونه واعطى المقدمين الاموال الجزيلة وخلع عليهم وعبر الى القاهرة المحروسة فى نهار يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة المذكورة الموافق للحادى والعشين من بوونه شق المدينة وطلع الى القلعة المحروسة وعزل الامير جمال الدين بن بعور من الاستاذ داريه وولاه ثغر الاسكندرية وعزل بدر الدين يونس من الامير جنداريه وولاه القاهرة المحروسة واستخدم المعين بن الشيخ وزيره وسلم اليه الاشغال وجرد عسكراً الى الصعيد بسبب العربان وقدم عليهم الامير زين الدين بن ابى ذكرى وكان فيهم الامراء والاشراف وعدة امرا وجماعة من الحلقة يزيدون عن الف فارس ثم ان جماعة من النصارى تنجزوا التوقيع على رقعة منهم بان تعاد الكنيسة المعلقة الى ما كانت عليه وجاوا الى الوالى شاوروه فامرهم بذلك [illegible] الابواب التى كان المسلمون فتحوها وعملوا على

انهم قد تصرفوا فيه وكان لهم ضد يقال له بن حوله وهو الموذن فى المكان فجا الى المواضع التى قد سدت فتحها وردها الى ما كانت عليه وطلع الى الفقيه عباس خطيب القلعة فحمله فى القضية وقال له ان هذا مسجداص وقد تغلب عليه النصارى واضافوه الى كنيستهم فاخذ ذاك معه علم الدين شمايل امير جندار وجا الى الكنيسة وحضر معهم من عوام المسلمين جموع لا تحصى وحضر معهم المهندسون وما قدروا ان يقولوا الحق الذى يعرفونه لاجل الجمع وخرجوا على انهم يعرفون السلطان الذى قد راوه وكان هذا يوم الخميس فلما كان يوم الجمعة وقت الصلاة ووقف فى وسط الجامع وقال يا مسلمين من كان اسلام وحميد فى مذهبه يحض نهار غداً الى الكنيسة المعلقة واصبحوا طلعوا اليها وكسروا قناديها وحجب هياكلها واخذا كل انية كانت فيها وقيل انهم وجدوا تحت هيكل من الهياكل انية قدمة من الايام المزمنة لم يكن احد يعمل بها من اهل هذا الزمان ولها قيمة كبيرة وجازوا من ناحية هيكل ساويرس وصار ذلك الجانب الغربى جميعه فى حوزهم وبقيت الكنيسة مغلقة لا يقدس فيها ولا يصلى واما الملك العادل فان اخاه الملك الصالح طلع به الى القلعة وجعله فى موضع لا يصل اليه احد ولا رجع احد يبصره وبقى النصارى مذبذبين بالطلوع الى القلعة والوقوف للسلطان ولم ينعمل لهم شىء ودخلت سنة سبع وخمسين وتسع مايه فى يوم الاربعاء التاسع بالعدد من صفر سنة سبع وثلاثين وستماية بالعربية والسلطان الملك الصالح ايوب والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بن عين الدولة الاسكندرانى ووالى القاهرة بدر الدين يونس الذى كان قتل امير جندار ووالى مصر عز الدين محمد بن امراة الشهاب احمد والبطريرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق وانتهت زيادة الماء فيه الى ثلثة وعشرين اصبعا من سبعة عشر ذراعاً وكان الماء قد توقف زيادته من عيد الصليب وقلق الناس لذلك وبلغ القمح ثلثين درهماً الاردب والشعير عشرين والفول سبعة عشر والبرسيم ستين درهماً الاردب ورجع زاد اصبعان فانحل السعر قليلاً واطمأن الناس وورد [illegible] قد خرجوا الي نابلس والغور وجاوا الى

غزة نزلوها واخذوا القدس الشريف وشرعوا فى عمارة عسقلان وان ذلك بموافقة الملك الصالح غازى صاحب دمشق عم السلطان وانه اعطاهم رهانيه على انه موافقهم ومعاضدهم وجرد السلطان زهاء اربعة الاف فارس ليمضوا الى غزه وخرجوا وبرزوا الى بلبيس ثم ان النصارى رجعوا الى ماكانوا عليه من منازعة البطريرك ورفع بعضهم قصة الى السلطان بانه يتعمد مالا ينبغى ويخرج عن الشرع وان فى جهته للسلطان جملة كبيرة اخذها على اسمه وانه ان حضر الاساقفة وعقد له مجلساً تحققت فى جهته فرسم باحضار الاساقفة من الوجهين البحرى والقبلى ورسم على البطرك وبقى فى كنيسة حارة زويله على جارى العادة ثم عقد المجلس بين يدى المعين الوزير وكان المخاطب له الشيخ السنى الراهب وانبا بطرس واسقف فوه المعروف قبل رهبنته بالفقه يوسف واسسقف اسيوط واسقف سمنود وجماعة من الاساقفة وجرت بينهم خطوب ومنازعات اخرها انهم قاولا عندنا للسلطان ثلاثة الف دينار ويعمل بطركاً عوضه فقال الصاحب لبعض الحاضرين يجوز هذا عندكم قال لا يا مولانا ما يجوز قال وما نعمل مالا يجوز الا ان هذا قد اخذ مالاً جزيلاً للسلطان وما اوصله اليه وانا اريده منه فتحدثوا فيما يرونه وبلغوا الامر الى الف وخمس مابة وعشرة دنانير وكتب بها اولاد اخى البطرك واولاد اخته خطوطهم وخرجوا وقد انفسد قلب البطرك على الاساقفة وقلوب الاساقفة عليه ونزل يهتم فى القيام بالمبلغ وخرج الاساقفة الى كراسيهم ثم ان السلطان جرد عسكرا ليمضى الى اليمن مقداره الفا فارس وفيهم اكثر الامراء الكبار المحتشمين وتجهزوا بالجمال والهجن والروايا والقرب وجهز لهم فى البحر مراكب حربية زهاء اربعين قطعة عملت فى الصناعة بمصر وركبت وحملت على الظهر الى القلزم لتركب هناك وتسافر من تم وقبض رجالها من القاهرة ومصر المحروستين وبلادهما وكانت الحبوس والفنادق بمصر مملوه من رجال الاساطيل واتفق فيهم جملة كبيرة وخلع على يالامراء المقدمين خلعاً سنية وطيب السلطان قلوبهم الى الغاية القصوى وبذل لهم كل الجميل ثم ان الملك الجواد المظفر الدين بن مودود وهو الذى كان صاحب دمشق

وسلمها للسلطان الملك الصالح وكان قد اعطاه سنجار ولا شك انه غلب عليها بحيلة احتال بها عليه صاحب الموصل فاخذها منه ولم يبق له سوى عانه فباعها للخليفة ووصل ديار مصر على البرية لانه ما قدر على العبور ببلاد الشام لاجل صاحب دمشق وصاحب الكرك فلم يمكن من العبور الى القاهرة بل بقي بالعباسه وكان معه على ما ذكر ابن صاحب حمص الصغير وابن صاحب قلعة جعبر فاخرجت لهم الاقامات والنفقات والكساوى والانعام والخيل والبغال وكل ما يحتاجون اليه ورسم لهم بان يتوجهوا الى الشوبك فتوجهوا الى نحو الشام صوب غزه وما والاها وكان السعر غالباً بلغ القمح اربعين درهما الاردب والشعير نيفا وثلثين درهماً الاردب واللحم والدجاج والزيت والسيرج وجميع اصناف الماكول على غلائها على ما تقدم ذكره ولم يكن فى البلاد شىء رخيصاً اصلاً ولا صنف من الاصناف واما العماير فانها كثرت الى الحد الذى ما عليه مزيد حتى ان النبا صار باربعة دراهم نقره اجره فى كل يوم والجبس بدرهم ونصف الويبه والجير بستة دراهم الاردب القنطار ولا يقدر احد عليه وكانت كثرة العماير لاجل كثرة الواصلين من الشام والشرق لانه وصل منهم فى هذه الايام امم لا تحصى وبنوا لهم ادر كثيرة برا المدينة وفى ساير المواضع والطرقات حتى صارت المدينة بمقدار عشرة مدن وهو السبب فى غلا الاصناف واجر الصناع وكان الغلا بغير مصر اكثر من مصر اضعاف مضاعفة وكان السلطان خلد الله ملكه قد رتب موضعاً وسماه دار العدل ورتب فيه ثلاثة اشخاص جنداً تعرف بالافتخار ياقوت الجمالى اليمنى والشريف قاضى العسكر وهو من سادات الناس ورجل اخر يعرف بالفقيه عباس وهو خطيب القلعة وكان الناس يرفعون اليهم ظلاماتهم ويوقعون لهم على الولاه ويكسون موضع العلان اسماهم الثلاثة واستراح السلطان بذلك وصار ملازماً للذته وركوبه وصيده وما هو بصدده ثم ان رسل الافرنج ترددت الى مولانا السلطان فى طلب الصلح على ابقاء البلاد التى اعطاهم الملك الناصر بن المعظم اياها بايديهم وان يتسلموا اسراهم الذين اخذوا فى هذه الوقعة القريبة على انهم يعيدوهم ايضاً الاسرى المسلمين الذين عندهم وتردد الوزير

كمال الدين بن الشيخ شيخ الشيوخ اليهم فى هذا المعنى وانبت الحال بينهم على ذلك وحلفوا للسلطان وحلف السلطان لهم واخرج الكند الذى كان اسر والخياله الذين كانوا معه وخلع عليهم اجمعين وشقوا القاهرة راكبين وتوجهوا الى بلادهم فى برمهات من هذه السنة ووردت الاخبار بان قاضى نابلس تسلم الاسرى المسلمين وانه خلع ايضاً عليهم واحسن اليهم والبلاد التى رجع الفرنج اخذوها وهى القدس الشريف وبيت لحم وعسقلان واعمالها وبيت جبريل واعمالها وعمل غزه غير المدينة وطبريه واعمالها ومجدليانا واعمالها وجبل عامله وصفد وكوكب والطور وتبنين وهونين والشقيقان وعلى الجملة جميع بلاد الساحل لم يخرج عنهم شى سوى نابلس والخليل ومدينة غزه لا غير ويقال ان الصلح انما هو مع العرب والاسناريه لا غير وان الديويه لم يحلفوا وفى هذه الايام رسم السلطان خلد الله ملكه بان تهد جميع الادر وما معها وجميع ما بجزيرة مصر وان تعمر قلعة ورسم بشرى الادر التى فيها من اربابها ليهدمها ويعمل الابراج والسور مكانها وشرع فى ذلك وحفر الاساس وترتب العمل فيها وتضاعف ثمن الاصناف واجر الصناع بهذه الحركة وذكر ان الذى تقرر عمله بدايرها سبعة عشر برجاً وان كل برج يحتاج الى احدى وعشرين خنزيره غير الابدان تسمر وتدك ثم يبنى عليها وسير الافرنج الاسرى الى مصر للعمل فى القلعة المذكورة وانزلوهم فى كنيسة ابو مرقوره التى بالساحل لاجل قربها ووقع النصارى من ذلك فى بليه وهم لان الكنيسة المعلقة جرى فيها ما جرى وهذه الكنيسة هذا حالها مع ان الخراب كان قد استولى عليها وكنيسة الجزيرة ما ندرى ما يكون منها مع هذا السور المحدث فيها وكل هذه كنايس البطرك التى انتخبها ومواضع سكنه وراحته وفى هذه الايام اسلم اسقف سندفا وكان يقال له ابن السندوبى ودور المحله راكباً على حصان وقد خلع عليه الوالى فروه وشربوش وكانت بدعة ما شوهد مثلها وسببه انه كان خرج عن الواجب ووقع فى خطية الزنى واراد ابطرك منعه ما مكنه منه الشيخ الصنيعة رئيس المستوفيين خوفاً مما جرى وكان السبب فى ذلك رجل شماس من كنيسة سندفا منعه الاسقف واوقفه عن التصرف

فما زال يرقبه حتى عبرت اليه المره الخاطيه وكانت مسلمة فمضى الى والى المحله اعلمه بذلك لان سندفا جاره من جارات المحله ما يفرق بينهما الا البحر وكان اذ ذاك فسير الوالى شاهدين مع الغلمان فاحضروا الاسقف مع المره وضرب ضرباً اليما اقضى به الى الخروج عن المذهب وهذه الكبائر هذه نتايجها لانه تبعد عن المسيح بالكلية فتخلى معونته عن راكبها فقعون فى هذه الفخاخ الصعبة فنسئل الله تعالى ان يكفينا امرها ولا يخلينا من معونته فان ليس لنا غيرها وفى هذه الايام حضرت امرأة من الشرق ومعها زوجها وهى بلحيه مستديره وشوارب مثل لحا الرجال وذكرت ان لها اولاداً وانهم فى بلدها وكان الناس كلهم يزورونها ويرونها ولا تمتنع من احد لا من الرجال ولا من النساء الا انه ما كان احد يعبر اليها حتى يعطى زوجها شيئاً وحصل له من هذه الوجه جملة كبيرة وكان العربان الذين حضروا من الصعيد الاعلى مع العسكر الذى كان توجه اليهم قد قرروا ثمانين الف دينار قطعيه يحملونها الى بيت المال المعمور عن جباية تعديهم وخرجوا الى بلادهم ليجبوا المال ويحملوه وكان السلطان أعز الله نصره قد اخرج مالا جزيلاً وسلمه للفقيه بهاء الدين بن الجميزى برسم مرمة المساجد التى بالقاهرة ومصر المحروستين وما بينهما واهتم بها وعمرت احسن عمارة وبيضت ونقش على ابوابها اسم المولى السلطان الملك الصالح ايوب وتاريخ تجديدها وعمارتها وهو سنة ثمان وثلثين وستماية وكان السلطان قد رسم بعمارة قنطره على الخليج فى موضع السد حتى يعبر عليها فى ايام النيل الى بستانه المعروفه ببستان الخشاب وعملت ونجزت قبل ايام النيل وعب عليها وكانت الاسعار فى هذه الايام كلها غالية لا تنحل اصلا القمح لا ينزل عن دينار الاردب واكثر والشعير بثلاثين درهما الاردب ولم يكن شىء اغلا من الزيت الحار فانه كان بدرهمين الرطل ودرهمين وربع الرطل واما الشمع فانه بلغ احد عشر درهماً الرطل والحطب عشرة دراهم الحملة وكان الناس فى شدة من هذا ومن عمارة قلعة الجزيرة فلما غلت جميع اصناف العمارة وكان السلطان خلد الله ملكه قد اطلع على مخامره من اتبك الاسمر وكافور الفايزى الخادم وكان اتبك

فى الاسكندرية وكافور فى بلبيس مجردين فسير الى كل منهما اميراً وامسكهما واحتاط على موجودهما وحبس اتبك الاسمر بالثغ وكافور طلع به الى القلعة حبسه بها ثم تتبع كل من توهم منه من المفاريد والاجناد فامسكهم وحبسهم منهم من هو بالاسكندرية ومنهم من هو بالقاهرة ومنهم من هو بالقلعة واكثر هولاء من الذين كانوا عملوا على الملك العادل وخلوه ثم ان جماعة من الاتراك الذين يقال لهم الاشرافية كانوا قد تحالفوا على انهم ينهبون الاكراد الذين كانوا مجردين الى اليمن وياخذون موجودهم ويقتلونهم ويروحون لانهم جميعاً كانوا نازلين بالبركة المعروفة ببركة الحب فشعر الاكراد بذلك فسيروا الى السلطان عرفوه فامرهم بالعبور الى القاهرة فجاوا ليلا واصبحت ابواب القاهرة مغلقة وما علم السبب وكان السبب لاخذ الاشرفيه فاخذوا من كل مكان وكان بعضهم يتزيا بزى النسا ويخرج فيعلم به ويوخذ ومنهم من جعل نفسه فى افراد البصل والجزر وما يجرى مجراها ولم يخف لانه كان على كل باب امير باصحابه وجلقته واقامت القاهرة كذلك جمعه ايام وكان اليوم الاول والثاني اشدها وكان هذا فى الجمعة السابعة من الصوم المقدس وهو اواخر برمهات ثم استمر الحال على القبض على كل من حصل منه وهم وكثر المحابيس من الامرا الكبار والصغار والاجناد وبالاكثر المماليك الاتراك وقبض السلطان على بدر الدين يونس الذى كان ولاه القاهرة وعلى الخادمين الاخرين وهما مسرور وجوهر النوبى الكبيران وكانا مجردين بثغر دمياط المحروس واحضرهما الى القلعة حبسهما فيها واحتاط على موجودهما وفى هذه الايام خرج الافرنج من كنيسة بو مرقوره لما توجه اكثرهم الى بلاده وهم الذين كانوا اخذوا فى هذه النوبة القريبة مع هذا الكند وبقى منهم ناس قلايل نقلوا الى موضع اخر وجردت العساكر الى غزه والاسكندريه ودمياط وخرجوا اولا اولا وبطل تجريد اليمن بالكلية ولم يسافر سوى ثلثماية فارس او اربع ميه اتراك سيروا الى مكة قصداً ابعادهم وقيل انهم لما خرجوا الى البرية اخذوا العرب الذين كانوا معهم ربطوهم وقالوا لهم ان لم ترونا طريق الشام ويخرجونا اليه والا قتلناكم فانهم فعلوا لهم ذلك ثم ان السلطان اعز

في الاسكندرية وكافور في بلبيس مجردين فسير الى كل منهما اميراً وامسكهما واحتاط على موجودهما وحبس اتبك الاسمر بالثغ وكافور طلع به الى القلعة حبسه بها ثم تتبع كل من توهم منه من المفاريد والاجناد فامسكهم وحبسهم منهم من هو بالاسكندرية ومنهم من هو بالقاهرة ومنهم من هو بالقلعة واكثر هولاء من الذين كانوا عملوا على الملك العادل وخلوه ثم ان جماعة من الاتراك الذين يقال لهم الاشرافية كانوا قد تحالفوا على انهم ينهبون الاكراد الذين كانوا مجردين الى اليمن وياخذون موجودهم ويقتلونهم ويروحون لانهم جميعاً كانوا نازلين بالبركة المعروفة ببركة الحب فشعر الاكراد بذلك فسيروا الى السلطان عرفوه فامرهم بالعبور الى القاهرة فجاوا ليلا واصبحت ابواب القاهرة مغلقة وما علم السبب وكان السبب لاخذ الاشرفيه فاخذوا من كل مكان وكان بعضهم يتزيا بزى النسا ويخرج فيعلم به ويوخذ ومنهم من جعل نفسه في افراد البصل والجزر وما يجرى مجراها ولم يخف لانه كان على كل باب امير باصحابه وجلقته واقامت القاهرة كذلك جمعه ايام وكان اليوم الاول والثاني اشدها وكان هذا في الجمعة السابعة من الصوم المقدس وهو اواخر برمهات ثم استمر الحال على القبض على كل من حصل منه وهم وكثر المحابيس من الامرا الكبار والصغار والاجناد وبالاكثر المماليك الاتراك وقبض السلطان على بدر الدين يونس الذى كان ولاه القاهرة وعلى الخادمين الاخرين وهما مسرور وجوهر النوبى الكبيران وكانا مجردين بثغر دمياط المحروس واحضرهما الى القلعة حبسهما فيها واحتاط على موجودهما وفى هذه الايام خرج الافرنج من كنيسة بو مرقوره لما توجه اكثرهم الى بلاده وهم الذين كانوا اخذوا في هذه النوبة القريبة مع هذا الكند وبقى منهم ناس قلايل نقلوا الى موضع اخر وجردت العساكر الى غزه والاسكندريه ودمياط وخرجوا اولا اولا وبطل تجريد اليمن بالكلية ولم يسافر سوى ثلثماية فارس او اربع ميه اتراك سيروا الى مكة قصداً ابعادهم وقيل انهم لما خرجوا الى البرية اخذوا العرب الذين كانوا معهم ربطوهم وقالوا لهم ان لم ترونا طريق الشام ويخرجون بنا اليهم والا قتلناكم وانهم فعلوا لهم ذلك ثم ان السلطان اعز

الله نصره جهز العساكر الى الشام وكان قصدهم نابلس ان ياخذوها من الملك الناصر بن المعظم فخرجوا الى غزه وكانوا زهاء ثلاثة الف فارس ومقدميهم كمال الدين بن الشيخ وعلاء الدين قراسنقر الساقى ومعهم من الاعراب جماعة كبيرة وكان الملك الجواد مظفر الدين بن ممدود الذى كان صاحب دمشق اولا وسلمها للمولى السلطان الملك الصالح ايوب ودفع له عوضها سنجار وباعها للخليفه قد وصل الى العباسه فى خدمة مولانا السلطان الملك الصالح وقصد العبور الى القاهرة والاجتماع بمولانا السلطان وان ياخذ معه العساكر ويمضى الى دمشق يفتحها فلم يتمكن من العبور الى القاهرة ولا اجتمع به المقام السلطانى وكان معه ابن صاحب حمص الصغير وابن صاحب قلعة جعبر فاخرج لهم الانعام المال والخلع والخيل والاقامات ورسم لهم بالاقامة بموضعهم واتفق خروج العساكر فتوهموا انها طالبة لهم لتمسكهم فرحلوا ووعروا فى الطريق حتى اجتمعوا بالملك الناصر واتفقوا معه على انهم يد واحدة من والاهم وعلى من عاداهم ثم ان العسكر المصرى طمعوا فيمن قدامهم فركبوا بعد ان لبسوا وطلبوا عسكر الملك الناصر وكان مقدمه الجواد وكانوا على ما ذكر ثلثماية فارس لا غير وكان قد اخذوا على عسكر مصر المضايق وسبقهم الى راس العقبه التى من نواحى القدس التى على طريق بيت توبه وطلع شاليش عسكر مصر ومقدمه علم الدين سنجر الفخرى ومعه الشجاع الاكتع والامير احرى والمسابك هولاء امراء واما من اجنادهم فكثير فاخذوا باجمعهم بعد ان قتل منهم ما قتل ولما راى ذلك من كان وراهم من الاطلاب لم يردونهم بل رجعوا منكسرين ولم يطلعوا العقبة بل تمموا منكسرين الى غزه ولم يقفوا فى غزه بل خرجوا منها طالبين مصر فلما علم عسكر الملك الناصر ذلك تبعوهم وخرج عليهم العربان الذين كانوا معهم وغيرهم ونهبوهم فلم يبق لهم شىء والذى سلم منهم رجع برقبته راجلاً ووصل عسكر الشام الى موضع الخزانة وكان كمال الدين بن الشيخ عندها فاخذت الخزانه عن اخرها واخذ كمال الدين اسيراً ومضى به الى الملك الناصر وكانت [illegible] كسروا ثلاثة الف او يزيد عنها ووصل عسكر

مصر الى بلبيس واخرجت لهم الاقامات والازواد ورسم بعبورهم الى القاهرة ولم يواخذهم السلطان بشيء مما جرى وبقوا على اخبازهم وكذلك الذين فى الاسر بقيت اخبازهم عليهم ولم يقطع الا خبز فخر الدين بن جلدك لا غير وقيل انه بسبب عسفه بالاجناد مع انكساره من غير قتال وبعد ذلك وقع بين الملك الناصر والملك الجواد خلف وتوهم منه مخامرة عليه وخافه على نفسه فامر بالقبض عليه فقبض عليه واراد توجهه الى الكرك ليحبسه فيه فاشير عليه بان هذا ملكاً شجاعا ومن اهل بيتهم ومن الواجب ان تخرجه من البلاد وتطرحه فى البرية التى تاخذ الى الشرق وبغداد ويمضى برزقه وبخته ان نجا كان وان هلك لم يكن فى ذمة الملك الناصر منه شي فامر بذلك ولما توجه الى البرية عمل على عوده الى الشام وقيل انه ارغب العربان الذين معه حتى اوصلوه وقيل انهم لما تركوه تسيب ومضى الى الشام واجتمع بالملك الصالح عمه صاحب دمشق واتفقوا ومشت الرسل بين مولانا السلطان الملك الصالح صاحب مصر وبين الملك الناصر واصطلحوا وحلف كل منهما لصاحبه وسير الملك الناصر الاسرى الذين كانوا عنده كمال الدين بن الشيخ والامرا الذين كانوا معه بعد ان خلع عليهم واحسن اليهم وقد كانوا قبل ذلك فى هوان وتهديد وتحقير ولم يعدم منهم الا الشجاع الاكتع قيل انه قتله لانه نافق عليه وغدر به مرتين وقيل انه جعله فى الجب فى الكرك والله اعلم ثم ان الملك الصالح صاحب دمشق خرج معه من ضامه ووافقه من ملوك الاطراف مثل صاحب حمص وصاحب صرخد والملك الجواد التى التجا اليه وجاء الى نابلس واستغلها ووقع على شرذمة من عسكر الناصر فهزمها واسر منها ونهب ووصلوا الى غزه فرحل العسكر المصرى عنها وتاخروا وكان الافرنج قد خرجوا معهم لانهم اعطوهم الساحل جميعه ووعدهم بشيء اخر اذا نجح قصدهم ورجع مولانا السلطان اعز الله نصره جهز العساكر واخرج خيمته ودهاليزه ضربها على الخندق واهتم بالسفر وخرجت العساكر اولاً اولاً ومنهم من وصل الى العباسه ثم وردت الاخبار بان العسكر الشامى تاخر عن غزه ثم [illegible] كة الا ان ولانا السلطان صلح مع الملك

الناصر وفى هذه الايام زاد النيل زيادة جيدة وطلع على العمارة التى عمرت بالجزيرة وبطل العمل منها ما خلا الادر والمناظر السلطانيه المحددة فان العمارة كانت فيها مستمرة وفى هذه الايام نزل رجل من الاجناد وكان من مشدى عمارة الجزيرة فى القاعة التى كان البطرك عمرها بكنيسة الجزيرة واقام بها اياماً وتنكد البطرك بسببها وتحدث للناس بان هذا هو الذى كان يخشى ويحذر لان هذه لو كانت على حالها من داخل الكنيسة وهى موضع لا يوبه له ما تعرض احد اليها وهو امر يودى الى خراب الكنيسة ويطرق الايدى الغريبة اليها ثم ان المذكور خرج منها وهو المعروف بسيف الدين بورنا السهمى ثم ان النيل المبارك وفى ست عشر ذراعاً فى نهار يوم الاثنين التاسع عشر من مسرى الموافق الثالث من صفر سنة تسع وثلاثين وستماية الهلاليه وقد كان امر بعقد جسر من مصر اليى الجزيرة فعقد وكان فيه احد وعشرون مركباً وكان عرضه يسع جملين محملين احدهما جايئاً والاخر رايحاً ولا يزدحمان ووجد الناس به راحة عظيمة ولما قربت ايام النيروز جا مولانا السلطان الى الجزيرة واقام بها هو وخواصه وكان عل يعمل المقياس المقعد الذى اخرجه على العمد وهو الذى عمله ولم يكن قط لانه لم يكن تم قط سوى بسطه والمقعد كان داخلاً منها فعمل هذا السلطان هذا المقعد وجاء بدعه حسنة وهو ادام الله ايامه كل ما يعمله ويقترحه ما يجى فى الدنيا اوقع منه ولا احسن ولا اوزن فجا احد اخدام ويعرف برشيد الصغير نزل بالقاعة التى للبطرك التى بكنيسة الجزيرة المقدم ذكرها وكان البطرك قد خرج منها ومضى الى دير الشمع وكان من الاتفاقات المقاربة ثم رسم بعقد جسر على الماء من الجزيرة الي الجيزة واهتم به وكان المهتم بجميع العماير الامير جمال الدين بن يعمور وخرج الخادم المذكور من القاعة ولم يبيت بها سوى ليلة واحدة ثم بطل الجسر المذكور لعدم المراكب التى تصلح له وقيل انه أخر الى ان ينزل النيل المبارك فيقل ما يحتاج اليه من المراكب وكان النيل يزيد والسعر يزيد والغلاء فى كلما فى الارض وكانت مصر فى تلك ارجح من غيرها واصلح لان [illegible] نقره الفراره وهى اردبان بالمصرى واجرة

الطحين ستون درهماً نقرة لان انهارها جفت وارتحل اكثر الناس من المتماعشيين والصعاليك وغيرهم من الشرق والشام وساير الامصار الى مصر وصار بها من الخلق ما لا يعد ولا يوصف وهو كان اكبر الاسباب فى الغلاء ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وتسع ماية والسلطان خلد الله ملكه واعز نصره الملك الصالح والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بن عين الدولة الاسكندرى والبطرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق والماء متزايد والاسعار متشحطه ووردت الاخبار بكسر عسكر الشام ورجوعهم الى دمشق مخذولين كسرهم عسكر الملك الناصر بن المعظم وجات رسل الافرنج بطلب الصلح من مولانا السلطان اعز الله نصره وهم رسل الديويه والا المعرب اصحاب عسقلان وغيرهم من اكبر الفرنج كونوا صلحاً مع مولانا السلطان وهولاء الذين كانوا مع صاحب دمشق لما رأوا خذلانهم وانتصار صاحب مصر عليهم رجعوا الى الموادعة والمسالمة وطلب الهدنه عل يما فى ايديهم ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره اطلع على خيانه من بعض الامرا رد الله كيدهم فى نحرهم فقبض على واحد منهم يقال له ابن فلاح وكان من الاشرفي وكان مولانا السلطان قد احسن اليه غاية الاحسان فكافاه بما لعنه ثم قبض على اميرين كبيرين من الاكراد وهما بهاء الدين بن ملكيشوا وناصر الدين بن برطاس وصير الثلاثة الي قلعة صدر تحت الحوطة بعد حوز جميع مالهم وانتهى النيل المبارك فى هذه السنة الى ثمانى عشرة اصبعا من ثمانى عشر ذراعاً وجاء مجياً مليحاً وثبت على الاراضى ثباتاً مليحاً إلا ان الاسعار كانت متزايدة فى كل شىء من الماكول وغيره حتى الكسوات والعماير والعالم يكثرون بالديار المصرية من الشام والشرق والعراق لاجل الغلا الذى هناك ثم ان مولانا السلطان عز نصره قبض على امير كبير من الاتراك من مماليك ابيه يعرف بسنجر اليمنى ويقال انه اخرجه من البلاد وجماعة من المغاريد معروفين وغير معروفين وعزل القاضى شرف الدين قاضى القضاه من قضا مصر واقتصر به على قضا القاهرة والوجه البحرى واستخدم فى قضا مصر مع اعماله وجلا... القاضى سنجار وهو من اصحاب السلطان

عز نصره وكان قد سير الله كتاباً احضره لانه كان خدم السلطان خلد الله ملكه ايام كان بسنجار وبذل الجهد فى خدمته وارتفعت الاسعار حتى ان القمح بلغ خمسين درهماً الاردب والشعير خمسة وثلثين درهماً وبذر الكتان الفلت ثمانين درهماً الاردب والسلجم مثله والزيت الحار ثمانية وثمانين درهماً القلة والجميع من هذه السنة ولم يكن فى البلاد شىء رخيصاً بالجملة الكافية واما اصناف العماير فما يقدر عليها لان الناس مع الغلا ما كانوا يفترون من العماير مع العماير السلطانية التى ما كان قط مثلها وكسفت الشمس فى الساعة التاسعة من نهار يوم الاحد تاسع بابه من هذه السنة واستغرقها الكسوف بحيث ان النجوم ظهرت فى ذلك الوقت واوقد الناس السرج فى الدكاكين والحمامات ثم بعد ذلك انجلى الكسوف اولا اولا الى ان رجعت الشمس الى حالها وظهر النور كما كان وقيل ان هذا الكسوف لم يعقل احد لمثله وقال قوم من المشايخ انه كان مثله فى ايام الملك الناصر صلاح الدين سنة اخذ القدس من الافرنج ويكون لهذا الحديث اليوم خمس وخمسون سنة وارتاع الناس لهذا الامر ارتياعاً عظيماً وقالوا ماذا يكون من هذا الحادث ووصل رسول الانبرور الى الاسكندرية ومعه اموال عظيمة وبضايع جزيلة وتحف كريمة وقيل ان المركب الذى وصل فيه تسع مابة بحار وان اسمه نصف الدنيا وتاخر وصوله الى القاهرة ثم اذن له فى المجى فاحضر فى البر وطول به فى الطريق ودور به من على الفيوم وجاء الى الاهرام وعدى من الجيزة وكان معه زهاء مابة رجل وكان يوم وصوله عظيماً زينت له المدينتان وركب العسكر جميعه وتلقاه وخرج الناس اجمعون وكان الرسول المذكور ورفيقه لانهما كانا اثنين على فرسين من خيل النوبة التى لمولانا السلطان اعز الله نصره وجاوا بهما وانزلوهما فى الادر السلطانيه التى تحط دار الديباج المعروفة بسكن الصاحب بن شكر فالكبير منهما وهو الذى يقال ان على جسمه ثوب صوف فى الدار الكبيرة والصغير فى الدار التى على باب درب الشيخ المعروفة بسكن عز الدين ابن الصاحب المقدم ذكره واطلق لهم من الرواتب والضيافات والانعام والاطلاقات ما لم يسمع بمثله واقام الرسولان اياما لا

يجتمعان بمولانا السلطان خلد الله ملكه ثم استدعاهما وسير اليهما خيل النوبه ولاصحابهما ما يركبون لانهم كانوا وصلوا فى البحر وكان يوم طلوعهما الى القلعة المحروسة مثل يوم وصولهما واقاما فى البلاد لاجل الشتا فى الضيافة والكرامة والدعاوى والفرح والصيد ورماية البندق ثم ان الاخبار وردت بان العسكر الذى كان مجرداً بقوص وكانوا اتراكاً وكان مقدمهم رجل يقال له طفر بل الحجافى الزاهد نافقوا وجعلوا هذا طفربل سلطان وقبضوا على والى قوص واستادوا الزكاه والجوالى والخراج وتصرفوا فى الحواص الا انهم لم يتابعهم احد على ذلك من العربان لخوفهم من السلطنة فجرد لهم السلطان زها الفى فارس ومقدمها الركن الهيجاوى فى بر الشرق وسير الاشراف فى بر الغرب فجمعوا من عشايرهم وقبايلهم ما يزيد عن الفى فارس وساروا الى ان وصلوا الى منية بنى خصيب فوصل رجل من الصعيد زاهد معظم فى المسلمين ويقال ان له كرامات وقد كان وصل الى القاهرة وبجل من السلطان والوزير وساير المسلمين فجاء الآن فى طلب الامان لهذه الطايفة المنافقة وسد باب الفتنة وحقن الدماء وكان مسكنه دمامين من الصعيد ويعرف بالشيخ مفرج وجاء فى حراقة فى اربعة ايام واجتمع بمولانا السلطان واخذ لهم الامان ونوجه علي فوره فى حراقته وكان العسكر قد وصل الى حدود اخميم فاعطاهم الامان فنزلوا عما كانوا عليه واطاعوا وجاوا الى خدمة الامير الركن الهيجاوى وعادوا جميعاً الى القاهرة المحروسة ولما وصلوا لم يروا لمولانا السلطان وجا وبعد ايام رسم بالقبض على جماعة منهم معنيين وقيل انهم بقوا وقيل بل حبسوا فى بعض المدن واما باقيهم فرسم لهم بان يخرجوا الى الريف يسكنون فيه بشرط ان لا يكون لاحد منهم فرس ولا يحمل عده بل يكون فلاحاً او تاجرا وان اراد بيته أن يخرجه له فلا يمنع من ذلك فتفرقوا فى البلاد ووهبهم مولانا السلطان ارواحهم لان الفقها كانوا قد افتوا بانه قد حل قتلهم لانهم شقوا العصا ونكثوا العهد وغدروا سلطانهم واقاموا الفتنة فعفا لهم عن ذلك جميعه ثم انه رسم بخروج العساكر الى الشام [illegible] الملك الجواد بن ممدود اتفق مع الافرنج

ونزل معهم وانهم جاوا الى غزه واخذوا كلما كان بها وعادوا نزوا الى قيساريه وبقوا مترددين فى الساحل من موضع الى موضع والملك والجواد معهم وبعد رواح الافرنج من غزه جاء الملك الناصر بن الملك المعظم نزل بها هو وعكسره وفى هذه الايام كان فى بيت المالل المعمور رجل ناظر يعرف بشهاب الدين قاضى دارا وكان ناهضاً فيما يتصرف فيه شديد الجهاد فى خدمة سلطانه فاطلع على انه قد بقى من مبلغ خط البطرك خمس ماية وعشرة ديناراً إما بأنه وقف عليه او وشى اليه به فسير طلب ابن اخيه وابن اخته الذين كان الخط باسمهما وطلب منهما المبلغ ورسم عليهما وكان الشيخ الصنيعة الذى يقال له مستوفى المستوفيين هو حل الدولة وربطها وفيه خوف الله وكان من مبغضى البطرك فتسبب الى ان احال بالمبلغ بعض الاجناد التقدمة وتسبب معهم الى ان صالحهم عليها ويقال ان البطرك لم يزن من هذا المبلغ سوى ثلثماية دينار واخذ الوصولات وتخلص أقرباوه الا انه حصل له من الاسقف فى هذه النوبة وضيق الصدر وشكوى العدم ما لم يجسر مثله ولا سمع فى وقت الحمل الكبار ونفذ الى حارة زويلة اخذ ما بها من شمع وغيره واستعان بقس بها كان يسمى ابا شاكر وكان يخدم فى باب الميسم المفرد فى جامكيه الباردارية وكان موسراً ويقال انه اخذ ثمن طاحون كانت وقفاً على الكنيسة والله اعلم وكتب الى الوجهين القبلى والبحري بهذا السبب واستعان بالشيخ الصنيعة الارخن المقدم ذكره فى مثل ذلك وكتب له الى النواب والمستخدمين بالمساعدة واما الاسعار فانها ارتفعت جداً بلغ القمح خمسة وسبعين درهماً الاردب والشعير اثنين واربعين درهماً الاردب والدجاج بدرهم نقرة الدجاجة واللحم بدرهم ونصف وثمن الرطل السكر بثلاثة دراهم الرطل والشمع بدرهم الاوقيه والعسل النحل بثلاثة دراهم الرطل والزيت الطيب بثلاثة دراهم الرطل وجميع ما هو فى الارض من هذه النسبة وكانت شدة ما روى اعظم منها ولا اعجب لان الماء فى هذه السنة بلغ ثمانية عشر أصبعا من ثمانية عشر ذراعاً وهذه الاسعار على هذه الحالة وكانت العادة جارية ان الغلة اذا غلت رخص كل شئ [illegible] والقماش والاثاث وفى هذه الايام كل ما فى

الارض غال حتى الات العماير واجر الصناع واما قلعة الجزيرة فكان العمل مستمراً فيها والاجتهاد واقعاً فى تكملها وهدت كل دار كانت فيها وانتهى الامر الى المواضع التى قدام الكنيسة والجامع فهدت وصار المكان رحبة عظيمة وبهواً وجاء احد اصحاب السلطان وهو المهمندار ويعرف باخي الحاجب علي نزل بقاعة البطرك التى بجانب كنيسة الجزيرة ووضع بها قماشه واخذ مفتاحها وجاء البطرك نزل بالطبقة التى اخرجها من جانب الكنيسة وجعلها فى جانب قاعته قصداً منه فى حفظها وان هذا الرجل اذا خرج من هذه القاعة رجع اليها وحصل له من هذا المكان تعب قلب ونكد سرور واما المقعد الذى كان عمل على بسطة المقياس واستحسنه كل احد فانه هد وعمل موضعه برج عظيم على راس القمية واما الجانب الغربى فانه تكامل جميعه مناظر لمولانا السلطان بساتين ومقاعد من الكنيسة الى اخر العمارة ثم ان السلطان اعز الله نصره جرد عسكراً الى اليمن عدتهم الفا فارس وفيهم جماعة من الامراء والمقدمين مثل الصارم المسعودى والاشراف وعلم الدن شمايل وغيرهم وانفق فى كل طواشى ثلثين ديناراً واعطى الامرا على عدة الطواشيه لكل طواشى عشرة دنانير من كان معه خمسون اعطاه خمس ماية دينار خارجاً عما تاخذه الطواشيه لانفسهم ورسم لهم بالتجهز والمسير الى اليمن وشرعوا فى ذلك وصاروا يبيعون الخيل والابقار والجاموس والاغنام ويسيرون الجمال والهجن وعدد السقّايين والات سفر الحجاز واليمن ورخصت الخيل الى حد ما عليه مويد وغلت الجمال والاكواز والروايا والقرب والدلا وكل ما يجرى هذا المجرى غلواً كبيراً واشترى الرقاق الموصلى بخمسين درهماً القنطار وخمسة وخمسين والكعك مثله لانه اتفق فى الايام ان السعر تحرك وبلغ القمح بسبعين درهماً الاردب والخبز بربع وثمن درهم الرطل فاشتد الحال وقبض رجال الاسطول برسم مراكب اليمن وقل الواصل وكان الوقت صعباً الى الغاية ثم ان السلطان اعز الله نصره جهز عسكراً اخر الى غزه فى زها ثلثة الاف فارس ومقدمه الركن الهيجاوى وفيه جماعة من الامراء [illegible] الاكراد مظفر الدين بن مودود وكان القصد

اصلاح قلبه والمسير الى دمشق لاخذها فاقاموا هناك وعسكر اليمن يتجهزون للخروج وما بقى فيهم الا من هو مصمم على ذلك واذا الاخبار قد وردت بان فخر الدين ابن رسول صاحب اليمن جاء الى مكة اخذها مخامرة من العسكر الذى كان بها فانحل العزم عن تجريد اليمن وبطل وكان السعر قد انحل فى يوم السبت النور وبلغ الى اربعين درهم الاردب والخبز ستة ارطال بدرهم والدقيق بخمسة وستين درهماً الحمله واستبشر الناس بذلك استبشاراً كبيراً وكان عيداً مباركاً وفرح العسكر المجرد الى اليمن بتبطيل التجريد الى هناك ورجعوا الى بيع ما كانوا اشتروه واكثر الاصناف ضاعت عليهم مثل الكعك والرقاق والدهن وما جرى مجراها ورجعت الخيل غلت اثمانها لانهم عادوا الى شراها ووردت الاخبار بان الركن الهيجاوى الذى كان مقدم عسكر غزه ترك العسكر وانفصل عنه هو والملك الجواد لامر توهماً منه فاما الملك الجواد فانحاز الى الافرنج لانهم حلفاوه واما الركن فانه توجه إلى دمشق وقيل انه ما مضى الى هناك الا لمصلحة يبرمها واشنان يصلحه وإن كان رواحه خوفاً على نفسه والا المخامرة والغدر ونكث الايمان ما عرفت منه قط ثم ان الافرنج صاروا يخرجون من بيت لحم وغيرها ويتعقبون بالناس يقتلونهم فى الطرق ويستبيحون اموالهم فبلغ الملك الناصر بن المعظم وهو صاحب الكرك ونابلس وجبل الخليل وبيسان ذلك فسرى على بيت لحم وقتل كل من بها من فرنجى ونصرانى واخذ الاموال وسبى الدرارى وكانت ايام فتن قلاقل ومخاوف وكان بعض الحجاج الذين توجهوا الى البيت المقدس خرجوا منه ال يعكا منهم من مض يفى تجارة ومنه من مضى الى قرابته هناك فاخذوا فى الطريق وقتل منهم جماعة رجال ونساء واما البطرك فصارا اكبر مقامه بدير الشمع لانه لم يبق له موضع ياويه سواه ولما كان فى نهار يوم الجمعة الثانى عشر من بوونه وهو عيد الملاك الجليل ميكاييل الموافق للخامس من ذى الحجه سنة تسع وثلثين وستمايه الاسلامية وقف رجل من الصوفيه الذين يسمون القلندريه فى الجامع بمصر بعد صلاة الجمعة وبعد فراغ الخطبه وصاح بأعلى صوته يا مسلمين من اراد منكم الجهاد فى سبيل الله فعليكم بكنيسة المعلقة

فخرج من الجامع كل من كان فيه وهم امم لا تحصى وجاوا الى الكنيسة وكان والى مصر فى الجامع وكان رجلاً خبيراً عالماً ذا تجربه يقال له المجاهد سليمان فسمع التشويش فسير مملوكه وعشرة من المقدمين لحفظ الكنيسة فجاء اليها فوجد من الخلق مالا يعد وقد طلع بعضهم الى المسجد المجاور لها الذى اخذ منها والملح إذا رمى لا يقع على الارض فحمل فى تلك الخلايق بالدبوس والعشرة المقدمين بالمقارع ومهابة السلطنة قايمة عظيمة فافرجوا عن باب الكنيسة فاغلق الباب الذى عندها الذى هو من ابواب قصر الشمع ويعرف بدرب المعلقة وطلب رووس الفتنة وكانوا قد طلعوا إلى المسجد وكانت عدتهم خمسة انفس او ستة القلندرى ومن وافقه على ذلك وصار يضرب كل واحد منهم نوباً عدة باصناف الات العقوبات مما لا يذكر مما يجده ثم المقارع والعصى واصناف الات الهوان ثم اخذهم بعد ذلك مربوطين فى الحبال ومضى بهم الى دار صاحبه وكان يسكن بالقرب من حمام الفار فاخذهم الوالى وجدد عليهم العذاب والهوان وامر بهم الى الحبس وكان ذلك بهم مثل التجريس عليهم واهتدت المدينة وانقمع المفسدون ودعا لهذا الوالى العقلاء من السادة المسلمين وعامة النصارى واليهود لانه حسم مواد كادت تتفرع وعض انصار الفساد والعباد كانت تتطلع وكان القاضى شرف الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة الذى كان افرد بقضاء القاهرة وما يليها من الوجه البحرى بعد ان كان قاضياً عل يالاعمال كلها قد توفى وعوض عنه بالقاضى بدر الدين قاضى سنجار الذى كان فى قضاء مصر وبقيت مصر اياماً بغير حاكم الى ان فوض الامر فى قضاياها الى رجل من اهل دمشق يعرف بابن عبد السلم وقد كان ولى الخطابة بمصر قبل ذلك فاجتمع له الخطابة والقضاء وكان رجلاً جيداً وسمع سسطانه وكانت الاسعار تاخذ وتعطى والقمح الى زيادة اقرب من النقص من خمسين درهما الاردب الى ما حولها وكل شيء غال ثم ان القاضى بن عبد السلام المذكور ظهرت منه اسباب كانت كامنة فى نفسه فاسقط عليه الشهود وتعقب اثار القاضى المتوفا وتطلب ولد القاضى [illegible] طبقة كان بناها على مسجد بمصر بخط باب القنطرة فصده

الصاحب معين الدين عن ذلك وضيق على الناس فى امور شتى وتعاسر فى الاحكام واقام الوراقين من الدكاكين وامرهم بان يقعدون بين يديه فى الزيادة التى في الجامع ثم ان السلطان خلد الله ملكه رسم بان يعمر مدرسة بالقاهرة قدام الصاغة فى الموضع الذى كان يسكن فيه البياطرة قدام القصر وشرع فى ذلك ونقل البياطره من هناك فتحولوا الى ناحية باب البحر الى صوب الركن المحلق وهد ذلك الجانب من القصر وهو ما يلى باب الزهور الى بحرى طول ماية ذراع بالعمل فى مثلها فى العرض واهتم بذلك مع استمرار الاهتمام بعمارة قلعة الجزيرة ومناظرها وعماير القلعة بالجبل وعماير المناظر ببستان الخشاب وغيرها من العماير السلطانية فصارت اصناف العمارة لا يقدر عليها والصناع لا يصابون البنا بعشرة دراهم كل يوم ودرهم موونته والفاعل باربعة دراهم ونصف وربع درهم موونته والبقية من هذه النسبة والخبز لا يوجد إلا باطلاق وبعد هذا الناس يعمرون والعماير تكثر والخراب يعمر واموال الناس تترى مع الغلا وهو من الامور المتضادة وجاء راس السنة المباركة الهلالية وهى سنة أربعين وستماية للهجرة وامر باستخراج الجوالى فاستخرجت استخراجاً بعنف عظيم وكان قد تولا بها رجل يقال له بن جراده فعمل مالا عمله احد وسلط الاوباش علي الناس ولم تقتصر على جوالى مصر والقاهرة بل اي من وجده وزنه وجعل عرفا ارباب الصنايع يحضرون من هو تحت ايديهم من كل صناعة واصحاب الارباع ياخذون من هو ساكن فى حارتهم بالقيام بالخرية وكانت العقوبة مبسوطة على الناس وفى هذه الايام نودى فى مصر بما حكايته رسم الشرع ان يشد النصارى الزنانير فى اوساطهم وقيل ان السبب فيه بن جراده المقدم ذكره لان شكا الى القاضى ان النصارى ما بقوا يعرفون من المسلمون لانهم ما يشدون الزنانير وان الرسل ربما مسكوا المسلمين لسبب الجوالى فامر بهذا الندا فرجع الناس شدوا الزنانير فى اوساطهم المشايخ منهم ومن يخاف على عرضه وتسلط العوام على جاري عادتهم ثم رسم السلطان بان يخرج العساكر الى صوب الشام لأن رسول الخليفة وصل الى تل العجول وتجهزت العساكر وخرجت اولا اولا ونزلوا على ظاهر القاهرة من

مسجد التبر الى بركة الحب ووصل رسول الخليفة المسير من بغداد وعبر الى القاهرة وانزل بدار الوزارة وكان السلطان قد خرج تلقاه لانه كان رجلاً مميزاً ريساً ذا قدر خطير ثم ان قوماً من المسلمين يعرفون بابن حوله وابن صباح وجماعة تعصبوا معهم وهم الذين كانوا قاموا فى قضية الكنيسة المعلقة وفعلوا فيها ما تقدم ذكره انتذوا لكنيسة بو سرجه بمصر وجاوا الى دارين من ادر وقفها لاصقين بها احداهما من شرقيها شارعة على الطريق والاخرى من غربيها من داخل الدرب الذى ابواب الكنيسة فيه وادعوا ان كل دار منهما كان مسجداً وانهم يعرفون ذلك من مدة تنيف على اربعين سنة وكان الشيخ السنى الراهب المعروف بابن الثعبان مقيماً بالكنيسة المذكورة وناظراً في احوالها وقد عمرها وعمر رباعها واستجد بالرباع مواضع عديدة اضافها الى وقفها وسار فيها سيرة الملايكة فاقام هولاء المدعون المخربون قوماً منهم رفعا الشيخ المذكور الى الشرع الى هذا القاضى بن عبد السلم بعد ان اجتمعوا به وقرر معهم ما يعملونه وعرفهم الطريق التى ييسلكونها فادعى واحد منهم مسلمانى يعرف بابى الحسن بن مكين القزاز وكان بينه وبين الشيخ السنى مشاحنة لانه كان ساكناً بقاعة من ربع الكنيسة ولم يعط عنها اجره وكان الشيخ يطالبه بها لانه ما راى ان يتركها له ولا كان لتركها وجه وكان هذا الشخص مذموم الطريقه زايفاً عن الحقيقة فادعى على الشيخ بتسليم الدار الواحده البرانيه وما يجب من اجرتها من نيف واربعين سنة فانكره فالتمس منه اليمين فقال له القاضى احلف قال نعم قال قل وحق من انزل الانجيل على قلب عيسى قال له الشيخ هذا ما هو مذهبى ولا معتقدى ولا يحلف الانسان الا على معتقده كما عهدنا من تقدم من القضاه قال له ان لم تحلف على ما قلت لك اخرقت بك قال مهما شيت افعل ما سمعنا قط من حكم بهذا الحكم فاغتاظ عليه واخرق به قدامه وامر به الى الاعتقال كمنا جرى للرسل الاطهار ثم ان المسلمين المتحزبين عملوا محضراً برأى القاضى بان هذا الموضع مجسد من مساجد المسلمين وان النصارى تعدوا عليه وعملوا دار [illegible] ودعوا الشيخ من الاعتقال فى اليوم

الثالث لان مبتدى احضاره كان العصر من نهار الثلثا التاسع عشر من مسرى من هذه السنة وجددوا الدعوى عليه فانكر فاخرجوا المحضر وقد شهد فيه ثمانية من هذه الطايفة فادوا شهاداتهم وفيهم من لم يبلغ اربعين سنة وشهادته من نيف واربعين سنة فسمعها الحاكم المذكور وزكى منهم اثنين وهما ابن حوله وابن صباح لانهما كان شخصين لكن كشيخيى سوسنه فاثبت المحضر واعاد الشيخ الى الاعتقال بعد ان جرت بينه وبينه مفاوضات وقال له ان كان لك بينه احضرها قال له يا مولاى من اين لى بينه وانا فى الاعتقال قال له وكل عنك قال يا مولاى ما لى وكيل يبقى معى الترسيم الى ان احضر بينى قال له لا سبيل الى ذلك وامر به الى الاعتقال فى عشية يوم الجمعة الثانى والعشرين من مسرى وبعد ذلك عملوا المحضر بالدار الاخرى التى من داخل الدرب وكان القسيس المعتمد بن القسيس معانى قسيس الكنيسة المذكورة ساكناً فى الدار المعينة فدعوه وادعوا عليه بتسليمها وعملوا معه كما عملوا فى الدار الاولى فاعترف انه ساكنها من مدة عشرين سنة فامره بخلوها للوقت والساعة ووكل عليه على اجرة عشرين سنة وامر باخلا الدار الاخرى البرانية من سكانها لانها كان بها سكان فاخليت الدار وصارتا بيد الخصوم وانهى اليه ان القسيس المعتمد فقير لا يقدر على شى فقال نضمنه عليه ويعمل محضراً بعدمه فضمنه اهله وخرج يتسبب فى المحضر ولما كان فى عشية يوم الاثنين الخامس والعشرين من مسرى دعا القاضى الشيخ السنى لانه كان فى كل ثلثة ايام يدعوه وقال له اى شىء عملت قال له يا مولاى ما الذى اعمل وانا فى السجن وانا مالى احد قال ضمن عليك وامض تسبب فى نفسك فحضرت جماعة وضمنوه ضمان وجه وجا الى الكنسة الى القلاية التى له بها وجا اليه الجماعة وبذلوا مجهودهم الا انهم ما كانت لهم حيلة لان اكابر المسلمين وشيوخهم وروساهم كانوا متحققين ان هذه الشهادة باطلة وان هذا شىء ما كان قط الا انهم ما يمكنهم الشهادة وادوابهم والمسايير منهم ممن يعلم ذلك يخافون من القاضى حتى ان المحضر التى [illegible] على [illegible] المسلمين ان هذا المسجد كان له ثلاثة ابواب

قصدا منهم فى ان ياخذوا فيه دارين اخرتين وكانت هاتان الداردان شركة مع امراة مسلمة لها الربع والكنيسة النصف والربع فجاءت هذه المرأة بكتبها الى القاضى وشنعت وشعتت وهى امراة مسلمة فامر بان لا يعارض الدران اللتان لها فيها الحصن واقتصروا على الدار والواحدة التى هى لصيقة بالكنيسة قصداً منهم فى التسلط على الكنيسة واخذ ما يجاور الادر المذكورة منها حسب ما يمكنهم كما فعلوا فى المعلقة وكان فى الحارة جيران مسلمون ولهم املاك مجاورة الدار البرانيه ومعهم كتب تاريخها منذ تسعين سنة تشهد بحدود احدها ينتهى الى هذه الدار وهو يشهد بالدار الوقف على النصارى ولو كانت مسجداً كما ذكروا ذكرت واخر نصرانى يعرف بابى اسحق بن الاعمى له دار من داخل الدرب مقابلة الدار الاخرى المنازع فيها ومعه كتب عهدها مابة واحدى وثلثين سنة فشهد بحدود مثل ذلك و الحد الذى ينتهى الى هذه الدار يذكر فيه انه ينتهى الى الدار الوقف على النصارى سكن الشيخ ابى غالب واحضرت الكتب المذكورة الى القاضى فوقف عليها وما اصغى اليها وبقى الشيخ المذكور يسعى بالقاهرة ومصر ويتسبب يوم الثلثا والاربعا ولم ينعمل له شىء فلما كان فى عشية يوم الخميس الثامن والعشرين من مسرى جاء القاضى الى الكنيسة ومعه جمع من الشهود وغيرهم ووالى مصر ودخل الى الدار البرانية واحضر السنى وقال له اى شى عملت قال له يا مولاى ما عملت شيئاً قال له يا شيخ هذه الدار قد ثبت عندى انها كانت مسجداً من مساجد المسلمين فانت ما جددت ولا غيرت بل أن ابن ابى غالب الذى كان بطركاً وأنت فما يلزمك الا مدة الثلاث عشر سنة التى اعترفت انك تصرفت فيها فى هذا المكان يقوم لنا باجتها قال له يا مولاى هذه الاجرة صرفتها فى جوالى النصارى وصدقاتها على شرط الوقف قال هذا مالا يفيد قال يا مولاى ان كان هذا المكان كان على ما قيل مسجداً فمن اين له هذه العماير وهذه الطبقة وهذه الالات التى صار له بها هذه القيمة قال قوموا اجره المكان مسجداً منذ ثلاث عشر سنة وقيمة هذه الاخشاب [illegible] للشيخ احد عشر ديناراً قال لهم انتم فى

حل منها فخرجوا على هذه الصورة وانتقل الى الدار الاخرى ولم يكن بها الا العلو الذى كان القسيس يسكنه لان سفلها كان مخرباً وكان الشيخ قد سد بابه من ناحية الدرب وفتحه من ناحية الكنيسة جعله مخزناً للحلفا وهو يجاور مستخدمات الكنيسة فعبرا الى الكنيسة ودخل من باب المستخدمات وهو باب المستخدمات والمطلع وجاء الى موضع المراخيص والقنارات فقالوا هذا موضع المحاريب قال ثبت عندى ان هذا ايضاً كان مسجداً اطلبوا القسيس الساكن فيه قال له الشيخ يا مولاى ماذا تريد منه على ضمانة قال نريد الاجره قال له يا مولاى مهما وجب عليه اما ان يثبت عسرته او يقوم به وخرج على هذه الصورة فلما كان يوم الاحد اول النسى سير الشهود والمهندسين وعبروا الى الدار البرانية وقعدوا يقومون واخذوا فى ان يهدوا بابا مشدوداً ظناً منهم انه ينفذ الى الكنيسة فياخذوا به قطعة منها وينتهون من اسفل الى العلو فلم يجدوا وراه الا تراباً من تقادم السنين ثم انتقلوا الى الدار الجوانيه وجاوا الى موضع المراحيض وقالوا لنا السفل والعلو من هذا الموضع اربع ادرع دايرة غير العشرة فى عشرة التى لنا فى المخزن ولم يكونوا فى الاول ذكروا الا عشرة فى عشرة لانهم كانوا قاسوه من برا وكان الشيخ لما جاوا يقيسون ويقومون قد مضى الى القاهرة قعد عنده فخرجوا وقد اوجبوا على المكانين ثلثماية واربعين ديناراً فقبله وقام القاضى وجاء الشيخ الى الكنيسة بغير توكيل الا ان الامور مختبطة فلما كان اخر النهار استدعاه وكلمه برفق وطيب قلبه وقال لنايبه تقف على هذه الكتب وتعرفنى بما فيها وطلع الى القاهرة فلما كان فى صبيحة يوم الاثنين سير اليه النايب رسولاً طالبه فمضى اليه ومعه الكتب المقدم ذكرها فقال هذه قبور لا تفد شيا وقال له ما الذى عملت قال يا مولاى ما عملت شيئاً فوكل به على المبلغ وبينه فى التوكيل فلما كان فى غد ذلك اليوم سير استدعاه فقال انا مريض ما اطيق الحركة فسير وقال يحمل على قفص جمال ويحضر فاحضر اليه قفص من اسرة النوم فحمل عليه وجاوا به اليه فقال يا سنى اى شىء عملت قال له يا مولاى ما عندى شىء [illegible] يقتلونك قال يا مولاى اعمل ما شئت قال

يودى الى الاعتقال فمضى به الى الاعتقال وصار مطلوباً بما يجب على الدارين لاجل ضمانه للقسيس وكان القسيس قد استتر ثم دخلت سنة تسع وخمسين وتسع مايه فى يوم الجمعة مستهل ربيع الاخر سنة اربعين وستماية والسلطان الملك الصالح خلد الله ملكه وقاضى القاهرة بدر الدين الذى كان قاضى سنجار وقاضى مصر عز الدين بن عبد السلام والبطريرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق وانتهى النيل فى هذه السنة الى ثمثانى اصابع من سبع عشر ذراعاً وكانت نهاية زيادته يوم الاثنين الرابع من توت وصار يزيد وينقص ولم زد عن الثمانية من سبعة عشر شيا اخر وتحركت الاسعار وغلت وبيع اقمح بسبعين درهماً الاردب والشعير باربعين درهماً الاردب واما البرسيم فطلب الى الغاية لاجل شحه الماء وقلة نبات الربيع المباح فبيع بتسعين درهماً الاردب وغلا الزيت الحار ايضاً ولم يكن فى البلاد شياً رخيصاً فى هذه المدة وكان البطرك مقيماً بدير الشمع لم يدخل مع الناس فى شىء مما كانوا فيه ولا كان كانه منهم وكان قد حضر فى مبدا الحال بات بكنيسة بوجرج الحمرا ليلة واحدة واشار عليه بعض الجماعة بالعود الى مكانه فعاد الى دير الشمع ولم يعد منه فى هذه المدة وكان معذوراً لانه كان خايفاً ثم ان القاضى بمصر تطلب القيس المعتمد الى ان وقع به فاودعه الاخر الاعتقال وصار هو والشيخ السنى فى السجن وكان الجماعة قد كتبوا فتياً الى الفقها يستفتونهم فى قوم مسلمين علموا شهادة فى حق من حقوق الله سبحانه من مدة طويلة ثم ودوها الان فهل يكون تاخير الشهادة المذكورة قادحاً فى عدالتهم ام لا فافتوا جميعاً بان عدالتهم ساقطة بتاخير شهادة الحسبة واستثنى منهم من قال الا ان يكون له عذر واضح واحتج عليه من لم يستبن بان العذر غير مقبول فى بلد فيه سلطان الاسلام قايم والولاه والحكام ولم يفد هذا ايضاً شيئاً ولا عمل به مع انه نص شرعهم وهو صفة الحال ومن بعد هذه كتب الشيخ شمس الرياسة ابن هبلان رقعة الى مولانا السلطان عز نصره عن النصارى يسله فيها ان يعقد لهم مجلس مع خصومهم فى مجلس العدل [illegible] فامر بذلك على لسان امير يقال له بدر

الدين اخو الحاجب على فعقد المجلس فى يوم الاثنين صبيحة عيد الصليب وحضر جماعة من الشهود واحضر ابن حوله وابن صباح والشيخ السنى والقسيس من السجن وجاوا بمحاضرهم وكان المتحدث قاضى القاهرة فاستدعى المحاضر وقف عليها وقال لاوليك الشهود ما اخركم عن الشهادة وهى شهادة حسبنه لله تعالى مدة خمسين سنة قالوا قلنا بها قال لمن قلتموها فذكروا شخصاً ميتاً قال هذه دعوى منكم وامر معدوم وجرت مفاوضات كثيرة اخرها انهم قالوا للسنى لك بينة قال نعم قالوا احضرها قال يا مولاى مع السجن قالوا لا لكن يستاذن عليه القاضى ويضمن عليه ويخرج يتركض فى نفسه فاستاذنوا عليه القاضى فقال لا سبيل الى هذا الا ان كان بغير امرى فاعيد الى السجن هو والقسيس وكان الجماعة قد عملوا محضراً يشهد بهاتين الدارين وقف على النصارى وانها بايديهم من مدة تزد على خمسين سنة والى الان وكتب لهم فيه رجل شريف معتبر متصدر فى الجامع فعلم به قوم من اصحابه الاشراف اصحاب القاضى فدخلوا عليه بالترهيب والتانيب والتخويف والتثقيل الى أن اشهدوا عليه بالنزول عن شهادته وشهد فى المحضر ايضاً رجل من جيرة الحارة شيخ معتبر يعرف بابن ابى الطيب وكان قد ازمن فما بقى يقدر على التعرف فحمل اليه عدلان سمعا قوله واديا عنه الشهادة وبعد هذا مضوا الى الاخر وعنفوه وخوفوه بانك ساكن فى مسجد مدة سنين والساعة تخرج منه وتطالب بالاجره من هذه السنين فاشهدوا على الاخر بالنزول عن الشهادة ثم ان هولاء المعاندون اخذوا البنايين والفعله والجبس وجاوا ليلة من الليالى الى الادر المذكورة فقصدوا ان يبنوا فيها المحاريب فمضى بعض الجماعة الى الوالى اعلمه بذلك فسير منعهم ومن باكر اجتمعت جماعة كبيرة ووقفوا لمولانا السلطان فامر بان لا يتعرض لهذا المكان حتى يثبت الحكم وكان القسيسان الشيخ القديس السنى ابو المعانى المعروف بابن كمش والشيخ الرضى بن ابى الطيب هما المنشغلان لهذا الامر اللذان صرفا جميع همتهما اليه فكانا فى تعب شديد وجهد جهيد لا يفترقان بالنهار ولا يهديان بالليل ويدفعان من اموالهما فالله سبحانه يحسن لهما ويجزينهما جزاء

امثالهما فحملا الى مجلس العدل شهوداً اخر غير دينك وهم القاضى المعين عبد الحكم بن محمد بن عبد الحكم والقاضى الاسعد بن ميسر والشيخ الحكيم ابو سعيد بن تمام فادوا الشهادة بمجلس العدل على ما تضمنه المحضر وبقوا فى قيد التزكية لان الشهود لم يكونوا عدولاً وصاروا فى المدة الطويلة يحضرون شاهداً للتزكية وهم يريدون اربعة لا اثنين كما فعل اولئك وطالت المدة فسير القاضى احضر الشيخ السنى من الحبس وقال له الى متى تتجلد ، ان لم تقم بالمبلغ والا عاقبتك عقوبة الشرع قال له يا مولاى مهما استعملك الله اعمله قال ما عملت شيئاً قال يا مولاى ما يكون ثم مهله قال يومين وثلاثة قال الشيخ وخمسة وستة وكان قايماً فقال يا مولاى ما فى اقف قال اقعد فقعد ساعة ثم قال يا مولاى ما اروح الى موضعى فقال رح فعاد الى الاعتقاد وبعد ذلك بايام شنع اولئك الرهط فى يوم الجمعة ان القاضى يخرج السنى ويحرسه فبلغه ذلك فقلق قلقاً عظيماً ومضى رجل نصرانى يعرف بابن الحشا الى القلعة فاعلم الجماعة بذلك فاما الحكيم الرشيد المعروف بابى خليفة فانه اجتمع ببدر الدين اخى الحاجب على فسير جنداريين من عنده الى والى مصر يقول له اما علمت ان مولانا السلطان عز نصره قد عقد للنصارى مجلساً وانتهى الامر فيه الى الاثبات وقد احضروا بينهم وهم فى تزكيتها فالله الله لا يمكن احداً من هذا الرجل ولا من المواضع واما المستوفون حرسهم الله فانهم كتبوا رقعة الى مولانا السلطان عز نصره بصفة الحال وسيروها على يد استاذ الدار فخرج امره بان يسير الى الوالى وينكر عليه الغفلة عن مثل هذا والحذر ثم الحذر ان يتعرض احداً الى هذا الراهب او يحرك فى هذه المواضع ساكناً فمضى جندار اخر عن السلطان بهذا وارتدع اهل العناد الساعون فى الارض بالفساد واما القاضى فانه انكر ان يكون هذا خطر بباله او جرى فيه حديث قال له الوالى فتكتب خطك بهذا الى السلطان والا راحت روحى فكتب القاضى رقعة يقول فيها ان النصارى شنعوا عنى ما لم اقله ولا نويته وانما هذا الرجل محبوس على حق شرعى وسيرت الى مولانا السلطان [illegible] عنها وقد كان القاضى قبل هذا جرت له قضية مع

رجل نصرانى سكرى من اهل منية غمر يقال له مكرم بن محاسن وذلك ان ولده غبر على مطبخه وكان قايما بغير زنار وهو بتنابذ هو ورجل حلفاوى فشكا اليه الحلفاو ان هذا النصرانى ما يفعل يروح معى الى الشرع ولم يعلم مكرم انه ابن القاضى فقال لغلامه اعبر أخرجه فتشابط الغلام مع صناع المطبخ فعبر ابن القاضى الى المطبخ راكباً وضرب الصبيان ووقف مكانه وسير الى ابيه فركب بنفسه وجا الى المطبخ وكان المطبخ الذى عند دار افاضل مقابل صناعة الثمر واخرج هذا المسكين مشحوطاً مكشوف الراس مقطع الثياب واجتمع عليه امم لا تحصى ما منهم الا من يضربه ويهينه وهو صابر وبلغ الوالى الخبر فحضر وقال يحبس حتى يجى امر السلطان فحبسه وكتب اى مولانا السلطان عز نصره بصفة الحال وسيروها على يد استاذ الدار فخرج امره بان يسير الى الوالى وينكر عليه الغفلة عن مثل هذا والحذر ثم الحذر ان يتعرض احد الى هذا الراهب او يحرك فى هذه المواضع ساكناً فمضى جندار اخر عن السلطان بهذا وارتدع اهل العناد الساعون فى الارض بالفساد واما القاضى فانه انكر ان يكون هذا خطر بباله او جرى فيه حديث قال له الوالى فتكتب خطك بهذا الى السلطان والا راحت روحى فكتب القاضى رقعة يقول فيها ان النصارى شنعوا عنى ما لم اقله ولا نويته وانما هذا الرجل محبوس على حق شرعى وسيرت الى مولانا السلطان فقراها وتركها ولم يجب عنها وقد كان القاضى قبل هذا جرت له قضية مع رجل نصرانى سكرى من اهل منية غمر يقال له مكرم بن محاسن وذلك ان ولده غبر على مطبخه وكان قايما بغير زنار وهو بتنابذ هو ورجل حلفاوى فشكا اليه الحلفاوى ان هذا النصرانى ما يفعل يروح معى الى الشرع ولم يعلم مكرم انه ابن القاضى فقال لغلامه اعبر اخرجه فتشابط الغلام مع صناع المطبخ فعبر ابن القاضى الى المطبخ راكباً وضرب الصبيان ووقف مكانه وسير الى ابيه فركب بنفسه وجا الى المطبخ وكان المطبخ الذى عند دار الفاضل مقابل صناعة الثمر واخرج هذا المسكين مشحوطاً مكشوف الراس مقطع الثياب واجتمع عليه امم لا تحصى ما منهم الا من يضربه ويهينه وهو صابر وبلغ الوالى الخبر فحضر وقال يحبس

حتى يجى امر السلطان فحبسه وكتب الى مولانا السلطان بما جرى فلما يصبر القاضى حتى يجى جواب السلطان بل قال سير لى النصرانى حتى اعمل فيه الواجب فسيره اليه وقال له هذا انت تركبه بين هولاء العوام وهو يقتل وما تعلم ما ياتى من السلطان فاخذه ولم يركبه بل اشهره ماشياً وهو مهان الى ان شق له البلد ومضى به الى جلس الوالى وهو صابر شاكر وحسب الله اجراً وكان ذا يسار وقدره كبير واقام فى الحبس اياماً واخرجه الوالى بعد أن كتب عليه حجة بانه لا يخرج من بيته الا بزنار ولو كان فى يحب القاضى ربما كان عسر خروجه واما ما كان من امر كنيسة بو سرجه فان القاضى لما ابطا عليه الحال ايقن ان النصارى لا ينعمل لهم شى ولا يزكى لهم احد لانه كان قد سك عليهم الدنيا واى من سمع انه يشهد او يزكى شاهداً سير هدده وتواعده وكانوا المساكين فى شدة شديدة ومن اين لهم بمقاومة القاضى لولا معونة البارى فسير الى الوالى فى عشية يوم الاربعا رابع بابه مع رجل من شهوده يقال له ابن زيدان وهو يقول له اننى اجتمعت بالسلطان وقد رسم لى بان نعمل فى هذين الموضعين ما اوجبه الشرع وانتهى ان يساعد هولاء القوم على ما هم بصدده قال له الوالى مهما اردتم افعلوا ومكنهم من كل ما يريدون فبيتوا على الفعلة والمساحى والطوارى وصبحوا من الفجر الى الدار الجوانية هدموا واجهتها وروشن الطبقة التى كان يسكنها القسيس وطلع اصحابنا بالخيبة وكانوا فى هذا النّهار اعنى فى يوم الخميس خامس بابه واتفق انه خامس ربيع الاخر سنة اربعين وستماية الهلاليه قد اخذوا معهم ابن تمام ليوذن لهم لانه كان ابنه كتب عنه باذنه لعجزه عن الكتابة لاجل كبره ولم يكن روى وجات هذه القضية فكشفت خواطرهم واظلمت ابصارهم حتى من الله تعالى بان السلطان خلد الله ملكه ركب فى ذلك اليوم ومضى الى مصر واجتمع به الوالى فقال له ابتداء منه كلاماً ما فهم إلا ان يفتتحه ان الوالى حضر الى دار العدل واجتمع مع الاكبار الذى فيه سراً وقال ابصروا الى ساعياً يروح الساعة الى مصر يمسك الهدم ويقول لهم لا تعملوا شياً [illegible] اليوم شغلكم فقد رسم السلطان بذلك ثم

انه لما لم يجد ساعياً يسيره سير بابنه الشريف الى مصر ركضاً فبطل الهد وحضر ابن تمام وودى شهادته وجاء الحكيم ابن الزبير زكاه فى المجلس وجا النبيه العدل الاخ وزكى ابن عبد الحكم وقويت الانفس وهان الامر وبقيت الحاجة الى شاهدين اخرين يكملان تزكية بينه المحضر ويثبت فعادوا الى القاهرة بعد ان استاذنوا الجماعة فى ان تكون تتمة التزكية فى دار القاض بالقاهرة فانهم ما يجتمعون بدار العدل الا يومى الاثنين والخميس ويتعذر فى هذين اليومين وجود الشهود ويطول الوقت ويتسوف فاذنوا فى ان تكون تتمة التزكية بدار القاضى بالقاهرة فعبر بجمال الدين الرازى زكى ابن عبد الحكم فكملت تزكيته بشاهدى عدل وبقى ابن تمام يحتاج الى شاهد اخر لا غير ويثبت المحضر وفى وسط نهار يوم الجمعة اشيع بان القاضى بن عبد السلم عزل وقوم يقولون انه عزل نفسه لاجل قضية النصارى وكون حكمه نقض عليه وفى بكرة يوم السبت السابع من بابه حضر شاهد اخر عدل فاضل يعرف بجمال الدين عبد المعطى وكان خطيب القلعة زماناً وزكى ابن تمام فكمل المحضر وقويت القضية بان قاضى مصر عزل نفسه عن القضاء واشهد عليه بذلك وكتب به رقعة الى مولانا السلطان ولم يخرج لها جواب وكان فى هذه الايام قد حدث تغير عجيب وهو انه لما كان فى ليلة السبت اخر توت جات ريح عظيمة حتى قلعت النخل من اصولها وطرحتها الى الارض ووقعت ادر كثيرة ومات تحتها اناس كثيرون وكانت ليلة عظيمة مزعجة وقد كانت الشمس كسفت من ليلة الجمعة المذكورة من اخر الليل وطلعت منكسفه الا انها لم تظهر منكسفة لانها كانت تحت الشفن ولم تكن مثل السنة الخارجة لان ذلك الكسوف كان عظيماً مستغرقاً وقت العصر كما تقدم شرحه وفي نهار السبت السابع من بابه تحقق ان القاضى بن عبد السلم عزل نفسه من الحكم واشهد عليه بذلك شهوداً عدة عدولاً وبقيت مصر بلا حاكم ولا نايب لان النواب رفعوا اديهم بحكم رفع يد مشنبيهم وكان عيد القديس واخس يوم الاحد الثامن من بابه الذى هو يوم شهادته ويوم الثلاثا العاشر منه عيد القديس بو سرجه وكان هذا الذى جرى اية عجيبة لهذين القديسين فى عيدهما لانه شي ما كان فى

قدرة احد من النصرى ان يفعله ولا يقدر عليه وصار كل احد يقول هذا بسبب النصارى ونيتهم وكانت اعجوبة ما روى مثلها ثم ان القسين المقدم ذكرهما جا الى دار العدل فى يوم الخميس الثانى عشر من بابه ومعهما المحضر ونسخته التى نقلت منه بامر القاضى لان كان كتب فى المحضر ينقل فجاء الى دار العد وسالا القاضى ان يكتب فى المحضر بالثبوت ويسجل عليه بمحضر من الجماعة الذين بدار العدل فتوقف عن ذلك وقال محضركم قد ثبت الا ان العجلة ما هى جيدة تمهلوا حتى نبصر ان كان لخصومكم مطعن فى الشهود او حجة يلجون بها فقال بعض الحاضرين ممن له علم ونباهة يا سيدنا هولاء ما لهم خصوم انما أوليك كانوا يقولون ان عندهم شهادة حسبة قالوها وقد ثبت بضد ما قالوا فقال قبيح بالحاكم ان يخرج خطة بشى ثم ينتقص وكان كلامه هذا موجبها ثم التفت الى والى مصر وقال له قل لهولاء ان محضر النصارى قد ثبت فان كان عندكم حجة فاتوا بها أو مطعن فاظهروه وانفصل المجلس على هذا ثم أن جماعة النصارى اجتمعا ووقفوا تحت القلعة ثلاثة ايام متوالية اولها يوم السبت الرابع عشر من بابه ينتظرون ركوب مولانا السلطان خلد الله ملكه فلم يركب يوم السبت ولا يوم الاحد بل انهم كانوا فى كل يوم من اليومين يلقون القاضى بدر الدين قاضى القاهرة فيقول لهم حقكم قد ثبت وانا أعرف السلطان بذلك فلما كان يوم الاثنين السادس عشر من بابه ركب السلطان عز نصره وركب القاضى بن عبد السلام واجتمع بالسلطان ويقال انه تضرع واستغفر الله تعالى مما جرى وكان قد تحدث فى حقه بن قاضى نابلس وقبح ان قاضياً مثل قاضى قضاة مصر يعزل فى شهرين فرسم له بالعود الى القضاء وشرط عليه شروطاً على ما ذكر من سمعها ولم يثبتها فعاد القاضى جذلا مسروراً وكذلك اصحابه ونزل فى يوم الثلاثا صبيحة اليوم المذكور الى مصر وحكم بعد ان بقيت مصر بغير حاكم احد عشر يوماً الا انه ما اعاد ولا ابدى في امر الادر التى ادعى انها كانت مساجد الا انه ما زال يسير الى شاهد شاهد من شهود محضر النصارى قوماً بالترهيب وقوماً بالترغيب حتى [illegible] عن الشهادة واشهد عليهم بذلك الا ان المحضر قد

ثبت وكتب قاضى القاهرة عليه بالثبوت فى دار العدل بعد ان توقف عن الكتابة اياماً وكتب من دار العدل مطالعة فى يوم الخميس التاسع عشر من بابه وترجمها جميع الناظرين بدار العدل على جارى العادة وكان مضمونها انه ثبت بمجلس الحكم بمصر ان مسجدين كانا من مساجد المسلمين وقد جعلها النصارى ادراً للسكن من مدة ثلاث واربعين سنة ثم ثبت محضر تنجزه النصارى بدار العدل العزيزة ان هذين الموضعين المدعى انها كانت مساجد ادر وقفت على النصارى من مدة تزد عن خمسين سنة ومقتضى ذلك ترجيع بينه النصارى ما لم يعارضها تجريح الشهود وبقيت الرقعة مع الحاجب اياماً انتظاراً لان يركب السلطان او يجلس فيعرضها عليه ويتحدث عليها فلم يركب ولم يجلس وطال الامر عليها الى يوم الاثنين الثالث والعشرين من بابه فاجتمع به روسا دار العدل وقالوا ان تاخير عرض هذه الرقعة ضرر علينا وعلى النصارى فانه ربما يبلغ للسلطان ذلك او يكتب اليه الغير فيقول ولأى شىء ما اعلمتمونى فسيرها الى السلطان فى هذه الساعة على رقعة منك واملاوه ما يكتب فى الرقعة فكتبها بحضورهم وحملها الى مولانا السلطان على يد بعض الخدام فلم يخرج لها جواب ولازم النصارى الاجتماع والطلوع الى القلعة يوم الثلثا والاربعاء والخميس فلم يركب السلطان وفى نهار يوم الجمعة هو لا يركب واستمر على ذلك ولم يقفوا لمولانا السلطان عز نصره بل ان القاضى بدر الدين قاضى القاهرة كان يقول لهم انا قد قلت لمولانا السلطان ان محضركم قد ثبت ولكن ان قدرتم على زيادة بينة فافعلوا لاجل ان شهودكم قد تزوا عن الشهادة وصار الجماعة يدابون فى تزكية الشاهدين الذين كتبا لهم فى المحضر اللذين لم يزكيا بعد واحدهما كان ادى فى مجلس العدل وهو الاسعد بن ميسر والاخر كتب ولم يود وهو الموفق بن النحاس وكانوا يريدون انهم ان لم يقدروا على تزكية الاثنين فعسى ان يكون احدهما وكان الامر قد عسر لان الناس كانوا يخافون من ابن عبد السلم وفى هذه المدة وردت الاخبار بان الافرنج خرجوا من يافا وجاوا الى نا[illegible]ارى وهدموا الجامع الى الارض وحرقوا

الاشجار واخربوا الديار وحكى انهم لما احاطوا بالناس وجمعوهم قالوا من كان نصرانياً ينعزل حتى نخلصه ففرح النصارى بذلك وامتازوا من المسلمين فلما صاروا عزله عادوا اليهم فقتلوهم اجمعين واما المسلمون فانهم قتلوا منهم واسروا بعضهم وكان القتل يعم النسوان والولدان والصغار والكبار واقاموا بها ثلثة ايام ثم عادوا بالسبى والغنايم وكنت فتنة ما روى اشد منها ورسم السلطان خد الله ملكه بخروج العساكر الى الشام فخرج زهاء الفى فارس مقدمهم مملوك يقال له شمس الدين سرا سنق الذى كان استاذ الدار ووصلوا الى غزة واجتمعوا مع العسكر الذى كان هناك وكان الملك الناصر معهم وصاروا فى عسكر عظيم وتموا ونزلوا على منزلة تسمى العوجا مقابل يافا وراموا حصار يافا فاستعد الافرنج لذلك واقاموا مديده وبعد ذلك سير السلطان اعز الله نصره الى شمس الدين سرا سنقر المقدم ذكره وامره بان ياخذ العسكر الذى خرج معه ويحضر فرموا خيامهم وارتحلوا فلما راى الملك الناصر ذلك حمل ما قدر عليه من قماشه واحرق الباقى ورحل ومضى الى الكرك واما العسكر الذى بقى هناك وهم الاشراف والصارم المسعود وشمايل ورجال من الحلقه مقدمهم ريحان الصاحبى فانهم رجعوا الى غزه واما احوال اصحابنا النصارى فما كانوا فيه فانهم اجروا ذكر الشيخ السنى عند مولانا السلطان عز نصره فقال انا اعرفه قولوا للقاضى يخرجه فكتب صاحب يقال له بدر الدين اخو الحاجب على الى القاضى رقعة يعرفه فيها ان مولانا السلطان رسم بخروج السنى الراهب المعروف بابن الثعبان الذى فى اعتقال الشرع وهذ خطى يعند سيدنا بذلك ومضى بها اليه جندار وكان يوم الجمعة وكان بمصر فاعتذر وقال حتى اجتمع بمولانا السلطان فكتب اليه رقعة ثانية وهو يقول هذا خطى وعلى العهدة فابى وقال هذا فى حبس الله على حق شرعى ما هو فى حبسى حتى اطلقه ولم يعد احد يعرف السلطان ان القاضى رد قوله وقد كان قبل ذلك قد جرى بين القاضى والوالى مشاحنة بسبب هذه القضية وهو ان القاضى سير شهوداً الى الموضع الجوانى حتى تجدد تحديده [illegible] اولاً حتى يستضيفوا اليه مواضع اخرى

فسير اليهم الوالى مقدم ركابه وقال لهم بامر من عملتم هذا وما هذا التحديد بعد التحديد الاول فجاوا الى القاضى علموه فسير القاضى اخذ المقدم المذكور ضربه وحبسه فسير الوالى أخذ الشاهدين ضربهما وحبسهما وكتب كل منهما الى السلطان وبقيت بينهما مشاحنة ولا شك ان السلطان رجع القاضى فخمن الوالى ومال الى ملاينة القاضى فاخرج الشاهدين واخرج القاضى المقدم الذى كان حبسه وبقى الامر على ما هو عليه والجماعة يسعون فى تزكية شاهدين اخرين وكان فى هذه السنتين وهى هذه السنة وما قبلها بسنتين قد ظهر فى الفيوم بركة عظيمة وصار فيها من البلطى شى لا يحصى وكان يحمل منه الى مصر فى كل يوم حمله لا يحصى عددها حتى ان بعض الاصحاب ذكر انه توجه يوماً من القاهرة الى مصر فلقى فى طريقه فى تيك المسافة ما يزيد عن عشرين حملا هذا خارجاً عمل يحمل من غير تيك الطريق وما يحمل فى طول النهار وما يباع بمصر والجيزة لانه كان يحمل من الفيوم الى الجيزة على الجمال وله سوق بالجيزة يباع به وقد ضمن السلطان ستين ديناراً ومن هناك يشتريه الناس ويفرق فى البلاد وكان فيه الكبير واللطيف واللطيف ما كان فيه كان يكون وزن البلطية منه اربعة ارطال وتباع كل عشر بلاطى منهم بتسعة دراهم ودون ذلك واكبر من هذا الوزن بعشرة دراهم العشرة والكبير منه اكبر من هذا الوزن بكثير بخمسة درهما العشرة وكانوا يحضروا فيهم ما يقدر وزن كل بلطية عشرة ارطال واكثر تباع بدرهم نقرة ودون ذلك وتحققت من السماك الذى يبيعه بالجيزة ان الذى كان يصل منه فى كل يوم مابة حمل ويزيد وينقص وان فى اكثر الايام يصل مابة وثلثين حمل على كل حمل مايتى بلطيه يكون العده على هذا الحكم ستة وعشرين الف بلطية وكان الناس قد وجدوا به رفقاً عظيماً وما كان معظم الناس بقى له اكل سواه ولولاه ما قدر على اللحم لان اللحم فى هذه الايام قد غلا غلوا عظيماً حتى بلغ الرط درهمين واكثر مع ان الاسعار كانت رخيت وانحط القمح الى ان بلغ العال فيه الى خمسين درهماً الاردب والى ون ذلك والشعير الى سبعة عشر درهماً وحولها والفول مثله وبيع الخبز خمسة ارطال بدرهم

وثمن ما خلا اللحم فانه غال جداً واما البلطى فما كان ينقطع طول السنة ومن كثرته ما صار يباع فى السماكين خاصة بل فى ساير الاسواق ولا صار السمك يعدم اصلاً لاجل وجود هذا البلطى الا انه سيم لكثره واكثر الناس ما كانوا رجعوا ياكلونه بل كانوا يتبطرون حتى يقع لهم فرخ او بنيه فياكلون منه ثم تمادى الامر فى امر ادر الكنيسة الى اوايل شهر رمضان من هذه السنة فاجتمع القاضى ابن عبد السلام بمولانا السلطان اعز الله نصره وقال له ان هذه المواضع التى يدعى بها النصارى انها املاك وقف عليهم قد ثبت عندى انها مساجد والنصارى فلم يثبت لهم شىء لان شهودهم نزلوا عن شهادتهم وهولاء المسلمون قد اشتهوا ان يجددوا هذه المساجد فى ايام مولانا فقاله له مهما ثبت فى الشرع اعمل به فنزل الى مصر وسير الى الوالى يقول له قد رسم لى السلطان بان أهد هذه المواضع واعيدها كما كانت مساجد واريد مساعدتك وشدك فسير الوالى الى مولانا السلطان عز نصره رقعة فى هذا المعنى فلم يخرج لها جواب فجاء القاضى الى المواضع بنفسه ورسم بهدها فهدت لانه ما كان يمنع من ذلك الا الوالى فلما لم يجد نفساً من السلطنة تخلى وأسار جماعة من الناس بانه ما بقى يفيد الا الوقوف للسلطان فاجتمع جماعة من النصارى القسوس والصعيدين ووقفوا مراراً فوقتاً توجد رقعتهم ووقتاً لاي جاوبون واخر الوقت وكان السلطان بالجزيرة جاهم بعض الحجاب وقال لهم قال لكم مولانا السلطان لا ترجعون تقفون فانى لا اسمع لكم كلاماً وكان القاضى بن عبد السلام فى ذلك اليوم قد مضى الى تيك المواضع وهو يردد نظره فيها بعد هدم البعض فجاء اليه الوالي وقال له يا سيدنا كنت الساعة مع مولانا السلطان عز نصره وقد وقفوا له النصارى فى امر الكنيسة وامر بطردهم فازداد غيظاً وتحزباً وامر بهدم المواضع كلها واستضاف لها مواضع اخرى وامتد فى الزقاق فهدم من حايط الكنيسة القبلى الى قمية الزقاق الذى يسلك منه دار القسيس معانى والادر التى هناك ودخل فى هذا الحد ثلثة ادر علوا وسفلا من هذا الدار التى من شرق الكنيسة وطبقه الشيخ السنى التى كان عمرها فى موضع الفرن العتيق وانتهى الى سفلها الذى كان مطلعاً

الى علو الكنسة ومستخدمات واستمر الهدم وبقى زقاق الكنيسة لا يسلك من الهدم والردم والطوب والاخشاب وصار القاضى يتردد كل يوم الى الكنيسة ويقوى جأش اوليك الجماعة الذين كانوا سبب الفتنة المدعين والشهود والمتعصبين وفى أثناء هذه القضية جاء شخص يقال له ابو الحسن بن مكين القزاز مسلمانى وهو من تيك الجماعة المقدم ذكرهم وهو الذى كان داعى على الشيخ السنى اولا وعمد الى طاق فى طبقة من الطباق الى هدمت وهى فى سور الكنيسة وهى من جملة طاقات دايرة فى سورها فجاء الى هذه الطاق التى هى الى ناحية القبلة على زعمهم وان كان معها طاقات عديدة فى هذا الحد الا انه اختص بهذه فكتب فيها الشهادتين التى لهم بالمغرة وعمل عليها التراب حتى ترى انها عتيقة والصق عليها قطعة بياض من الذى نقص وكانت امراة من السكان تبصره وبات فى المكان يحرسه فلما اصبح مضى الى القاضى وقال له يا سيدنا قد ظهر لنا الحق ووجدنا المحراب فيه الشهادتان مكتوبتان من قديم الزمان فجا القاضى وخلق لا تحصى من المسلمين الى ان كان الملح اذا رمى عليهم لا ينزل الى الارض وراى المكان وعمل بذلك محضراً واشهد فيها جماعة من العدول بانه وجد كذا وكذا وسيره الى مولانا السلطان وحكى ان السلطان عز نصره لما راى ذلك قال هذا الرجل من الاولياء ولا ينبغى ان نراده فى ش وما كان فى الارض قضية اعجب من هذه القضية ان يكون محالاً وتتميماً وتعصباً وكل عاقل وشيخ من المسلمين يشهد بان هذا محال وشى ما كان قط وبعد هذا نصر هذه النصرة وتم فيه ما لم يتم فى مثله فى زمن من الازمان الا ان هذا كان تخليه من البارى سبحانه وعقوبة لاهل هذه الكنيسة التى انا من جملتم واما الشيخ السنى فان هذا كان له زيادة بر ومضاعفة اجر وشهادة وجهاداً وسبكاً لانه لم يكن يستوجب ما جرى له عن المحن إلا على هذا النوع لا غير ثم ان القاضى جاء الى الكنيسة ودخلها واخذ بيده قادوماً وصار يهد بيده وهدوا السور الذى كان فيه الطاقات الذى ذكروا ان فيه وجدوا المحراب وليس محراب بل طاق من جملة طاقات عدة وهم كانوا يشهدوا بان هذا المسجد كان ارضياً والبرانى كان معلقاً وهذا [illegible] السور ينتهى الى اسطوان عرضى فيه

ثلاثة هياكل احدهما وهو الصدرانى على اسم القديس ابو فكتر والثانى على اسم يوحنا المعمدانى والثالث على ام ابينا انبا انطونيوس وهذا الموضع كان موضع المغطس العتق الذى غيره الشيخ السنى وجعله فى كنيسة استافنس وكانت الكنيسة المذكورة فى ظهر هذا الاسطوان فهدموا الكنيسة الاخرى وهدموا السلم والمطلع والغوا الموضع البرانى بالموضع الجوانى ولم يبق فى الكنيسة سوى الاسطوانات الثلاثة لا غير ولم يبق بها فن ولا مستخدم ولا بق احد يصل الي علوها الذى على الاسطوانين اللذين فى الجانبين فاما علو تيك المواضع فانه هد مع سفلها وكان الذى عدم من الكنيسة اربع كنايس وسبعة هياكل والفرن والمستخدمات والمطلع وخمسة ادر وبقى النصارى في حزن وكأبة لم يروا مثلها من زمان وذلك علي العقلا منهم وذوى الدين والتميز وفى اثناء هذه الشدة مرض البطرك جمعه من الايام وتوفى فى يوم الثلاثا الابع عشر من برمهات من هذه السنة الموافق للثامن عشر بالعدد من شهر رمضان سنة اربعين وستماية بدير الشمع وف الحال جاء بعض النصارى الذى عليهم اسم النصرانية خاصة وهم عماد الراهب المرشاد المقدم ذكره والقس سمعان الذى كان كاتب القلاية وجرى منه ما تقدم ذكره وذكر ان معهم انبا يوساب اسقف فوه وعلموا الصاحب معين الدين بن الشيخ بان البطرك توفى وانه خلف جملة مال فسير احتاط عليه وعلى موجوده جميعه وختم على الجوسق وهو فه ميت وبات كذلك فلما كان ثانى يوم وهو يوم الاربعا سير والى الجيزة وكان اميرا يقال له شمس الدين الطنبوعا وكان والى الغربية قبل ذلك مدة طويلة وسير معه وكيل السلطان وهو كمال الدن بن الفقيه نصر فجاء الى الدير ومعهم شهود واخرجوا الميت النصارى بعد ان بات الليلة فى الظلام بغير سراج يقد عليه واثبتا الموجود ويقال انهم وجدوا له ستة عشر غفاره عنابى وغيره واربعين وزره مثمنه واما من الثياب والعمايم والسراويلات والبلاريات والعراضى والحجور التى للبدلة التى تكون على الراس فشى كثير الا اننى ما تحققت عدته وذكر لى بعض الجماعة ان عدة السراويلات اربعون والعهدة عليه ووجد له على ما ذكر ست عشرة علبة حلواء وقد زنخت وساس بعضها وست قروات تمرا عتيقاً وغير ذلك مما يجرى مجراه فاحتاطوا

علي الجميع واثبتوا مع اواني الكنايس وكساويها التي كانت عنده والكتب التي كانت له وللكنايس وكانت كتباً لها قيمة لانها كانت منتخبة مثمنة ثم قالوا لابن اخيه ابي سعيد ولوكيله وخازنه وكان صبياً يعرف باب الفرج بن خلبوصي البنا اين المال قال ما نعلم شيا فتشدد الامير عليهما فقال له ابن اخي البطرك انا رجل غريب ما كنت عند القوم هذا الخازن والمتصرف قال له الامير المال والا عصرت اصداغك في هذه الساعة فدخل الى موضع اخرج منه من تحت بلاطة الف دينار وكسوراً واخرج من الدراهم النقرة والسواد ما ذكر ان الجميع تناهز الفي دينار فاخذوا المبلغ في حرمدان حسن الصنعة له قيمة وختموا على المواضع وتوجهوا واخذوا معهم ابن اخي البطرك وابو الفرج المقدم ذكرهما واما جماعة النصارى فانهم التاموا حوالي البطرك مع الاساقفة الذين كانوا حاضرين وهم انبا يوساب اسقف فوه واسقف بوتيج والسندوني وولده وانبا بمين اسقف اطفيح وجماعة من القسوس والشمامسة وجمع كبير من الشعب وجنزوه على جاري العادة وقيل ان رايحته تغيرت حتى انهم كانوا يرشون عليه ماء الورد لتزول الريحة الكريهة عن الناس ودفن في عشية يوم الاربعا الخامس عشر من برمهات في القاعة التي كان عمرها بدير الشمع وعاد الناس الى مواضعهم فاما ابن اخي البطرك وابو الفرج الخازن فانهما لما وصلا الى الصاحب معين الدين أمر بتسليمها الى المجاهد سليمان والي مصر وقال له تسلم مني هذين واريد منك عشرين الف دينار«مما كان يقال له ومما كان يخشى في اسماعه فاخذهما الوالي وحبسهما وضيق عليهما واما رهبان الدير فان الوالي سير اليهم احضرهم اليه ووكل عليهم وتركهم عنده وبقي الدير بلا قداس ولا صلاة وباب القاعة التي البطرك مدفون فيها مغلق وكان جماعة يريدون ان يزوروه فلا يجدون سبلا ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره رسم بان يعقد جسر الى الجيزة فاخذت المراكب التي كانت على بحر الجزيرة نقلت الى الناحية الاخرى من الغرب وعقد الجسر من الجزيرة الى الجيزة ومشى الناس عليه وكانت الطريق قد مشت من مصر الى الجزيرة في البر من جانب الجزيرة الاخرى على جاري عادتها في كل سنة ورسم السلطان عز نصره ان ينتقل من كل سوق قوم الى الجيزة ويقيموا بها لان قصده ان

يعمرها وقيل انه قاس لعمارتها مقدار اسكندرية طولاً وعرضاً ورسم بأن ينقل الشوانى الى بر الجيزة وتعمر هناك وان تعمر الامراء لهم هناك ادراً ليكون مقام السلطان فى قلعة الجزرة والامراء فى الجيزة ونقل اصناف عماير المراكب الحربية والنيلية من صناعة مصر الى صناعة اختطها بالجزيرة وكان العمل مستمراً بالجزيرة وطلعت ابراجها الشرقية وشرعوا فى الابراج البحرية بحفر الابار وعمل الجنازير وطلعت ابراجها الشرقية وشرعوا فى الابراج البحرية بحفر الابار وعمل الجنازير والبناية عليها وتسفيرها كما عمل فى الابراج والابدان الشرقية وكان قد طلع فى بحر الجزيرة جزيرتان كبيرتان فامر بقطعهما ونقل ترابهما فى المراكب الى بر الجيزة وردمه هناك لانه كان غرق فى ذلك البر مراكب وكان قصده بذلك كله ان يتوكا البحر على الجانب الشرقى فتبقى تحت الجزيرة من الشرق شتاء وصيفاً وربما يستمر فى خليج القاهرة ورسم بابتياع الابقار والاستكثار منها فابتيع واحضر من الابقار ما يناهز الف وخمس مائة راس ورتبت فى العمل فى بر مصر بالجراريف من دار الملك الى فم الخليج ونقل سوق الغلات والعلافين اصحاب المقاعد الذين كانوا على الساحل وادر الاملاك التى تباع فيها البطيخ والفقو والخيار وما يجرى مجراها الى الكوم الاحمر قبلى مصر ما خلا دار الاملاك الى الجيزة لما عزم على حفر هذه المواضع ثم انه رسم تخلى كنيسة الجزيرة وجامع المقياس ويخرج من بهما وكان بالكنيسة رجل قسيس كبير السن ضعيف البصر يسمى افرهام وكان له فى الكنيسة المذكور ستين سنة فاخرج منها وسمر بابها واخرج ابن ابى الرداد من جامع المقياس ولم يعلم السبب فى ذلك فقوم قالوا ان السلطان يريد ان يعمل من جانب الكنيسة طريقاً الى الابراج التى عملها على المقياس وقوم يقولون انه كره تخطى الناس على باب داره وبقى الحال على هذا وكانت اسعار الغلة قد انحطت وتوطات وكان النصارى فى مصر فى ضايقة من قبل القاضى حتى انه كلف الناس انه من كان ثوبه ابيض يحمل زناره ازرق او اسود او لونا يخالف الابيض وان كان ثوبه اسوداً اوازرق فيكون زناره ابيض واخذ جماعة بذلك وكان العوام اشد على الناس من هذه الامور كلها ولم يكن فى القاهرة شىء من هذا اصلاً وكان قد جرى لليهود فى هذه المدة قضية

عجيبة لانهم كانوا بلا ريس وكان فيهم قوم متعنفين يعرفون باولاد الفارق فى دقنه وكانوا يسعون فى الرياسة فاتفق ان اثنين منهم وهم الكبار من الاخوة حضروا للكنيس التى لهم فى سبت من السبوت فطلعا الى المنبر وقراء العشر الكلمات التى فى التوراة وكان هناك من اليهود من يشناهما فمضى الى والى مصر وقال له ان السلطان خلد الله ملكه رسم ان لا يكون رييس لليهود الا بعد ان يقوم بالف دينار لبيت المال وهو ان اثنان من اولاد الفارق فى دقنه قد سرقا الرياسة وطلعا الى المنبر وقرا ما كان يقراوه الريس ولم يزنا شياً فسير اللوالى احضرهما واخذ عليهما الشهادة فانهما قراأ العشر الكلمات فوكل عليهما وسير أعلم مولانا السلطان فخرج إليه الامر بان يحبسهما حتى يزنا الالف دينار الذى تقرر فى الرياسة فحبسهما وكان اسم احدهما ابا البها وهو العالم فيهما والاخر ابا النجم وكان يسافر مع السلطان الملك الكامل ويتخادم لاكابر الدولة فاما ابو البها فانه اسلم وتخلص واما ابو النجم فبقى فى الحبس وفى هذه الايام مات اسقف الملكيه الذى بمصر ولم يوجد له ما يكفن به وكانت اياماً عجيبة النصارى القبط بغير بطرك والملكية كذلك لا بطركهم مات قبل انبا كيرلس واليهود بلا رييس واما اصحاب البطريرك المحبوسين وهم ابن اخيه وتلميذه وغلامه فانهم عصروا مراراً ولم يقروا بشيء وكان العصر بالاكبر لابى الفرج بن خلبوص الذى هو التلميذ والمتصرف كان فى المال فعصر حتى قارب الموت ولم يخرج شياً وبقوا محبوسين وفى هذه الايام كان الصاحب معين الدين بن الشيخ قد عمر مناظر على البحر بمصر من جانب باب القنطرة وكان القاضى ابن عبد السلم قاضى مصر قد عبر على هذا المكان فى وقت من الاوقات وقال لبعض الوكلا الوقوف على العمارة لا تعمروا هذا المكان فقد ثبت عندى انه كان مسجداً وفيه اموات فعرفوا الصاحب بذلك فلم يكترث له وكان الي جانب هذا الموضع مسجد وكان ابن القاضى الاسكندرى الذى كان قبل هذا القاضى قد عمر عليه طبقة مليحة تانق فيها وغرم عليها جملة وقد كان هذا القاضى قصد هدمها لانه قال الاوقاف لا يجب ان تغير عن صورتها ولا يزاد فيها ولا ينقص فما مكنه الصاحب من ذلك وبقى فى نفسه فلما تم له فى كنيسة بو سرجه ما تم ظن ان المواضع كلها هكذى

فاخذ معه جماعة من الشهود وجمعاً من الهدادين واجتمع معه من المتفرجين والمتفرغين خلق عظيم وطلع الى الطبقة وشرع فى هدمها وكان قصده انه بعد هدمها يهدم الموضع الذى اشار الى انه ثبت عنده انه كان مسجداً وقد عمله الصاحب مجازاً الى داره فبلغ الصاحب ذلك وكان بالجزيرة فجاء الى المكان فى جمعه وغلمانه واشياعه والوالى معه وسير الى ابن عبد السلم وقال له بامر من فعلت هذا ان كان بامر السلطان خلد الله ملكه فعرفنا على لسان من خرجت لك الرسالة ونحن اولى ان ننفذ امر السلطان وان كان بامرك فما لك هذا فقال بامر الله فقال الصاحب نحن نعلم ان الله تعالى ما اوحى اليك بهذا ونحن نمنعك منه حتى ترى ان كان هذا الامر من الله وكانوا قد هدوا من الطبقة مسقفتين من جانب الطريق لا غير فسير الصاحب غلمانه واشياعه فأخرقوا بالشهود اخراقاً عظيماً وضربوهم الى حد الموت وضربوا الهدادين وبدوا بهم وانفض ذلك الجمع وهربوا واما القاضى فانه بقى فى الطبقة وحده وكانت بغلته على الباب فضربها الغلمان وهججوها وكسروا يد الركاب دار وكان يوماً مشهوداً لم يرا اعجب منه وبعد زمان خرج القاضى يمشى الى برا الباب ونزل فى مركب حتى مضى الى بيته وكان قد اراد من الوالى ان يعينه فلم يبعينه بشى فحلف انه لا يحكم ولا يتصرف الا ان عزل الوالى وانقطع عن النزول الى مصر وعن الحكم بها الا ان نوابه كانوا باقيين على حالهم ومتصرفين ثم ان الامر خرج ببيع توكة البطرك فاخرجت فى مصر وبيعت فى يوم الثلثا السادس والعشرين من برموده وابصر الناس فيها من التحف والاشيا الغربية ما لم ير مثله حتى انه قل ان قماش بدنه حفظ اربعماية دينار ولم احقق لك الا انه بيع بجملة عالية وكان الثوب الصوف المفصل يباع بمايتى درهم والغفارة الجوخه اعتيقة بماية وخمسين درهماً واخبرت ان شخصاً اشترى قطعة من الحلقة واخرجها الى السوق عرضها فويت نصف ثمنها وكان كل ما يبيع لان الحلقة لها سمعة لا سيما مع هيبة السلطنة واما اوانى الكنايس مثل الصوانى التى للقربان والكاسات والكساوى التى للهياكل وما يجرى مجراها فانهم عزوا حتى تشاوروا عليها ولما كان فى اوايل بشنس خرج ابن عبد السلم قاضى مصر الى [illegible] الذى بالقرافة وجمع جماعة من الشهود

وعزل ولده وولد البها بن حنا الذى هو صهر الاسعد الفايزى وفيما هو فى ذلك سير اليه الوالى ابن اخيه وقال له هذا ما هو موضع الحكم فما هذا الجمع فشتمه القاضى وافترى عليه فقال له ابن اخى الوالى انا ما لى معك حديث بل هولاء الشهود هم يعلمون ما يلقون وكانوا زهاء ثلثين رجلاً فانفضوا جميعهم وقاموا فاستعادهم القاضى وقال لهم اشهدوا على بأنى عزلت نفسى من الحكم بمصر واعمالها وصرفت نوابى وانى عزلت الوزير ابن الشيخ من النظر على الشافعى ومن شيوخة الصوفية ومن النظر على تركة اخيه عماد وورثته واسقطته من العدالة فسمعا ذلك وراح كل منهم الى بيته وخرج القاضى وحده راح الى القاهرة لانه كان يسكن بها وبقى الحال على ذلك الى يوم الجمعة السادس من بشنس وهو عيد الشهيد ابى اسحق بدفرى رسم الشيخ ابى المجد الاخميمى بان يعود الى الخطابة على ما كان عليه اولا وهذه اول خدمة كانت لابن عبد السلم فخطب فى النهار المذكور بجامع مصر وكان له يوماً مشهوداً وتلقاه الناس بالشمع الموقود والمصاحف المنشورة وفرحوا به فرحاً عظيماً وبقى الحكم بغير قاض بمصر والامر موقوف فى ذلك الى ان ركب السلطان يوماً فى بر الجيزة فلحقه ابن عبد السلم وجاء اليه الى المنظره بمنيه عقبه واستاذن عليه فاعطاه دستوراً بالعبور فعبر اليه فاكرمه وقال له واكل معه واستعفاه من القضاء فاعفاه وما كان يظن ذلك ثم استاذنه فى السفر فاذن له فيه الى اى جهة اراد ثم خرج من عنده وقد اثبت من الحكم والخطابه واستخدم نوابه جميعهم فى مواضعهم على حالهم لكن من قبل السلطنة لا من قبل قاضى مصر على جاى العادة وكان قاضى مصر ايضاً من جملة النواب الذين ابقوا على حالهم ولم يتغير احد من النواب سوى قاضى قوص وكان هذا تدبيراً من الله تعالى لانه كان قد ظلم النصارى واساء عليهم واحدث عليهم حوادث لم يكن حتى انه استسلم كل مملوك لهم ومنع ان يباع شى من الجلب لاحد من النصارى وقال ان هولاء الجلب جميعهم مسلمون وهم يعبرون على دهلك وعيداب وبلاد المسلمين ويدخلون المساجد ويصلون فيها فلا يجوز ان يباعوا للنصارى واشيا كثيرة من مثل هذا من ان ابن الابن يتبع الجد اذا كان [illegible] بالغاً فى حال اسلام ابيه الذى هو الجد

إذا كان مسلماً وان كان الابن نصرانياً لانه كان بالغاً فى حال اسلام ابيه الذى هو الجد فصرف دون جماعتهم واقر ساير النواب على ولاياتهم واهتدى الناس مما كانوا عليه قليلاً الا ان كنيسة الجزيرة هدمت الى الارض وغيرها فى عماير القلعة وصارت من جملتها وكان فى هذه السنة قد وردت الاخبار ان الخليفة المستنصر بالله قد توفى ببغداد وكان رحمه الله من الخلفا الراشدين الذين اقاموا منار الحق وانصفوا بين الخلق وقربوا المويدين واقصدوا المفسدين فتوفى وقعد بعده ولده المستعصم بالله امير المومنين وكانوا يطلقوا له هذا للنعت لان الخلفا العباسيين قد ناهزوا الاربعين فقد استوعبوا اكثر الاسماء ومن شرطهم الا يسمى خليفة باسم قد سمى به غيره فيقال انهم اقاموا مدة يبحثون حتى وقع لهم هذا الاسم وجات رسله الي مولانا الملك الصالح وخطب له وضربت السكة باسمه ثم ان مولانا السلطان عز نصره سير الى اخص الامرا الذين بغزة وهم الامرا الاشراف اولاد تعلب بان يحضروا الى القاهرة لشغل عرض له فجاوا وفى مجيهم كان الافرنج قد جاوا فى امر مركبات الى الواردة نهبوها واخذوا منها جماعة ثم جاوا الى قطية وفى مجيهم اليها نزل الاشراف بها ولم يعلموا واذا الافرنج قد طلعوا من المراكب اول الليل وجاوا الى السوق ونهبوه وامسكوا كل من وجدوه وربطوهم معهم فى السلاسل فلما بلغ الاشراف ركبوا وكانوا فى قلة لان اصحابهم تفرقوا وكانوا فى الاصل ضعافاً لان اجنادهم مقاربة جداً الا انهم ما قصروا بادروهم وقاتلوهم من اول الليل الى ان طلعت الشمس وخلصوا منهم المسلمين الذين كانوا اسروهم واخذوا منهم ثلثة انفس بالحياة وقتلوا منهم زها عشرين نفساً جاوا بشعفهم معهم على الرماح ويقال ان اكثرهم جرحوا ومنهم من مات بعد انفصالهم عنهم وما راحوا الا بشر ويقال انهم ما بين ثلثماية قوس وهذه حملة كبيرة بازا هذه الجماعة اليسيرة وشكر الامرا الاشراف من مولانا السلطان ومن كل احد وخلع مولانا السلطان عليهم خلعاً سنية وكانو ثلاثة امرا اولاد عم وهم حصن الدين وكان اصغرهم سناً واكبرهم قدراً وشرف الدين وتقى الدين ثم بعد ذلك تحرك العسكر الشامى مع الافرنج الى ناحية غزة وجات الاخبار بان الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك اتفق معهم فعاد العسكر الذى كان بغزه وطلعوا

الى فاقوس ورسم مولانا السلطان عز نصره للعساكر بالخروج وانفق فيهم لكل امير على عدد حلقته عن كل جندي عشرة دنانير ان كان معه ماية جندي اعطاه الف دينار والاجناد لكل جندى عشرين ديناراً فاما رجال الحلقة فلكل واحد اربعين ديناراً ويقال ان الذى أخرج مايتا الف دينار وجات ايام اخذ القاع بالمقياس والمطالعة به وهو الخامس والعشرين من بونه وكان القاع فى النهار المذكور اربعة أدرع واربعة عشر اصبعاً وكان في العام الماضى فى مثل هذا النهار اربعة ادرع وعشرين اصبعاً النقص بينهما ستة اصابع وكانت الاسعار هاديه القمح من خمسين درهماً الاردب الى ثلاثين والشعير من اثنين وعشرين درهماً الاردب الى عشرين والفول مثل ذلك واما اللحم والدجاج وساير اصناف الموكول وما يجرى مجرى ذلك فعلى حاله فى الغلا وكان مولانا السلطان قد امر بنفى جماعة من الامراء المعتقلين فاخذ لهم شوانى وركبوا فيها ومضوا بهم الى بلاد الغرب الى جزيرة فيها قوم يهود يقال لها طلمشه فتركوهم فيها وكان انسان من اولاد النصارى يعرف بابى المجد بن الموتمن بن ابى البدر وكانت امه ابنة اخت الاب البطرك ابن زرعه وكان قد جرت له نكبه على سكر من مدة ثمان وعشرين سنة وهو انه تخاصم مع قوم وهو سكران فتلفظ بالاسلام فحفظوا القول عليه ومضوا به الى مدرسة الفقيه الطوسي وبيتوه فى بيت وحده فلما افاق من سكره رمى بنفسه من باب ريح الى الطريق من ناحية البحر ومر من وقته استتر عند بعض النصارى الى ان قضي شغله وتوجه الى الشرق فاقام هناك هذه المدة وتزوج ورزق اولاداً ومالا ثم انه رمى من الزمان بحوادث اذهبت المال وافقدت بعض الاولاد فعاد الى مصر وجاء ان امره نسى وان حاله يمشى وانه يقيم بالبلاد ويتعرف نصرانياً فخوف من ذلك وقيل له ان هذا ما لا يمكن وترجع يجدد هموماً قد مضت فاستتر عند اخوته وكان له اخ صالح مبارك يسمى الصنيعة ابا البدر يوحنا وكان مرشحاً للبطريركية وقد تحدث له فيها مرة قبل تقدمه أنبا كيرلس فكان يسعى ويبيع ويقترض حتى يحصل له شيئاً ياخذه ويسافر فبينما هم كذلك فى السابع عشر من بوونه اذا وجعه فواده ليلة واحدة واصبح ميت فى التاريخ المذكور وكان [illegible] حتى اذا مات يدفن هناك فما امهله الزمان وبقى

اخوه المسكين متحرقاً ومتخوفاً فطلع الى القلعة واعلم الجماعة بذلك فاشاروا عليه بان لا يدفنه الا مسلماً وان هذا الامر فيه خلاص من درك عظيم وليس فيه خطية على ميت ولا حى فاما الميت فما مات الا على ايمانه وما هذا مما ينقله عنه واما الحى فما قصد بهذا التحقير به ولا التقصير فى حقه وانما على سبيل الدوا الذى يستعمل لمنفعته وان كان مراً فمضى الى مستخدمى المواريث فكتب لهم خطه بما تخلص به منهم واخرجه مسلماً ودفن مع المسلمين وكانت هذه من جملة المحن التى امتحن بها هذا القديس ثم ان الاخبار وردت بان النظر مالوا الى جانب مملكة روم المسلمين وهى نواحى قونيه فاقصرا وسواس وملطيه وهى بلاد عظيمة تمسك عساكر جمة وهى من اعمال القسطنطينية العظمى كان قد اخذها بالحيلة رجل تركمانى يقال له قليج رسلان وان ملكها انفق نفقات عظيمة وضرب دنانير ما سمع بمثلها ووصل التجار من هناك واحضروا معهم شيا منها وكان فيها ما وزنه اربعماية وخمسون مثقالاً ودونها الى خمسين مثقالاً وكان ذهباً غالياً جداً حايفاً حتى انه بيع بالقاهرة بناقص درهم واحد فى كل مثقال عن المصرى لا غير فما كان النقص يفى بحق ضربه بمصر فدل على صيغه وانه يصلح غيره اذا سبك معه وفى هذه الايام وصل الى الاسكندرية من بلاد الافرنج غلال كثيرة وهو من العجايب الغريبة حتى ان قمحهم بيع بالاسكندرية بستة وثلثين درهماً الاردب وكان قمحاً رضيناً صحيحاً قوياً وخبزه احسن ما يكون وكان اللز فى هذه الايام على خروج العساكر والنفقة مستمرة والحفر فى البحر ليدور على الجزيرة والعمارة فى قلعة الجزيرة والعمارة ايضاً فى المدرسة المستجدة بالقاهرة وفى هذه الايام رسم بعمل قنطرة على الخليج عند باب الخرق واهتم بها وحصل للناس بها فرح عظيم لانها تجى فرحاً لهم ووفا النيل المبارك ستة عشر ذراعاً فى يوم الاحد الثالث والعشرين من مسرى واستبشر الناس بانه نيل مبارك الا ان الاسعار كانت ماسكة نفسها القمح العال بخمسة واربعين درهماً الاردب والدون بخمسة وعشرين درهماً الاردب والدقيق بخمسة وثمانين درهماً الجملة والخبز اربعة ارطال بدرهم وكل ما فى البلاد غال من ماكول ومشروب وملبوس ومركوب واصناف العمارة واجر الصناع وكان قد وصل من بلد

روم المسلمين مع التجار دنانير منها ما دون الدينا اربع ماية وخمسون مثقالاً وما وزنه مايتي وخمسة مثاقيل ولم ار هذين بل سمعت بهما بل انني رايت ديناراً وزنه ماية مثقال ومثقالان ونصف مثقال وعلى الوجه الواحد اعتقاد المسلمين واسم الخليفة وعلى الوجه الاخر اسم ملكهم وهو السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين كيكاوس بن كنقباد وتاريخ ضربه بدار الملك قونية سنة خمس وثلثين وستماية وفى هذه الايام وردت الاخبار بان التطر نزوا على بلد الروم هذه وكسروهم واخذوا منهم بلاد كثيرة منها سواس وانزعج الناس من هذا انزعاجاً كثيراً لانهم قربوا من الشام وصار بينهم وبين حلب مسافة يسيرة وكان قد توجهت منهم فرقة الى بلاد الانبرور صوب اللمان ولم ينالوا طايلاً وقتل من التطر والافرنج خلق عظيم وكان للكسرة على التطر ولم تنج متهم الا نزر يسير لانهم كانوا عدوا البحر وفى هذه الايام وردت الاخبار من الاسكندرية بوصول رسول من جهة الانبرور الى مولانا السلطان الملك الصالح وكان تخبر بطسه يسمى نصف الدنيا وكان الناس يتعجبوان من عظمتها وقيل ان فيها ثلثماية بحار خاصة خارجاً عن الركاب وكان فيها من البضايع مالا يحصى كثره من زيت وخمر وجبن وعسل نحل ومتاع وغير ذلك ثم ان الاخبار وردت بان الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك اتفق مع عمقه الملك الصالح صاحب دمشق ومع صاحب حمص ومع الملك الجواد الذى هو مع الافرنج واخذ عسكراً فنزل على الشوبك يحاصرها ورجع العسكر المصرى الذى كان على غزه وبقى الحال على هذا مدة وعتق ابن الملك الناصر الذى كان بالقاهرة بالقلعة واحيط على جميع اصحابه وحبسوا وقطعت رواتبهم واخذت قاى التى كانت اعطيت لابن مليح لانه كان من اصحاب الملك الناصر وهو صاحب قلعة عجلون ثم ودت الاخبار بان الملك الصالح صاحب دمشق وصاحب حمص اتفقا على الملك الجواد وهو عندهما فقبضا عليه وسيراه الى دمشق ورجلا طالبين دمشق وان الملك الناصر لما بلغه ذلك رحل عن الشوبك بعدما اشرف على اخذها وطلب الكرك ورجع السلطان خلد الله ملكه جرد عسكراً ثقيلاً ووجهه الى غزه

تم الجزء الرابع

ابــا اثناسيوس البطرك
وهو مـن العـدد السادس والسبعون

التلميـذ اثناسيـوس البطرك وهو الســادس والسبـعـون من العـدد هذا الأب اثناسيوس البطرك ولد القس مكارم ابن كليل كان شماس بالمعلقة واختير للبطريركية وقدم فى الخامس من بابة سنة تسعماية سبعة وستين للشهدا واقام بطركا احدى عشر سنة وستة وخمسين يوما وتنيح فى اول كيهك سنة تسعماية ثمانية وسبعين للشهدا .

ابــا غبريال البطـرك
وهـو مـن العـدد السابع والسبعون

غبـريال البطرك وهو السـابع والسـبعون من العدد غبـريال البطرك هذا ابن اخو الاب بطرس الشامى اسقف طنبدى هذا الاب كان قسا بالمعلقة فأختير للبطريركية وكرز قمصـا ثم ان بعض الاراخنة بمصر اتفقوا على يوانس ابن ابى سعيد السكرى وعملوا قرعة هيكلية فطلعت باسم انبا غبريال فنازعه يوانس بن سعيد المذكور ومن كان معه فابطل وقدم يوانس فى سادس طوبة سنة تسعماية ثمانيـة وسبعين للشهدا بعد وفاة انبا اثناسيـوس بشهر واقام بطركا مدة ستة ستين وتسعة اشهر ثم عزل يوانس ابن سعيد وكملوا انبا غبريال واستقر فى البطركية مدة سنتين وشهرين من رابع عشرين بابة سنة تسعماية وخمسة وثمانين للشهدا والى سادس طوبة سنة تسعماية سبعة وثمانين ثم عزل من البطركية واعيد يوانس بأمر السلطنة ولم يزل انبا غبريال معز ولا الى ان تنيح بكنيسة ابو مرقوره بمصر ودفن بها فى سابع عشر ابيب سنة تسعماية وتسعين للشهدا ولما تنيح قدموا أسمه على اسم انبا يوانس فى الكنيسة .

ابــا يوانس البطـرك
وهـو مـن العـدد الثامن والسبعون

يوانس البطرك الثامن والسبعون من العدد يوانس البطرك ابن سعيد السكرى هذا كان من اهل مصر وقدم فى سادس طوبة سنة تسعماية ثمانية وسبعين للشهدا كما

شرحنا اولا وكان فى ايام الملك الظاهر بيبرس وفى سنة ستماية اثنين وستين للهجرة امر السلطان ان يحفروا حفرة كبيرة ويجمعوا النصارى يحرقوهم فيها وطلب البطرك وقرر عليه خمسون الف دينار واطلقوا النصارى واقاموا سنتين يستخرجوها وجرى على النصارى شدايد كثير فى ايامه يطول شرحها وقاسوا الاساقفة شئ يطول شرحه وعزل من البطركية كما شرحنا فى خبر انبا غبريال المذكور قبله ثم عاد ومدة بطركيته تسعة وعشرين سنة وتنيح فى اليوم السادس والعشرون من برمودة سنة الف وتسعة للشهدا ودفن بدير النسطور وخلى الكرسى بعده سنة واحدة وایاما .

ابـا تاوضوسيوس البطـرك
وهـو مـن العـدد التاسع والسبعون

تاوضوسيوس البطرك وهو التاسع والسبعون من العدد تاوضوسيوس البطرك ابن ابو مكين الافرنجى كان اسمه عبد المسيح من اهل منية بنى خصيم وكان بدير القديس ابو فانا وكرز قسا بديره وقدم فى عاشر ابيب سنة الف وعشرة للشهدا فى ايام الملك الناصر محمد ابن قلاوون واقام الشعب مدة لم يذكروا اسمه بل كانوا يذكروا اسم الذى قبله وذكر انه اخذ البطركية بما يخالف الناموس والشريعة وكان محبا لاخذ الرشوة وحدث فى ايامه فنا وغلا عظيم واكلوا الناس الميتة من بعضهم البعض وتنيح فى الخامس من شهر طوبه سنة الف وستة عشر للشهدا ومدة مقامه على الكرسى ستة سنين ودفن بدير النسطور وخلى الكرسى بعده اياما .

ابـا يوانـس البطـرك
وهــو مــن العـدد الثمانــون

يوانس البطرك وهو الثمانون من العدد يوانس البطرك الشهير بابن القديس اختير للبطركية وكرز فى اليوم التاسع عشر من امشير سنة الف وستة عشر للشهدا وكان فى ايامه لبس العمائم الزرق وما يجرا مجراه وحدثت زلزلة عظيمة فى يوم الخـ[illegible] سنة الف و[illegible]شر للشهدا وتنيح فى اليوم الرابع من

شهر بؤونة سنة الف ستة وثلاثين للشهدا ودفن بدير شهران ومدة بطركيته عشرون سنة وماية وخمسة ايام وهذا الاب حضر تجنيز الاب القديس برصوما العريان فى خامس النسى سنة الف وواحد وعشرين للشهدا وصلا عليه بركة صلاة الجميع تكون معنا الي الابد امين .

ابـــا يوانس البطـرك
وهـو مـن العـدد الحادى والثمانون

يوانس البطرك وهو الحادي والثمانون من العدد هذا الاب يوانس البطرك من اهالى ناحية نفية بالمنوفية كرز بطركا في اول شهر بابة سنة الف سبعة وثلاثون للشهدا وفى ايامه جرت شدايد كثيرة على النصارى وقتل منهم وحرق منهم وسمروا منهم واشهروهم على الجمال والبسوهم العمائم الزرق ثم فرج عن الشعب برحمته ومدة بطركيته ستة سنين وخمسة شهور ونصف وتنيح فى اليوم الثانى من برمودة سنة الف وثلاثة واربعين للشهدا ودفن بدير النسطور بظاهر مصر وخلى الكرسى بعده ايام قليلة.

ابـــا بنيامين البطـرك
وهـو مـن العـدد الثانى والثمانون

بنيامين البطرك وهو الثانى والثمانون من العدد هذا الاب بنيامين تنبأ عليه ابينا القديس بوصوما العريان قبل نياحته اوسموه بطركا فى الخامس عشر من شهر بشنس سنة الف ثلاثة واربعين للشهدا وكان هذا الاب القديس من اهل الدميقراط بالصعيد وكان راهبا عابدا مقيم بجبل طرا وتنيح فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة سنة الف خمسة وخمسين للشهدا وفى ايامه تولا شرف الدين النشوا ابن التاج وجرا عليه شدايد كثيرة واهانوا النسا واولادهم والرهبان والرهبانات والاساقفة ومات النشوء فى العقوبة ببركة صلاة هذا الاب وطلباته وحل الانتقام من الله على جميع فاعلى السوء وهذا الاب اعمر دير القديس انبا ابشاى بشيهات وانفق عليه من عنده ومدة اقامته بطركا [illegible] بدير شهران .

ابـــا بطرس البطـرك
وهـو مـن العـدد الثالث والثمانون

بطرس البطرك وهو الثالث والثمانون من العدد هذا الاب الفاضل بطرس كان رئيس بدير شهران اختير للجلوس على الكرسى المرقسى الانجيلى فقدم فى اليوم السادس من شهر طوبة سنة ألف ستة وخمسين للشهدا واقام بطركا ثمان سنين ونصف وكانت ايامه هادية وتنيح فى اليوم الرابع عشر من ابيب سنة الف اربعة وستين للشهدا

ابـــا مرقـس البطـرك
وهـو مـن العـدد الرابـع والثمانون

مرقس البطرك وهو الرابع والثمانون من العدد هذا الاب مرقس البطرك كان من اهالى ناحية قليوب اختير للبطركية فقدم فى الثامن من ابيب سنة الف خمسة وستين للشهدا واقام بطركا اربعة عشر سنة وثلاثة شهور وتنيح فى السادس من امشير سنة الف تسعة وسبعين للشهدا وكانت ايامه هادية .

ابـــا يوانـس البطـرك
وهـو مـن العـدد الخامس والثمانون

يوانس البطرك وهو الخامس والثمانون من العدد هذا الاب يوحنا المؤتمن الشهير بالشامى قدم بطركا فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس سنة الف تسعة وسبعين للشهدا واقام بطركا ستة سنين وشهرين وكان عالم فاضل وتنيح فى اليوم التاسع عشر من ابيب سنة الف خمسة وثمانين للشهدا .

ابـــا غبريـال البطـرك
وهـو مـن العـدد السـادس والثمانون

غبريال البطرك وهو السادس والثمانون من العدد هذا الاب الفاضل الجليل غبريال كان من دير المحرق واختير للبطركية فقدم فى اليوم الحادى عشر من طوبة سنة

الف ستة وثمانين للشهدا وكان عالما فاضلا عابدا ناسكا ومدة اقامته على الكرسى المرقسى ثمانية سنين واربعة شهور وتنيح فى اليوم الثالث من شهر بشنس سنة الف اربعة وتسعين للشهدا الاطهار .

ابـــا مـتى البطـرك
وهـو مـن العـدد السابـع والثمانون

متى البطرك وهو السابع والثمانون من العدد وهو الشهير بالمسكين هذا الاب القديس كان من صعيد مصر من ضيعة صغيرة من اعمال الاشمونين تسمى بنى روح وكان منذ صغره راعى غنم فى بيت ابيه وان الله المظهر العجائب فى قديسيه اظهر فيه من طفوليته فى الرعاية اعمال عجيبة جدا منها انه لما كان يقف يلعب مع الاطفال كان يضع يده على رأس واحد من الاطفال وهو يقول اكسيوس ثلاث مرات وكان يرسم جماعة منهم قسوس واخرين شمامسة حتى كانت والدته المباركة تعجب من ذلك وتسير الى الجمع قائلة ان ابنى هذا لا بد ان يصير بطريركا وهذا لم يمكث الطفل قليلا حتى كبر ونشا فلما صار له من العمر اربعة عشر سنة حينئذ ترك بيت ابيه ومضى الى بعض الديارات بالصعيد عمل راعى غنم كعادته وكان لا يلبس على جسده ثوب بالكية بل كان متوزرا بعبادة وحبل على حقويه وكان مع حقريته لذاته هكذا دوء شجاعة وقوة شديدة حتى ان من عظم شجاعته كانوا الرعاة الذين اكبر منه اذا ارصدوهم الضباع الكاسرة فى الليل لكسر اغنامهم ولا يقدروا عليهم فكانوا يمتحنوا هذا الاب ويبعثوه الى تلك الضباع فكان اذا دنا منها وزعق عليهم بصوته تتقافز منه وترجع مولية هاربة حتى كانوا الرعاة الذين هم اكبر منه يتعجبوا من عظم شجاعته ونعمة الله حالة على وجهه لان هذا الاب كان حسن الوجه محبوب الشكل والصورة والمنظر جدا وكان كل من ينظره يحبه منها انه فى دفعة نظرته امراة واشتهت حسن حاجبه وسلطها عليه الشيطان وابدته بالشر وانه انفرد الى ناحية وقشط حاجبه بموس واخذه وجابه الى تلك الامراة قائلا لها خذى شعر الحاجب الذى اشتهيته فلما نظرته الامراة تألمت لذلك جدا ولكنها

الهرب الى بلاده فلما هذا الاب بالروح امره ترك ذلك الراهب مكانه ومضى لساعته الى بيت لحم قبض الذى سرق المبلغ واخذه منه ولم يشهر امره لكن اخذه منه واعاده الى ذلك الراهب صاحبه وان الراهب تعجب لذلك وذاع بهذه الاعجوبه لكل حد فى اورشليم فلما علم هذا الاب ان امره قد اشتهر قام لساعته وجاء الى جبل انطونيوس وناله عند عودته احزان كثيرة وشدايد منها ان الملك بمصر لما وقع من الافرنج ما وقع بمدينة الاسكندريه فارسل قائد وجند من عنده يعاقب الرهبان ويطلب منهم اوانى الدياره فلما قبضوا الجند على هذا الاب وعاقبوه عقاب صعب الى ان تألم قلب الطوبانى مرقس عليه فانتهره القائد من اجله قائلا له انت ما تخاف الله اذ تسمع الشاب يقسم عليك من الم الضرب بشأن الله وانت لا ترحمة وتقبل شأن الله فلما سمع القائد كلامه حنق جدا وامر ان يطلقوا هذا الاب ويضربوا الطوبانى مرقس عوضا عنه وعيا القائد من عقابهم اخذهم فى الوثاقات بريد يروح بهم الى مصر ان الله المظهر عجائبه فى قديسية اظهر على أيديهم اعجوبة عظيمة الى ان تعجب القائد وندم على عقابه لهم وذلك ان هؤلاء القديسين لما اشتد بهم الم الضرب والوثاقات حصل لهم فى الطريق عطش صعب الى ان دابت كبودهم وكان الطوبانى مرقس يسأل القايد ان يعطيهم قليل ماء يشربوا فلم يفعل وان الطوبانى مرقس انتهره قائلا ان كنت انت ما تعطينا ماء لنشرب ها هو الرب الهنا يعطينا ماء من السماء لنشرب ومع كلام الطوبانى مرقس له صلى ورفع وجهه الى السماء وللوقت انفتحت ميازيب السماء وهطلت الامطار الى ان امتلئت البقاع والاوديه وشربوا جميعهم ومن كثرة المطر نزلوا يستريحوا فوافاهم رسول من عند الملك بخلاصهم وعودتهم الى ديارتهم وهكذا لم يمكث هذا الاب بالدير الا قليلا ثم انه اخذ اذن من الطوبانى مرقس ومضى الى جبل قسقام بالمحرق وكان ذلك بتدبير من الله لمنفعة الاخوة السكان هناك لان كان فيهم من لا يداوم الصوم فى كل يوم الى التاسعة فعلمهم هذا الاب مداومة الصوم الى التاسعة مع الجهاد الكثير الذى كان يجاهده امامهم كى يتعلموا منه بالنظر لانه افضل من السماع فكان تارة يشيل الرماد على رأسه ويغسل أوانى الطبخ ويكنس ويخدم الشيوخ والمرضى الذين فيهم والمترددين

وليس له ثوب ولا قنيه ولا قلايه بل كان المتن اقامته فى مغارة بالجبل خارج عن الدير ويصلى فيها وكان الشيطان يثير عليه فى تلك المغارة حروب كثيرة وخيالات مفزعة منها انه كان يهيج عليه مثل السباع والضباع الكاسرة ليأتوا اليه يفترسونه فكانوا حين ينظروه يأنسوا اليه ويخافوا منه وقد اخبرنا هذا الاب ان الوحوش الكاسره انست اليه حتى صاروا اليوم الذى لا يجدوا فيه قوت رضعانهم فيأتوا ويشكوا اليه فيقوم ويعطيهم ما عنده من الخبز ويترك ذاته ايام جائع بدون اكل الى ان يعود الى الدير وكانوا الوحوش لمحبتهم فيه اذا سار فى الطريق يسيروا معه واذا امرهم بالرجوع رجعوا وكان تدبيره هكذا من وقت الى وقت الى ان انتقل البطريرك الذى كان قبله وحينئذ دعوه جماعة الشعب وسألوه ان يصير بطريركا عليهم فلم يرض وقام واختفى ونزل فى مركب تقلع الى قبلى فمنع الله الهواء ان لا يخرج الى ان اتى طفل صغير غمزهم فى خن المركب فمضوا اليه الشعب للوقت واطلعوه من الخن من المركب ولما علم ان ليس له خلاص من ايديهم حينئذ سالهم سؤال كثير ان يصحبوه صحبة اثنين منهم الى جبل القديس انطونيوس ليشاور ابهاته الشيوخ وفى الساعة الذى ابصروه الشيوخ قاموا عليه وبالخاصة الطوبانى مرقس واشارو عليه ان لا يبرح عما رسم له بل يستعد ويقبل الخدمة ويعمل بطريركا ولما حضر الى مصر وتحقق انه يصير بطريركا تألم قلبه لذلك جدا حتى ان من زايد تألمه اخذ مقص بولاد وقطع طرف لسانه وطرحه امام الشعب وانهم تألموا جدا قصدوا يعالجوه فلم يمكنهم ولكن الرب الذى اطلق لسان زكريا بعد الخرس هو الذى اطلق لسانه وانهم تحققوا ان راعيهم هذا من الله ثم مسكوه وكرزوه بطريركا فى اليوم الاول من شهر مسرى سنة الف اربعة وتسعين للشهدا وكان جملة من اجتمع من الاساقفة ووضع يده عليه بمدية الاسكندرية احدى عشر اسقفا وكان يود من المسيح ان يرسل له الاسقف الثانى عشر وانه لم يخرج من الاسكندرية حتى ارسل له المسيح الاسقف الثانى عشر وكملوا جلوسه بطريركا فى اليوم السادس عشر من مسرى لمحبته فى ذلك اليوم الذى هو تذكار سيدتنا العذراء وانه لم يغير شى من طريقته ولا تواضعه فى ايام بطركيته لكنه نصب جرس نحاس فى القلايه البطركية وصار كل من يسمع

ذلك الجرس ينهض للصلاة فى اوقاتها والصوم فى كل يوم الى التاسعة وكان من حرصه على الصلوات والسهرانات لا يغفل عن رحمة المساكين بل كان اذا جلس فى مجلسه ثم وافاه انسان جائع او مسكين فكان يترك ما هو فيه من الاشتغال بالحكم وينظر فى حال ذلك المسكين الجائع افضل مما هو فيه لان هذا الاب ما كان اكثر اهتمامه الا بالمساكين والصدقة عليهم ومن زايد اهتمامه فى الصدقة والرحمة كان اليوم الذى ما يأتى اليه فيه مسكين فكان يقوم يطوف بيوت الارامل والمساكين ويفتقدهم والذين فى السجون ايضا كان يتعاهد كل واحدا واحدا منهم واما الديارات التى للرهبانات فاعظم من الكل فانه كان يطوف على كل دير من دياراتهم وينظر فى حالهم وفى دفعة دخل احد الديارات فوجد امراة عجوز راهبة مسكينة جالسة وقت التاسعة تأكل خبز وملح فقط فاخذه لذلك تألم وحزن قلب على الرهبانات حتى صار لا يغفل عن افتقادهم بل صار يرسم لهم كل شهر من قمح وحبوب وزيت وغير ذلك من حين بطركيته الى يوم انتقاله وكذلك الذين فى الدياره والجبال كان يرسل لهم جميع ما يحتاجوه والذين فى الضوايق والشدايد كان يتلقى عنهم تلك الشدة والذين فى السجون كان لاجل خلاصهم يطرح ذاته على ابواب الامراء والحكام ويبذل لهم الاموال الكثيرة حتى يخلصوا من تلك الشدة وكان يطلب العوض من ذلك من السيد المسيح وكان كلما صنع مثل هذه المراحم واعطى المساكين والمتضيقين كلما اعطاه المسيح اضعافه وكان كلما تزايدت اليه العطايات من ذهب وفضه كان يصرفه اولا باول على المساكين وان تلاميذه احصوا ما تخلف عن البطريرك الذى قبله وجدوه اكثر من مائة الف درهم صدق بها الجميع على المساكين ولما نظروا تلامذته ان كلما تحت يده وجميع ما يحمل اليه يصرفه أول بأول على المساكين فكلموه بسبب ذلك وأشاروا عليه ان يبقى شئ من الصدقات وغيره الواردة اليه لعارض يعرض ولما لحوا عليه بالاكثر فحفر فى الارض حفره وشال فيها ستمائة دينار فلما شال ذلك تذكر فى ذلك وقال يا متى ربنا يقول فى الكتاب المقدس لا تكنزوا لكم كنوزاً فى الارض حيث السوس يفسدها والسارقون يحتالون فيسرقون [illegible] الارض وبقيت مخالف لقول الانجيل أو ما

تعلم ان الله سبحانه وتعالى يعوض بدل ما تعطيه للمساكين أضعاف وانه ندم وبكى وقام لساعته ليخرج تلك الستماية دينار واذ هو يجد الى جانبها ستماية دينار اخرى كشفها له الرب من اجل رحمة المساكين فلما نظر ذلك تعجب وصار يبكت تلاميذه على قساوة قلوبهم قائلا انظروا يا أولادى انه اذا كان هذا صنيع الرب مع من ينجد ويعطى المساكين فكيف تمنعونى انا الحقير ان لا اعطى المساكين ثم انه اخذ للوقت بتلك الالف ومائتى دينار قمح وحبوب وفرقها الجميع على الديارات والمساكين والمحتاجين والارامل والايتام والمستورين وفى دفعة قال لتلاميذه قوموا يا أولادى اشتروا الف اردب غلة للمساكين لان غلا عظيم يقع بارض مصر ويموت كثير من المساكين والفقراء فقالوا له تلاميذه من اين يا أبينا نشترى الف اردب غلة وليس معنا من ثمنها سوى النصف خمسمائة دينار لا غير فقال لهم يا ألادى اشتروا ولا تخافوا الرب يجهز لنا خمسمائة دينار اخرى لاجل المساكين وهكذا لم يفرغ الكلام من لهم هذا الاب حتى وافا اليه امراتين من اعيان الناس ومعهما خمسمائة دينار وسألوه ان يشترى بهم قمح للمساكين فلما نظروا تلاميذه ذلك تعجبوا بما كان وقاموا لساعتهم اشتروا تلك الالف اردب غلة كما قال وبعد ما اشترى الغلال لم يمكث الامر الا قليلا حتى وقع بمصر غلا صعب وهج اناس كثير من بلادهم واجتمعوا الى عند هذا الاب حتى امتلات طريق قلايته من الجياع والمطروحين وكان هذا الاب يطوف وينظر الى كل طائفة منهم ويتألم قلبه عليهم وكان يهتم للجميع بما يحتاجوه يوما بيوم الى ان ارتفع ذلك الغلا وزالت تلك الشدة حينئذ دعا الغرباء وعزاهم وعطا كل واحد منهم ثوب وكساه له وكذلك النسوة اعطاهم ما يجب لسترتهم ثم زودهم الجميع واكرا لهم مراكب تحملهم الى بلادهم وكان عدتهم ثمنمائة نفر وكان يهتم ايضا بالاموات ويكفنهم ويدفنهم وكان يفعل الرحمة مع كل الطوايف نصارى ومسلمين ويهود وكان الله تعالى يبارك فى جميع الغلات وغيرهم كما بارك فى الخمس خبرات والحوتين حتى صاروا تلاميذه اذا شكوا عدم الغلة وان ما بقى فى المخازن ما يكفى الجميع للغد فكان يقول لهم فرقوا يا اولادى ولا تخافوا لان عندى مخازن اخرى فايضة ملانة وليس كان هذا الاب يعنى عن مخازن ارضيه بل المخازن

السماوية لان هذا الاب كان عادته يعيد لستنا العدرى ولرئيس الملائكة الطاهر ميخائيل عيدين فى كل شهر وكانت الخازن اذا انقضت ودخل وباركها فى هؤلاء العيدين كانت المخازن تنمو وتفيض من البركة السمائية وفى دفعة رايت هذا الاب سبق واشترى سبق واشترى للديارات والجبال الد اردب ترمس من اجل وقوع ذلك الغالا فلما ابطأ وقوع ذلك الغلا صار بعض الاخوه الرهبان يحملوا من ذلك الترمس فى النار كاالزبل فلما اتفق وقوع ذلك الغلا ندموا اولئك الرهبان كثيراً واما الذى حفظوا ما عندهم فانهم صاروا كلما جاعوا ولم يجدوا شيئا يقتاتوا من ذلك الترمس ويمجدوا الله ولما نظروا الاغنياء الذين بغير رحمه الى صنيع هذا الاب وزايد محبته فى الرحمة صاروا يتبعوا اثاره ويصنعوا كصنيعه حتى ان احد الاغنياء كان يسمى السعيد بركه ابن وجه المهر اتى وطلب قائلا انا اسألك ياسيدى الاب ان تسال السيد المسيح ان يعطينى رحمه فى قلبى لاحب رحمة المساكين مثلك ويجعل انتقالى قبل انتقالك فقال له ايمانك يكون لك مثل قلبك تعطا وفى تلك الساعة اعطى المسيح لذلك رحمة فى قلبه كما طلب الى ان صار لا يرد احداً مما يساله ولا يبرح يصدق ويعطى وكان اكثر صدقاته على الرهبانات الى ان وصلت صدقته الف اردب غله فى كل عام فلما ارضى الاله باعماله ودنت ساعته حركته النعمة الالهية طلع ذات يوم الى القلاية ليتبارك من هذا الاب كعادته فادكته الوفاه بحضرة هذا الاب كما طلب حتى تعجب من امانته وانه كفنه بيده الطاهرة وكتب على سالت عطيت قرعت فتح لك لان الله سبحانه وتعالى يسمع للرحومين والمتواضعين فاما الاغنياء الذين بغير رحمة فقد رايت هذا الاب سأل واحدا من الاغنياء ان يعطى شيئا من ذهبه وفضته للمساكين فلم يفعل وان الله ارسل له قايد ظالم قبل ان يخرج هذا الاب من بيته فوضع يده عى خزاين ذلك الغنى اخذ ذهبه وفضته وذخائره ثم مات موته ردية مقهور وراحت نفسه الى الجحيم لان هكذا الشقا الذى يحل بالاغنياء الذين بغير رحمه وكان هذا الاب يحب جميع الناس ان يداوموا على الرحمة من محبته فى الرحمة وصار اليوم الذى لا يجد فيه شئ يصدق به فصدق مرة بالبساط الذى تحته وفى دفعة صدق ينوبه ووزرته وفى حين اخر بالدواء

النحاس الموضوعه امامه ومره وافاه انسان كاتب محتاج اعطاه بساطه وايضا وافاه انسان جائع عند المساء فاخذ عشاه من قدامه ودفعه لذلك الجائع ثم خرج قرع الابواب مثل مسكين فى طلب زغيف فلما قرع الباب تحققوا انه صوت البطريرك فخرجوا وسالوه ان يقبل اكثر من زغيف فلم يفعل وفى دفعة ارسل احد تلاميذه يحضر له طعاما عند المسا فلما ابطأ عنه حضور ذلك التلميد وصار يبكت نفسه قائلا لماذا لم تكتفى بالتراب عن الطعام واخذ يغمز خبزه بالتراب ويأكل حتى شبع وشكر الله فلما حضر التلميذ وجده اكتفى بالتراب عن الطعام فتعجب لانه ما كان له اهتمام بحاجة الجسد حتى ولا الثياب والبرانس الى لجسده ما كان يلتفت اليها بل كان يكتفى بخيشه شعر من تحت ثيابه ويعطى جميع ما عنده لاولاده الاساقفة ولا يدع عنده غير برنس واحد برسم الخدمة وفى دفعة سال تلاميذه ان يعطوا ذلك البرنس لاسقف مسكين اقامه فلم يفعلوا ولما لم يطاوعوه ارسل له الرب فى تلك الساعة برنس حرير كمنجه جديد احسن من ذلك وانه اعطاه لذلك الاسقف فلما نظروا التلاميذ ما كان مجدوا الله وندموا على مخالفتهم له ولم بقوا يخالفوه فى شئ وانه اجاد مع الرحمه فضيلة الاتضاع فكان يعمل مع الفعلة معاجن الطين وينزح المراحيض مع العمالين ويشيل الغلال مع التراسين وكان يجرى خلف الحمير ومع هذا لم ينحط عن هيبته ووقاره فى اعين الناس واما فى خدمة الكهنوت فكان اذا ابدل وطلع الى المدبح يصير لون وجهه مثل الجمر وعيناه تلمع كمثل من ينظر ابن الله قايماً على المدبح فيخاف ويرهب منه وكانوا جماعة الكهنة يسألوه الجلوس على الرسى كان يمتنع من ذلك ويجيبهم قائلا كيف يمكن يا اولادى ان يكون المسيح حاضر ونحن لا نتأدب ونمتنع من الجلوس علي الكرسى وكان يزجر بيده وينهر الكاهن الذى لا يقوم بمخافة امام تلك الخدمة ومن تهاون بكلامه يحرمة يموت لساعته وفى دفعة رأيت شماس تجاسر على الخدمة بتهاونه حرمه هذا الاب فسقط من سلم عال وتقطع قطعا ومات وفى دفعة رايت شماس اخفا مكاتيب بستان لاطفال ايتام فلما كلمه الاب فى معناهم كان من جوابه له كلمتك تقطعنى يا ابى [illegible] الايتام فقال له هذا الاب بغضب من

فاك يكون لك كما قلت ولم ينتهى ذلك الشماس الى بيته حتى وقع ومات ووجدوا ما اخفاه من المكاتيب فى جوانب بيته لانه ما كان يحكم بسوى روح القدس فانه ما كان يبتدئ فى اول حكوماته بشئ حتى يدع الحاضرين للحكومة يقولوا ابانا الذى فى السموات واما مكاتباته فكان يكتب فيها بعد ذكر الثالوث المقدس الخلاص للرب يشير بذلك ان المسيح الهنا هو الذى يحكم على فمه الخلاص لعبيده ولهذا كل حكومة تتعطل على الملوك والحكام يرسلوها له تنحل لوقتها وكم من مرة كان الملك بمصر اذا عسرت عليه حكومة فى خطف الاموال الذى كانت الشوايله تدعى ان الافرنج اختطفوها لهم فى البحر المالح وكان الملك اذا تبصر فى ذلك الحكومة لا يعرف المظلوم من الظالم فكان يرسلها لهذا الاب فيحكم بينهم فتنحل للوقت لحسن اخلاقه وكلامة بروح القدس الساكن فيه وان جماعة الروم لكثرة ما عاينوه من محبة هذا الاب لهم وسلامته فى الحكم لجميعهم صاروا لا يشتهوا احدا يحكم بينهم سوى هذا الاب وايضا طوايف الافرنج كذلك لما عاينوا الحكم مجدوا الله لان خبر هذا الاب قد ذاع فى تخوم تلك البلاد وان الحب والصلح الذى تجدد فى زمان هذا الاب بين ملوك النصرانيه ما سمعنا بمثله قط ولا الهدايا الذى هادوا بها الملوك بعضهم بعضا ما سمعنا بمثلها قط وهو ان ملك الحبشه لما سع بالحب الذى لملوك الافرنج فى هذا الاب وعظم هداياهم له ارسل لهم هدايا ما هو اعظم منها وارسل يقول لملك الافرنج اننى ما ارسلت اليك هذه الهدايا لطلب هدايا مثلها الا لتهدى لى شئ من الاثارات السيديه الذى فى بلادكم ولما وصلت تلك الهدايا الى ملك الافرنج فرح بها جدا وارسل اليه ما هو اجل واعظم منها وهو انه كان عنده فى دخائره قطعة خشب من خشب الصليب الذى صلب عليه سيدنا يسوع المسيح فاخرجها للوقت ووضعها داخل صليب بخوف من ذهب مرصع بالفصوص المتمنة واخرج معها جسد طفل من اجساد الاطفال الذى قتلهم هيرودس المنافق وجعلهم داخل صندوق ثم وضع معهم من الاوانى الذهب والفضة والحلل الفاخرة الذى للملوك والكهنة ما لم يمكن وصفه وانه صور على احد الحلل صورة هذا الاب مصورة بالذهب اللامع ثم انه ارسل يتكلم على هذا الاب ان لا يرسل هذه الهدايا الى الحبشة حتى يقدس فى تلك

البدله الكهنوتيه المصور عليها صورته وليقبل فيها البركة من فمه الطاهر قبل مضيها الى هناك لانه كان له امانه عظيمة فى هذا الاب ولم يكن رآه ولا ابصره بل لما كان يسمع من فضايله ولعظم امانته فيه ارسل له بسوال كثير يطلب قطعة من عمامته فارسل له ذلك فكان يضعها على الاعلا فيبرؤن وان الاب سمع ما اشار به الملك وقدس فى تلك البدله امامنا ودعانا الجميع استباركنا فى ذلك اليوم من تلك الاثارات السيديه وتعجبنا بالاكثر لما عايناه من حسن جسد ذلك الطفل الذى له من ايام سيدنا المسيح الى الان ولم ينحل من اعضاءه ولا اصابعه اصبع واحدا وسالناه ان يتركه لنا فى القلايه ايام قلايل لنتبارك منه فلم يفعل وفى الساعة التى وصلت الهدايا بلاد الحبشه وعاين الملك البار اثار سيدنا المسيح مع ذلك الطفل تعجب وكشف التاج عن علي راسه واقام نحو ساعة مطروح ساجد على تلك الاثار السيديه ثم رفع راسه فرأى البدلة الكهنوتية التى فيها صورة هذا الاب مصوره وانه صار يتهلل ويفرح ويمجد الله الذى جعله مستحق ان ينظر صورة هذا الاب فى بلاده قبل انتقاله لان الملك كان مشتاق ينظر صورة هذا الاب لما صنع معه من النبوة لان ذلك الملك ما كان من قبل ملكا على الحبشة بل اخيه فارسل له هذا الاب رساله من مصر يبشره فيها انه يصير ملكا موضع اخيه لان الملك بمصر برقوق كان اشار لهذا الاب ان يكتب كتاب الى ملك الحبشه وكان هذا الاب لا يشتهى يكاتب ذلك الملك فلما جلس ليكتب تكلم الله على لسانه كتب الكتاب باسم اخيه داوود ولم يكتبه باسم المتاولى قبله حتى انكروا عليه رسل الملك بمصر وقصدوا ان لا يحملوا ذلكم الكتاب فالزمهم هذا الاب الى ان اخذوا ذلك الكتاب ومضوا وانهم لما لم يبلغوا الى تلك البلاد جيدا وجدوا بالتدبير الالهى ذلك الملك قد عزلوه عساكره عن ملكه لسوء اعتماده واقاموا اخيه داوود ملكا عوضا عنه كما كتب هذا الاب فلما سمعوا رسل الملك بمصر الاخبار قبل وصولهم الى بلاد الملك مجدوا الله وصاروا متعجبين لاطلاع هذا الاب ولما وصلوا قدموا تلك الرسالة بفرح للملك داوود الذى كتب ابونا الكتاب باسمه فلما فك الملك خاتم الرسالة ووجدها مكتوبه باسمه تعجب [illegible] الاب ومنديلة وكان هذا الاب اعطى

للرسل مع الرسالة الصليب فلما سهو ان لا يعطوهم للملك فى تلك السعة فسالهم هو عنهم فتعجبوا وسالوا الملك من اعلمه بذلك فقال لهم السيد البطريرك اعلمنى بذلك قبل وصولكم وعندى شهود يشهدوا بذلك ودعا للوقت وزراه وعساكره وجنوده واخته المباركة واخذ يقص عليهم ما ابصر قائلا اقول لكم ياهؤلاء ان من قبل ان تجلسونى ملكا على الكرسى وابصرت هذا الاب البطريرك فى الرؤيا وقد اقام اخى من على الكرسى واجلسنى عوضا عنه وقال هكذا ينزع الله الملك مما لا يسير بالاستقامة ثم من بعد ما تكلم بهذا واجلسنى على الكرسى واعطانى هذا الصليب بيدى ودعا لى ان الله يثبت كرسى مثل داوود ابينا لاقضى بين الشعوب بالعدل ثم باركنى وانصرف عنى فانتبهت وأنا متعجب وكنت اود لو شرحت لكم هذه الرؤيا فى وقتها فلم تمكنى اختى المباركة من ذلك خشيه من الملك اخى لئلا يدرى فيقتلنى ولهذا ادعوتها لتشهد لكم بما سمعته منى من قبل ولما اخبر الملك بهذا امام الجمع فمجدوا الله جميعا المظهر عجايبه على يد هذا الاب اذ كان جالس بمصر وهو ينظر بالروح ما يقع فى بلاد الحبشة وان الرسل لما عادوا من بلاد الحبشة اعلموا الملك بمصر بما اتفق من هذا الاب فتعجب لانه كان يحب هذا الاب وهو ايضا كان يحبه لانه لم يجلس ملكا الى ان يرسل يسأله فاخذ له اذن من الشيوخ القديسين بجبل القديس انطونيوس انه يجلس ملكا فاقامه الله ملكا واقام جميع ايام حياته لم يشوش على هذا الاب ولم يسمع فيه سعايه كذب لانه كم من مرة سعوا المعاندين فى هذا الاب والملك لم يسمع لهم وفى دفعة رأيت راهبين مناجيس لطلبهم الكهنوت باطل سعوا فى هذا الاب عند ذلك الملك ولما لم يسمع لهم سعوا به ايضا عند كل حاكم بمصر وكان كل حاكم يمضوا به اليه يتكلموا فيه بما يخالف ما ادعوا به عند الحاكم الاخر وان الحكام لما تحققوا كذبهم وضجروا منهم قصدوا يعاقبوهم ويلقوهم فى السجن فلم يمكنهم هذا الاب ولم يزال يحتملهم ويطول روحه عليهم فلم يرجعوا عن شرهم وملأ الشيطان قلبهم فهجموا ذات يوم على هذا الاب وهو قاعد يحكم وقالوا له ما بلك ما تقوم وتنحط عن كرسيك فان قد جاء الوقت الذى [illegible] فلما سمع كلامهم تبسم ولم يتشدد

بالغضب بل اجابهم بعظم اتضاع قائلا ما تروا ياهولاء وانا اسألكم ان تصبروا على قليلا واضرب لكم المطانوه ان تمهلونى اربعين يوما فقط حتى اخلص من تعلقات البطركية وودايع الشعب الذى تحت يدى وبعد كمال الاربعين يوم تعالوا الى وانا اسلم لكم كرسى البطركية بغير مانع يعيقنى وهذا لما قال لهم هذا الاب فرحوا ومع فرحهم لم يدعهم هذا الاب يمضوا حتى قدس وناولهم من السراير المقدسة ثم بعد التناول تركوه ومضوا الى بعض الدياره لكى يقيموا فيها الاربعين يوم ولما مضى لهم ثلاثين يوما اخذ الرب نفوسهم وماتوا واحد بعد واحد من الصلاة القوية التى لهذا الاب الذى احتمل هؤلاء الرهبان الى هذا الحد ولم يحقد على شرورهم بل اعطاهم من السراير المقدسة قبل موتهم وايضا راهب سريانى يسمى ابراهيم خرج من الايمان قدام الملك وتجند وصار جنديا وتكلم فى حق هذا الاب وفى حق جماعة الرهبان المجروحين بالبرية وقبض على جماعة منهم واوثقهم وحملهم الى مصر وكان يظن انه يجد احدا من اولئك المجروحين فلم يجد غير راهب واحد مجروح احضره موثوق صحبة الرهبان وانه اخذ الشهادة واما ذلك الراهب الذى صار جندى لم يبرح يعاند هذا الاب ويقاومة الى ان ضجروا الشعب منه وسألوا هذا الاب ان يدعو عليه فلم يدعى عليه بل قال لهم لا يا أولادى لا تدعوا عليه بل انا ادعى له ان الله يرده ويعطيه اكليل الشهادة فلم يمكث ذلك الا قليلا حتى ندم ومضى اخذ اكليل الشهادة كما دعا له هذا الاب وفى وقع على هذا الاب تجربه من الامير منطاش لان ذلك الامير لما حارب الملك برقوق وكسره واخرجه الى الكرك فقام احد المعاندين لهذا الاب نها للامير منطاش ان تحت يد هذا الاب اموال وذخاير اودعها عنده الملك برقوق قبل خروجه الى الكرك وانه طلب هذا الاب وعصره فلم يجد تحت يده شئ بالجملة فندم على عقابه له ثم اطلق سبيه ومرة اخرى تسلط عليه اميرا يسمى يلبغا السالمى وقصد يحدث على الشعب حوادث رديه وعادات صعبه فلم يوافقه الاب على ذلك وقاومه فجرد ذلك الامير سيفه بغضب يريد ضرب رقبته وللوقت مد عنقه للسيف وسأله ان يضرب عنقه فلم رأى الامير شجاعته وقوة قلبه هلع عنه واطلقوه وان الله لم يغفل [illegible] وضربه وعصره وارسله الى الجب بمدينة

الاسكندرية وكانوا الشعب كلما خشوا عودته فكان يطمهم هذا الاب قائلا لا تخشوا يا اولادى ولا تخافوا ولا تظنوا ان ذلك الامير بقى يعود الى مصر لانى وكلت بسجنه الاربعة حيوانات الحاملين كرسى الله ولم يبرح ذلك الامير مسجون فى الاسكندرية الى ان مات اشر موتة وان الشعب تعجبوا ومجدوا الله وفى دفعة سعوا جماعة من المعاندين ان يهدموا كنيسة ستنا السيده بالمعلقة وكان هذا الاب فى تلك الايام خرج الى البريه ليصلى هناك فلما سمعوا المعاندين سعوا فى غيبته وان الملك لم يمكنهم من ذلك بل بالاكثر الهمته الصلاة القويه الى ان اشار للقضاة الاربعة بالكشف عن تلك البيعة وهكذا لم يجدوا شيئا مما انهوه المعاندين حينئذا انقهروا وامتلوا غيضا ومن زايد غيظهم اخذوا جفنة نار اطلقوها تحت اساسات تلك البيعة يريدوا يحرقوها بكمالها ولكن الله الذى سمع للثلاثة فتيه فى اتون النار فطفاها عنهم سمع صلاة هذا الاب ولم يدع النار تصعد الى علو البيعة ولما كانوا تلاميذ هذا الاب يطفوا النار من اسفل كلما ارسل لهم الرب ندا باردا من فوق اطفا لهيب النار المتوقدة حتى تعجبوا الحاضرين ومجدوا الله وفى دفعة تسلطوا جماعة من المعاندين على دير شهران ان يهدموه وذلك انهم انهوا الملك كلام كثير باطل عن رهبان الدير حتى اذن لهم الملك بهدم فلما اجتمعوا ليهدموه لم يمكنهم هذا الاب لان كان اجتمع فى ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وكانوا يظنوا لكثرة اجتماعهم يخافهم هذا الاب ويسلم لهم الدير ليهدموه وان هذا الاب لم يخافهم بل لا برح يناصبهم ويقاومهم الى ان قال لهم من منكم يا هولاء له يد وسلطان يجرد سيفه ويقتلنى لانى ما دمت حيا لا امكنكم تهدموا طوبه واحدة من ذلك الدير الا ان اقف انا وانتم قدام السلطان واظهر له باطل ما نهيتوه وباطل كلامكم ومع كلام هذا الاب لهم تركهم ومضى الى القلعة واستغاث بقوة الملك برقوق ولما اتصل بالملك صوت صراخه ارسل للوقت كشف عن ذلك الدير كالعادة فلما مضوا القضاة الابعة كشفوا عن الدير فلم يجدوا شيا مما انهوه المعاندين وانهم اختفوا لوقهم من الملك وفى دفعة اكشف الرب لهذا الاب ان المعاندين لبغضتهم فى هذا الاب كمنوا للشعب كمين [illegible] انهم لا بد ان يرموهم فى ذلك الكمين فلما

اكشف الرب لهذا الاب ما كمنوه لم يلتفت لورايه بل اقام ساعته خرج فى خفيه عن قلايته ولم يعلم تلاميذه ومضى الى بيعة الشهيد ابو مرقوره حبس ذاته هناك فى مكان مظلم ولم يطلق لاحد ا ان يبصره واوصا الرجل الذى حبسه ان لا يكلم احدا به فاقام سبعة ايام وليالى وهو يصلى فى ذلك الحبس ويعبد الله ويستغيث بشفاعة الست السيدة الى ان ظهرت له وقالت له ان الله قبل طلبته فى خلاص الشعب وبطلت موامره المعاندين السوء حينذا ابتهج قلب هذا الاب وفرحا فرحا عظيما وخرج فى اليوم السابع مثل ملاك الرب وبتدبير من الله ارسل الامير طلبه فى ذلك اليوم وصار يخاطبه بما اضمره للشعب من الحوادث الرديه الصعبه ومن جملتها انه اراد ان يلبس النسوة الازارات الزرق وغير ذلك وان هذا الاب احتمى بالروح وقال له من هو من الامراء الذين تقدموك فعلوا هكذا مع الرعية او من من البطاركة الذى اتفق له مثل هذا ان يشهر بنات شعبه ويصيروا عارا وضحكة لصغار اعوام الناس ولكن الحق القول لك ايها الامير انك متى اشهرت واحدة من بنات شعبى انا لا ابرح اطلق الخراب والشهرة فى بلادكم من اطراف الحبشة والى اقاصى مصر وانا اخبرك ايها الامير ان النصارى ما هم بغير ملوك على الارض ولا امم كما انتم تحكموا عليهم ولا هم بلا سلاطين ينظروا فى سلطنتكم فحصل للامير من ذلك وهم كثير واطلق سبيل الاب ولم يعد يخاطبه بشى حتى تعجبوا الشعب ومجدوا الله وستنا العدرى التى تساعد هذا الإب فى جميع حركاته لان هذا الاب ما كان يتحرك فى شى حتى يقف امام ايقونة ستنا السيدة ويسألها فيه وكانت تظهر له وتخاطبه من الصورة حسب شهادة ابينا القديس رويس عندما سألناه ذات يوم ان يذكرنا فاجابنا قائلا من هوانا يا اولادى حتى تسألونى ان اذكركم اسألوا ابينا القديس البطريرك الذى تظهر له ستنا السيدة وتخاطبه من ايقونته الطاهرة ان يذكركم وتخبره باسرار عجيبة وتساعده فى كل اموره واننا تعجبنا من كلامه ومجدنا الله وفى دفعة اتوا الى هذا الاب بصبية شابة بها روح نجس يعذبها فلم نظره الروح القدس قايم يصلى فر هاربا ولم يعود يقربها وايضا كان صبى من ضواحى مصر اعتراه روح نجس فر هاربا ولم يعود يقربها وايضا كان صبى من ضواحى مصر

اعتراه روح نجس وكانوا اهله كلما ارادوا جمله الى عند هذا الاب يرميه هذا الروح ويعذبه ولم يمكنهم يدنوا منه وان الله الكثير الرحمة الهمهم لورقه بركة مكتوبة بخط يد هذا الاب ان يضعوها عليه فلما وضعوها عليه برئ لوقته وان اهالى بلدته تعجبوا ومجدوا الله وصاروا كل من أعتراه روح نجس عندهم يضعوا عليه تلك الورقه المكتوبة بخط هذا الاب يبرا لوقته وفى دفعة رأيت انسان فاعل قايم يعمل فى البيعة التى فى حارة زويلة على اسم ستنا العدرى وقع من فوق الاسقالة الى الارض فحمل ميتا لانه كان حامل حجر ثقيل فلما وقع ونزل عليه ذلك الحجر فرصع اظلاعه وان اصحابه قصدوا ان يتركوه ويهربوا فلم يمكنهم هذا الاب بل قام عليهمم وقال لهم اسكتوا ولا تفزعوا ولا تظنوا ان الفاعل مات لانه لم يمت بل انا اضمن لكم من مراحم المسيح انه حى وانه حمله بين اربعة ووضعه امام صورة ستنا السيدة التى فى حنية البيعة ثم غطاه بالوزره التى له نحو من ثلثة ساعات من السادسه من النهار الى التاسعه ثم انه أستدعى قليل ماء سخن صلا عليه وغسل اعظاه وكان كلما غسل عظو من اعظا ذلك الفاعل يتحرك العظو لساعته الى ان قام حيا على قدميه فلما نظروا رفقايه الفعلا ذلك تعجبوا ومجدوا الله وكم من مرضا واعلا كثير رايت هذا الاب ابراهم واقامهم ببركة صلاته منهم من كان يضع وزرته عليه ويذهب الى بين الكيمان ويسال ستنا السيدة فيه ويكشف عنه تلك الوزره فيجده قد تحرك ونهض من نزاع الموت لساعته ومنهم من كان يسأل فيه الملاك الجليل ميخائيل فيقوم لساعته وهكذا صنيع هذا الاب مع المرضى الذى يمضوا اليه اهلهم ويحضروهم له فى قلايته وقد اخبرنا عن هذا الاب انسان يسما فخر الدولة قال بالحقيقة اقول لكم يا اخوتى انه لما ادركنى نزاع الموت ومت ولم اجد هذا الاب يحضرنى عند موتى ولم اشعر حتى ابصرته فى مقام الخوف والدينونه عندما اختطفوا الملاتكة روحى واقامونى امام كرسى السيد المسيح وابصرت السيد المسيح له المجد وهو يشير الى الملاتة الموكلين بى ان يشهروا كتاب خطاياى وانا كل خطية انساها ولا اعترف بها يبكتونى عليها بغير رحمة وابصرت هناك خوف وفزع [illegible] بصرت سقطت لوقتى مرعوبا وكنت اطلب من

اعتراه روح نجس وكانوا اهله كلما ارادوا جمله الى عند هذا الاب يرميه هذا الروح ويعذبه ولم يمكنهم يدنوا منه وان الله الكثير الرحمة الهمهم لورقه بركة مكتوبة بخط يد هذا الاب ان يضعوها عليه فلما وضعوها عليه برئ لوقته وان اهالى بلدته تعجبوا ومجدوا الله وصاروا كل من اعتراه روح نجس عندهم يضعوا عليه تلك الورقه المكتوبة بخط هذا الاب يبرا لوقته وفى دفعة رأيت انسان فاعل قايم يعمل فى البيعة التى فى حارة زويلة على اسم ستنا العدرى وقع من فوق الاسقالة الى الارض فحمل ميتا لانه كان حامل حجر ثقيل فلما وقع ونزل عليه ذلك الحجر فرصع اظلاعه وان اصحابه قصدوا ان يتركوه ويهربوا فلم يمكنهم هذا الاب بل قام عليهمم وقال لهم اسكتوا ولا تفزعوا ولا تظنوا ان الفاعل مات لانه لم يمت بل انا اضمن لكم من مراحم المسيح انه حى وانه حمله بين اربعة ووضعه امام صورة ستنا السيدة التى فى حنية البيعة ثم غطاه بالوزره التى له نحو من ثلثة ساعات من السادسه من النهار الى التاسعه ثم انه استدعى قليل ماء سخن صلا عليه وغسل اعظاه وكان كلما غسل عظو من اعظا ذلك الفاعل يتحرك العظو لساعته الى ان قام حيا على قدميه فلما نظروا رفقايه الفعلا ذلك تعجبوا ومجدوا الله وكم من مرضا واعلا كثير رايت هذا الاب ابراهم واقامهم ببركة صلاته منهم من كان يضع وزرته عليه ويدهب الى بين الكيمان ويسال ستنا السيدة فيه ويكشف عنه تلك الوزره فيجده قد تحرك ونهض من نزاع الموت لساعته ومنهم من كان يسأل فيه الملاك الجليل ميخائيل فيقوم لساعته وهكذا صنيع هذا الاب مع المرضى الذى يمضوا اليه اهلهم ويحضروهم له فى قلايته وقد اخبرنا عن هذا الاب . انسان يسما فخر الدولة قال بالحقيقة اقول لكم يا اخوتى انه لما ادركنى نزاع الموت ومت ولم اجد هذا الاب يحضرنى عند موتى ولم اشعر حتى ابصرته فى مقام الخوف والدينونه عندما اختطفوا الملائكة روحى واقامونى امام كرسى السيد المسيح وابصرت السيد المسيح له المجد وهو يشير الى الملائة الموكلين بى ان يشهروا كتاب خطاياى وانا كل خطية انساها ولا اعترف بها يبكتونى عليها بغير رحمة وابصرت هناك خوف وفزع شديد ونار لا تطفا حتى انه لعظم ما ابصرت سقطت لوقتى مرعوبا وكنت اطلب من

يقيمنى فلم اجد واننى ابصرت هذا الاب قد اقامنى وسال السيد المسيح ان يعيد روحى على حتى اتوب عن خطاياى التى صنعتها دفعة اخرى وان السيد المسيح لهذا الاب فى ولم يرد سواله وقال له قد سمعت لك فى ذلك الانسان ووهبته لك فعرفه منذ الان لا يعود يخطى لئلا يصيبه شرا وهذا لما قاله السيد المسيح لهذا الاب وانا اشعر حتى انتبهت وقفت بما انا فيه فوجدت روحى عادت الى فمجدت الله وتحققت الصلاة القوية التى لهذا الاب ألذى كان يفعل فى المرضى مثل هكذا يقيمهم المسيح بصلاته حتى يعودوا الى التوبه من خطاياهم والذى يستوجبوا حكم الموت يخدمهم على سرير وجعهم الى ان يتنيحوا ويسال المسيح فى غفران خطايهم لانه ما كان عنده فى الفضائل جميعها افضل ولا ابر من خدمة المرضى اذ كان كل مريض يمرض وتأنف الناس منه كان هذا الاب يبدل نفسه دونه الى ان ينقا من جميع اوساخه واوجاعه وفى دفعة رأيت هذا الاب عبر على باب منزل لانسان من الاغنيا فوجد بذلك الباب عبداً لهم ملقى مريض قد جاف ونتن من كثر اوساخه ولا وجد من يعالجه فلما نظره هذا الاب هكذا لم يلتفت للعبور الى اولئك الاغنيا بل سارع للوقت واشتد بمنديل وغسل اوساخه وفراشه وثيابه الوسخين الملوثين من قذر ونتن رايحته وان نفس ذلك العبد ارتاحت واراد الموت بحضره هذا الاب ولانتن تلك الرائحة التى كان يستنشقها فى كل يوم وفى دفعه عبر على بير معين مالحه ووجد بها امراة مقتولة قد جافت ونتنت ولم يدنوامنها احدا من الناس ولا يعترف بها وانه نزل الى تلك البير واصعد تلك الامراة ولم يأنف منها بل بيده الطاهرة غسلها وكفنها ودفنها والذين كان بهم الامراض الزمنه والعاهات كان يعالجهم منها انهم قدموا اليه صبية بكر مصابه بقروح فى عينيها فلما نظرهاتحنن عليها وقال لامها منذ الان لا تعودى تعالجى ابنتك بالاكحال بل اشار اليها ان تعمل فى عينيها شئ من الادوية الحقيرة وانها بريت ابنتها وكذلك كما فعل ابونا برصوما العريان وغيره يدأوا الامراض الصعبة بضدها من الادوية ليعلم ان الامر من الله والاعتماد فيه على الصلاة القوية التى للقديسين الابرار كما قال يعقوب الرسول ان الصلاة بايمان تخلص المريض والرب يقيمه وان كان عمل خطية يغفر له ومنها انهم قدموا امرأة مقعدة قد يبست

اصابع يديها ورجليها وانه امسكها بقوة ليفتح اصابع يديها فانشحط مع ذلك اقفال اصابع رجليها فنهضت للوقت بسرعة فايمه تمشى وان الحاضرين تعجبوا ومجدوا الله وفى دفعة قدموا اليه انسان ملسوع بحية جرده وهو فى الم قوى وانه أخذ جرو وشق بطنه ووضع فيه رجل ذلك الملسوع ثم استدعى قليل لبن وشحم حنظل واشار له ان يستعمله وانه بقى يستعمل منه قليل قليل ويتقاياه الى ان قذف ذلك السم جميعه وقام معافا لساعته والذين كانوا يقعوا فى الشدايد كان يسال المسيح فى خلاصهم يخلصوا وفى دفعة وقع شاب من اولاد الوزراء فى شدة قوية مع الملك برقوق بمصر وان هذا الاب لعظم الشدة كان يستغيث للشهيد العظيم تاوضوروس فى خلاصه قائلا انا اعلم يا شهيد الله انك لعظم شجاعة خلصت اولاد الارملة من فم ذلك التنين القاتل وانا اربطك بالسلطان الذى اعطا لى من ربنا يسوع المسيح ولا احلك من الرباط الا ان تسرع وتخلص ذلك الانسان من الشدة الذى هو فيها وانه لم يستتم الكلام من فم هذا الاب الى ان تخلص ذلك الانسان من تلك الشدة وصار متعجب لا يعلم كيف كان خلاصه فازداد تعجبه من الكرامة والوقار الذى يكرموه بها القديسين والشهدا وانه كان يفعل ذلك مع كثير من الشهدا والقديسين وذلك انه اذا عدمت انية بيعة من بيعهم يربطه بصلاة ولا يحله حتى يظهر له من سرق اوانى البيعة ودفعه ربط صورة القديس ابو شنوده بمصر ولم يحله حتى ارسل له من عرفه بالذى سرق اوانى بيعته وكان له عادة يسرق اوانى البيع فلما هجم هذا الاب بيته وانه قام عليه وانتهره وقال له كم لى من مدة وانا احتملك وانهيك ان لا ترجع وتسرق اوانى البيع وانت لا ترجع ولا تكف ولكن من الان سياتى عليك الانتقام القوى الذى لا يكون لك بعده حياة على الارض بل تموت اشر موته وبعد كلامه له هكذا لم يمكث هذا الانسان قليلا حتى وقع فى يدى متولى الحكم بالقاهرة بأوانى ذهب وفضه عدموا من بيته ولم تحقق انه تجاسر وسرق أنيته سمره لساعته وتم عليه قول هذا الاب ومات اشر موته وفى دفعة تكلم احد الامراء مع الملك والقضاة ان لا يبقوا نصرانى على الارض فقام هذا الاب على صورة الشهيد مار جرجس من اجله وقال له الى كم يا شهيد الله يا مار جرجس اسالك الانتقام من ذلك

الامير وانت لم تنتقم منه ولكن هوذا اربطك بالكلمة ولا احلك حتى تسرع وتنتقم لى منه ولم يستتم الكلام من فمه حتى قدموا لذلك الامير فى ذلك اليوم كأس مملوء سم قاتل شربه وهو لا يعلم مات لساعته وفى دفعة اشتد غضب هذا الاب على امير اخر من امراء مصر يسما اوزبك فاقام ستة ايام وستة ليالى يسال رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل فى هلاكه فلما انتهى اليوم السادس ولم يسمع لذلك الامير خبر حينئذا ارسل احد تلاميذه يستعلم عن خبر ذلك الامير وانه وجد تابوت ذلك الامير على الباب والناس يستغيثوا قائلا ان هذا الامير له ستة ايام معذب من طعنة جنبه واليوم هذا مات فلما سمع التلميذ كلامهم اعاد الخبر على هذا الاب فتعجب ومجد الله ورئيس الملائكة ميخائيل الذى سمع دعاه ولم يخيب سواله فى ذلك الامير الظالم وفى دفعة وافا الى هذا الاب شماس مضروب وقال له يا كاهن الله ارحمنى فان بعد الاجناد عبر على باليوم راكب فرس ابيض وعاقبنى عقاب كثير مؤلم لاكلى يوم الابعاء والجمعة من بكره لانى كنت اكل فى خفيه ولا اعرف من هو الذى اخبر ذلك الجندى عنى حتى جاء الى وضربنى وكلما كان ضربنى يقول لى كيف تكون يا هذا شماس ونصرانى وتأكل يوم الاربعاء والجمعة من بكره ثم من بعد ما كلمنى بهذا تركنى وهو يتواعدنى لانى لا اعود لما كنت عليه وانا خايف من ذلك الجندى لا اعلم من هو فقال له لا تخاف يا ابنى فان الجندى الذى ضربك انا اعرفه ولكن اذا مضيت بك تتوب امامه فقال له ذلك الشماس نعم يا أبى وانه مسكه بيده واوقفه قدام صورة رئيس الملائكة ميخائيل وكانت تلك الصورة التى للملاك مصور فيها راكب على حصان ابيض فلما تأملها ذلك الشماس خر ساجدا امامها وقال بالحقيقة ان هذا هو ذاك الجندى الذى ضربنى وانا منذ الان تايب امامه لانى شماس على بيعته وقد انسانى اللهو لم اذكر انى شماس على بيعته حتى افتكرنى هو وضربنى ان اترك ما انا فيه من اللهو واقوم بما يجب على من خدمته وانه تاب من ذلك اليوم وهو متعجب من صلاة ذلك الاب ووجوده مع الناس على الارض وهو يشاهد المكتومات الخفية وفى دفعة رأيت اخرين من اعيان الناس ووقع عليهم شدة قوية بالقاهرة ولما راموا الهرب الى عند هذا الاب بمصر لم ينهضوا وحينئذ ادركهم الليل ناموا وفى تلك الساعة ابصر احدهم هذا الاب وهو قايم قدام

ورة الشهيد مار جرجس يسال فى خلاصهم ويقرع الصورة بيده ويقول يا شهيد الله يا
ارى جرجس ما اعرف خلاصهم الا منك وانه امال راسه من الايقونه كمن يقول نعم نعم
ا اخلصهم فلما نظر هذا الاب ما كان من تواضع الشهيد انطرح ساجدا له على الارض
عظم الامر على الشهيد من سجوده له وخرج من الايقونه مثل فارس متجسد فمسك
ديال هذا الاب وتبارك منها ثم ان هذا الاب فعل كذلك اعنى يتباركا من بعضهما
ض ثم انتبه من نومه وقص تلك الرؤيا على رفقايه ولم يصدقوه حتى وافاهم الخبر
كر النهار خرج من الله وشهيده بخلاصهم وان الامير خلصهم من غير سعى وهكذا لما
قوا خلاصهم قاموا للوقت ومضوا الى عند هذا الاب يشكروا له عما رأوه فى الرويا
ن غير ان يحضروا ولا يسالوه فى ذلك بل كانوا اضمروا فى نفوسهم لا غير فعلم
اب المكرم ضميرهم من غير ان يسالوه فتعجب جميعهم ومجدوا الله وفى دفعة وافى
يه كاتب وهو فى شدة عظيمة ومعه خمسمائة دينار وقال له يا رجل الله اقبل منى
ى الخمسمائة وصلى عنى فان الملك برقوق اليوم هذا يريد قتلى ولا اعلم كيف يكون
لاصى فقال له هذا الاب المكرم لا تخاف يا هذا ولا تظن بالذهب الذى احضرته يكون
لاصك فان الصلاة بالذهب لا يكون بها خلاص بالكلية بل ان اردت ان تتخلص عيد
ذهب الذى احضرته الى مكانه والرب يخلصك منغير ذهب البته وانه قام صلى عليه
اركه وارسله الى الملك برقوق واعطاه صليبه ومنديله وقال له احملهم جواك وادخل ولا
فف وانه امتنع وخاف بلاكثر ان كيف يحمل الصليب وهو مجدوح يقع عليه الانظار
ا شعر به احدا فقال له الاب قلت لك يا هذا احمل الصليب والمنديل داخلك وادخل
ى الملك وانا اضمن لك على الله تعالى الذى انت حامل صليبه ان الملك لا يؤذيك ولا
ضرك وانه اطاع لكلمة الاب وحمل الصليب ودخل الى الملك وان الملك كان مملؤ غضب
ليه ففى تلك الساعة تغير غضب الملك بلين ورضا ورأفه وصار كل كلمه يتكلم بها
لك الانسان امام الملك تدخل فى اذان الملك مثل ندا بارد تطفئ ما عنده من الغضب
انه خرج من عند الملك فرحان متقوى مباشر على عادته حتى تعجب ذلك الانسان
ن الصلاة القوية التى لهذا الاب الذى ابدلت غضب الملك وحنقه الى رضا لانه كان
ضمر فى نفسه انه متى ما وقع له قتله فصار هذا الرجل وكلمن سمعوا يمجدوا الله

وهكذا كان هذا الاب يشترى نفوس الاتيين اليه ويخلصهم بصلاته القوية من الضوايق والشدايد والخطايا كما اخبرنا بذلك احد اولاده الكهنة المعلمين انه كان وقع فى خطية صعبة مكتومة ولما حضر يعترف بها على هذا الاب أخذه خوف واستحا ان يعترف بها امامه فكاشبفه عنها بمفرده قائلا انت فعلت الخطية الفلانية فلا تعود تفعلها وانا اقول لك من الان مغفورة لك خطاياك فلما سمع ذلك الكاهن كلامه تعجب ومجد الله لان تلك الخطية ما كان يعلم بها الا المسيح وحده لما كاشفه عنها ازداد تعجبه وتحقق ان خطايا الشعب مكتومة امامه مثل زيت فى زجاجة ولا يرى ان يشهرها بل اذا كان يريد يبكت احدا على خطية يكون ذلك فى خفية لان الخطية ايضا كثرة على الناس وكانوا كثير من الشعب اختلطوا وتنجسوا بنجسات المصريين وكان هذا الاب يتنهد ويبكى على الشقا الذى يحل بالمصريين حتى ان من زايد ياتى اخذ ينذر شعبه قائلا تيقضوا يا اولادى وتحذروا من ذلك اليوم الذى ياتى فيه الانتقام على المصريين لان فى ذلك اليوم تنزل نارا من السماء تحرق كل مساكن المصريين حتى يعلو بخار تلك المدينة ومن بعد ينوحوا عليها قائلين اليوم سقطت بابل العظماء ام جميع المصريين وكان هذا الاب كلما خاطبنا بهذا نحن لا نتحذر ولا نزداد الا طغيان ووقاحة وعدم خوف من الله ولم تسمع له فكان يحزن لذلك وينهد من عمق قلبه ويشتهى الموت لنفسه حتى اثار الشيطان على الشعب امير من عظماء المملكة يسمى جمال الدين وطلب من الشعب ما لا يقدروا عليه وكان هذا الاب كلما دافع عن الشعب لم يندفع بل يطلب بجد عليه عله يقتله وانه ارسل رسلا فى خفيه الى ارض الحجاز واليمن ان يكتبوا فى تلك البلاد محاضر على هذا ويقتبوا فيها انه فى كل يوم يرسل رسله الى بلاد الحبشة ويحث الملك على خراب مكه وما معها ولما علم بالروح ان المحاضر كتبت لأجله وانه سبق قبل وصولها صلا الى الله وسال ستنا السيدة كعادته ان تأخذ نفسه اليها بغير سفك دم وان لا ينال شعبه فى اثره شدة ولا سعوبة وان ستنا السيدة سمعت طلبته لم تدع ذلك اليوم يعبر عنه حتى انهز بحمه صعبه فى جسده فانطرح ملكوم ضعيف فلما اتصل بالامير الذى كان يروم قتله خبره سكن غيظه قليلا ولم يسكن عن الشعب بل لا برح يرسل يهدد هذا الاب

ويتواعده من اجل شعبه الى ان حملوا له من مال هذا الاب نحو خمسمائة الف درهم وقدموها له لعل يطيب قلبه ويكف عن الطلب لهذا الاب فلم يكف ولا برح يطلب هذا الاب الى الساعة الذى قارب فيها الموت وانه ارسل له رسلا يحملوه وياتوا به اليه وان هذا الاب طيب قلبهم وقال لهم تمهلوا على الى غدا يوم الاحد لعى استريح قليلا وتعالووا احملونى الى حيث تريدوا وكان يخاطبهم بهدو وهو يعلم ان ساعته قد قربت ليخرج من هذا العالم ويستريح من جور ذلك الامير وظلمه فان الرسل مضوا كما قال لهم هذا الاب وحضروا الغد بعد الاحد ووجدوا هذا الاب قد اسلم الروح فى الهجمة الاولى من ليلة الاثنين قبل حضورهم بمهلة لطيفة فلما عاينوا ما كان تعجبوا وتعجب االامير بالاكثر الذى خلص الله هذا الاب من يديه بغير سفك دم كما كان فى ضميره ثم ان هذا الامير لم يمهله الله بل سلط عليه من سعاية عند الملك فقبض عليه وعاقبه وعصره واخذ منه عوضا عن القدر الذى اخذه من هذا الاب اضعاف كثيرة ثم لا برح فى الضرب والعقوبة حتى مات اشر موتة واما هذا الاب قبل موته ارسل ورا تلاميذه واعلمهم بانتقاله ثم ارسلهم احضروا له جميع ما يحتاج لتكفينه من ثياب وبرانس وهم ثوبين وبرنسين واسكيمين وقلنسوتين وسترتين وبلينين حتى التابوت الذى له اشار لهم صنعه ما يعملوه ثم اوصاهم انهم اذا ادرجوه ووضعوه فى ذلك التابوت لا يكشفوا وجهه الا وقت التجنيز كعادة البطاركة ولا يمكنوا احدا يقبل قدميه بل يتركوه ملفوف فى اكفانه الصوف كمثل الرهبان واكد عليهم انهم لا يدفنوه الا بين اولاده داخل الخندق ثم بعد ما اوصاهم بهذا غطا جسده بوزرته واسلم الروح فى الساعة الاولى من ليلة الاثنين الخامس من شهر طوبه سنة الف ومابة وخمسة وعشرين للشهدا وكان عمره يومئذ اثنين وسبعين سنة منها اربعين سنة راهبا واثنين وثلاثين بطريركا ثم اجتمع لتجنيزه فى ذلك اليوم الكهنة والشمامسة والاراخنة وكل الطوايف النصرانية حتى طوايف اليهود وغيرهم وخلق لا يحصى لهم عدد وكان بكا وعويل حتى ان عمد البيعة كادت تبكى على فقده وهو راقد مطروح وصليبه فى يده وكانوا يبكوا وينتحبوا لأجل حسن منظره وهيبته ومحبته وصدقته وافتقاده لمساكين وعلى احتماله وصبره وهم

ينوحوا ويبكوا الى ان اكملوا تجنيزه كالواحب ثم حملوه بالاكرام والتبجيل والوقار حتى كان حمله فى التابوت كمثل حمل تابوت العهد اين هو ذلك الرجل القوى الذى يستطيع يحمل ذلك التابوت من كثرة الخليقة المحيطة به ومزدحمين عليه وكانت الاجناد والعساكر امام ذلك التابوت تحجبه الى ان مضوا به الى دير الخندق حينئذا دفنوه فى الموضع الذى اختاره لدفنه ثم بعد دفنه اظهر الله منه الايات والعجائب بعد انتقاله منها الليلة الى تنيح فيها اضطربت اجساد اخوته البطاركة الراقدين بدير القديس ابو مقار وان الرهبان سكان الدير الذين سمعوا اضطراب الاجساد صوت يدعوهم قائلا قوموا اخرجوا افتحوا الباب انبا متى حضر وهو قايم يقرع الباب فلما خرجوا الاخوة يفتحوا فلم يجدوا احدا تعجبوا وصاروا لا يعلموا ما الامر الى ان وافهم الخبر من مصر أن هذا الاب تنيح فى الليلة الذى عبر عليهم فيها لاجل اخوته البطاركة القديسين حتى يتباركوا الارواح من بعضها ولهذا اضطربت تلك الاجساد لعلمها ان المسكونة فقدت ذلك اليوم معلما عظيما لان من عظم اضطراب الاجساد وقع القنديل الذى يقدم عليهم على الارض وانه انطفا ولم ينكسر والمدة الثانية فانه بعد اربعين ويوما ترا بالثلاثة رجال عربان مجروحين عبروا بمبيت الخندق سحر يوم الاحد فوجدوا هذا الاب قايم متردى ببرنس ابيض وهو ماشى يطوف بين الاموات فى الليل مثل ما كان يمشى ويطوف بينهم فى النهار فلما رأوه اولئك الرجال ولم غما ابصروا فعرفناهم انه هذا الاب فتعجبوا وسالونا النظر الى قبره فمضوا وتباركوا منه واما المدة الثالثة فانه كان رمز لتلاميذه قبل انتقاله ان يكون الاب انبا غبريال بطريركا بعده وكانوا بعض الشعب لا يصدقوا حتى ترآ آلهم هذا الاب فى اليوم الذى دعوه فيه يكرزه قمصاً حينئذا الشعب المجتمعين فى المعلقة واذا بواحد من الشيوخ القديسين المجتمعين فى ذلك اليوم ابصر هذا الاب بالروح قايم على جناح المذبح وهو يضع يده مع يد الاباء الاساقفة على رأس انبا غبريال فلما نظر الشيخ ذلك تعجب وقصد يتبارك منه قبل ان يخفا عنه فباركه وصنع ايات وعجايب لم نستطع ان تشرحها وعدد الشهدا الذى استشهدوا فى زمانه تسعة واربعين شهيد بركة صلاته وصلاة الجميع تكون معنا امين .

ابا غبريال البطرك
وهو من العدد الثامن والثمانون

غبريال البطرك وهو الثامن والثمانون من العدد هذا الاب غبريال من دير القلمون بالفيوم اخبر عنه الاب متى المتنيح قبل نياحته قدم بطركا فى السادس والعشرون من برموده سنة الف ومائة خمسة وعشرين للشهدا واقام بطركا من طوبه سنة الف ومائة ثلاثة واربعين للشهدا .

ابا يوانس البطرك
وهو من العدد التاسع والثمانون

يوانس البطرك وهو التاسع والثمانون من العدد هذا الاب يوانس البطريرك كرز بطركا بالقاهرة فى السادس عشر من بشنس سنة الف وماية ثلاثة واربعين للشهدا واقام بطركا خمسة وعشرين سنة وتنيح فى تاسع شهر بشنس سنة الف وماية ثمانية وستين للشهدا .

ابا متاوس البطرك
وهو من العدد التسعون

متاوس البطرك وهو التسعون من العدد هذا الاب متاوس البطرك من دير المحرق قدم بطركا فى ثالث عشر شهر توت سنة الف وماية تسعة وستون للشهدا واقام بطركا ثلاثة عشر سنة وتنيح فى ثالث عشر توت سنة الف وماية اثنين وثمانين للشهدا

ابا غبريال البطرك
وهو من العدد الحادى والتسعون

غبريال البطرك وهو الحادى والتسعون من العدد هذا الاب غبريال البطرك من دير القديس انطونيوس قدم فى اليوم السادس والعشرين من امشير سنة الف ومايه اثنين وثمانين للشهدا واقام بطركا ثمانية سنين وعشرة شهور وتنيح فى السادس والعشرين من امشير سنة الف ومايه واحد وتسعين للشهدا بركة صلاته تكون معنا امين

ابـــا ميخائيل البطـرك
وهـو مـن العـدد الثـانـى والتسعون

مـيخـائيل البطرك وهـو الثـانـى والتسـعون من العـدد هذا الاب قـدم بطركـا فى الثالث والعشرين من أمشير سنة الف ومايه اثنين وتسعين للشهدا واقام على الكرسى سنة واحدة وثلاثة شهور وتنيح فى شهر برموده سنة الف ومايه واربعة وتسعين

ابـــا يوانـس البطـرك
وهـو مـن العـدد الثـالث والتسعون

يوانس البطرك النقادى وهو الثالث والتسعون من العدد هذا الاب قـدم بطركا فى الثالث والعشرين من برمودة سنة الف ومايه خمسة وتسعون واقام على الكرسى ثلاثة سنين واربعة شهور وتسعة عشر يوم وتنيح فى الخامس من توت سنة الف ومايه تسعة وتسعين وهذا الاب حضر له رسالة من البطريرك البابا بمدينة رومية واعاد اليه الجواب برساله ثلاثة كراريس ورق وفيها جوهر الكلام يتضمن ترك العناد والصلح والسلامة بين كامل طوايف المسيحيين .

ابـــا يوانـس البطـرك
وهـو مـن العـدد الرابـع والتسعون

يوانس البطرك المصرى وهو الرابع والتسعون من العدد هذا الاب قدم بطركا فى السابع عشر من امشير سنة الف ومايه تسعة وتسعون واتنيح فى الحادى عشر من امشير سنة الف ومائتين واربعين ومدة اقامته على الكرسى اربعين سنة واحدى عشر شهر وستة وعشرين يوم وفى مدة هذا الاب كان فتوح مصر بيد السلطان سليم سلالة الـ عثمان وذلك من السلطان الغورى اخر ملوك الجراكسة وهو الذى اعمر الغورية والجامع المعروف به .

ابـــا غبريـال البطـرك
وهـو مـن العـدد الخـامس والتسعون

غبريال البطرك وهو الخامس والتسعون من العدد هذا الاب من منشاه المحرق قدم في سنة الف ومـأتين واحد واربعين واقام بطركـا اربعـة واربعين سنة وتنيـح فى سنة الف ومأتين خمسة وثمانين .

ابـــا يوحنـا البطـرك
وهـو مـن العـدد السـادس والتسعون

يوحنا البطرك المنقلوطى وهو السادس والتسعين من العدد هذا الاب كرز بطريركا ليلة الاحد الجديد فى الخمسين سنة الف ومأتين ستة وثمانين اقام على الكرسى خمسة عـشر سنة وهذا الاب حضر له رسالة من بابا روميـه ورد له جوابهـا وتنيح فى ثالث النسيم سنة الف وثلثماية وواحد للشهدا .

ابـــا غبريـال البطـرك
وهـو مـن العـدد السابـع والتسعون

غبريال البطرك وهو السابع والتسعون من العدد هذا الاب كان قبل قسمته يسما شنوده من المنبير وكان راهبا مجاهدا ببرية شيهات قدم بطريركاً فى سنة الف وثلثماية واثنين واقام بطركا خمسة عشر سنة وتنيح ببرية شيهات ودفن بها .

ابـــا مرقـس البطـرك
وهـو مـن العـدد الثـامن والتسعون

مرقس البطرك وهو الثامن والتسعون من العدد هذا الاب كان من البياضية وقدم بطركا سنة الف وثلثماية وثمانية عشر اقام بطركا ستة عشر سنة وتنيح بسلام .

ابـــا يوانـس البطـرك
وهـو مـن العـدد التـاسع والتسعون

يوانس البطرك وهو من العدد التاسع والتسعون هذا الاب كان من ناحية ميلوى قدم بطركا سنة الف وثلثماية خمسة وثلاثين اقام بطركا خمسة عشر سنة وتنيح فى اخر سنة ألف وثلثماية وخمسين سنة .

ابـسا متـاوس البطـرك
وهــو مـــن العــدد المـايـــه

متاوس البطرك الطوخى وهو الماية من العدد هذا الاب متاوس كان راهبا ناسكا بدير السيده بالبرموس ولما اختير للبطركية قدم فى سنة الف وثلثماية وواحد وخمسين واقام بطركا خمسة عشر سنة وتنيح .

ابـــا مرقـس البطـرك
وهـو مـن العـدد المـائــة وواحـد

مرقس البطرك البهجورى وهو مائة وواحد من العدد هذا الاب من اهالى ناحية بهجورة وكان عابدا ناسكا بدير القديس العظيم انطونيوس فلما اختير البطركية قدموه فى سنة الف وثلثماية سبعة وستين سنة واقام بطركا عشرة سنوات وتنيح .

ابـــا متـاوس البطـرك
وهـو مـن العـدد المـائــة واثـنــين

متاوس الميرى البطرك وهو ماية واثنين من العدد هذا الاب كان راهبا متعبدا بدير السيدة بالبراموس فلما اختير للبطركية كرز فى الثلاثون من هاتور سنه الف وثلثماية سبعة وسبعين وتنيح فى اثنى عشر مسرى سنه الف وثلثماية واحد وتسعين واقام بطركا على الكرسى اربعة عشر سنة وشهورا .

ابـــا يوانـــس البطـرك
وهـو مـن العـدد المائــة وثـلاثــة

يوانس البطرك الطوخى وهو المايه وثلاثة من العـدد هذا الاب كـان من ناحـيـة اهالى طوخ النصارى وكان قبل بطركيته اسمه ابراهيم وهذا الاب في حال شبوبيته كان صراف يتعاطا قبض المال ذكروا عنه انه لما كان صراف تأخر عليه جانب من المال وانه تدارك فى غلاق المبلغ وقدم خيرة الله تعالى ومضى الى جبل القديس العظيم انطونيوس طالب خلاص نفسه وبالاكثر كارها لعهدة الصنعة لما فيها من وجوه الحل والخبرات لان صاحب هذه الصفة يظلم نفسه لغيره وياخذ شئ ما هو له يحطه فى شئ ما هو عليه وانه اقام مدة بالدير واستحق لبس الشكل الملايكى ولما رأوا الاباء الشيوخ القديسين الرهبان بالدير صلاحه اوسموه قساولم يزل بالدير على هذا النظام النفيس الى ان تنيح الاب البطريرك انبا متاوس الذى كان قبله فطلعوا جماعة اراخنة من مصر الى الدير يطلبوا من يختاره الله يقدموه عليهم بطركاً فوقع اختيار الجميع على هذا الاب بارادة الله ومعرفة الشيوخ والرهبان فاخذوه من الدير وحضروا لمصر واوسموه بطركا فى سنة الف وثلثماية اثنين وتسعين للشهدا ولما استمر فى البطركية وقدس فى كنايس مصر على جارى العادة قدم خيرة الله تعالى وتوجه الى الصعيد بقصد زيارات المحلات المقدسة ولما حضر من الصعيد طاف ايضا الاقاليم البحرية ورجع لمصر بالسلامة وكان فى ايامة معلمين اراخنة مسيحيين كاملين فى فعل الخير والمعروف وكان قبل بطركيته هذا الاب كانوا نظار الكنايس بمصر اناس صنايعيه ولما تولا هذا الاب الرئاسة انتقلت جميع نظارة الكنايس الى المعلمين الاراخنة وجددوا ما يحتاج الى الترميم والعمارة فى جميع الكنايس وتغايروا جميعا فى جميع الاعمال الصالحة ورحمة المساكين وكساوى الفقرا فى كل عيد وكانت ايامهم معتدلة رخا وسخا وربح وكان هذا الاب اعمر قلاية بطركية بحارة الروم واوقفها الى القيامة المعظمة ولم يزالوا على الى سنة الف ومائة وسنة الخراجية الموافقة الى سنة الف واربعمائة وتسعه للشهدا شرقت بلاد مصر كامل قبلى وبحرى ولم يبلغ النيل سوى ستة عشر ذراع وكان متولى مصر يومئذ يسماعيل

على باشا قايمقام وكان بمصر ايضا يومئذ واحد يدعى اسمه كوجك محمد باس اوضه باشا مستحفظان والمذكور كان مخرج على القمح انه لا يزيد الاردب المصرى عن ستين نصف فضة فلم يمكث الا قليل وبامر الله قتل كوجك محمد المذكور وفى ثانى يوم موته وصل القمحماية وعشرين نصف فضه الاردب المصرى ولم يزل يتدرج الى ان وصل ثلثماية وستين نصف فضه واما بلاد الصعيد خليت من الفقراء وبلاد الريف ايضا وحضروا جميعا لمصر المحروسة ووصل القمح الى ثمانين نصف فضه الويبه واجرة طحينها خمسة عشر نصف فضة تكون الجملة الدينار لان كان قيمة الدينار المصرى يومئذ خمسة وتسعين نصف فضه وما كان للدينار ابو طره ظهر ولا الزنجير ولا الفندقلى الا للذهب المحمدى وحصل غلا شديد الى ان اكلوا الفقرا الميته من الحمير والخيل والقطط وغير ذلك ونعوذ بالله من تلك الايام وكانوا الناس مطروحين فى الشوارع والازقة والكيمان من الجوع والوباء لان الله تعالى ضرب المصريين بالغلا والوبا وكان الانسان يجوز عليهم فى العشيه يجد الفقرا مسطحين جانب الحيطان ويصبح يجوز عليهم يجدهم اموات وكان تولى بمصر يومئذ واحد يقال له اسماعيل باشا لما رأى كثرة موت الفقراء من الجوع واكل الميته وكان يفرق على الامراء الصناجق والاغوات كل منهم على مقدرته من الفقرا صاروا يطعموهم الى ان افرج الله على خليقته وجاء النيل عال فى سنة الف وماية وسبعة الخراجية وزرعوا الناس واطمأنت الخليقة وفى مدة هذه السنتين الغلا ما كان هذا الاب يتخلا عن الرحمة وايضا المعلمين الاراخنة بمصر كانوا يتغايروا فى الصالحات والرحمة وبالخصوص واحد ارخن يسما المعلم داوود الطوخى وولد اخيه المعلم جرجس وكانوا سكان بدرب الجنينه بحارة الارمن وان المعلم جرجس كان له ولد وحيد اسمه منصور تنيح فى تلك الايام فلما حصل له هذا الامر اخذ له بيت بحارة الروم بجوار الكنيسة واعمره واخذ نظارت الكنيسة ايضا وبقى فى ايام الاحاد والاعياد والمواسم وغيره يحضر معه الى بيته الاب البطريرك والكهنة والفقرا وغيرهم ويفطروا ويشربوا القهوة وفى ايام الاعياد والمواسم لابد عن الطعام المفتخر للجميع وعلى الجملة اذ لم كان فى زمانه من يشاكله على فعل الرحمة والخير وهو الذى اعمر الكنيسة الفوقانية بحارة الروم على اسم الشهيد العظيم مار جرجس وهو ايضا الذى

اهتم بعمل الميرون المقدس فى سنة الف واربعمائة وتسعة عشر للشهدا الموافق لسنة الف وماية وستة عشر الخراجية وارسل احضر جميع الاباء الاساقفة من كراسيهم لاجل عمل الميرون المقدس مع الاب البطريرك وبعد تمام عمل الميرون دفع لكل اسقف بدله كهنوتية كاملة وعدة كاملة للقربان وعادوا الى كراسيهم مسرورين فرحين وكان تولى على مصر فى سنة الف وماية واحدى عشر خراجية واحد اسمه ترى محمد باشا اقام متوليا على مصر خمسة سنوات وحصل منه اذيه للنصارى فى سنة الف ومائة واثنى عشر خراجية بسبب الكنايس ولكن من معونة الله تعالى ورحمته وصلاة هذا الاب لم يحصل ضرر بوجود المعلمين الاراخنة المباشرين بخدمة اكابر مصر وفضوا القضية من غير مشقة على النصارى جملة كافية ولم يحصل بالمواضع المقدسة شئ ولا بطل قداس فى يوم من الايام والله سبحانه وتعالى ابطل قوة الشيطان والمعاندين ولم تزل الطمأنينة موجودة الى سنة الف وماية وسبعة عشر الخواجية شرقت ايضا ارض مصر وتسما الشراقى الصفرا وان البحر لما توقف عن الزيادة توجه ابينا البطريرك الى كنيسة ستنا العدوه بالعدويه ومعه جماعة من الكهنة وبقى كل يوم يقدس ويصلى على قليل ماء فى ماجور صغير ويرشمه بالميرون المقدس ويطرحه فى البحر وان الله تعالى تحنن برحمته على عبادة واوفى النيل فى الثامن عشر من توت واطمأنت الخلايق وبلغ القمح فى سنتها ثمانية قروش الاردب المصرى سعر الويبه اربعين نصف فضه وكانت الخلق مطمأنه ولم يحصل فيها شدة حكم الشراقى الكبرى وايضا توجه ابينا البطرك الى الاسكندرية وزار كنيسة الاب البشير مارى مرقس الانجيلى ولما كان فى سنة الف ومائة وعشرين الخراجية توجه هذا الاب الى زيارة القيامة المعظمة مع الارخن المعلم جرجس الطوخى المذكور وكان صحبتهم جملة من الكهنة والاراخنة والشعب وكان توجهم عل البر ما هو فى البحر وكانت بهجة عظيمة لم يرى ولم يسمع بمثلها قط ولما كان فى سنة الف ومائة ثلاثة وعشرين هلاليه كان تولا بمصر واحد يسما خليل باشا والمذكور القى فتنة عظيمة بين العسكر وكان فى ذلك الوقت واحد صنجق يسما ايوب بك ملتجئ ال باب الانكجارية وواحد صنجق اخر يسما غيطاس بك ملتجئ الى باب الغرب وكل واحد منهم له جماعات احباب واصحاب فلما وقعت الفتنة بينهم واشتدت وعظمت جدا

قفلت الاسواق وبطل البيع والشرى واقامت القاهرة سبعين يوم والاسواق مقفولة والمدافع تضرب من باب الانكجارية على باب المغرب ومن باب الغرب على الانكجارية وانحرقت بيوت ناس كثير وعلى الجملة انها كانت شدة شديده وضيقة عظيمة على كامل الناس خصوصا الفقرا وكانوا يشربون مياه الابار من انقطاع الطرق وعدم السقايين لانهم ما كانوا يقدروا يتوجهوا يملوا من بولاق من كثرة الغربان والعدى وبعد السبعين يوم اراد الله تعالى وافرج على العباد بهروب ايوب بك وبعض جماعة صحبته الى الديار الروميه وتوفى بالقسطنطينية وعزل خليل باشا واطمأنت الرعية وحصل الرضا والبيع والشرا والاخذ والعطاء ولم يحصل اذية لاحدا من النصارى بصلاة هذا الاب لان الرضا والمواهب الذى منحهم الله لهذا الاب لم حصل لغيره من الاباء البطاركة من مدة انبا متى السابع والثمانون الى هذا الاب لانه كان موفق من الله فى جميع اعماله وفعله وكرز كنايس عدة بمصر والريف بعد ترميمها وايضا كرز مطارنه واساقفه وقسوس وشمامسه واقام مدته كلها فى خير وعافيه وطمانيه واعمر دير القديس العظيم انبا بولا بعدما دثر من مدة وتوجه له وزارة وكرز الكنيسة واقام فيه رهبان وافرق وقفه من وقف القديس انطونيوس وايضا زار دير القديس انطونيوس مرتين دفعة واحده ودفعة مع المعلم جرجس الطوخى المذكور ولما كان فى سنة الف ومابة سبعة وعشرين خراجية حصل ايضا فتنة بمصر وكان يومئذ عابدى باشا متولى بمصر وقتل الامير غيطاس بيك واراد يقتل الامير محمد بيك تابعه فتوجه هاربا الى الديار الرومية وقتل جماعة كثيرة بمصر ولكن لم تبطى الفتنة حكم الفتنة الاولى وزال الشر واطمأنت الرعية ولم يزل هذا الاب فى هدو وطمانية خير وسلامه باقى ايام حياته وكان فى سنة الف واربعماية اربعة وثلاثين للشهداء تشويطة بمصر وتنيح هذا الاب فى اليوم العاشر من بؤونة سنة تاريخه الموافق فى سنة عشر شهر رجب سنة الف ومابة وثلاثين هلاليه واقام اثنين واربعين سنة بطركا على الكرسى الرب يرحمنا بصلاته وتنيح المعلم جرجس بعده بعشرة ايام وكان يوم انتقال هذا الاب يوم عظيم وجنزوه بكرامة عظيمة ودفن بكنيسة ابو مرقوره بمصر بركة صلاة الجميع تكون معنا امين .

ابــا بطـرس البطـرك
وهـو مــن المايـــة وأربـعـة

بطرس البطرك وهو المايه واربعة من العدد هذا الاب القديس من ناحية اهالى سيوط وطلع على جبل القديس العظيم انبا بولا وهو شاب واقام مدة ولبس الاسكيم المقدس واستحق انن يكون قسا من يد الاب انبا يوانس المتنيح واقامه رئيسا على دير القدس العظيم انبا بولا واقام زمانا الى ان تنيح الآب انبا يوانس فلم يتوجه احدا من الاراخنة الى الديورة ولم يحصل تفتيش بل ارادة الله تعالى انذرتهم على هذا الاب وكان المجتهد فى ذلك واحد ارخن يسما المعلم لطف الله كان متزوج بنت اخى انبا يوانس المتنيح وارسله الى فارسل قايمقام ناحية بوش قبض على هذا الاب وارسله فى الحديد الى مصر واوسموه بطركا بكنيسة القديس ابو مرقوره بمصر فى السابع عشر من شهر مسرى سنة الف واربعمائة اربعة وثلاثين للشهداء الموافق فى الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة الف ومايه وثلاثين وكان فى ذلك اليوم خير النيل بمصر وكان فرح وبهجة عظيمة واقام بمصر نحو جمعة زمان وحضر الى القلاية البطركية بحارة الروم على جارى العادة واوسم ابينا الاسقف المكرم انبا اثناسيوس على كرسى اورشليم وفى تلك الايام حضر رسل من ملك الحبشة تطلب لهم مطران فوسم الاب انبا اخرسطوطولو اسقف اورشليم سابقا وتوجه صحبة الرسل فى البحر من بندر السويس على مدينة جدا وتوجه هذا الاب الى الاقاليم البحرية وطاف بهم وكان يريد زيارة بيعة مار مرقس الانجيلى بالاسكندرية فحصل فتنة بمصر بين واحد صنجق يسما اسماعيل بك ابن ابواز وواحد صنجق يسما محمد بك جركس فرجع الى مصر ولم يتوجه الى الاسكندرية فى تلك السنة وكان المتولى بمصر يومئذ يسما رجب باشا سعوا له جماعة بالمعلم لطف الله بانه اعمر بيعة الملاك ميخائيل القبلى وبيعة الشهيد ابومينا بمصر وبالحقيقة انه أعمرهم من ماله اخير مما كانوا فى الاول لان بيعة الشهيد ابو مينا ما كانوا يقدروا يدخلوا من باب الخورس بالنهار الا بفتيلة فعمرها وبناها كنيسة عظيمة منيره وبنا فيها قلالى للفقرا

وغيرهم وان رجب باشا المذكور اوقع الطلب على المعلم لطف الله باجتهاد وان جماعة اكابر من محبين المعلم لطف اله طيبوا خاطر الوزير المزكور بنحو اربعين كيس ودفعها من عنده من ماله حكم ما ذكروا ولم يأخذ من الاراخنة شئ وايضا المصروف الذى اصرفه فى اقامة هذا الاب بطركا لم ياخذ من احدا شئ وجميع ذلك من عنده لان لم كان فى زمانه من يعاده فى المال وايضا فى الجاه وقوة القلب وان الشيطان عدو الخير خزاه الله اثار عليه من قتله وهو جاى الى بيته فى يوم الجمعة حصة الفطور وكان ذلك فى شهر مسرى سنة الف واربعمائة وستة وثلاثين للشهدا الموافق فى سنة الف وماية اثنين وثلاثين خراجية نيح اله نفسه وانهم كفنوه ودفنوه وعمل له هذا الاب ألف قداس باسمه ولما كان فى سنة الف وماية ثلاثة وثلاثين الخراجية توجة هذا الاب الى مدينة الاسكندرية وزار كنيسة الاب البشير مارى مرقس الانجيلى واقام بها نحو ستين يوم فى فرح وسرور وبهجة وجاب معه هدية الى مارى مرقس قنديل فضة ونحو عشرين اردب قمح زار وحصل المراد وحصل له جبر الخاطر بزيادة من الاراخنة المباشرين بديوان اسكندرية رجع لمصر بالسلامة وكانت ايامه كلها هادية وشعبه مرتاح بصلاته وكان فى ايام هذا الاب ارخن يسما المعلم مرقوريوس الشهير بديك ابيض كان يومئذ بخدمة واحد جوريجى اختيار من اكابر مصر يسما ابراهيم جوريجى الصابونجى عزبان وان الارخن المذكور كان ناظراً على كنيسة السيدة المعروفة بدير العدوية وان قدرة الله تعالى اعانته بشفاعة الست السيدة واعمر الدير المذكور نامه اخير مما كان فى الاول ودعى هذا الاب وكرز الكنيسة المذكورة وايضا كرز بيع غيرها وكرز قسوس وشمامسة بكثرة وكان سمع النفس فى الماكل والمشرب شبه انبا يوانس الذى قبله وكان يتشبه به فى جميع افعاله وفى الرحمة وغيره وكان الشعب جميعه فى ايامه بخير وعافية وطمانية ويتغايروا فى الرحمة والاعمال الصالحة وبالخصوص واحد ارخن يسما المعلم جرجس ابو شحاته من ناحية ابنوب بالصعيد وجاء وتوطن بمصر وكان أرمل وتزوج باخت المعلم لطف الله وكان أهل رحمة قوى ويصنع خيرات كثيرة مع الفقرا والكهنة وغيرهم ومع ذلك ان ماله كان عند الصناجق بمصر والاغوات ولما تنيح وجدوا عليه ديون كثيرة نيح الله نفسه واقام

هذا الاب بطركا ثمانية سنين وشهورا وتنيح فى شهر برمهات سنة الف واربعمائة واثنين واربعين للشهدا الموافق فى سنة الف وماية ثمانية وثلاثين خراجية وكان ايامها تشويطه ودفن بكنيسة ابو مرقورة بمصر الرب يرحمنا بصلاته وتنيح ابو شحاته بعده فى التشويطه المذكوره الرب ينيح نفوس الجميع ويرحمنا بصلواتهم امين .

ابا يوانس البطرك
وهو من المايه وخمسة

انبا يوانس البطرك وهو المايه وخمسة من العدد هذا الاب من اهالى ناحية ميلوى وطلع الى دير القديس العظيم انبا بولا واقام فيه زمانا ولبس الشكل الملايكى واستحق ان يكون قسا وكان اسمه عبد السيد ولما تنيح الاب انبا بطرس الذى قبله وقع الاختيار عليه وارسلوا احضروه الى مصر واوسموه بطركا بكنيسة الشهيد ابو مرقوره فى بدو سنة الف واربعمائة ثلاثة واربعين للشهدا الموافق سنة الف ومايه تسعة وثلاثين خراجية واقام جمعة زمان بمصر ورجع القلاية البطركية بحارة الروم وحصل فى ايامه زيادة الجوالى على النصارى واليهود من ابتدا سنة الف ومايه سبعة واربعين خراجية الاعلا يدفع اربعمائة نصف فضة وستون نصف فضة برانى والاوسط يدفع مائتين نصف فضه وثلاثون نصف فضه برانى والادنى يدفع مايه نصف فضه وخمسة عشر نصف برانى وقبضوا الجوالى من الاباء الاساقفة والرهبان والقسوس ولم يكرموا احدا وكان المعينين بقبض ذلك جماعة بشتليه يحضروا فى كل سنة الروم من طرف السلطنة الشريفة معينين بقبض ذلك وكانت ايام شدة وحزن على كامل الفقرا وارباب الصناعة وايضا حصل غلا شديد فى سنة الف ومايه اثنين وخمسين وسنة الف ومايه ثلاثة وخمسين وانع القمح الاردب المصرى بستة دهب محبوب كل ويبة بشريفى دهب محبوب وقاسوا الخلق شدايد صعبة خصوصا النصارى الفقرا هام من الغلا هام من طلب الجوالى بلا رحمة وكان بمصر يومئذ اراخنة محبين فى المسيح المعلم نيروز والمعلم زرق الله الدوى والمعلم بانوب الزفتاوى وغيرهم كانوا يشتروا الفقرا شراوى من حبس الجوالى

ويخلصوهم وايضا فى سنة الف ومائة خمسة وخمسين الخراجية حصل فتنة بمصر مع واحد صنجق بسما عثمان بيك من اكابر مصر وقاموا عليه جماعة العسكر فطلع هاربا الى الوجه القبلى ونهبوا بينه وبعد ذلك رجع الى الديار الرومية ولم تزل مصر واهلها فى تعب وضنك وشدايد صعبه والرب الاله يتحنن عليهم برحمته واقام هذا الاب بطركا ثمانية عشر سنة وشهورا وتنيح فى يوم اثنين البصخة ثالث عشر شهر برمودة سنة الف واربعمائة واحد وستين الموافق فى سبعة عشر شهر ربيع الاول سنة الف ومائة سبعة وخمسين هلالية ودفن بكنيسة ابو مرقوره بمصر الرب يرحمنا بصلاته امين .

ابا مرقس البطرك
وهو من المائة وستة

مرقس البطرك وهو المائة وستة من العدد هذا الاب من اهالى ناحية قلوصنا من اعمال ولاية البهنسا وكان اسمه سمعان طلع الى دير القديس العظيم انبا بولا وهو شاب صغير اقام فيه مدة وكان يتردد من دير الاب انطونيوس الى دير القديس انبا بولا ولبس الشكل الملايكى واستحق ان يكون كاهنا ولما تنيح انبا يوانس الذى كان قبله وقع الاختيار عليه فارسلوا احضروه الى مصر واوسموه بطركا فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس سنة الف واربعمائة واحد وستين الموافق الى سنة الف ومائة سبعة خمسين واقام سنتين والعسكر هاديين بمصر وبعد ذلك حصل فتنة عظيمة بين العسكر بمصر وقتل فيها خليل بيك امير الحاج وعلى بيك الدمياطى الدفتردار وعمر بيك غيطاس ومحمد بيك ذاده وهربوا جماعة من الامرا الصناجق الى الصعيد وهما الامير عمر بيك واخيه وحسن بيك تابع ابراهيم بيك وعمر بيك حاكم بجرجا التم عليهم واقاموا مدة ثمانية شهور بالصعيد وذلك فى سنة الف ومائة واحد وستين هلالية وبعد ذلك اهتم به شيخ العرب همام وجهز لهم فومانية من قمح ودقيق وسمن وعسل وغيره وارسلهم الى بلاد الحجاز فى المراكب من بندر القصير السامى وبعد ذلك ايضا لم تزل الفتنه الى ان الله رحم عباده وازال هذه الشدة وان فى يوم الخميس المبارك الذى هو الثانى عشر من

شهر بشنس المبارك سنة الف واربعمائة خمسة وثمانين قبطية للشهدا الاطهار الموافق الى احدى عشر شهر محرم الحرام سنة الف ومائة ثلاثة وثمانين هلالية تنيح الاب الفاضل المكرم انبا مرقس بطريرك المدينة العظمى والاسكندرية والحبشة والنوبة بكنيسة الست السيدة والدة خلاص العالم بدير العدوية فى ثانى ساعة فى ذلك اليوم كان عيد ستنا العفيفة الفاضلة فى الكرامة الست دميانة وتذكار رئيس الملائكة ميخائيل رئيس طغمات السموات ونياحة الشهيد العظيم يوحنا فم الذهب وفى ذلك الساعة نظر الاب الفاضل المكرم البطريرك عند طلوع الروح من الجسد الابا القديسين انطونيوس وانبا بولا وانتقل الاب البطريرك من كنيسة الست السيدة بدير العدويه وهو متنيح حملوه الاخوة المسيحيين الى دير الشهيد العظيم كوكب الصبح المنير العظيم فى الشهدا الشجيع البطل سيدى الملك مار جرجس بدير البنات بات الاب البطريرك وهو متنيح تحت ايقونة الشهيد العظيم بالغداه والصلوات والبشاير ومزامير النبى داوود الكبار وفى صبيحة يوم الجمعة الذى هو الثالث عشر من شهر بشنس سنة الف واربعماية خمسة وثمانين قبطية حضروا اليه الاباء المطارنة الاب المكرم انبا يوسا مطران الحبشة وذلك الاب المذكور مقسوم بيد الاب البطريرك قبل نياحته بستة اشهر والاب المكرم انبا بطرس مطران الوجه القبلى اختاره الاب البطريرك خوفا على الرعية ليرعا قطيعه الصالح خوفا عليهم من الدياب الخاطفة وكامل القمامصة والقسوس والاراخنة والمعلمين وكامل الشعب المسيحيين ماشيين على اقدامهم والكهنة بيدهم المجامر بالبخور الذكى والاطياب الفاخرة ولابسين البرانس من دير الشهيد العظيم مار جرجس الى دير الشهيد العظيم محب ابويه مرقوريوس ابو السيفين وعملوا الاباء المطارنة والقمامصة والقسوس الى ذلك الاب البطريرك بما يصلح بالاباء البطاركة وقبر فى ثانى ساعة من يوم الجمعة وذلك الاب كان اول قسمته فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس سنة الف واربعمائة واحد وستين للشهدا الاطهار يوم دخول السيد ارض مصر ونياحته فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس سنة الف واربعمائة خمسة وثمانين قبطية ومدة حياة الاب البطريرك على الكرسى المرقسى اربعة وعشرين سنة وثلاثة اشهر واربعة عشر يوما

وقاسا الاب البطرك المتنيح المذكور فى ذلك الايام اهوالا لا يحصى لها عدد تارة من الخلفا وتارة من الشعب الملتوى الاعوج ولو شرحنا لكم ذلك لطال الشرح ونسال الاهنا ومتولى خلاصنا بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات ستنا الشريفة البتول الذكية والدة خلاص العالم ان بصلوات هذا الاب نحن واياكم يا أباى واخوتى امين

ابا يوحنا البطرك
وهو من المائة وسبعة

انبا يوحنا البطريرك وهو السابع من بعد المائة من عدد البطاركة ومن امره انه كان راهبا فى دير القديس انبا انطونيوس فلما توفى سلفه الاب مرقس اجمع رأى العموم على تكريسه بطريركا فكرس سنة ١٤٨٦ للشهداء الموافقة لسنة ١٧٦٢ مسيحية قبطية ولا تسال عما اصابه واصاب شعبه من البلاء الفادح الذى حمله على ان يتوارى ويختفى هربا من ظلم الحكام وجور الولاة الذين اثقلوا كاهل المسيحيين وشددوا الوطأة خصوصا بزيادة الضرائب وتخص بالذكر من تلك المصائب ما هو بالاجمال لما عزم ابراهيم ومراد شيخا مصر من المماليك ان يستقلا بالحكومة بغير ان يبقى للباب العالى اعنى الدولة العثمانية فيها يد وطردوا وزير السلطنة وعلما ان الدولة لا تسكت بل تشهر سيف الحرب عليهما شرعا يضربان على المصريين الضرايب الفادحة بصفة تشبه النهب والسلب فتضايقوا واستغاثوا ولات ساعة مغيث لكن خطوة الظلم التى خطاها المماليك لم تكن لتعد شيئا بازاء ما صنعه حسن باشا لما حاربهم وانتصر عليهم ودخل الى القاهرة فائزا فصنع عسكره ما تأبى ذكره النفس وينكره العقل فانهم وطأوا بيوت المسيحيين وفضلا عن انتهاكهم حرمة الادب ونقضهم ناموس الانسانية فى اساءة تصرفهم مع النصارى فانهم احضروا امتعتهم على اختلاف انواعها وباعوها بامر الباشا المومئ اليه على مشهد من الناس فكم بذلك اقفرت بيوت وكم بيوت ومنازل نعت اهلها لهجرهم لها ومن ذلك ان العسكر قبضوا على امرأة المعلم الفاضل ابراهيم الجوهرى امين احتساب مصر واجبروها على ان تخبرهم عن مخابى زوجها من النقود وغيرها ففعلت

ذلك كرها فنهبوا بيته وتركوه قاعا صفصفا وزاد الطين بلة الوباء الذى دهم مصر بخيوله وجيوشه وضرب جميع بلادها نحو سنة ١٥٠٧ للشهداء الموافقة ١٧٤٣ ميلادية قبطية و ١٧٩١ افرنجية فكان يموت من القاهرة فى اليوم الواحد نحو الالف وهذا الوبا كان يعرف عند العوام بالكبه لعظمه وثقله حتى افنى الناس ومن ذلك ان الوبا اصاب اسماعيل بيك الذى ولاه الصدر الاعظم على مصر فمات به واقيم اخر بدله فمات ايضا فى ذلك اليوم عينه وهلم جرا الى ان فنى جميع اقارب اسماعيل بيك فاغتنم هذه الفرصة ابراهيم ومراد وعادا الى القاهرة ومسكا ازمة الاحكام فدارات رحاهما علي محورها الاول اذ شرعا يعتسفان طرق الظلم مع المسيحين الذين اصبحت حالتهم تستدعى احتلال فرنسا لهذا القطر كما سيأتى اما انبا يوحنا فتوفى سنة ١٥١٢ للشهدا الموافقه سنة ١٧٨٨ مسيحية قبطية .

ابا يوانس البطرك
وهو من المائة وثمانية

انبا يوانس وهو الثامن من بعد المائة من عدد البطاركة ومن امره انه كان احد رهبان دير القديس انبا انطونيوس فلما توفى سلفه اجمع رأى لكهنة ورؤساء الكهنة واراخنة الشعب على تقديمه بطريركا ورسم سنة ١٥١٣ للشهدا الموافقه سنة ١٧٨٩ وقد نظر شيئا من البلايا الى حاقت بسلفه وقاسم المؤمنين مصايب ذلك الجيل المشئوم الطالع وتفطرت احشاؤه حزنا وقاسى بسماع الاذن ونظر العين تلك الصروف التى ابهظت ظهور المسيحين وقد ازدادت طينتها بللا وشدتها قساوة ومرارتها علقما حينما احتلت عساكر نابليون بونابرت هذا القطر سنة ١٥١٤ للشهدا اى سنة ١٧٩٨ افرنجية وذلك ان ارجل جنود فرنسا لما وطأت ارض ابو قير والاسكندرية هاج فى القاهرة رعاع المسلمين وشرعوا يجرعون النصارى كاسات المرارة رغما عن اجتهاد امرائهم الذين اخبروهم بان هؤلاء المسيحين من جملة رعيا الدولة وان من مس شرفهم فقد مس شرف الدولة نفسها فلم يرهبهم ذلك ولم يخشوا سطوة بونابرت وجنوده الباطشه وذلك ان

هولاء لما حاربوا المماليك وانتصروا عليهم وملكوا القاهرة وظن النصارى ان الجو المعكر صفا لهم قام علي اثر ذلك معظم المسلمين شيوخ الجامع الازهر وتجمعوا فيه وارسلوا القراء يطوفون فى الاسواق منادين «فليذهب كل من يوحد الله الى الجامع الازهر هذا هو يوم الجهاد فى محاربة الكفار واخذ الثار» فهاجت المدينة لذلك وماجت وقفل المسلمون حوانيتهم وتقلدوا اسلحتهم واجتمعوا فى الجامع الازهر ثم جالوا ينهبون بيوت المسيحيين على اختلاف اجناسهم ويقتلون كل من صادفوه بغير تمييز بين الرجل والمرأة والطفل والشيخ وكان الوجه القبلى الذى صار عادة ملجأ لكل متمرد ومهربا لكل عاص ليس باقل وطأة فانه لما هرب المماليك اخذوا يعيون فى الناس ظلما وينهبون اموال النصارى وما ظن النصارى انهم نجوا من تلك الرزيه حتى وقعوا بأشر منها وذلك انه لما نقضت المعاهدة التى عقدت بين القائد كليبر الفرنساوى والصدر الاعظم بامر من الباب العالى ودارت رحي القتال بين الجانبين فى المطرية اغتنم المسلمون فرصة خروج عسكر فرنسا من القاهرة وثاروا على النصارى وكان ناصيف باشا احد قواد الجيش العثمانى جاء الى المدينة بجماعة من المماليك ونادى فيها بانهم غلبوا الافرنج وامر بقتل باقى النصارى فشرعوا يجزرونهم غير مميزين بين القبطى والسورى والافرنجى فاستدرك حالهم عثمان بك احد ضباط الاتراك وجاء الى ناصيف باشا وقال له (ليس من العدالة ان تهرقوا دماء رعايا الدولة فان ذلك مخالف للارادة السنية) فامر عند ذلك بكف ايدى المسلمين عن قتلهم واخر ضيق طرا على الاقباط فى ايام هذا الاب رفت المستخدمين منهم فى دواوين الحكومة وذلك ان الجنزال مينو لما تولى قيادة الجيش الفرنساوى بعد موت كلابر قتلا اعتنق الدين الاسلامى ودعى نفسه عبد الله وولد له غلام اسماه سليمان وكان ديوان القاهرة مولفا وقتئذ من الاقباط والاسلام فرفت الاول وترك الدواوين للاخر وعهد اليهم جباية الخراج وكانت اقامة الفرنساويين فى مصر ثلاث سنين ثم خرجوا وكانوا يعرفون عند العامة الفرنسيس اما الاب مرقس فتوفى سنة ١٥٢٦ للشهدا الموافقه سنة ١٨٠٢ وكان فى ايام هذا الاب الامير الشهير فى اعيان المسيحيين ابراهيم الجوهرى رئيس كتاب البر المصرى الوجيه الكامل صاحب المأثر

السعيده والاثار الحميدة وله فى كل دير وكنيسة اثر يذكر فيشكر واليه ينسب تأسيس كنيسة الازبكية والى اخيه جرجس بنائها وذلك ان الاقباط صاروا فى الازمنة الاخيرة لا يتحصلون على اذن من الحكومة بناء كنيسة الا بشق الانفس فاتفق ان احدى السيدات من العائلة السلطانية قدمت الى مصر قاصدة الحج ولكون ابراهيم الجوهرى هو المتقدم فى الحكومة المصرية تقدما مشهورا باشر بنفسه اداء الخدمات لها فى الذهاب والاياب وقدم لها هدايا فاخرة فارادت ان تكافئه على خدمته الى ابداها مع شهرة صداقته فى خدمة الحكومة فسالت عن مرغوباته فالتمس منها المساعدة فى اصدار فرمان سلطانى بالرخصة فى انشاء كنيسة فى الازبكية حيث مستقر سكنه فلبت دعواه وصدر له بواسطتها الاذن بذلك غير انه توفى قبل ان يشرع فى البناء فلما تولى اخوه جرجس افندى منصبه اتحد مع الاب مرقس المومئ اليه وكبار الطائفة وبنوا الكنيسة حيث نقلوا مركز البطريركية فى ملك الامير يعقوب والمعلم ملطى الذين كانا متوظفين فى مدة حكم بونابرت بوظايف عالية .

ابا بطرس البطرك
وهو من المايه وتسعة

انبا بطرس البطريرك وهو التاسع من بعد المائة من عدد البطاركة قد اختير هذا الاب للبطريركية بعد وفاة الاب مرقس سلفه وكرس سنة ١٥٢٦ للشهداء الموافقه سنة ١٨٠٢ ومن امره انه كان احد رهبان القديس انطونيوس فاختير ان يكون مطرانا على الحبشة فتأجلت رسامته بتدبير من الله ثم كرس مطرانا عاما للكرازة المرقسية واستمر فى البطريركخانة الى توفى سلفه فانتخبه العموم ان يكون بطريركا خليفة له ورسم بعد نياحة سلفه بثلاثة ايام ومن اوصافه الحميدة انه كان محبا للدرس فى الكتب الالهيه ومواظبا على تعليم الشعب غير محب الطمع حليما وضيعا متواضعا حكيما ذا فطنة عظيمة وذكاء فائق وسياسة لرعاية الشعب ساميه وقد الف كتابا احتج به عن تعليم الكنيسة وفى مدته فتح محمد على باشا السودان فعاد من اهله كثيرون الى الدين

المسيحى فرسم لهم اسقفين على التعاقب ورسم من الاساقفه نحو ٢٣ اسقفا ومما يستحق الذكر العجائب التى حدثت على يديه وفى زمانه ومنها ان ابنة محمد على باشا زهرى باشا زوجة احمد بك الدفتردار كان اعتراها روح نجس فعانى الاطباء اتعابا شاقة فى معالجتها فلم يستطيعوا ان يشفوها اذ لم يكن ذلك مرضا طبيعيا وكان صيت السرايمون اسقف المنوفية بما اعطى من قوة اخراج الارواح الشريرة مالئا القطر المصرى فذكر لمحمد على باشا عن امكان ائمة النصارى فى شفاء ابنته ما جعله يدعو الاب بطرس البطريرك الى مباشرة ذلك فالاب اذا كان يعلم ان ابنته معتراة من روح نجس استدعى الاب سرايمون وامره ان يتوجه الى السراى حيث سكن زهرى باشا فلبى دعوته توجه اليها وكانت السراى غاصة بالجنود والجماهير رجالا ونساء فلما ابتداء ان يصلى على الاميرة تحرك الشيطان فيها والقاها صرعى على الارض فازبدت وشرعت تصرخ باصوات ارتجت لها السراى فارتعب الاب من ذلك وخاف من سوء العاقبة وصار يستغيث بقوة المسيح صارخا بصوت محزن زارفا العبرات قائلا «عظيمة خطيتك ياصليب» يايسوع مجد يمينك وانصر كنيستك حينئذ اكمل الصلاة ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الاميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها فعند ذلك قامت الاميرة صحيحة وضربت الموسيقى فرحا فبشر محمد على بذلك وجاء الى ابنته فوجدها متعافية فرغب ان يكافئ الاب سرايمون فصر صرة من النقود تبلغ اربعة الاف جنيه وقدمها للاب فأبى ان يقبلها واعتذر اليه قائلا ليس من شؤون وظيفتى ان اربح بمواهب الرب مالا يحوجنى اليه فلباسى كما ترى فرجيه صوف احمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس فعوض ذلك اسال دولتكم ان تميلوا تعطفاتكم نحو ابناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيها المرفوتين فاجابه الى ذلك والح عليه ان يقبل تلك العطية فاخذ منها شيئا قليلا وفرقه اثناء مروره على العسكر ومن ذلك ان النيل لم يف فى احدى السنين مقداره فخاف الناس من وطأة الغلاء ورزية الجوع واستغاثوا بالباشا طلبين اليه ان يأمر الرؤساء الروحانيين بان يرفعوا الادعية والصلوات من اجل النيل ليبارك الله فى مائه وتروى الارض ففعل واحتفل اولا المسلمون بالصلاة ثم اليهود ثم

الروم ثم السوريون ثم الافرنج فلم ينتقل النهر من مكانه ثم طلبت الحكومة من الاب بطرس ان يصنع نظير ما صنع باقى الطوائف فاستدعى لفيف الاكليروس وجماعة الاساقفة وخرج بهم الى شاطئ النهر واحتفل بتقديم سر الافخارستيا ثم اتم ذلك وغسل اوانى الخدمة وطرح ماءها مع قربانه من البركة فى النهر فعجت للحال امواجه واضطربت وفارت كدست يغلى وفاضت فبادر تلاميذ البطريرك رافعين ادوات الاحتفال فلم يتموا ذلك الا وقد ادركتهم المياه فعظمت منزلة البطريرك وطائفته لدى الباشا وزاد فى اعتبارهم ومن ذلك ما شاع على السنة العامة ان ابراهيم باشا عندما ملك البلاد الشامية وملك اورشليم دعا الاب بطرس ليباشر خدمة خروج النور من ضريح السيد المسيح نظير ما يفعل بطاركة الروم فى كل سنة فالبطريرك لعلمه أن ذلك يترتب عليه عداوة بين الاقباط والروم اعتذر للباشا فقبل عذره وطلب اليه ان يكون مع بطريرك الروم وهو ثالثهم داخل القبر وكان الباشا مرتابا بحقيقة النور فخاف الاب بطرس من تأخير طلوع النور وسوء العاقبة واخذ يستغيث بقدرة يسوع وكانت كنيسة القيامة قد غصت بالجماهير وتضايق الناس من الازدحام فامر الباشا ان يخرج الفقراء الى خارج القيامة حيث فسحة كبيرة ودخل فى القبر وصحبته بطريرك الروم وبطريرك الاقباط فلما صار الوقت انبثق النور من المقبره بامر ارتعب منه الباشا ووقع عليه ذهول واندهاش وصرخ مرددا هذه العباره «أمان بابا» وكاد يسقط على الارض فاحتضنه الاب بطرس الى ان ستفاق اما الفقراء التعساء الذين خارج القيامة فصاروا اسعد حظا ممن كان داخلها فان احد اعمدة باب القيامة انشق وخرج لهم منه النور فتبركوا به وقد سعى فى ايامه محمد على باشا بضم كنيسة مصر الى كنيسة رومية وذلك ان التنظيمات الجديدة التى صارت فى مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلمائها فلما رأى محمد على باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام ان يقابلهم بمثله واذا احتار فيما يقوم نظير ذلك نصحه احد قواد الجيش وكان بابويا بان يسعى فى ضم نصارى مصر الى كنيسة رومية فيجد ذلك الافرنج فعلا حميدا ومعروفا يوازى معروفهم فاستدعى المعلم غالى وابنه باسيليوس بك رئيس المالية وامرهما ان يفعلا ذلك فوقعا

فى حيص بيص وخافا من وقوع الفتن بين الطائفة فاجابا الباشا قائلين ان استمالة الطائفة جميعها الى مذهب كنيسة روميه دفعة واحدة لا تنتهى بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فنرى الاحسن ان يكون ذلك بسياسة وتدريب وذلك اننا نعتنق نحن اولا المذهب البابوى بشرط ان لا نكره على تغيير طقوسنا وعوايدنا الشرقيه وبذلك يمكن ان نميل افراد الطائفة رويدا رويدا فقبل الباشا هذا الرأى واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعله فانقلب من ثم المعلم غالى وابنه باسيليوس بك ورهط قليل من اشياعهما فى مصر واخميم باباويين فى الظاهر وهم بضمروا بانهم بعد حين يعودون الى حضن كنيستهم ومع ذلك ما زالوا يعتبرون كهنة الارثوذكسيين حق الاعتبار ويعمدون اولادهم عندهم واما انبا بطرس فتوفى سنة ١٥٦٨ للشهداء الموافقة سنة ١٨٤٤ مسيحية قبطية .

ابا كيرلس البطرك
وهو من الماية وعشره

انبا كيرلس البطريرك وهو العاشر بعد المابة من عدد البطاركة ومن امره انه كان رئيسا على دير انبا انطونيوس فلما انتخب للبطريركية وقع خلاف بين الشعب فالبعض قبل ذلك والبعض الاخر رفضه فتأجلت قسمته ثم استقر رأى العموم عليه ورسم مطرانا عاما سنة ١٥٧٠ للشهدا الموافقة لسنة ١٨٤٦ واستمر سنة وشهرين فظهر من حسن تصرفه ما جعله اهلا ليكون بطريركا فرسم سنة ١٥٧١ للشهدا أى سنة ١٨٤٧ مسيحية والى هذا الاب يرجع تمدن الشعب القبطى وارتقاوه فى مراقى النجاح وذلك بما صبه من قصارى جهده فى سبيل تهذيب شبانه وتعلمهم العلوم فانه انشأ المدرسة الكبرى القبطية فى البركخانة وفتح مدرسه اخرى فى حارة السقايين وجدد فيها تعليم اللغة القبطية بعدما كادت تدرس رسومها اذ لم يكن فى ذلك الوقت يتكلم بها احد البتة وانما كانت تستعمل فقطِ فى كل كنايس القطر المصرى وما كان يفهم معانيها الا اناس قلايل وادخل من ضمن ذلك لغات اجنبية لا سيما اللغة العربية وجدد كنيسة بحارة السقايين ثم شرع فى اخر حياته بانشاء الكنيسة الكبرى الكاتدرائية الحالية

بعدما نقض الكنيسة القديمة وكان بغرمه ان يشاهدها على ما هى عليه من الرونق الجميل والمنظر الحسن الان فحال دون ذلك غيابه فى الحبس الذى صادف فيه مخاطر مهولة كادت تذهب باجله وذلك ان بعض الانكليز بعدما توجه الى الحبشة سعوا به عند النجاشى تاودروس وادعوا عليه انه فى عزمه ان يجعل الحبشة خاضعة للحكومة المصرية وانه سار الى الجيش وعساكر مصر تتبعه من ورائه فطار النجاشى عند ذلك جنونا وامر بحرق البطريرك حيا فتصدت له الملكة واثنت بحزمها عزمه وسفرت البطريرك الى مصر سالما ثم توفى عقب ذلك بقليل ومن صفاته انه كان عالما شديد القساوة على الاكليروس والشعب شديد الاعتصام بقوانين الكنيسة واعتقادها وكان مألوفا عند جميع الطوائف محبوبا لدى حكومة مصر مكرما عند بنى كنيسته قد رسم ستة اساقفة من ضمنهم انبا باسيليوس مطران اورشليم وانبا يوانس مطران الموفية وانشئت فى مدته عدة كنايس وتوفى سنة الف وخمسمائة وسبع وسبعين للشهدا الموافقة سنة الف وثمانمائة وثلاث وخمسين مسيحية قبطية و ١٨٦١ مسيحية افرنجية .

ابا ديمتريوس البطرك
وهو من المائة والحادى عشر

انبا ديمتريوس البطريرك وهو الحادى عشر بعد المئة ومن امره انه كان رئيسا على دير القديس ابو مقار فلما صار بطريركا سنة الف وخمسمائة وثمانى وسبعين للشهدا الموافقة سنة الف وثمانمائة اربعة وخمسين مسيحية قبطية صار على خطة اسلافه واقتفى اثر انبا كيرلس سلفه فاكمل الكنيسة الكبرى عمارة اذ كانت ناقصة السقوفات والقباب ثم ان انبا كيرلس المائة والثانى عشر زينها جميعها من داخل بالبويات والايقونات المذهبة لا سيما على الحجاب وفرش رصيفها المستدير بها بالرخام فهى احسن واوسع واعلى بناء واعظم كنايس الاقباط بالقطر المصرى وهذا الاب ديمتريوس نشط ايضا المدارس والمكاتب وقد توفر له الحظ السعيد بمثوله امام الحضره الشاهانيه السلطان عبد العزيز عندما شرف الديار المصرية وحضر احتفال فتح ترعة السويس التى

كان احتفال فتحها فى تاسع شهر هاتور سنة ١٥٨٦ للشهدا الموافق ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ مسيحية افرنجية وسنة ١٢٨٦ هجرية فنال من جلالة السلطان التفاتا عظيما وانعم عليه بجملة من الاراضى الزراعية لتفقة الدار البطريركية ومدارس الامة وكان فى ايامه اسماعيل باشا خديوى مصر وهو اول من نال من الدولة العلية لقب خديوى ومن تاثر الانبا ديمتريوس انه طاف الوجه القبلى على باخرة عينتها له الحكومة وبنى الشقة الغربية فى البطركخانه واكمل ما فاته ناقصا من العمارة فى زمن رئاسته فى عزبة دير ابو مقار فى تريس واتفق انه توفى ليلة عيد الغطاس ١١ شهر طوبه سنة الف وخمسمائة وستة وثمانين للشهدا الموافقه سنة الف وثمنمائة واثنين وستين مسيحية قبطية بعدما استمر بطريركا سبع سنين وسبعه اشهر وسبعة ايام ولاجل تاخير الحكومة اصدار الامر بقسمة بطريرك للطائفة بقى الكرسى بعده خاليا اربع سنين وتسعة اشهر سبعة عشر يوما وكان حين ذاك بدير امور البطريركية انبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية حتى صارت قسمة الاب الاتى ذكره .

ابا كيرلس البطرك
وهو من الماية والثانى عشر

انبا كيرلس البطريرك الثانى عشر بعد الماية من عدد البطاركة ومن امره انه ولد بتزمنت من مديرية بنى سويف سنة الف وخمسمائة وثمانى واربعين للشهداء الموافقة سنة الف وثمنمائة واربعة وعشرين مسيحية قبطية وسمى حنا وبعد ميلاده بزمان يسير هجرا ابواه مسقط راسهما وتوجها الى مديرية الشرقية واستوطنا بكفر سليمان الصعيدى وما زالت عشيرته بذلك الكفر وبعد زمان ليس بكبير انتقل ابواه الى الدار الباقية فقام بتربيته اخوه البكرى المدعو المعلم بطرس فاعتنى بتعليمه وساعده على ذلك بعض الكهنة ورسم شماسا من يد الاب الانبا ابرام مطران اورشليم الذى كان قبل الانبا باسيليوس السابق ذكره وكان يلوح على حنا هذا منذ حداثة سنه انه سيصير انموذجا للكمالات المسيحية فكان طبعه وخلقه الفطرى يميلان الى الزهد والتقشف

واحتقار هذا العالم وزخارفه ويحب الوحدة وملازمة الدرس والطرس والادمان على ممارسة الفضيلة ويهرب من معاشرة الشبان انداده خوفا من ان يسرى اليه شئ من اميالهم الدنيوية ويتغذى طبعه من اطباعهم باحتكاك افكاره بافكارهم وكان يحترم ابا ذمته اى القمص الذى كان يعترف عليه احتراما يفوق الوصف ويهابه واخيرا ترك منزل ابويه وتوجه الى دير السريان وهو احد الاديرة الاربعة الكائنة بالجبل الغربى فلم يلبث بضع أيام حتى استرجعه اهله من الدير بواسطة الكاهن الذى ساعد فى تربيته فعاد ولكن روحه ما زالت مشغوفه بالرهبانية ولم تكن دعوة الناس لتغير دعوة الله عز وجل ولبث بين قومه زمانا يسيرا وهم يلا طفونه بكل الحبل ويستجلبون رضاءه الى الامور العالمية ويزينون له لذايذها ويعظمون له اتعاب الرهبان ونيرهم الثقيل فلم تكن كل هذه المساعى الا لتزيده عشقا وغراما بعيشة الرهبنية فاخذ يتربص الفرص حتى تمكن من الهروب من قومه تذهب راسا الى دير البرموس فى برية شيهات وهو ابعد الاديرة الاربعة بالجبل الغربى المذكور وذلك فى توت سنة ١٥٦٧ للشهدا الموافقه سنة ١٨٤٣ مسيحية قبطية وهى السنة العشرون من عمره وبعد نحو شهر رسموه راهبا وكان هذا الدير وقتئذ فى اشد الفاقة ماديا وادبيا فكانت ابراداته ضعيفة جدا لا تفى بحاجيات رهبانه وكان اطيانه فى ايدى الغير يستغلونها لغيره وما كانت رهبانه تتحصل على القوت الضرورى الا بغية الصعوبة بل كانت تمر عليهم ايام لا يقتاتون فيها الا بالترمس الذى ذخر فى الاديره من ايام المرحوم ابراهيم الجوهرى صاحب الماثر الجليلة والاثار الجميلة قدس الله روحه فلهذه الاسباب تناقص عدد رهبانه حتى وصل الى اربعة اشخاص وروى بعضهم ان الدير احتوى مرة على شخص واحد وظل فيه وحده نحو ثلاث سنوات وذلك كان قبل رهبنة صاحب الترجمة ببضع سنين فسلك صاحب الترجمة فى الدير باحسن ما يتصور من النسك فلما رأى منه الرهبان ذلك اجمع رايهم مع الاب عوض البرهيمى الربيته بالدير وقتئذ على ترقيته الى درجة الكهنوت الشريف فكتبوا له التزكية وارسلوه الى القاهرة حارة زويلة فى اوائل سنة ١٥٦٨ للشهدا اى ١٨٤٤ مسيحية قبطية ثم عاد الى الدير فاختاره الرهبان ان يكون مديرا لشؤونهم فسار

بحقوق الرهبنة واحسن القيام بواجباتها فلا استطيع وصف ما كان عليه من فضائل العفة والامانة والنسك والاتضاع الفائق والدعة وطول الاناة والاخلاص فى القول والعمل عند الله والناس وتناهيه فى محبة الغريب والقريب ورحمة المحتاج وصدقاته علي الرهبان من ايراده الخاص الذى كان يكتسبه من نساخة الكتب وكان اعظم تسلية للناظرين بأقوال وافعاله فحسنت احوال الدير بهمته وازداد به عدد الرهبان وساروا على منهاجه القويم في طريق الكمال المسيحى وتعودوا على احتقار اباطيل هذا العالم وبلغ عدد رهبان بعد ذالك الى ثلاثين وزيادة بما فيهم جملة كانوا انتزحوا من الاديرة الاخرى اليه لحسن سلوك هذا الاب وحسن معاملته فاستمر هذا الاب يمارس شؤون وظيفته بكل طاقته وقدرته مرشدا ومعلما ومهذبا ومودبا متمما الصوت الرسولى القائل ليكن كل واحد بحسب ما اخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضا كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة وان كان يتكلم احد فكاقوال الله وان كان يخدم احد فكانه من قوة يمنحها الله لكى يتمجد الله فى كل شئ بيسوع المسيح «بطرس الاول ص ٤ ع ١٠ و١١» وقول معلمنا بولص كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة اولادها «تسالونيكى الاولى ص ٢ ع ٧» وبالاجمال بلغ من القداسة وحسن العبادة غاية ما يمكن فى جيله وفى اثناء ذلك اجتمع به القمص عبد المسيح المسعودى الكبير ابن جرجس فكان من اهل معضده ومساعديه مع الاب عوض المذكور ثم ان البطريرك انبا ديمتريوس استدعى صاحب الترجمة سنة ١٥٧٩ للشهدا الى الدار البطريركية فرسمه اغومانسا واقامه مساعدا فى الكنيسة الكاتدرائية بالازبكية فشق على رهبانه مفارقته جدا ولم يستطيعوا الصبر على بعده فكتبوا الى البطريرك السابق يترجونه فى اعادته لتدبير شؤونهم فلم يجب طلبهم فكرروا الالتماس مرارا فلبى البطريرك فى اخر الامر التماسهم واعاده الى محله فلبث قائما باعباء وظيفته خير قيام حتى انتخبه المطارنة والاساقفة واعيان الطائفة القبطية ان يكون بطريركا فكلفت الحكومة مدير البحيرة الى القاهره فجاء اليها شاء ام ابى وبعد ايام صار تكريسه فى يوم الاحد ثالث وعشرين بابه سنة الف وخمسمائة واحدى وتسعين للشهدا الموافقة سنة الف وثمنمائة وسبع وستين

مسيحية قبطية و ١٨٧٥ مسيحية افرنجية باحتفال حافل من جميع الطوايف باسم كيرلس الخامس لاسمه والمايه والثانى عشر من عدد البطاركة فشرع يقوم بعبء وظيفته وشأنها ووجه عنايته نحو ترتيب المدارس وتنظيمها فاكثر من المدرسين فيها لسرعة تقديم الطلبة وادخل فيها العلوم العربية والرياضية كالحساب والجبر والهندسة ولما رأى ان مدرستين اى مدرسة البطركخانة ومدرسة حارة السقايين لا تكفيان لطلبة العلم من ابناء الطائفة انشا مدرسة جديدة فى حارة زويلة واخرى فى بولاق ثم وجه التفاته نحو الاديرة التى بجوار القاهرة فوجدها كادت تميل الى الاندراس فشرع يصب قصارى همته فى ترميمها وتجديدها فهذه ماثره فى دير القديس برسوم العريان ومن ذلك القصر الجميل الذى انشاه والحديقة الجميلة التى غرسها عن يمين الدير وزرع فيها سائر انواع الاشجار والابنية الظريفة التى شيدها فى دير القديس مرقوريوس بجانب طموى والكنيسة والقصر اللذان بناهما فى دير القديس مار جرجس فى طره على شاطئ النيل والقصر الذى عمره فى دير العدوية وهذه ماثره فى القاهرة فمن ذلك حجاب الكنيسة الكبرى الكاتدرائية والتصاوير والنقوشات التى جعلت لهذه الكنيسة رونقا بهيا ومنظرا جميلا والشقة الظريفة التى بناها فى الجهة القبلية من البطركخانة ومدرسة البنات التى بناها فى الجهة الشمالية الشرقية من البطركخانة عند الشارع الكبير ومدرسة الاولاد التى فى بطركخانة الاسكندرية الى غير ذلك من المساعدة فى بناء الكنايس ككنيسة حارة السقايين وكنيسة الفجالة وغيرهما ومن الجهة الاخرى التفت الى امور الكنيسة فامر بانتشار الكتب الدينية بين بنيها وحث الرهبان على الدرس والقراءة فى الكتب المقدسة وفتح لهم مدارس فى الاديرة فكانت للديور الغربية مدرسة بدير موسى وللديرين الشرقيين مدرسة بدير انطونيوس وبالمحرق مدرسة وفتح مدرسة اكليريكية فى القاهرة للطلبة من الشبان وقسوس الكنايس والرهبان ونشر فى ايامه هذه من ابناء الملة القبطية وقسوسها كثيرا من كتب الوعظ وكتب التعليم الدينية والمؤلفات العلمية والتاريخية وكانت لغبطته اليد الطولى فى نشر هذه الكتب وفي مدته ارتفعت نوعا درجة الاكليروس فى العلوم والمعارف وايضا زادت وكثرت معرفة

اللغة القبطية فصار كثيرون يمكنهم التكلم بها وانفوا فيها جملة كتب للتعليم وطبعوها وصار البعض يقدمون لغبطته فى بعض الاوقات عرضا او رسالة بالقبطية اذا كان يفهمها جيدا وزار بنفسه الوجه البحرى مرتين والوجه القبلى مرة واحدة فلاقى من ابناء الطائفة احسن قبول ومزيد ارتياح واشد فرح وسرور بقدومه كما انهم وجدوا منه اعظم الالتفات لمصالحهم وقد اعتنى بصالح الابرشية الحبشية فرسم لها مطرانا وثلاثة اساقفة معا لا تساعها وكان ذلك فى ايام توفيق باشا خديوى مصر المعظم وجلالة الملك يوحنا سلطان الحبش واسم المطران انبا بطرس والاساقفة انبا متاوس وانبا مركوس وانبا لوكاس وانى مهما بالغت فى الاطراء على عفة البطريرك المذكور ونسكه واحتماله المشقات وصبره على الاحزان فلا استطيع ان افى بوصف جزء من محاسن اخلاقه ومحامد اعلافه اى اموره النفسية وقصارى القول انه حاز قصبات السبق فى مضمار الفضيلة وصار قلبه اسرى للرأفة والشفقة فجبل على محبة الفقراء ومساعدتهم فشهدت له عموم ابناء الطائفة بانه يمسح دموع الارملة وعبرات الشيخ بيد الاحسان ويتوجع للحزين ويتفجع للكئيب ويكد ويحد فى اخراج كرب المتضايقين ولا يالوا جهدا فى اتصال عيش اهل البيوت التى جارت عليها صروف الزمان واناخت بفنائها كوارث الحدثان فتصرف هذا الاب الحسن من نحو الله والقريب ونفسه قد ضاعفت اعتباره وجعل له منزلة كبرى فى اعين الملوك والولاة والحكام فهادوه بالنياشين فقلده الخديوى السابق المرحوم توفيق باشا بالنشان المجيدى الاول وقلده افندينا المحبوب الخديوى عباس حلمى باشا الثانى ابن توفيق باشا بذات النيشان المذكور واهداه جلالة السلطان عبد الحميد خان المعظم بالنيشان العثمانى من الدرجة الاولى واهداه قيصر المسكوب بنيشان من الدرجة الاولى واهداه يوحنا كاسا ملك الحبش السابق ذكره بتاج وصليب وهدايا فاخرة وعلاوة على ذلك عينته الحكومة المصرية عضوا فيمجلس شوراها من ضمن نواب الامة والى نهاية سنة ١٦١٠ للشهدا الموافقه سنة ١٨٨٦ مسيحية قبطية كان عدد الذين ارتقاهم الى درجة المطرانية والاسقفية تسعة عشر وهم من كل الديوره وبالاكثر ديرى المحرق وانبا انطونيوس وقد حصلت لهذا الاب اتعاب فى سنة ١٦٠٨ وسنة ١٦٠٩ للشهدا بسبب المنازعات التى حدثت وقتئذ وذلك ان انبا مرقس مطران

الاسكندرية لما كان يتولى ادارة شؤون الطائفة بعد وفاة انبا ديمتريوس كما تقدم القول شكل مجلس من اثنى عشر عضوا لكى يشاركوه فى الاعمال وسار على ذلك وبقى المجلس المذكور حتى فى مدة الاب كيرلس واحيانا من السنين كان المجلس يبطل واحيانا كان يعقد جلساته ثم ان ارباب المجلس طلبوا النظر فى مصالح الكنايس واحوالها وفى المدارس والاوقاف ورسامة القسوس وغيرها من الاصلاحات التى فيها بعض امور غير لايقه لا سيما قصدهم ان يحصروا اوقاف الديورة والكنايس وقلالى الاساقفة والمطارنة تحت يدهم ويصرفوا منها عليهم صرفا مع اخذ ماهية منها لمن يولونه حصرها كالكاتب والناظر وهذا يسبب للوقف تبديدا ولاصحابه ضيقا فلم يشا ذلك الاب البطريرك والاساقفة والرهبان وغيرهم ودام الاختلاف بين الطرفين لكن ارباب المجلس تقووا بالحكومة وحملوها على ابعاده الى دير برموس فسافر من الاسكندرية يوم الجميعة ٢٨ مسرى سنة ١٦٠٨ للشهدا ثم اعادته بالاجلال والاكرام فوصل الى القاهرة يوم السبت ٢٨ طوبه سنة ١٦٠٩ كما شرح ذلك كتاب القول اليقين وقد عرف جميع الملل وايضا الحكومة ذاتها ان الحق كان بيد الاب البطريرك وانه جاهد عنه اما من جهة الحكومة المصرية فى ايام هذا الاب فنقول انه قد صار رسمه فى سنة ١٥٩١ للشهدا كما مر وذلك فى ايام اسماعيل باشا خديوى مصر ابن ابراهيم ابن محمد على باشا الكبير وفى ١٩ شهر بؤونه سنة ١٥٩٥ الموافقة ٢٥ حزيران غربى سنة ١٨٧٩ افرنجية صار خلع الخديوى المذكور وتولى ابنه توفيق باشا الذى دام فى الخديوية اثنى عشر سنة ونصفا وفى ايام هذا الخديوى حدثت حادثة مهمة شاعت فى كل ادنيا وذلك انه فى اواخر سنة ١٥٩٨ عصى على هذا الخديوى احمد عرابى باشا ناظر الجهادية المصرية واصله من مديرية الشرقية فهددته دولتا انكلترا وفرنسا وامرتاه ان يكف فلم يكف فارسلتا اسطولهما الى مينا الاسكندرية وتهددتاه بالضرب فاخذ يحصن القلاع ويجيش الجيوش فحاربه الانكليز وكسروه فى التل الكبير فى خامس توت سنة ١٥٩٩ للشهدا الموافق ١٤ ايلول غربى سنة ١٨٨٢ افرنجية او ميلادية فبددوا شمل عساكره وسارت جيوشهم الى القاهرة فدخلوها فى اليوم الثانى بدون ادنى مقاومة ولم يحصل منهم ادنى اذيةلاحد ولا ادنى تعد على احد فكان ذلك عجيبا عندنا واستلموا القلعة

وقبضوا على عرابى وجماعته ونادوا بسيادة الخديوى وبعد ان حاكموهم واثبتوا خيانتهم عفوا عن قتلهم ونفوهم الى جزيرة سيلان بالهند فهذا هو سبب دخول الانكليز ارض مصر وتداخلهم فى ادارتها مع الخديوى لكن كانت لم تزل تابعة للدولة العثمانية كما من قبل وايضا بينما كانت الثورة العرابية قايمة فى مصر نهض رجل من عرب جنوبى افريقا اسمه محمد احمد لقب نفسه بالمهدى وجمع حوله جيوشا من الناس وتقدم بهم الى البلاد السودانية التى تحت تسلط خديوية مصر وسنة فسنة تملك الاقطار فصار اخر حكم مصر من الجنوب الى وادى حلفا فصدتهم الجيوش المصرية وكسروهم هناك واسروا منهم عددا كثيرا وايضا بقيت سواكن فى يد مصر وفى ٢٩ كيهك سنة ١٦٠٨ للشهدا الموافقه سنة ١٨٩٢ افرنجية توفى توفيق باشا وبعد ذلك ببضع ايام تولى عوضا عنه ابنه جناب الخديوى المعظم عباس باشا حلمى الثانى وقد كان محمد على باشا الكبير رأس هذه العائلة المحمدية قد قرر ورائه الحكم للاكبر فى عائلته فلما استتب الحكم لاسماعيل باشا المذكور انفا قرر ورائه الحكم بعده فى عائلته الخصوصية اى لابنه البكر ثم لابن ابنه حسب الطريقة الاوربية خلافا للطريقة السابق ذكرها وفى امر الوراثة غاية المنفعة والراحة وصلاح الاحوال للحكام ورعاياهم كليهما نظرا لامور لا يتحصل عليها انه يكون حكمها متنقلا لا وراثيا كما لا يخفى على ذوى العقول والسياسيين فمن تلك الامور كون المطلوبة تعليته معينا فلا خلاف ولا منازعة حين التولية ثانيا كونه قد ربى فى دار الامارة فلا يجهل امور الحكومة وقوانينها وسياستها، ثالثا كونه غير مبغض لسلفه فيطرح قوانينه وتحديداته الحسنة التى حنكته فيها التجارب هو ورجاله بل يسير عليها ويزيدها تحسينا، رابعا كون كل ما هو لابيه له فلا يظلم الرعية ولا يجور عليها جمعا للاموال الزايلة الى غير ذلك من الامور الحسنة التى تنتج من الوراثة وتزول بعدمها وبلاجمال نقول ان الحكومة المصرية فى ايام هذا الاب كانت فى اعلا درجات العدل وحسن النظام والترتيب وازالت التعصبات الدينية وصاوت بالتقريب بين رعاياها نصارى واسلام ورفعت اكثر المظالم واتت بكثير من الاعمال الخيرية لنفع عموم الاهالى فمن ذاك عمل السكك الحديدية والتلغرافات والبوسطات وانشاء الترع والجسور والقناطر لرى الاراضى وتأسيس معامل الورق والسكر وتكثير الالات النارية

ر البخارية وسن النظامات والقوانين وشدة الضبط والربط مع اطلاق الحرية الشخصية
لدينينة وفتح المدارس ونشر العلوم والفنون وتحسنت احوال مدينة القاهرة عاصمة هذا
قطر فاتسعت عمايرها ونظمت شوارعها وانيرت بالغز ومدت فيها مواسير المياه
كثرت فيها المدارس والمطابع الى غير ذلك من التنظيمات وكذلك مدينة الاسكندرية
يضا في هذه الايام كثرت المخالطات والمعاطاة بين اقطار العالم اذ سهلت عليهم
لاسفار لاجل الوابورات البرية والبحرية وسهل نقل الاخبار لأجل التلغرافات والبوسطة
لبريد وكثرة الجرايد والكتب والمطبوعة وكثر العلماء جدا لاسيما في أوربا وكثر
لاوربيون في بر مصر وبواسطتهم لاسيما الفرنساويين والانكليز صارت تلك الاعمال
هندسية والعلمية والسياسية لتنظيم البر فكان الابتداء بهذه التنظيمات على ايام
محمد علي باشا وما زالت تزداد الى وقتنا الحاضر وبالاجمال كاد القطر المصرى يشبه
لمالك الاوربية في التنظيمات والحمد لله على نعماية هذا ونلتفت الى ذكر الاديره
لتى كانت في ايام هذا الاب فنقول انه من مطالعة التواريخ الكنايسية يعلم انه في
لاجيال الاولى للرهبنة كانت في ارض مصر ميات من الاديرة العامرة بالرهبان لكنها
بعد ذلك صارت تخرب وتقل وعلمنا ان بعضها قد عمر ثانيا حتى في الاجيال المتأخرة
كدير انبا بيشوي ودير انبا انطونيوس ودير انبا بولا فاديرة الرهبان التي كانت في أيام
هذا الاب سبعة منها اربعة في برية شيهات بالجبل الغربي فالاول دير العذراء دير
برموس منشأ غبطته كما مر وانما دعى دير برموس على اسم اولاد الروم القديسين
مكسيموس ودومادیوس والثاني دير العذراء المعروف بدير السريان ودعى بهذا الاسم
لانه كان قبلا يحتوى على جملة من رهبان القبط ورهبان السريان معا لكنه بعد ذلك لم
يبق به احد من السريان والثالث دير القديس انبا بيشوى بقرب الدير المذكور وهما الى
الجنوب الشرقي من دير برموس بمسافة ساعتين والرابع دير القديس ابو مقار ابى الجبل
الغربي وهو الى الجنوب الشرقي من ديرى السريان وانبا بيشوى بمسافة ساعتين وثلاثة
ارباع الساعة وهذه الاديرة الاربعة واقعة غرب مديرية البحيرة غربى بنى سلامة
والطراية وكفر دواوود ويطلق عليها الديورة البحرية والغربية وديران بالجبل الشرقي
وهما دير القديس العظيم انبا انطونيوس ابى الرهبان في جميع المسكونة ودير القديس

انبا بولا وهذان الديران كائنان مقابل مديرية بنى سويف الى الشرق فى الجبل الشرقى ولذلك يطلق عليهما الديورة الشرقية ويسافرون لدير انطونيوس ثلاثة ايام فى الجبل واما لانبا بولا فاربعة ايام وكسرا مارة بدير انطونيوس والسابع دير المحرق فى مديرية اسيوس بسفح الجبل الغربى وهو الان اكثر الديورة رهبانا ويظن انه من اديرة القديس انبا باخوم ابى الشركة والله اعلم وفى هذه الاديرة السبعة قريب اربعمائة او خمسمائة راهب وكل من هذه الاديرة له اطيان خاصة من الانعامات والشراء بزرعها عدا الاوقاف

ومن الاديرة الخربة الباقية اثارها الى يومنا هذا بجهات الديورة العامرة دير انبا موسى الاسود بجانب دير برموس من الشمال ودير ابو يحنس يبعد عن ديرى السريان وانبا بيشوى مسافة الى الجنوب الشرقى وجملة ديورة بقرب دير القديس مقاريوس ثم دير القديس يوحنا الدرجى فى نواحى خليج السويس بجهات دير انطونيوس الى الشمال فيه وعدا ذلك توجد اديرة كثيرة فى الريف خالية من الرهبان بالكلية ولكنها مستعملة كنايس للصلاة من شعب البلاد مثل دير العريان المدعو ايضا دير شهران ودير مرقوريوس ابى سيفين بطموه جنوبى القاهرة ودير انبا شنودة ودير انبا بشاى بمديرية جرجا وغيرذلك كثير «تنبيه» اعلم ان دير المحرق قلت رهبانه فى اوايل الجيل السادس عشر للشهدا اى التاسع عشر للمسيح وكان اذ ذاك بخدمه قمص علمانى من القوصية يدعى القمص عبد المسيح وبعد ذلك ازدادا الرهبان ونموا شيئا فشيئا ووسعوا المحل وكثروا املاكه ولما كان الدير منفردا وحده فى الصعيد الكثير النصارى القبط ولا تجاوره اديرة اخرى فلذلك صار اكثر الاديرة رهبانا اما اديرة الراهبات العامرة فى ايام هذا الاب فكانت خمسة منها ثلاثة بالقاهرة وهى دير مار جرجس بحارة زويلة ودير العذراء المذكور ودير حارة الروم واثنان بمصر العتيقة وهما دير القديس مرقوريوس ابو سيفين ودير مار جرجس وفى كل هؤلاء الخمسة جملة من الرهبات وعدا ذلك كانت توجد راهبات فى بيوت ابائهن من اصل رهينتهن اما كراسى المطارنة والاساقفة فكانت فى ايام هذا الاب تسعة عشر وهى هذه الاول كرسى مطران اورشليم الذى كان له اعظم

واوسع ابرشيات ارض مصر وكان يقيم بالمنصورة او غيرها من بلاد مصر واحيانا بالقدس الشريف او يافا والثانى مطران المنوفية والثالث مطران الاسكندرية ووكيل الكرازة المرقسية وفى سنة ١٦١٠ للشهدا اضيف اليه كرسى مطران المنوفية بعد نياحة انبا يوانس مطرانها والرابع اسقف الفيوم والخامس اسقف البهنسه والسادس اسقف بنى سويف والسابع اسقف المنيا والثامن اسقف صنبو والتاسع اسقف منفلوط والعاشر اسقف اسيوط والحادي عشر اسقف ابو تيج والثانى عشر اسقف اخميم والثالث عشر اسقف قنا والرابع عشر اسقف اسنا كل هؤلاء فى القطر المصرى والخامس عشر اسقف الخرطوم الذى هو اسقف النوبه الذى لما عصى السودان على الحكومة المصرية كما مر وحصل للنصارى شدة وخوف ترك مكانه وعاد الى مصر العتيقة فاقام بها والسادس عشر الى التاسع عشر مطران الحبشة واساقفته الثلاثة غير ان هذه الكراسى قابلة للزيادة والنقص ومن ذاك لما تنيح مطران مصر انبا مرقس لم يرسم عوضه وغير ذلك مما ذكرناه ثم انه لما حضر يوم الخميس ٢٣ بابه سنة ١٦١١ للشهدا تمام السنة العشرين للاب البطريرك فى رئاسته حينئذ وكيل البطركخنة القمص تادرس مينا خادم كنيسة مار مينا نشر اعلانات فى القاهرة وكافة الكنايس بالقطر المصرى لكى يصير عموم الكهنة وساير الشعب المسيحى الارثوذكسى عيد جلوس الاب البطريرك على الكرسى الرسولى فى ٢٣ بابه بالاحتفال فى هذا اليوم برفع القرابين المقدسة والصلوات للعزة الالهية تذكارا لجلوس غبطته على مسند الخلافة لكى يعيد هذا اليوم على السدة البطريركية سنين عديدةوازمنة هادية مديدة مسرورا ومبتهجا بصحة وسلامة سائر شعبه المسيحى الارثوذكسى وهم متمتعون فى ايامه السعيدة بالخير والبركات والهنا والسرور فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية ولكى يمنح جميع الملوك العظماء والسلاطين الاجلاء القوة والسلامة والصحة وهكذا صار ولاسيما بالكنيسة الكبرى البطريركية اذا احتفل بها اليوم المذكور شعب القاهرة واعيانهم وبعض روساء الاديرة والكهنة وبعد القداس هنأوا سيادته وتلوا اماء الخطب وكان الفرح عاما شملا .

المجلد الثانى « الجزء الأول »

المجلد الثانى « الجزء الثانى » « ٨٨٠ - ١٠٦٦ »

من البطريرك خاييل الثالث الى البطريرك شنوده الثانى





ملحوظة : يرمز بحرف (جـ) وجه المخطوطة ويرمز بحرف (ظـ) ظهر المخطوطة

الفهرس

سلسلة إصدارات

نيافة

الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها



- ترتيب الكهنوت للأنبا ساويروس إبن المقفع
- تاريخ بلاديوس اللوساسى (اللوزاكى)
- كتاب الأربعون خبر
- كتاب القديس العظيم مار إسحق
- « الطب الروحانى » قوانين مختصرة مما رتبه الآباء

تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة فى القرن ١٢

- «الجزء الأول عن الوجه البحرى »
- «الجزء الثانى عن الوجه القبلى»
- «الجزء الثالث عن أسيا وأوربا»
- «الجزء الرابع عن ما كتبه الأجانب والمؤرخون عن الكنائس والأديرة»
- ميامر مارأوغريس
- ميامر ماربرصنوفيوس
- السنكسار القبطى اليعقوبى لرينيه باسيه (ثلاثة أجزاء)
- تاريخ البطاركة (ثلاثة أجزاء)

الثمن : ٧,٧٥ جنيه

النعام للطباعة